

ISSN : 1818 – 0345

Impact Factor: (506-2018)

Arcif: 0.0118 2021

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة البصرة

كلية التربية للبنات

# مجلة دراسات تاريخية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

تصدر عن كلية التربية للبنات

العدد الثاني والثلاثون (حزيران ٢٠٢٢)



سعادة أ. د. رئيس تحرير مجلة دراسات تاريخية المحترم  
جامعة البصرة، كلية التربية للبنات، البصرة، العراق  
تحية طيبة وبعد،،،

يسر معامل التقييم والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (Arcif - أرسيف)، أحد منابر قاعدة بيانات "معرفه" للإنتاج والمحتوى العلمي، إعلامكم بأنه قد أطلق التقرير السنوي السادس للمجلات للعام 2021.

يخضع معامل التقييم "Arcif" لإشراف "مجلس الإشراف والتنسيق" الذي يتكون من ممثلين لعدة جهات عربية ودولية: (مكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ببيروت، لجنة الأمم المتحدة لغرب اسيا (الإسكوا)، مكتبة الإسكندرية، قاعدة بيانات معرفة، جمعية المكتبات المتخصصة العالمية/ فرع الخليج). بالإضافة للجنة علمية من خبراء وأكاديميين ذوي سمعة علمية رائدة من عدة دول عربية وبريطانيا.

ومن الجدير بالذكر بأن معامل "Arcif" قام بالعمل على فحص ودراسة بيانات ما يزيد عن (5100) عنوان مجلة عربية علمية أجنبية في مختلف التخصصات، والصادرة عن أكثر من (1400) هيئة علمية أو بحثية في (20) دولة عربية (باستثناء دولة جيبوتي وجزر القمر لعدم توفر البيانات). وسج منها (877) مجلة علمية تقط لتكون معتمدة ضمن المعايير العالمية لمعامل "Arcif" في تقرير عام 2021.

وسرنا تهنئكم وإعلامكم بأن **مجلة دراسات تاريخية** الصادرة عن **جامعة البصرة، كلية التربية للبنات، البصرة، العراق** قد نجحت في تحقيق معايير اعتماد معامل "Arcif" المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وللإطلاع على هذه المعايير يمكنكم النول إلى الرابط التالي: <http://e-marefa.net/arcif/criteria>

وكان معامل "Arcif" العام لمجلتكم لسنة 2021 (0.0118).

وقد صنفت مجلتكم في تخصص تاريخ وجغرافيا ضمن الفئة (الثالثة Q3)، وهي الفئة الوسطى، مع العلم أن متوسط معامل أرسيف في هذا التخصص على المستوى العربي كان (0.058).

وبمكانكم الإعلان عن هذه النتيجة سواء على موقعكم الإلكتروني، أو على مواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك الإشارة في السعة الترويجية لمجلتكم إلى معامل "Arcif" الخاص بمجلتكم.

ختاماً، نرجو في حال رغبتكم الحصول على شهادة رسمية إلكترونية خاصة بمجلتكم في معامل "Arcif"، التواصل معنا مسكوبين. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

أ.د. سامي العزادار  
رئيس مبادرة معامل التقييم  
"Arcif"



# رقم الایداع فی دار الکتب والوثائق (٨٧١) بغداد سنة ٢٠٠٥

طبع العدد فی مديرية دار الکتب للطباعة والنشر  
جامعة البصرة – مجمع باب الزبير

العدد الثاني والثلاثون (حزيران ٢٠٢٢)

رئيس التحرير  
أ.د. رحيم حلو محمد البهادلي  
م.م. عباس قاسم عطية المريني  
مدير التحرير

- ١- أ.د. كرميلو بيريت بالتران  
٢- أ.د. خوان انطونيو ماثيان  
٣- أ.د. حمادي نايت الشريف  
٤- أ.د. رشيد محمد كهوس  
٥- أ.د. محمود عمر سليم  
٦- هاشم داخل حسين الدراجي  
٧- أ.د. عصام كاطع داود  
٨- أ.د. وجدان فريق عناد  
٩- أ.د. سماهر محيي موسى  
١٠- أ.د. قيس حاتم هاني  
١١- أ.د. سعد عبود سمار  
١٢- أ.د. عباس جبير سلطان  
١٣- أ.د. هادي عبدالنبي التميمي  
١٤- أ.د. كاظم عبد نتيش  
١٥- أ.د. صبيح نوري خلف  
١٦- أ.د. رباب جبار السوداني  
١٧- أ.د. عمار فاضل حمزة  
١٨- أ.د. حيدر عبدالرضا التميمي  
١٩- أ.م.د. علي جودة صبيح المالكي
- كلية الآداب - جامعة غرناطة - اسبانيا  
كلية الآداب - جامعة غرناطة - اسبانيا  
جامعة بورنماوث - بريطانيا  
كلية أصول الدين - جامعة عبدالملك السعدي - المغرب  
كلية الآداب - جامعة القاهرة - مصر  
كلية التربية - جامعة ميسان  
كلية التربية للبنات - جامعة البصرة - العراق  
مركز إحياء التراث - جامعة بغداد - العراق  
كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة ديالى - العراق  
كلية التربية الأساسية - جامعة بابل - العراق  
كلية التربية - جامعة واسط - العراق  
كلية التربية - جامعة كربلاء - العراق  
الجامعة الإسلامية - النجف الاشرف - العراق  
كلية الآداب - جامعة ذي قار - العراق  
كلية التربية للبنات - جامعة البصرة - العراق  
كلية التربية للبنات - جامعة البصرة - العراق  
كلية التربية للبنات - جامعة البصرة - العراق  
كلية الآداب - جامعة البصرة - العراق  
مركز دراسات البصرة والخليج العربي - جامعة البصرة

العدد الثاني والثلاثون (حزيران ٢٠٢٢)

**الخبير اللغوي**

**أ.م.د. محمد قاسم نعمة**

**م. هند قصي حسن**

**مراجعة النصوص الانكليزية**

**أ.م.د. الاء عبد الامام عبد الزهرة**

**الأشراف الفني والموقع الالكتروني**

**م.م. عباس قاسم المرياني**

العدد الثاني والثلاثون (حزيران ٢٠٢٢)

# شروط النشر

- ١- تنشر البحوث على ان تتوافر فيها الجدة والأصالة والمنهج العلمي بما يسهم في الاثراء الفكري في مجال البحث التاريخي .
  ٢. ان لا يكون منشوراً او مقبول للنشر في أية مجلة داخل العراق او خارجه او تلك البحوث التي سبق تقديمها للجامعات او الندوات العلمية .
  ٣. يجب ان يتضمن البحث ملخص باللغة العربية والانجليزية
  ٤. تقدم البحوث بثلاث نسخ ورقية قياس (A4) مع قرص (CD) وبخط ( Simplified Arabic ) وبجسم (١٤).
  ٥. تخضع البحوث للتقييم السري وترسل إلى اربعة خبراء متخصصين من ذوي المكانة العلمية على وفق الأعراف الأكاديمية المعتمدة ومن ضمنهم المقوم اللغوي.
  ٦. يرتب البحث على وفق المعايير المتبعة في كتابة البحوث الأكاديمية العلمية وتكون الهوامش وقائمة المصادر في نهاية البحث.
  ٧. تسحب المرفقات مع البحث (خرائط ، رسوم توضيحية ، صور ، ...الخ) على جهاز السكندر وتضاف على قرص البحث.
  ٨. يرفق مع البحث مبلغ قدره (١٥٠,٠٠٠) ألف دينار، وفي حال رفض البحث تستقطع فقط (٥٠,٠٠٠) ويعاد المبلغ المتبقي. وفي حال زاد البحث عن (٤٠) ورقة يضاف مبلغ (٥٠٠٠) لكل ورقة.
  ٩. لا يمنح قبول النشر ما لم يسلم الباحث المبلغ المخصص والتعديلات المطلوبة في البحث من قبل المقومين.
  ١٠. تعنون المراسلات إلى رئيس التحرير او مدير التحرير، جامعة البصرة ، كلية التربية للبنات - مجلة دراسات تاريخية. او عن طريق البريد الالكتروني:  
[info@histstj.edu.iq](mailto:info@histstj.edu.iq) [abbas.alansary@uobasrah.edu.iq](mailto:abbas.alansary@uobasrah.edu.iq) [rahiemhiloo@yahoo.com](mailto:rahiemhiloo@yahoo.com)
- ملاحظة: ما يرد في المجلة يعبر عن آراء أصحابه، ولا يعكس آراء هيئة التحرير.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه  
المنتجبين وبعد ....

أنه من دواعي سرورنا ان نضع بين ايديكم الكريمة العدد (٣٢) من مجلتنا المحكمة  
(دراسات تاريخية)، وهو كما عودناكم قد حمل عبق الماضي وعمق الحاضر في خمسة  
عشر بحثاً تاريخياً متنوعاً أخذت بأجنحة المجلة لتلحق بها في فضاء المعرفة، تلك  
العصور التاريخية التي اجادت في صنع الحياة حيث كانت الاجادة، وزخرت بالعباء  
الإنساني، فهناك دراسات تعود الى عصر الدعوة الاسلامية، وبحث في التخطيط  
العمراني، واخر عن السياسة البريطانية والاستراتيجية الامريكية، واللافت للنظر ذلك التنوع  
الحقيقي والملموس لا سيما ما يتعلق بدراسة العصر الفاطمي والاندلسي، وقد شهدنا تعالق  
التاريخ مع الادب في دراسة خاصة بالاديب الهندي (رابدرنات طاغور).

ان ما يدعو للفخر حقاً استقطاب مجلتنا لباحثين من جامعات عراقية واخرى عربية،  
وذلك حتما يعد مؤشر صحي يدل على قيمة المجلة في تجاوزها المحلية، وهذا الامر انما  
هو محصلة التعاون الجاد بين المجلة وباحثيها وقراءها الجادين، فقد شهد هذا العدد  
دراسات لباحثين عرب من دولة (ليبيا) و (الجزائر) فضلا عن الجامعات العراقية من  
بغداد، والموصل، والمثنى، وذي قار، وسومر، والبصرة، وجامعة الامام الكاظم (ع)،  
ومديريات التربية. وفي الختام نسأل المولى عز وجل ان يديم ذلك التواصل ويعمق التعاون  
العلمي ، خدمة للعلم والمعرفة .والله من وراء القصد

الاستاذ الدكتور  
رحيم حلو محمد البهادلي  
رئيس التحرير

العدد الثاني والثلاثون (حزيران ٢٠٢٢)

# المحتويات

١٦- ١	طبيعة معاداة قريش لرسول الله (صل الله عليه واله وسلم) في مطلع الدعوة الإسلامية ... أ.د. رحيم حلو محمد البهادلي - كلية التربية للبنات / جامعة البصرة	١
٤٥ - ١٨	عناية علماء الجزائر بمتن " السلم المرونق " للأخضري تدريسا وتأليفا... د. بلخير عمراني / مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الجزائر	٢
٧٣ - ٤٧	المكتبات بالمغرب الأقصى- في عهد الموحدين... ا.م.د. نادية عبد الرحمن معاطي / كلية الآداب - جامعة صبراتة - ليبيا	٣
٩١ - ٧٥	الحياة الثقافية للأندلسيين بعد سقوط غرناطة ( ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) ... أ.د. وجدان فريق عناد / مركز إحياء التراث العلمي العربي - جامعة بغداد	٤
١١٦ - ٩٣	الوزير احمد البانكتي ودوره السياسي والاداري في امبراطورية المغول إبان عهد قوبلاي خان ٦٥٨-٦٨٠هـ / ١٢٦٠-١٢٨٢م ... أ.م.د. رغد عبدالكريم أحمد / كلية الآداب - جامعة الموصل	٥
١٥١-١١٨	الأميرة ست الملك الفاطمية ونفوذها في حكم مصر ٤١١-٤١٥هـ / ١٠٢٠-١٠٢٤م ... ا.م.د. علي فيصل عبد النبي العامري / كلية التربية الاساسية - جامعة سومر	٦
١٨٨ - ١٥٣	حادثه الاسراء وأثرها الفكري في الإسلام... أ.م.د. عبد المنعم عبدالجبار علي جعفر / كلية الآداب - جامعة المثني	٧
٢١٠ - ١٩٠	الاستراتيجية الاميركية في الشرق الاوسط وموقف المؤسسة الدينية الشيعية منها... د. عبد الزهره شهيد عجمي الحسناوي / كلية الآداب / جامعة ذي قار	٨
٢٢٧ - ٢١٢	دولة بني النجاش في اليمن (٤١٢-٥٥٤هـ / ١٠٢١-١١٥٩م) دراسة تاريخية ... م.د. سناء عبدالله عزيز الطائي و م.د. ساجد عبد محمد / كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة الموصل	٩
٢٥١ - ٢٢٩	المضامين السياسية في خطب السيدة الزهراء (عليها السلام) ... م.د. مصطفى سالم حازم و م.د. محسن طعمة يوسف / كلية الآداب - جامعة البصرة	١٠
٢٧٠ - ٢٥٣	إسلام قبيلة عبد القيس من بدايات الدعوة إلى فتح مكة... م.د. قحطان جواد مطرود / المديرية العامة للتربية في محافظة المثني	١١



٢٧٢ - ٢٨٣	تخطيط مقام النبي أيوب (عليه السلام) وعمارته... م.د. امثال كاظم النقيب مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد	١٢
٢٨٥ - ٣١٤	النقابة وأهميتها في التاريخ الاسلامي الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ/١٠١٥م) إنموذجاً م.د حسين صالح حسن الربيعي / كلية الامام الكاظم (عليه السلام الجامعة) للعلوم الاسلامية	١٣
٣١٦ - ٣٣٥	السياسة البريطانية تجاه لبنان ١٩٣٩ - ١٩٤٦... م.م. حسن غانم عبد ردن الحسناوي / المديرية العامة للتربية في ذي قار	١٤
٣٣٧ - ٣٧٠	الاديب الكبير رابدراوات طاغور ١٨٦١-١٩٤١ دراسة تاريخية... م.م.إنعام عبد العظيم الشاهين / كلية التربية للبنات - جامعة البصرة	١٥

**طبيعة معاداة قريش لرسول الله (صل  
الله عليه وآله وسلم) في مطلع الدعوة  
الإسلامية**

**أ.د. رحيم حلو محمد البهادلي - كلية التربية للبنات  
جامعة البصرة**

**The Nature of the Quraysh's Hostility to the  
Messenger of God (PBUH) At the Beginning of  
the Islamic Call**

**Prof. Dr. Rahiem Hiloo M. Al-Bahadly - College of Education for  
Women / University of Basrah**

طبيعة معاودة قريش لرسول الله (صل الله عليه واله وسلم) في مطلع الدعوة الاسلامية

أ.د. رحيم حلو محمد البهادلي

كلية التربية للبنات / جامعة البصرة

الملخص :

يتناول هذا البحث دراسة طبيعة الظروف التي جعلت من سادات مشركي قريش يقفون بوجه رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) ودعوته الى الاسلام ، لان الظاهر للغالبية العظمى من الباحثين والدارسين في التاريخ الاسلامي يتصورون ان مشركي قريش تصدوا لرسول الله (صل الله عليه واله وسلم) ودعوته للإسلام كانت لأسباب دينية بحتة ، ولكن واقع الحال يشير الى ان هؤلاء المشركين ما كان يهمهم من الدين الجديد وانتشاره سوى ما سيسبب لهم من تأثير سلبي على اوضاعهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، سيما بعد ان تضمن في مبادئه ان لا فرق بين عبد وحر الا بالتقوى ، وان الناس جميعا سواسية في الحقوق والواجبات ، الامر الذي سوف يؤدي بطبيعة الحال الى نفور اعداد كبيرة من الفقراء والعبيد والموالي والجواري من اسيادهم المشركين وتركهم لخدمتهم ، كما ان اشارة رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) الى ان تلك الاصنام والاوثان التي كانت تعبد وتقدس وتقدم لها النذور والهدايا هي عبارة عن حجارة لا تضر ولا تنفع ، الامر الذي يقود بطبيعة الحال الى تسفيهاها ثم ترك عبادتها ، وهذا ما يؤدي الى الاضرار الاقتصادي لسادات مكة الذين كانوا يعتمدون على تلك الموارد بشكل كبير .

## The Nature of the Quraysh's Hostility to the Messenger of God (PBUH) At the Beginning of the Islamic Call

**Prof. Dr. Rahiem Hiloo M. Al-Bahadly**

**College of Education for Women / University of Basrah**

### **Abstract :**

This research deals with the study of the nature of the circumstances that made the polytheists of Quraish stand in the face of the Messenger of God (PBUH) and his call to Islam, because it seems to the vast majority of researchers and scholars in Islamic history that the polytheists of Quraish confronted the Messenger of God (PBUH) and his call to Islam was purely for religious reasons, but The reality of the situation indicates that these polytheists did not care about the new religion and its spread except what would cause them a negative impact on their social, political and economic conditions, especially after it included in its principles that there is no difference between a slave and a free person except by piety, and that all people are equal in rights and duties. Which, of course, will lead to the alienation of large numbers of the poor, male slaves, male and female slaves, from their polytheistic masters and leaving them to serve them, and the reference of the Messenger of God (peace be upon him) to the fact that those idols and idols that were worshiped and sanctified and offered to them vows and gifts are stones that do not harm or benefit. , Which naturally leads to insulting it and then abandoning its worship, and this is what leads to the economic damage to the masters of Mecca who were dependent on those resources to a great extent .

## المقدمة :

تعد مكة المهد الاول لظهور الدعوة الإسلامية التي وقعت على عاتق رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي المكي ، وفي مكة كانت عبادة الاصنام والوثان هي السائدة في المجتمع المكي آنذاك ، اذ ليس في ذلك المجتمع المكي في فترة قبيل الاسلام حسب المعطيات التاريخية ما يشير الى انهم كانت لهم ديانة سماوية تعرف ، ومع ذلك الشرك والكفر المتفشي في مكة فقد كان هناك بعض الافراد من هم نصارى وآخرين كانوا يهودا ، كما ان اهالي مكة كانت لهم معرفة وعلم بوجود ديانات وعبادات اخرى في مدن مجاورة واقاليم مناظرة ، وهؤلاء كانوا يمارسون عباداتهم وطقوسهم في حرية تامة في بلدانهم وكذلك عند زيارتهم لمكة لتجارة ما او في مواسم الحج التي كانت تقام فيها اسواق عامرة .

وكان اصحاب تلك الديانات المعروفة النصرانية واليهودية يمارسون طقوسهم وعباداتهم بحرية تامة في مكة وفي مرأى من انظار سادات قريش المشركين ، ونحن لا نفترض ذلك جزافا بل ان مصادرها الإسلامية تشير الى تواجد بعض الاشخاص من اصحاب تلك الديانات في مكة ، وعلى سبيل المثال لا الحصر كان ورقة بن نوفل الاسدي وهو عم السيدة خديجة الكبرى كان رجلا نصرانيا ، وان عبيد الله بن جحش الاسدي زوج رمة بنت ابي سفيان كان رجلا نصرانيا ايضا ، وربما غيرهم الكثير ، وهؤلاء وغيرهم من اليهود ايضا كانوا يمارسون طقوسهم وعباداتهم بشكل واضح وصريح ، فضلا عن هؤلاء كانت هناك في المجتمع المكي جماعة تعرف (بالأحناف) وهؤلاء كانوا على دين سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، وهم كانوا يعبدون الله عز وجل ومنهم ابناء هاشم بن عبد مناف جد رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) ، ثم ان رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) طالما كان يتعبد الله في غار حراء ، وكانت قريش على علم بجميع تلك الديانات وطقوسها ولم تتعرض لهم بسوء ، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا وقفت قريش بوجه دعوة رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) للإسلام وهو لم يكن بالدين او المفهوم الغريب عن مفاهيم المجتمع المكي ؟ وذلك السؤال هو محور بحثنا هذا وسوف يتم الاجابة عنه من خلال ما يطرح في بحثنا هذا ، وعلى النحو التالي :

### المعتقدات الدينية في مكة قبيل الإسلام :

قبل ان نتطرق الى طبيعة معادات قريش لرسول الله (صل الله عليه واله وسلم) لا بد لنا ان نتعرف على طبيعة العبادات والطقوس الموجودة في المجتمع المكي ، اذ ان في التعرف عليها علاقة كبيرة بفهم طبيعة معادات قريش لرسول الله (صل الله عليه واله وسلم) .

واول تلك الاديان التي كانت معروفة في المجتمع المكي هي الديانة النصرانية ولو بنسبة ضئيلة ، فمع ان العبادات التي كانت سائدة في المجتمع المكي كانت عبادة الاصنام والاوثنان فقد عرف في المجتمع المكي وجود بعض الافراد الذين يدينون بالنصرانية ، وهؤلاء على قلتهم فانهم كانوا يمارسون عباداتهم وطقوسهم بحرية تامة بدون ان يتعرض لهم بسوء أو مكروه ، اذ ليس في ممارسة عبادتهم وطقوسهم ما يؤثر على مصالح قريش لا من بعيد او من قريب .

وعلى رأس هؤلاء النصارى في مكة كان ورقة بن نوفل الاسدي (١) ، وهو عم السيدة خديجة زوجة رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) (٢) ، وكان ورقة بن نوفل من كبار النصارى وعلمائهم القسيسين (٣) ، وكان يقرأ الانجيل بالعربية (٤) ، وله علم الرسل والانبياء ، بحيث لما بعث رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) ذهبت السيدة خديجة لعمها ورقة بن نوفل تخبره بالمبعث فقال لها : " هذا الناموس الذي انزل على موسى وعيسى واني ارى في المنام ثلاث ليال ان الله ارسل رسولا اسمه محمد وقد قرب وقته ولست ارى في الناس رجلا افضل منه " (٥) .

وفضلا عن ذلك فقد كان ورقة بن نوفل يتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة وحسنة في الوسط المكي ولم يتعرض له بسوء جراء ديانته وعبادته ، بحيث لما تزوج رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) بالسيدة خديجة ذهب لخطبتها ابو طالب بن عبد المطلب من عمها ورقة بن نوفل ، وتدل المحادثة التي جرت بينهما على انها كانا من علية القوم وساداتهم ، فعلا كان كل منهما ورقة وابو طالب كانا من سادات القوم وعليتهم بحسب مجريات الاحداث آنذاك (٦) .

وتدل بعض المرويات التاريخية ان ورقة بن نوفل كان يتقبل القبلة في عبادته (٧) ، مما يدل دلالة واضحة انه كان يمارس طقوسه وعبادته بحرية مطلقة ، وربما لم يكن وحده نصرانيا في مكة فربما كانت هناك اعدادا من النصارى على شاكلة ورقة بن نوفل او على هيئة اتباع له في دين النصرانية ، وان كان الحال كذلك فهذا يعني انه وجماعته كانوا يمارسون طقوسهم وعباداتهم بحرية تامة في المجتمع المكي ، وطبيعي ان ينتهي خبرهم الى مسامح سادات قريش وهم

الوثنيين المشركين ، فلا نرى منهم معترضا او ممتعضا من تلك الديانة السماوية التي تدعوا الى عبادة الخالق عز وجل ، ولو كان هناك من معترض او ممتعض من اسيااد مكة المشركين ، لنكل بهم سادات قريش اشد التتكيل كما فعلوا تماما مع رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) واتباعه في الفترة المكية من الدعوة الاسلامية .

ومن بين تلك النماذج النصرانية في المجتمع المكي لدينا ايضا شخصا يسمى عبيد الله بن جحش بن رئاب الاسدي ، وهو احد النصارى الذين كانوا يمارسون طقوسهم وعباداتهم بحرية مطلقة في المجتمع المكي الوثني ، اذ كان عبيد الله بن جحش نصرانيا قبل دخوله في الاسلام على حد قوله هو حين قال لزوجته أم حبيبة بنت ابي سفيان بعد أن ارتد عن الدين الاسلامي وهو في الحبشة ، قائلا لها : " يا أم حبيبة أني نظرت في الدين فلم أر دينا خيرا من النصرانية وكنت قد دنت بها ثم دخلت في دين محمد ثم رجعت إلى النصرانية " (٨) .

وحيثما كان ابن جحش نصرانيا قبيل الاسلام لم يتعرض له احدا ما بسوء مع انه وفق ديانته ينكر نكرانا تاما عبادة الاصنام والوثان التي كانت تعبد في مكة على وجه الخصوص ، وقد كان عبيد الله بن جحش يتمتع بعيش كريم وحياة هائلة الى درجة ان سيد قريش وزعيمها ابو سفيان بن حرب زوجه ابنته رملة بنت ابي سفيان وانجبت منه ابنتها حبيبة وبها كانت تكنى(٩). وعلى الرغم من تواجد اليهود بكثرة في بلاد الحجاز الا ان تواجدهم كان يتركز في المدن الصالحة للزراع والمدن التجارية مثل يثرب والطائف ووادي القرى (١٠) ، وربما مدن اخرى ، الا ان مصادرها الاسلامية تحجم عن ذكر تواجد اليهود في مكة الا اشارات نادرة جدا ، فقد ورد مثلا ان رجلا يهوديا اسمه ( يوسف ) من سكنة مكة قال لقريش في وقت ولد فيه رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) : " يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ " ، فقالوا بالنفي ، فقال لهم : " اخطأتم والتوراة ولد اذا بفلسطين وهو اخر الانبياء واخرهم " (١١) .

وسواء صحت تلك الرواية ام لم تصح فأنها تعكس لنا ان افرادا قليلون من اليهود كانوا متواجدين في مكة قبل الاسلام ، وهؤلاء حتما كانت لهم طقوسهم العبادية وممارساتهم الدينية التي كانوا يمارسونها بانتظام وحرية تامة وعلى مسمع ومرئ من اسيااد قريش الوثنيين دون ان يتعرض لهم احدا بسوء او مكروه .

وبما ان مكة كانت تمثل مركز تجاري واقتصادي وثقافي وفكري ، فقد كان يأمها البعيد والغريب لأغراض تجارية واغراض فكرية ، وشيء طبيعي ان تكون هناك جاليات يهودية في مكة على الاقل في مواسم الحج واقامة الاسواق والمحافل الفكرية ، وهؤلاء لم يذكر لنا التاريخ انهم مورست تجاههم ممارسات تعسفية لردهم عن دينهم ومعتقدهم ، بل كانوا يمارسون طقوسهم وعباداتهم بكل حرية ويسر .

من جميع ذلك نقف على حقيقة وهي ان المجتمع المكي كان فيه الوثني وكان فيه النصراني واليهودي وربما البوذي أو ديانات اخرى ، وجميع تلك الاديان والمعتقدات كانت يمارس اصحابها طقوسهم الخاصة ، فلم يعترض احدهم على الآخر ، بل كانت هناك حالة من التسامح الديني فيما بينهم ، فلا سادات قريش تعترض عليهم ، ولا اصحاب تلك الديانات يمسون بشكل او باخر اصنام واوثان قريش او يطعنون فيها .

#### الدعوة الإسلامية وطبيعة موقف قريش منها :

اما عندما جاء رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) بدعوته الى الاسلام فنجد ان قريشا واتباعها وكذلك اهل الكتاب وبالخصوص اليهود منهم يقفون بوجه رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) ، في محاولة منهم للإجهاض على هذا الدين وهذا المعتقد بكل ما اوتوا من قوة وما امتلكوا من عزم طيلة حياة رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) ، فلا كان يمنعهم منه واعز ولا يرشدهم عاقل ، اذ مارسوا انواع المضايقات النفسية والحرب الضروس والتعذيب الجسدي للمسلمين الاوائل في محاولة لمنعهم من اعتناق الدين الاسلامي الجديد .

بيد ان قريش لم تعترض على الدعوة الإسلامية في بادئ امرها ، إذ كان شأن المسلمين آنذاك شأن اصحاب الديانات الاخرى لعدة اسباب ، ولعل اهمها تكمن في أن دعوة رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) للإسلام ومعرفة الله عز وجل لم يكن مفهوما غريبا عن مجتمع قريش في مكة ، لان عبادة الله عز وجل كانت معروفة لدى الداني والقاصي في المجتمع المكي ، حتى ان عبادتهم للأصنام والواثن لم تكن خاصة بشخصهم ، بل كانوا يتقربون بها الى الله عز وجل على حد اشارة ابن الاثير (١٢) ، كما ان هناك من الدلائل التي تؤكد على معرفة قريش بالله



عز وجل ، وهو ان بعض الاشخاص في مكة قبيل الاسلام من كان اسمه عبد الله ، كوالد رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) عبد الله بن عبد المطلب على سبيل المثال (١٣) .

وكان في مكة مجموعة من الرجال الذين كان يطلق عليهم لقب الاحناف ، وهؤلاء هم من بقايا ديانة سيدنا ابراهيم (ع) ، وهو فيما يبدو كان نفسه دين الاسلام ، بدليل قوله تعالى : ( ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ) (١٧) . وهؤلاء الاحناف كان الدين الاسلامي امتدادا لهم بدليل اشارة الفقهاء الى القول في مطلع الصلاة وعند التكبير : " وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما ، على ملة ابراهيم ودين محمد وولاية امير المؤمنين والائمة من ذريتهما الطاهرين حنيفا وما انا من المشركين " (١٨) .

ولنا ان نتصور ان المجتمع المكي قبيل الاسلام وحتى بعده في العصور الاسلامية اللاحقة كان عبارة عن مجتمع مصغر ، وهو عبارة عن قرية صغيرة - ان صح التعبير - وان رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) كان يذهب الى غار حراء يتعبد ويؤدي طقوس عبادية لا تخرج عن اطار معرفة الله عز وجل والتمعن في ماهية الخلق ، وان كان الحال كذلك فلا يعقل ذلك عن عدم معرفة عموم قريش بما كان يمارسه رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) في وسط ذلك المجتمع الصغير .

وفضلا عن جميع ذلك فقد كان رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) واباءه واجداده لم يعبدوا صنما ما او وثنا يعبد في مكة او غيرها ، فقد كان هاشم بن عبد مناف رجلا ورعا يعرف الله حق المعرفة قال عنه اليعقوبي : " واصطلحت قريش على ان يولى هاشم بن عبد مناف الرئاسة والسقاية والرفادة ، فكان اذا حضر الحج قام في قريش خطيبا ، فقال : يا معشر قريش ! انكم جيران الله واهل بيته الحرام ، وانه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته ، فهم اضياف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه ، وقد خيركم الله بذلك ، وأكرمكم به ، ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره ، فأكرموا ضيفه وزواره " (١٩) ، اما جده عبد المطلب فقد تولى السقاية والرفادة بعد عمه المطلب بن عبد مناف الذي تولاهما بعد وفاة اخيه هاشم (٢٠) ، وقد ورد ان عبد المطلب كان من حفر بئر زمزم ونقل الماء من زمزم الى عرفة (٢١) ، وكان بالإضافة الى ذلك يطعم الحجيج (٢٢) ، وكان ايضا اول من حرم الخمر والازلام قبل الاسلام (٢٣) ، وهو كذلك اول من سن قطع يد السارق في الجاهلية (٢٤) . اما عمه ابو طالب بن

عبد المطلب فقد كان سيد زمانه وله كانت السقاية والرفادة (٢٥) ، وكان رجلاً شريفاً في قومه مؤمناً بالله عز وجل أحق الإيمان (٢٦) .

من جميع ذلك نقف على حقيقة أن مفهوم الإسلام وقواعده كانت معروفة في المجتمع المكي ، وهناك من كان يمارس مبادئ الإسلام قبل البعثة ، ونرى صمماً ملحوظاً من قبل سادات قريش قبالة تلك المفاهيم ، ليس ذلك وحسب بل نجد حتى عندما بعث رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) لم نرى اعتراضاً من قبل أسياد قريش على الدين الجديد بالشكل الذي قد يتصوره الغالبية ، وما ورد أن الدعوة إلى الإسلام مرت بمرحلة سرية استمرت ثلاث سنوات وهي ما تسمى بالمرحلة السرية فيها أشكال كبيرة ، إذ كيف لنا أن نتصور أعداداً من المسلمين قلوا أو كثروا أن يمارسوا طقوسهم وعباداتهم وتجمعهم ولقاءاتهم في وسط مجتمع مصغر دون أن تنتهي طقوسهم إلى مسمع أسياد قريش المشركين بشكل أو بآخر ، فذاك أراه شخصياً أمراً محالاً ، لأن من خصوصيات المجتمعات المصغرة والمقلدة أن لا يخفى أمراً ما وما بالك بأمر عظيم كأمر الإسلام دون تتسرب أخباره إلى شخصاً ما من خارج منظومة الإسلام ، فحتماً يكون ذلك بالنفي ، وإذا جزمنا بأن أمر الإسلام قد وصل على أقل تقدير إلى شخصاً مشركاً واحداً لا أكثر ، فإن ذلك وحده كفيل بنشر خبر الدين الجديد خلال ساعات أو أياماً معدودات .

#### بداية الدعوة :

عندما بلغ رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) سن الأربعين من عمره الشريف ، وفي إحدى الأيام وقد كان يتعبد في غار حراء الذي يقع في إحدى الجبال المجاورة إلى مكة (٢٧) ، نزل الوحي من عند الله عز وجل يبلغه برسائله السماوية ، وكان أول ما نزل عليه الآيات : ( اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ) (٢٨) ، وعند عودته إلى داره قص خبره على زوجته السيدة خديجة ومقربوه ، فكانت هذه دعوة فردية للإسلام ، واسلم في هذه المرحلة زوجته السيدة خديجة ، وابن عمه الإمام علي بن أبي طالب (ع) الذي كان يقطن معه في داره وعمره يومذاك قرابة العشر سنين ، وصديقه المقرب أبو بكر ، وعن طريق أبو بكر - فيما يروى - كل من عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي

عبدة بن الجراح ، والارقم بن ابي الارقم الذي كانت داره مقرا لبث الدعوة الاسلامية ، فضلا عن مجموعة من العبيد والموالي والفقراء (٢٩) .

ولم تقيدينا المعطيات التاريخية ان احدا من بين هذه المجموعة قد تعرض لمضايقة ما او تعرضا بسوء او مكروه ، مع يقيني التام ان خبر هذا الدين الجديد قد تناهت اخباره الى مسامع قريش ، ولم يكن ذلك السكوت عنهم لاعتراف قريش بهذا الدين ، بل تغافلوا امره لعدم تعارضه مع مصالحهم وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بعد .

وبعد تلك الفترة ببضعة سنوات نزلت الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وانذر عشيرتک الاقربین﴾ (٣٠) ، فدعا رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) بنو عبد المطلب للدخول في الاسلام ، واجتمع بهم قائلا لهم : " اني ما اعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به ، فلقد جئتمكم بخير الدنيا والاخرة " (٣١) ، ثم بلغه رسالته فصدق اهله وكذبه منهم اخرون سيما عمه ابا لهب وزوجته ، حيث اعترض عليه اشد الاعتراض قائلا له : " تبت لك ، الهذا دعوتنا ؟ " (٣٢) ، وكان اشد الناس عليه قساوة حتى نزلت فيه بعد ذلك ايه كريمة ، بقوله تعالى : ( تبت يدا ابي لهب وتب ، ما اغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وامراته حمالة الحطب ، في جيدها حبل من مسد (٣٣) .

ثم نزلت الآيتان الكريمتان بقوله تعالى : ﴿فاصدع بما تأمر واعرض عن المشركين \* انا كفيناك المستهزئين﴾ (٣٤) ، فدعا رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) عموم قريش ثم خطب بهم قائلا : " يا معشر قريش ويا معشر العرب ، ادعوكم الى عبادة الله تعالى ، وخلص الانداد والاصنام ، وادعوكم الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله ، فأجيبوني تملكوا بها العرب وتدين لكم العجم ، وتكونون ملوكا في الجنة " (٣٥) .

وقباله ذلك الخطاب اكتفى مشركي مكة بالاستهزاء به والسخرية منه وقالوا : " جن جنون محمد بن عبد الله " (٣٦) ، ولكنهم حينما شاهدوا اقبال الناس سيما الفقراء من عبيد وموالي وخدم الاسياد تعتنق الدين الجديد جن جنونهم ، واتخذوا موقفا حازما بوجه الدعوة الاسلامية ، ولما لم يجدي اقناع رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) بترك هذا الدين ، ولأن المجتمع المكي كان مجتمعا قبليا ، وهو ما يعني انهم لا يستطيعوا الاساءة لرسول الله (صل الله عليه واله وسلم) وهو من قبيلة بنو هاشم ذات النقل الاجتماعي المعروف ، توجهوا الى عمه ابا طالب عسى ان يترك

هذا الدين لأنه بدأ يسلب منهم اتباعهم وانصارهم وعبيدهم الذين وجدوا في الاسلام ما يضمن لهم حقوقهم ويجعلهم سواسية مع اسيادهم في الحقوق والواجبات ، فقالوا له : " كف عنا ابن اخيك ، فانه قد سفه احلامنا وسب آلهتنا وافسد شبابنا وفرق جماعتنا " ، ثم قالوا: " كيف ندع ثلاثمائة وستين الها ونعبد الها واحدا " (٣٧) .

ان المتمعن في هذا النص يجد ان هم قريش كان هو المحافظة على ولاء شبابهم ليس الا ، وهم طبعا يعنون بهم العبيد والموالي لهم اكثر من اهتمامهم بالعبادات والطقوس الجديدة ، فهم وقفوا بوجه الدين الجديد لا لماهيته بقدر ما كان اعتراضهم على فقدان مواليتهم وعبيدهم ، ولدينا من المرويات التاريخية ما يؤيد رأينا هذا ، فقد ورد مثلا وإذا ما عدنا إلى الأيام الأولى لنشر الإسلام نجد أن أسياد مكة قد مارسوا ألواناً وضروباً شتى في تعذيب كل من اسلم من أهل مكة ليردوهم بذلك عن دينهم الجديد ، وكان غالبية من عذب من المستضعفين ومنهم مثلا بلال بن رباح ، وعمار بن ياسر وأبوه ووالدته سمية بنت الخياط ، وخباب بن الارت ، وصهيب بن سنان ، وعامر بن فهيرة ، واميمة بنت رقيقة ، وجارية بنت عمرو ، وغيرهم الكثير (٣٨) .

ثم ان هؤلاء المستضعفين بمجرد شراءهم واعتاقهم يسقط عنهم العذاب ، اذ يشير السيد جعفر مرتضى ان ابو بكر او رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) بحسب تضارب الروايات والآراء ، قد اشتروا كل من بلال الحبشي فكانت نجاتهما من العذاب وتركوا وشأنهم فلم يتعرضوا بهم بعد ذلك بسوء (٣٩) ، اذ يروي لنا ابن هشام قصة تعذيب بلال الحبشي بقوله : " كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك ، وهو يقول : أحد أحد ، فيقول : أحد أحد والله يا بلال ! ثم يقبل على امية بن خلف ، ومن يصنع ذلك به من بني جمح ، فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا ،حتى مر به ابو بكر بن ابي قحافة يوما ، وهم يصنعون ذلك به ، وكانت دار ابي بكر في بني جمح ، فقال لامية بن خلف : ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ قال : أنت الذي افسدته فأنقذه مما ترى ، فقال ابو بكر : أفعل ، عندي غلام اسود اجلد منه واقوى ، على دينك ، اعطيك به ، قال : قد قبلت ، فقال : هو لك ، فأعطاه ابو بكر غلامه ذلك ، واخذه فاعتقه " (٤٠) .

ولو تمعنا بهذا النص قليلا نجد ان قريش ما كانت تعذب المسلمين الاوائل ككل وبصورة عامة ، بل كانت تعذب المستضعفين منهم والفقراء الذين كانوا خدما لهم وعبيدا ، كانت تعذبهم

ليس لاعتناقهم الدين الجديد ، بل كان ذلك التعذيب وذلك الترهيب لتركهم الخدمة لهم ، بحيث ان امية بن خلف رضي بديل عن بلال بعدا اخر وتركه وحال سبيله . ولو كان تعذيبهم للمسلمين الاوائل لاعتراض هذا الدين لكانوا قد عذبوا المسلمين ذات الثقل الاجتماعي الكبير ايضا ، فلما مثلا لم يعذب رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) ، او يعذب ابو بكر ، او غيرهم الكثير ممن اسلموا ؟ والاجابة على ذلك هو انهم لم يشكوا بعدا عبئا ثقيل يقع على عاتقهم ، فنجد ان امية بن خلف يعذب بلال ويترك رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) وابو بكر ، مع علمه التام ان رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) ابو بكر ومن معهم هم كانوا هم سبب اسلامه.

كما ورد ان عمر بن الخطاب حينما كان كافرا مشركا كان يعذب امرأة جارية عند بني عدي - قبيلة عمر بن الخطاب - لاعتناقها الدين الاسلامي ، فابتاعها ابو بكر من بني عدي ثم اعتقها ، وتركت حال سبيلها (٤١) .

وعند العودة الى هجرة المسلمين الاوائل الى الحبشة لا نعتقد انهم جميعا هربوا من تعذيب قريش ، صحيح أن قسما منهم هربوا من بطش قريش وهم الفقراء والمستضعفين والعبيد والموالي ، الا اننا نجد في تلك الهجرة شخصيات كبيرة لم ينالها التعذيب لتقلهم في المجتمع المكي آنذاك ، وقبائلهم كانت تتمتع بنفوذ اجتماعي كبير ، سيما جعفر بن ابي طالب وهو من بنو هاشم ، وعثمان بن عفان وهو رجل من بني امية ، وعبيد الله بن جحش الاسدي الذي كان زوجا لرملة بنت ابي سفيان ، وابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعتبة كان سيدا من سادات قريش ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن مظعون ، وكان هؤلاء من علية القوم واشرافهم ، ثم لحق بهم قوما اخرين على رأسهم جعفر بن ابي طالب ومعه امراته اسماء بنت عميس ، واخرون غيرهم كثير (٤٢)

فهؤلاء لا نعتقد ان هاجروا الى الحبشة بسبب مضايقات قريش لهم او تعذيبهم ، لان التعذيب والمضايقات كانت تطل فقط طبيعة العبيد والموالي المسلمين ، لان في اسلامهم تركهم لخدمة اسيادهم من مشركي قريش ، اما بقية ممن هاجروا فكانوا كما ذكرنا من القبائل العربية ذات الثقل الكبير في المجتمع المكي .

نعم قد يكون العبيد والموالي الذين اعتنقوا الاسلام هاجروا فرارا من بطش قريش ، ولكن بقية القوم ما هاجروا فرارا لانهم بالأساس لم يتعرضوا الى تعذيب ما او مضايقة تذكر ، فربما او يقينا هاجروا بالمسلمين الفقراء المستضعفين ، او ربما ارادوا ان يؤمنوا نشر الدعوة الاسلامية بحرية ويسر ، بدليل ان هؤلاء المهاجرين لم يعودوا الى المدينة بعد هجرة رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) وقيام دولة مستقلة ، بل ظلوا هناك يمارسون نشر الدين الاسلامي وبناء قاعدة اسلامية سيما بعد اعلان ملك الحبشة الدخول في الاسلام (٤٣) ، ونرى جعفر بن ابي طالب لم يعود الى المدينة الا في حدود السنة السابعة للهجرة (٤٤) .

اذن كانت معارضة قريش للإسلام لأنه حرمهم من عبيدهم وجواريتهم الذين بدأوا يدخلون الى الاسلام ويتركوا الخدمة لديهم بدليل - كما قلنا - انهم تركوا التعرض للكبار والوجهاء والاعيان الذين دخلوا الى الاسلام .

وهذا كان حال المشركين مع المسلمين في بداية الدعوة الاسلامية ، اما حينما بدأ رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) يبطل عبادة الاصنام والوثان ، ويشير الى انها عبارة عن اصنام ووثان لا اكثر ولا اقل ، مما بدأ ذلك الايذان بانهياء الاقتصاد المكي بصورة عامة وسادات قريش بصورة عامة ، هنا تنبته قريش الى الخطر الذي يدهمها ، لان انكار عبادة الاصنام والوثان كانت المرتكز الاساسي التي يقام عليها تسلطهم السياسي في مكة والعرب ، ثم كانت مرتكزا اقتصاديا لسادات مكة من جراء تقديم الذنور والقربان لتلك الاصنام من قبل اهالي مكة والعالم العربي في مختلف المناسبات وخصوصا في موسم الحج (٤٥) .

هنا بدأ المشركون بالتعرض لعموم المسلمين ماعدا الممتنعين بقومهم ، يروي ابن كثير : " فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ، وابو بكر منعه الله بقومه " (٤٦) ، فحينما تيقن المشركين الخطر الذي يدهمهم ذهبوا الى ابو طالب يشكون له ابن اخيه ، روى ابن هشام: " مشى رجال من اشراف قريش الى ابي طالب : عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وابو سفيان بن حرب بن امية ، فقالوا : يا ابا طالب ، إن ابن اخيك قد سب الهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا وضلل آباءنا ، فإما ان تكفه عنا ، واما ان تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلفه ، فقال لهم ابو طالب قولوا رفيقا ، وردهم ردا جميلا ، فانصرفوا عنه ، ثم انهم مشوا الى ابي طالب مرة اخرى ، فقالوا له : يا ابا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا

، وأنا قد استنهيئك من ابن اخيك فلم تنته عنا ، وأنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ،  
وتسفيه احلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا او تنازله واياك في ذلك حتى يهلك احد الفريقين  
، ثم انصرفوا عنه ، ثم ان قريشا حين عرفوا ان ابا طالب قد ابي خذلان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم واسلامه ، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم ، مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة  
، فقالوا له : يا ابا طالب هذا عمارة بن الوليد انه قد فتى في قريش واجملها ، فخذ فلك عقله  
ونصره ، واتخذ ولداه فهو لك ، واسلم لنا ابن اخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك ، وفرق  
جماعة قومك ، وسفه احلامهم ، فنقتله ، فإنما هو رجل برجل ، فقال : والله لبئس ما تسومونني  
! اتعطونني ابنكم اغذوه لكم ، واعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله لا يكون ابدا " ( ٤٧ ) .

ومن خلال قراءة متمعنة في النص اعلاه نستشف ان سادات قريش لم يكن اعتراضهم على  
ماهية الدين الجديد كدين جديد بل كان اعتراضهم على ما سيسبب لهم من فقدان مكانتهم كأسياد  
على مكة وهم الذين كانوا يتمتعون بمكانة اجتماعية مرموقة في الوسط المكي ، وان هذا الدين  
سوف ينهي تلك المكانة وسوف يجعل منهم اتباع بعد ان كانوا اسيدا لهم الملك ، والاموال ،  
والسلطة ، والاتباع ، والعبيد ، والجواري ، والواردات المالية والعينة من تلك التي كانت تهدي  
للأصنام والاثوان كهدايا ونذور ، بل سوف يقضي هذا الدين على كل تلك المكانة والاحلام ،  
وهذا ما تقوه به ابو سفيان لولده معاوية فيما بعد حينما جمعت له ولاية الشام في عهد الخليفة  
الثاني عمر بن الخطاب بقوله : " إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم  
وقصر بنا تأخرنا فصاروا قادة وصرنا أتباعا وقد ولوك جسيما من أمورهم فلا تخالفهم فانك  
تجري إلى أمد فنافس فيه فان بلغته أورثته عقبك " ( ٤٨ ) .

#### هوامش البحث ومصادره :

- ١- ينظر القاضي النعمان : شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار (ع) ، ( تحقيق : محمد الحسيني  
الجلالي ، مؤسسة النشر الاسلامي - قم المقدسة ، د.ت ) ، ١ / ١٨٥ ، ٣ / ١٦ .
- ٢- الطوسي : الأمالي ، ( ط ١ ، دار الثقافة الإسلامية - قم المقدسة ، ١٤١٤ هـ ) ، ص ٢٠٢ .
- ٣- ابن ابي جمهور : عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية ، ( تحقيق : الحاج آقا مجتبي العراقي  
، ط ١ ، مطبعة سيد الشهداء - قم المقدسة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ) ، ٣ / ٢٩٨ .
- ٤- ابن حنبل : المسند ، ( دار صادر - بيروت ، د . ت ) ، ٦ / ٢٢٣ .

- ٥- ابن شهر اشوب : مناقب ال ابي طالب ، ( تحقيق : لجنة من أساتذة النجف الاشرف ، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ، ١٩٥٦ م ) ، ١ / ٤٢ .
- ٦- ينظر المجلسي: بحار الانوار ، ( ط ٢ ، مؤسسة الوفاء - بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ) ، ١٦ / ١٤ - ١٥ .
- ٧- ينظر ابن ابي عاصم : الاحاد والمثاني ، ( تحقيق : باسم فيصل : ط ١ ، دار الدراية ، ١٩٩١ م ) ، ١ / ٤٢٧ .
- ٨- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ( دار صادر - بيروت / د . ت ) ، ٨ / ٩٧ ؛ الحاكم النيسابوري : المستدرک على الصحيحين ، ( تحقيق : د. يوسف المرعشي ، دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٦ هـ ) ، ٤ / ٢٠ - ٢١ .
- ٩- الحاكم النيسابوري: المستدرک، ٤/٢٠؛ البيهقي : السنن الكبرى ، ( دار الفكر - بيروت ، د . ت ) ، ٧ / ٧١ .
- ١٠- ينظر مثلا ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ( دار إحياء التراث العربي - بيروت / د . ت ) ، ١ / ٤٤٦ ، ٥١٢ ، ٢ / ٦٧ ، ٢٦٢ ، ٤٠٩ ؛ اسرائيل ولفنسون : اليهود في بلاد العرب ، ( مطبعة الاعتماد - القاهرة ) ، ص ١٠ وما بعدها .
- ١١- الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ، ( تحقيق : علي اكير الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة ، ١٣٦٣ هـ ) ، ص ١٩٧ .
- ١٢- ابن الاثير : النهاية في غريب الحديث ، ( تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناجي ، ط ٤ ، مؤسسة اسماعيليان - قم / ١٢٦٤ م ) ، ٢ / ٤٦٧ .
- ١٣- ينظر مثلا ابن كثير : البداية والنهاية ، ( تحقيق : علي شيري ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت / ١٤٠٨ هـ ) ، ١ / ١٩١ .
- ١٤- سورة آل عمران ، الآية ٦٧ .
- ١٥- ابن الصلاح الحلبي : الكافي في الفقه ، ( تحقيق : الشيخ رضا استاذي ، مكتبة امير المؤمنين (ع) - اصفهان ، ١٤٠٣ هـ ) ، ص ١٢٢ .
- ١٦- اليعقوبي : تاريخ ، ( دار صادر - بيروت ، د . ت ) ، ١ / ٢٤٢ .
- ١٧- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٨٣ .
- ١٨- ابن عنبه : عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب ، ( تحقيق : محمد حسن آل الطالقاني ، ط ٢ ، المكتبة الحيدرية - النجف الاشرف ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م ) ، ص ٢٤ .
- ١٩- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٨٣ .



- ٢٠- ابن حبيب : المنمق في أخبار قريش ، ( تحقيق : خورشيد أحمد فاروق ، ط ١ ، عالم الكتب - بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ) ، ص ٤٢٢ .
- ٢١- ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ( اعتناء م . ج ، دي خويه ، ليدن ، ١٨٩١ م ) ، ص ١٩١ .
- ٢٢- ينظر ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ( تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م ) ، ١٥ / ٢١٩ ؛ المجلسي : بحار الانوار ، ٣٥ / ١٣٣ .
- ٢٣- ابن حبيب : المنمق ، ص ٤٢٢ .
- ٢٤- ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ١٩١ .
- ٢٥- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٨٥ .
- ٢٦- ينظر الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ( تحقيق : الشيخ عادل احمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، ط ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ) ، ١ / ١٦ .
- ٢٧- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ١٩٤ .
- ٢٨- سورة العلق ، الآيات ١ - ٥ .
- ٢٩- ينظر ابن حبان : الثقات ، ( ط ١ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند ، ١٣٩٣ هـ ) ، ١ / ٥٣ ؛ المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ( تحقيق : الشيخ بكري حياني ، والشيخ صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ) ، ١٣ / ٧٩ .
- ٣٠- سورة الشعراء ، الآية ٢١٤ .
- ٣١- سورة الحجر ، الآيات ٩٤ ، ٩٥ .
- ٣٢- الطبرسي : إعلام الوري بأعلام الهدى ، ( ط ١ ، مؤسسة آل البيت (ع) - قم المقدسة ، ١٤١٧ هـ ) ، ١ / ١٠٦ .
- ٣٣- الراوندي : قصص الانبياء ، ( تحقيق : الميرزا غلام رضا ، ط ١ ، مؤسسة الهادي - قم المقدسة ، ١٤١٨ هـ ) ، ص ٢١٦ .
- ٣٤- الراوندي : قصص الانبياء ، ص ٢١٦ .
- ٣٥- ينظر على سبيل المثال ، ابن هشام : السيرة النبوية ، ( تحقيق : سهيل زكار ، ط ١ ، دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٢ م ) ، ١٧٣ / ١ ، ٢٠٩ - ٢١٠ ، ٢١١ ؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ٣ / ١٦٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٤ / ١٢٣ ، ٨ / ٢٥٥ - ٢٥٦ ، ٢٦٤ ؛ الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش وأخبارها ، ١ / ٤١٥ - ٤١٦ ؛ يعقوبي : تاريخ يعقوبي ، ٢ / ٢٨ ؛

- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، (تحقيق : نخبة من العلماء الأجلاء ، مؤسسة الأعلمي - بيروت / د . ت ، ٢ / ١٥٣ .
- ٣٦- السيد جعفر مرتضى : الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، ( ط٤ ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ) ، ٣ / ٩٠ .
- ٣٧- ابن هشام : السيرة النبوية ، ١ / ٢١٠ .
- ٣٨- ابن هشام : السيرة النبوية ، ١ / ٢١١ .
- ٣٩- ابن هشام : السيرة النبوية ، ١ / ٢١٣ - ٢١٤ .
- ٤٠- ابن هشام : السيرة النبوية ، ١ / ٢١٠ .
- ٤١- ابن هشام السيرة : السيرة النبوية ، ١ / ٢١١ .
- ٤٢- ينظر مثلاً ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ( ط٢ ، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ، د . ت ، ٧ / ١٤٣ - ١٤٤ .
- ٤٣- ينظر ابن سيد الناس : عيون الاثر في فنون المغازي والشمال والسير ، ( مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ) ، ٢ / ٣٢٩ - ٣٣٠ .
- ٤٤- ينظر ابو الفرج الاصفهاني : مقاتل الطالبين ، ( تحقيق : كاظم المظفر ، ط٢ ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم المقدسة ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ) ، ص ٦ .
- ٤٥- ينظر مثلاً ابن حجر : فتح الباري ، ٩ / ٤٩١ .
- ٤٦- ابن كثير : السيرة النبوية ، ( تحقيق : كاظم المظفر ، ط٢ ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم المقدسة ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ) ، ١ / ٤٩٤ .
- ٤٧- ابن هشام : السيرة النبوية ، ١ / ١٧٢ .
- ٤٨- ابن عساكر: تاريخ دمشق الكبير، ( تحقيق: علي شيري، دار الفكر- بيروت، ١٤١٥ هـ )، ٧٠ / ١٨٦ .

**عناية علماء الجزائر بمتن "السلم المرونق"**

**للأخضري تدريسا وتأليفا**

**د. بلخير عمراني / مركز البحث في العلوم الإسلامية**

**والحضارة، الجزائر**

**The Algerian scholars' Attention about Matn**

**As-Sullam Al-Murawnaq' for Al-Akhdari**

**Teaching and Composing**

**Dr.Balkhir Omrani / Center for Research in Islamic**

**Sciences and Civilization, Algeria**

## عناية علماء الجزائر بمتن "السلم المرونق" للأخضري تدريسا وتأليفا

د. بلخير عمراني

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الجزائر

الملخص:

لقد نال متن السلم المرونق في علم المنطق للأخضري شهرة كبيرة بين الدراسات المنطقية، واعتمد لقرون طويلة في التدريس باعتبار هذا العمل من أنسب المتون التي ساعدت الطلاب وسهلت لهم هذا العلم، ويتناول هذا البحث بالدراسة التعريف بصاحب المتن وبالسلم المرونق مع بيان أهميته ومكانته العلمية، ثم جهود علماء الجزائر في خدمته تدريسا وتأليفا، مع إبراز الحواضر العلمية الجزائرية التي اعتمده في مقرراتها، والتأليف والحواشي الجزائرية التي ألفت عليه، وهو ما يكشف جانبا من الحياة الثقافية في الجزائر.

الكلمات المفتاحية: السلم المرونق، عبد الرحمن الأخضري، الجزائر، علم المنطق، علماء الجزائر.

**The Algerian scholars' Attention about Matn 'As-Sullam Al-  
Murawnaq' for Al-Akhdari Teaching and Composing**

**Dr. Balkhir Omrani**

**Center for Research in Islamic Sciences and Civilization, Algeria**

**Abstract:**

Matn As-Sullam Al-Murawnaq for Al-Akhdari in Logic got great fame among logical studies, for long centuries it was adopted in teaching by considering this work as one of the most appropriate texts that helped students and facilitated this science for them. This research deals with the study of the author's definition and As-Sullam Al-Murawnaq, with an indication of its importance and scientific status, then the Algerian scholars' efforts in serving it, with highlighting the Algerian scientific cities that adopted it in their decisions, and the Algerian authorship and footnotes on which composed and that reveals an aspect of the cultural life in Algeria.

**Keywords:** As-Sullam Al-Murawnaq, Abdurrahman Al-Akhdari, Algeria, Logic, Algerian scholars

## المقدمة:

يعتبر المنطق واحدا من العلوم العقلية التي انتقلت إلى المسلمين من علوم اليونان وذلك منذ أن بدأت الترجمة على عهد الخليفة المأمون، فقد اهتم علماء الإسلام به وتناولوه بالدرس والشرح والنقد. وقد مر منذ القرن التاسع الميلادي إلى اليوم بعدة مراحل، ابتداء من الترجمة ومرورا بالتأليف والتصنيف فيه أصالة لا نقلا والتي عرفت أمثال الخونجي والأبهرى والقزويني وابن تيمية، وانتهاء بمرحلة المتون والشروح عليها والتي كان أغلبها اختصارا للعلم ثم بسطا له. ولقد عرفت الجزائر مجموعة من الأعلام الذين أسهموا في هذا الفن وكان لهم شهرتهم فيه، منهم محمد بن أحمد التلمساني، ومحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني، ومحمد بن يوسف السنوسي، وعبد الرحمن الأخضري، .. إذ تلقى علماء الشرق والغرب كتبهم بالقبول، وتداولوها في حلقات العلم والدرس، وألّفوا عليها الشروح والحواشي، التي تبين مكانتهم في هذا الفن واقتدارهم.

لقد كان العلامة عبد الرحمن الأخضري البسكري الجزائري بحق رائدا في صناعة المتون البيداغوجية التي تقرّب العلوم للطلاب، وكانت متونه مناهج علمية أغنت الكثير من الحواضر العلمية عن صناعة مقررات جديدة، ولا أدل على ذلك من انتشار كتبه في الشرق والغرب، واعتمادها كمقررات للتدريس في كبرى المدن العلمية كتلمسان، والأزهر، ودمشق، وفاس، والزيتونة، والقرويين، .. ولم يكن متنه في علم المنطق "السلم المرونق في علم المنطق" إلا واحدا من هذه المقررات التي لقيت شهرة كبيرة، حتى كتب فيه كبار العلماء، بما يظهر مكانة هذا المتن الذي لا تخلو مكتبة منه، ولا يستغني عنه طالب للعلم.

ولأن علماء الجزائر كغيرهم من علماء الشرق والغرب اعتنوا بهذا المتن عناية فائقة، فقد ارتأيت أن الحاجة البحثية ملحة لأن يركز على هذا الاهتمام الجزائري بالمتون الجزائرية، إذ إن معالجة هذا المتن من هذه الزاوية يكشف النقاب عن الكثير من المؤلفات المنسية، ويؤرخ للحياة الثقافية الجزائرية.

## إشكالية الدراسة:

من خلال ما قدمنا له يمكننا أن نطرح الإشكاليات الآتية:

- ما أهمية السلم المرونق بين المتون المنطقية؟
- هل اعتنى علماء الجزائر بمتن السلم للأخضري؟
- ما هي مظاهر عناية علماء الجزائر بمتن السلم؟

#### أهداف الدراسة:

- بيان أهمية متن السلم المرونق للأخضري في الدراسات المنطقية.
- بيان عناية علماء الجزائر بالمتون الجزائرية وإبراز دورهم في الحفاظ عليها والتأليف عليها.
- الكشف عن بعض الكتب الجزائرية المنسية والمفقودة بما يفتح الباب للبحث عما فقد وتحقيق ما لم يحقق.
- إبراز جانب من الحياة الثقافية للجزائر في الفترة العثمانية

#### منهج الدراسة:

اعتمدت في البحث على المنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، إذ حاولت أن أتتبع تاريخ الحواضر العلمية والمؤلفات على المتن، للوصول إلى كل ما يخدم البحث ويجلي الحقيقة، كما حاولت أن استقرئ النصوص وأحلها لبيان أهمية متن السلم المرونق، ولأدلل على عناية علماء الجزائر به، بغية الإجابة عن الإشكاليات التي طرحتها الدراسة.

#### الدراسات السابقة:

من خلال الدراسة المسحية التي أجريتها على عدد من الدراسات التي توفرت لدي، لم أجد من أفرد لهذا الموضوع بحثا، ولم أقف على دراسة تحصي جهود علماء الجزائر في خدمة متن السلم المرونق في علم المنطق، وهو ما شجعني للخوض فيه لما له من أهمية في خدمة التراث العلمي الجزائري.

#### خطة الدراسة:

- قسمت البحث إلى مقدمة وخاتمة، وثلاثة مباحث هي:
- المبحث الأول: التعريف بالشيخ عبد الرحمن الأخضري.
- المبحث الثاني: التعريف بالسلم المرونق وبمكانته العلمية.
- المبحث الثالث: عناية علماء الجزائر بمتن السلم المرونق.

### المبحث الأول: التعريف بالشيخ عبد الرحمن الأخضري

يعتبر الأخضري واحدا من أشهر علماء الجزائر في الفترة العثمانية، حيث لاقت مؤلفاته وجهوده العلمية قبولا واسعا وانتشارا بين العلماء، داخل الجزائر وخارجها، وقد ألف بعض المتون الشهيرة وهو في مقتبل العمر، وتلقفتها حلقات الدرس والشرح عصرا بعد عصر، وانتقلت من مصر إلى مصر، وفيما يلي سأحاول التعريف بالشيخ قبل الخوض في متنه "السلم المرونق".

#### اسمه ونسبته:

هو العلامة الجزائري المحقق أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضري<sup>١</sup>، وحسب ما جاء في شرحه على سلمه في علم المنطق فإن نسبه يعود إلى الصحابي العباس بن مرداس السلمى<sup>٢</sup>، غير أن الشيخ عبد الرحمن الجبالي شكك في ذلك وقال بنسبته إلى بطن من بطون الدواودة من أولاد رياح المنتمين إلى الأخضر بن عامر بن رياح<sup>٣</sup>. ويبدو أن ما ادّعه الأخضري لنفسه أولى حتى يثبت الآخر بيقين.

#### مولده ونشأته:

ولد الشيخ عبد الرحمن الأخضري بمدينة بنطيوخ من قرى نواحي بسكرة في الجنوب الجزائري، وذلك سنة ٩٢٠ هـ الموافق لسنة ١٥١٤م، وقد تم استنساخ تاريخ ميلاده من رجزه المسمى (السلم المرونق) حيث قال في آخره:

ولبني إحدى وعشرين سنة معذرة مقبولة مستحسنة

لا سيما في عاشر القرون ذي الجهل والفساد والفتون

وكان في أوائل المحرم تأليف هذا الرجز المنظم

من سنة إحدى وأربعين من بعد تسعة من المئين

فإذا طرحنا سن الأخضري منذ وقت التأليف ٢١ سنة من تاريخ تأليف هذا الرجز ٩٤١ هـ يخرج لنا الناتج ٩٢٠ وهو التاريخ الصحيح لميلاد الأخضري<sup>٤</sup>.



نما الشيخ وشب وأخذ العلم عن والده وشقيقه الأكبر، وكان والده محمد الصغير من علماء الوقت أيضا، فألف (أي الوالد) حاشية على خليل وكتابا في التصوّف أيضا، هاجم فيه من سماهم بـ "الدجاجلة" الذين انحرفوا في رأيه عن منهج الشرع القويم، ولعل الأخضري قد تأثر في هذا المجال بوالده كما أن جده محمد عامر كان من علماء الوقت فجمع أيضا عملا في الفتاوى الفقهية.

وتذكر بعض الروايات أن الأخضري قد طلب العلم أيضا بقسنطينة وأخذه على الشيخ عمر الوزان. كما طلبه بتونس وأخذه على مشائخ الزيتونة. ولكن هذه الرواية غير مؤكدة. لكن الثابت أنه نبغ رحمه الله في وقت مبكر، فتألّفه لكثير من المتون والشروح والكتب في مقتبل العمر يدلنا على ذلك، ويدل على أنه قد نهل من العلم في مرحلة متقدمة جدا.

#### شيوخه وتلاميذه:

بالرغم من النبوغ المبكر للأخضري، وبالرغم من تمكنه من عدة فنون إلا أننا لا نجد عددا كبيرا لشيوخه، نظرا لعدم انتقاله إلى خارج الجزائر - سوى الرواية غير المؤكدة عن دراسته في الزيتونة -، وكذلك لا نجد له تلاميذ كثر ومشهورين، فهو لم يعمر طويلا، ولم يتسن له أن يكون التلاميذ ويورث علمه مشافهة. وسنذكر فيما يلي ما ذكرته المصادر من شيوخه وتلاميذه.

#### شيوخه:

تذكر المصادر التي ترجمت للأخضري مجموعة محدودة من شيوخه، وهم:

- والده الشيخ محمد الصغير، أخذ عنه الشيخ عبد الرحمن الأخضري مبادئ علم الحساب والفرائض مشافهة، حيث تمكن بعد فهمها واستيعابها من نظمها في متن سماه "الدرة البيضاء في أحسن الفنون والأشياء".
- أخوه أحمد بن محمد الصغير، وهو أكبر إخوته أخذ عنه أمور الفقه والمنطق والبيان ولم يخلف وراءه تألّيفا.
- الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي فقيه ومحدث وصوفي ولد بقرية قرقاش من قرى طرابلس الغرب بليبيا ونشأ بالجزائر سنة ٩٥٩ هـ، أخذ عنه الأخضري واستفاد منه

وتلقى على يديه ورد الطريقة الشاذلية والزروقية، له رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس، والأنس في التنبيه عن عيوب النفس ومزيل اللبس عن آب وأسرار القواعد الخمس، توفي سنة ٩٦٣ هـ.

- الشيخ عبد الرحمن بن القرون (٩٨٣ هـ) أحد مرابطي قرية لياشنة الواقعة بالقرب من مدينة طولقة استفاد منه الأخضري كثيرا، ودرس على يديه.
  - الشيخ عمر بن محمد الكماد المعروف بالوزان، كان من أكابر علماء قسنطينة، فقيه وصوفي وعالم في المعقول والمنقول، من تأليفه البضاعة المزجاة، وفتاوى في الفقه والكلام، وحاشية على صغرى السنوسي.<sup>٦</sup>
- كان هؤلاء هم شيوخ الأخضري، والذين يلاحظ أنهم قلة محدودة في القطر الجزائري.

#### تلاميذه:

لم يترك الأخضري عددا كبيرا من التلاميذ المعروفين الذين أخذوا عنه العلم مشافهة، بل إن تلاميذه هم من استفادوا من مؤلفاته ومنظوماته، وهم الذين شرحوا متونه، ذلك أنه لم يعمر طويلا رحمه الله، ويبدو من خلال بعض الأبيات أنه كان ينظم لطلابه ويؤلف لهم، ففي منظومة "الجوهر المكنون" يقول:

وقد دعا بعض من الطلاب لرجز يهدي إلى الصواب

فجنته برجز مفيد مهذب منقح سديد

ملتقطا من درر "التلخيص" جواهرها بديعة التلخيص<sup>٧</sup>

وكذلك في شرحه لسلمه في المنطق يقول في سبب تأليفه: "أما بعد: فلما وضعت الأرجوزة المسماة "بالسلم المروني في علم المنطق"، وجاءت بحمد الله جملة كافية ولمقاصد من فنها حاوية راودني بعض الإخوان من الطلبة أكرمهم الله المرة بعد المرة على أن أضع عليها شرحا مفيدا يبث ما انطوت عليه من المعاني ويشيد ما تقاصر فيها من المباني فأجبتهم لذلك طالبا من الله تعالى حسن التوفيق إلى مهائج التحقيق...<sup>٨</sup>، وإن كانت عبارات الطلاب هنا غير واضحة، إن كانوا طلابه أو زملاءه في الطلب، إلا أنه يستأنس فيها بمن أخذ عنه هذه المؤلفات مشافهة،

خاصة وأن الشيخ قضى حياته في التعليم والكتابة في زاوية عائلته في بنطوس وتخرج على يديه تلاميذ عديدين كما يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله.<sup>٩</sup> وقد درّس بها فنونا عديدة من العلم لطلّبه من منطقة الزيبان، والأوراس، وقسنطينة، ومنطقة واد ريغ، وكانت عاداته قضاء أشهر الصيف في قرية قجال لمناخها المعتدل، ولم يكن مقامه بها للراحة والاستجمام، بل كان يدرّس بها طلبة حاضرة سطيف والمناطق المجاورة لها.<sup>١٠</sup>

تذكر بعض المصادر التاريخية من تلاميذه: الشيخ عبد الكريم الفكون، والشيخ سعيد قدورة، إلا أن الدكتور أبو القاسم سعد الله ينفي ذلك، إذ إنهما لم يعاصرا الأخضري، ولم يكونا قد ولدا حتى عندما توفي الأخضري، ولعل الفكون المقصود هو الجد، لذلك لا يثبت سعد الله من تلاميذه إلا عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي.<sup>١١</sup>

#### مؤلفاته:

بالرغم من صغر سن الأخضري إلا أنه بدأ التأليف مبكراً، وتمكن جيداً من نظم العلوم، وكتابة المتون التي يسهل بها الحفظ للطلاب، لذلك نجد أغلب تأليفه إن لم نقل كلها هي متون لعلوم، أو شرح لها، وكأن المؤلف انتهج لنفسه نهج تأليف المقررات البيداغوجية حتى يخدم طلابه وكل مشغول بهذه العلوم، وقد بلغت مؤلفاته رحمه الله حوالي ثلاثين كتاباً كما ذكر صاحب العقد الجوهري، منها ما وصلنا ومنها ما لم يصل كما يبدو، وقد توزعت بين عدة فنون كالفقه، والعقيدة، والمنطق، والبلاغة، والفلك، والفرائض، والتصوف، ... وفيما يلي ذكر لما عرف منها:

- ١- السلم المرونق: وهو نظم في المنطق يضم ١٤١ بيتاً. وقد شرّحه الناظم.
- ٢- الجواهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون: وهو نظم في البلاغة، يشمل البيان والمعاني والبديع، ويضم ٢٩١ بيتاً. وقد شرّحه الناظم.
- ٣- الدرة البيضاء في الحساب والفرائض: وتضم ما يقارب ٥٠٠ بيت، وقد شرح الناظم بعضها.
- ٤- مختصر في فقه العبادات: وهو على مذهب السادة المالكية.

- ٥- نظم السّراج في علم الفلك: ويضم ٢٩٦ بيتا، وقد شرّحه تلميذه عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي.
- ٦- شرح على إحدى عقائد الإمام السنوسي.
- ٧- شرح العقيدة الصغرى للإمام السنوسي المسماة أم البراهين.
- ٨- الفريدة الغراء: وهي نظم في عقيدة التوحيد.
- ٩- نظم الأجرومية: يضم ١٧٠ بيتا، وسماه الدرّة البهية.
- ١٠- لامية في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم: تضم ٢٥٢ بيتا.
- ١١- لامية: وتضم ٤٠ بيتا، نظمها لما اكتشف قبر خالد بن سنان.
- ١٢- تائية في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم: وتضم حوالي ٤٠ بيتا.
- ١٣- نصيحة الشّبّان: أرجوزة تضم ٢٣ بيتا.
- ١٤- أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب: وهو نظم يضم ٢٧٨ بيتا.
- ١٥- نظم قواعد الإعراب: نظم به كتاب مغني اللبيب لابن هشام.
- ١٦- رائية في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم: تضم ١٦٤ بيتا.
- ١٧- قصيدة في طبيعة النفس.
- ١٨- الزهرة السنية.

هذه أهم مؤلفات الشيخ عبد الرحمن الأخضري، ويقال إن هناك مؤلفات أخرى مفقودة، وفقدت حتى عناوينها، وكما لاحظنا فإنها تأخذ الطابع التعليمي، ونظم العلوم والفنون تسهيلا للطلاب، وتقريبا لها إليهم.

#### وفاته:

اختلف الباحثون والمترجمون للأخضري في سنة وفاته مثلما اختلفوا في سنة ميلاده، وإن كان الخلاف هنا أشد، فهناك من رأى أن شهرة الأخضري وتمكنه من العلوم والفنون، وتأليفه الكثيرة لا تصدر من شاب توفي في بداية الثلاثينات من عمره، وإنما عاش أطول مما ذكر، بينما فنّد آخرون ذلك ورأوا أن الله قد بارك في عمره حتى خلّف كل هذه التآليف، وليس بالأمر الغريب من شاب بدأ النظم مبكرا.

فبينما يجعل الزركلي سنة ٩٨٣ هـ هي سنة وفاة الأخضري<sup>١٢</sup>، يرى الشيخ عبد الرحمن الجيلالي أنه توفي سنة ٩٨٢ هـ ويخطئ ما ذهب إليه الزركلي<sup>١٣</sup>، أما المهدي البوعبدلي فقد ذهب إلى تاريخ آخر وهو ٩٨١ هـ مستندا في ذلك إلى نظم الأجرومية للأخضري، والذي جاء فيه:

تم بحمد الله ما قصدنا من نظم هذه التي أردنا

سميتها بالدرة البهية فهي لما في أصلها محوية

وكان في محرم الحرام بدءا وختما لذا النظام

في عام إحدى وثمانين سنة من بعد تسعمائة مستحسنة<sup>١٤</sup>.

وقد رد الدكتور أبو القاسم سعد الله على هذا الاستدلال بأنه ضعيف لأن البيت قد يكون فيه تصحيف من النسخ بقراءة "إحدى وثمانين" بدل "إحدى وثلاثين"<sup>١٥</sup>. وعلى هذا الرأي فإن سعد الله يوافق صاحب العقد الجوهري في اعتبار سنة ٩٥٣ هـ سنة وفاته. ويبقى الأمر محل خلاف حتى يتعضد أحد الأقوال بدليل قوي، والثابت أن الأخضري كان قد توفي بمدينة "قجال" بولاية سطيف ودفن في مسقط رأسه ببنيطوس.

### المبحث الثاني: التعريف بالسلم المروني وبمكانته العلمية

لا يختلف اثنان أن شهرة السلم المروني قد بلغت الآفاق، وأنه قد شرح مرات عديدة، وتلقته الأمة من شرقها إلى غربها بالقبول والعناية، وكان أحد المقررات المهمة في كثير من مدارس العلم في بلاد الإسلام، لذلك يحسن ههنا أن نصف هذا المتن وأن نبين مكانته.

### التعريف بالسلم المروني:

هو متن من بحر الرجز ألفه الشيخ عبد الرحمن الأخضري في علم المنطق، وقد ورد بتسميتين "السلم المروني في علم المنطق" و"السلم المنورق في علم المنطق"، ويبدو أن كلا التسميتين وردتا في مخطوطات مختلفة<sup>١٦</sup>، وقد ذكر الشيخ القويسني عند شرحه للسلم أن كلا التسميتين صحيح، فقال: "(المنورق) بتقديم النون على الراء كما هو الرواية عن المصنف،

ويصح تقديم الرءاء، ومعناه المزيّن والمزخرف"<sup>١٧</sup>. وهذا ما يفسر اختلاف المخطوطات والشروح على السلم في إيراد الكلمتين.

كتب الشيخ متته سنة ٩٤١ هـ وهو شاب ابن إحدى وعشرين سنة، ولذلك قال في نهاية النظم:

ولبني إحدى وعشرين سنة معذرة مقبولة مستحسنة

لا سيما في عشر القرون ذي الجهل والفساد والفتون

وكان في أوائل المحرم تأليف هذا الرجز المنظم

من سنة إحدى وأربعين من بعد تسعة من المئتين

ومن محاسن عادات المؤلف أنه كان يذكر سنة التأليف في متونه، وقد يذكر عمره آنذاك، وهو ما حفظ لنا محطات مهمة من تاريخه، وجعلنا نستنبط ونربط بعض الأحداث ببعضها مثل تاريخ ميلاده.

قسّم المؤلف المتن إلى فصول تقسيما يدلّ على براعته ومنهجيته التي تقرب العلوم للطلاب، فكانت فهرسته كالآتي:

- مقدمة.

- فصل في جواز الاشتغال به (المنطق).

- أنواع الحكم الحادث.

- أنواع الدلالة الوضعية.

- فصل في مباحث الألفاظ.

- فصل في بيان نسبة الألفاظ للمعاني.

- فصل في بيان الكل والكلية والجزء والجزئية.

- فصل في المعارف.
- باب في القضايا وأحكامها.
- فصل في التناقض.
- فصل في العكس والمستوى.
- باب في القياس.
- فصل في الأشكال.
- فصل في القياس الاستثنائي.
- لواحق القياس
- أقسام الحجة
- خاتمة

### الغرض من التأليف:

لقد بين المؤلف رحمه الله غرضه من نظم متن السلم المرونق في علم المنطق، ذلك أنه قد وضعه للطلاب وزاد عليه شرحه حتى يكمل القصد منه، فيقول رحمه الله: " فلما وضعت الأرجوزة المسماة بالسلم المرونق، وجاءت بحمد الله جملة كافية، ولمقاصد من فنها حاوية، راودني بعض الإخوان من الطلبة أكرمهم الله المرة بعد المرة على أن أضع عليها شرحا مفيدا يبيث ما انطوت عليه من المعاني ويشيد ما تقاصر فيها من المباني، فأجبتهم لذلك طالبا من الله تعالى حسن التوفيق إلى مهائع التحقيق". وبتواضع جم وبيان أنه قد وضعه للمبتدئين يضيف قائلا: "وإن كنت لست أهلا لذلك، ولكنني حملني عليه تفاؤلي ولم أضعه لمن هو أعلى مني، بل لأمثالي من المبتدئين..."<sup>١٨</sup>

## مكانة السلم المرونق:

احتل السلم المرونق مكانة كبيرة لدى العلماء شرقا وغربا، ومن داخل الجزائر وخارجها، واكتسب شهرته من اهتمام العلماء به شرحا وتدريسا، فقد ساعدت عباراته السلسة ومرونته في سهولة حفظه من لدن الطلاب عبر الكثير من المدارس التي اعتمدته كمقرر للتدريس، ولذلك يقول الشيخ عبد الرحمن الجيلالي: "وكل من وقف على تأليفه وأسلوبه في نظمه ونثره علم أن الرجل كان متضلعا من العلم وأنه ذا خبرة تامة بفن التعليم (بيداغوجي)"<sup>١٩</sup>.

إذا أردنا أن نعلم مكانة هذا المتن وأهميته، وسعة انتشاره في العالم الإسلامي، فإنه يمكننا أن نتتبع الشروح والحواشي التي ألقت عليه، وأن نستقصي الجهود العلمية التي بذلت لبسطه، فوجود الشروح والحواشي والتعليقات يدلنا على أن المتن كان معتمدا للتدريس، إذ كان العلماء يكتبون شروحهم التي هي نتاج حلقات العلم، بل إن انتشار مخطوطات الكتاب في بقاع العالم دليل على تهافت العلماء عليه وإقبالهم على تعلمه وتعليمه، ولهذا فقد أردت أن أشير إلى بعض الشروح التي ألقت في بلدان مختلفة لأبين عناية العلماء بهذا النظم.

لعل المغرب الإسلامي كان أكثر الأماكن عناية بالسلم المرونق، بحكم الجوار، وبحكم التلاحق العلمي الذي كان بين الحواضر العلمية، فقد وجدت شروح للسلم في تونس وفي المغرب وفي موريتانيا، ففي تونس نجد "شرح السلم في المنطق" للشيخ محمد بن حسن بن عبد الرزاق المعروف بالهدة التونسي (ت ١١٩٧ هـ) وهو أحد شيوخ الزيتونة وأحد علماء تونس في عصره، أما في المغرب فعلى السلم شروح كثيرة نذكر منها: "فتح الباب المغلق في شرح السلم المرونق" لأبي بكر بن علي الفرجي السلوي المراكشي (ت ١١٣٩ هـ)، و"شرح السلم المرونق" لأبي عبد الله محمد بن حسن بن مسعود البناني الفاسي (ت ١١٩٤) وعلى هذا الشرح حواش كثيرة منها: "حاشية على شرح البناني" لأبي عبد الله محمد بن محمد الشفشاوني (ت ١٢٣٢ هـ)، "حاشية على شرح البناني على السلم" للهادي إدريس العلمي الشفشاوني (ت ١٣٢٩ هـ)، أما أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر التادلي الرباطي (ت ١٣١١ هـ) فله "القول المسلم في شرح نظم السلم" وله أيضا "المعقب شرح سلم المنطق"،... وإذا اتجهنا إلى موريتانيا بلاد شنقيط فإن علماء المحاضر الشنقيطية كان لهم إسهامات عديدة في شرح متن الأخضري، أذكر منها: "شرح الأخضري" لأنبيرك بن



ميلود الحسني (ت ١٣٥٥ هـ)، و"السلك البديع على سلم الأخضري" لمحمد حبيب الله بن مايابي الجكني (ت ١٣٦٤ هـ)، و"شرح على الأخضري" لمحمد بن باباه القناني (ت ١٣٨٢ هـ)، و"شرح السلم في المنطق" لمحمد عبد الله بن البشير المالكي (ت ١٣٨٥ هـ)، و"شرح سلم الأخضري في المنطق" لخديجة بنت العاقل، ...

هذا بالنسبة لدول المغرب الإسلامي والتي جعلت من متن السلم مقرا في علم المنطق منذ أوائل ظهوره ولقرون من بعده، أما في المشرق فقد كانت مصر أكثر حواضر العلم التي اهتمت بمتن الأخضري، وكان أحد مقررات الأزهر الشريف، ولذلك وجدنا العديد من الشروح عليه من علماء مصر عامة ومن شيوخ الأزهر خصوصا، ومن هذه الشروح نذكر: "حاشية على الأخضري في المنطق" لأبي عبد الله محمد بن عيسى بن يوسف الدمياطي الشافعي الخلوتي (ت ١١٧٦ هـ)، "شرحان على السلم المنورق" لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف الملوي المجيري (ت ١١٨١ هـ)، "حاشية على شرح السلم للملوي" لعلي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي (ت ١١٨٩ هـ)، "حاشية الأجهوري على شرح الملوي على شرح السلم" لعطية بن عطية البرهاني الشهير بالأجهوري (ت ١١٩٠ هـ)، "حاشية على شرح الملوي على السلم" لأبي العرفان محمد بن علي المصري المعروف بالصبان (ت ١٢٠٦ هـ)، "حاشية على شرح البناني" لشيخ الأزهر حسن بن محمد العطار (ت ١٢٥٠ هـ)، "حاشية على السلم المنورق" لإبراهيم بن محمد الباجوري (ت ١٢٧٦ هـ)، "إيضاح المبهم من معاني متن السلم" لشيخ الأزهر برهان الدين حسن بن درويش بن عبد الله القويسني (ت ١٢٥٤ هـ) وهو من أشهر شروح الأزهريين على سلم الأخضري، ... ويتبين لنا من خلال هذه الشروح الكثيرة التي لم أذكرها جميعا أن هذا المتن قد كان أحد المقررات الرئيسية في الأزهر.

وبالنسبة لسوريا ولشيوخ دمشق فإنهم أيضا قد أسهموا في شرح متن الأخضري، فممن اعتنوا به وشرحوه الشيخ إبراهيم بن محمود بن أحمد العطار الدمشقي (ت ١٣١٤ هـ) وله كتاب "حاشية على حاشية الباجوري على شرح السلم"، وكذلك محمد الحطابي (ت ١٣٢٣ هـ) وله كتاب "شرح السلم" وهؤلاء من علماء دمشق ومدرسي الجامع الأموي.<sup>٢٠</sup>

كانت هذه بعض الشروح فقط التي بيّنت من خلالها شهرة متن الأخضري في الحواضر الإسلامية الشهيرة، وإلا فإن الشروح أكثر، وشهرته بلغت أكثر من ذلك، فالدكتور أبو القاسم سعد الله يذكر أنه قد وصلت شهرته إلى السودان والهند.<sup>٢١</sup>

وعن ظهور هذا المتن في سياق التطور التاريخي لعلم المنطق عند المسلمين فإن المعروف أن بلاد المغرب العربي اشتهرت بالتدقيق والتنقيح عن المسائل العقلية والكلامية منذ عقود طويلة، فبعد ظهور محمد بن عبد الله ابن تومرت (ت ٥٢٤هـ) الذي بدأ دعوته الإصلاحية على رُكّام المذاهب السياسية والكلامية التي كانت سبباً لبحث المسائل الخلافية العقدية، ظهر بعده فكرٌ جديدٌ بنحو ثلاثة قرون للعلامة المؤرخ ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) رحمه الله تعالى، الذي أخرج لبلاد المغرب والمشرق ما عرف بمنطق ابن خلدون وفلسفته التاريخية والاجتماعية، وكانت آراؤه محلّ جدل طويل بين أهل المشرق والمغرب إلى اليوم، ثم ظهر في مدينة "تلمسان" الجزائرية المصلح الزاهد "محمد بن يوسف السنوسي" (ت ٨٩٥ هـ) رحمه الله تعالى، وهو مُصنّف الكتب المشهورة عند المالكية والأشاعرة مثل: "العقيدة الكبرى" و"العقيدة الوسطى" و"العقيدة الصغرى" وتسمّى أم البراهين، و"شرح إيساغوجي" في المنطق.

فيسْتَفَادُ مما سبق أن الحركات الكلامية والفلسفية والاجتماعية والدينية التي سبقت الأخضري كانت سبباً مباشراً - فيما يبدو - لإقناع الأخضري بتصنيف سُلّم المنطق، لضبط العلوم والمدرجات المختلفة.

فإذا كان بين ابن تومرت والأخضري نحو أربعة قرون ونيف، وبين ابن خلدون والأخضري نحو خمس وسبعون ومائة سنة، وبين السنوسي والأخضري نحو ثمانٍ وثمانين سنة، فَيَسْتَخْلَصُ أن هذه أسباب زمانية لها جذور تراثية، أثّرت في تكوين الجانب العلمي والديني للأخضري، وكانت مُحفّزاً للبيئة الجزائرية لتجديد الجوانب الإيمانية والعلمية في بلاد المغرب.<sup>٢٢</sup>

لقد جاء متن الأخضري في وقت وصف بالزهدي في علم المنطق؛ ربما لصعوبته ولكثرة اهتمام المغاربة بالتصوف، ولذلك كان للأخضري دور في تسهيل علم المنطق وإعادة مكانته له، وأسهم في متنه في إعادة الاعتبار لهذا العلم بحيث سيطر على الدراسات المنطقية لمدة تقارب الأربعة قرون، ولأهميته وبراعة تأليفه ترجمه المستشرق الفرنسي لوسيان في أوائل القرن العشرين،

ودرسه وقدمه للقراء الأجانب، بل إنه قارنه ب (حديقة الجذور الإغريقية لكلود لانسلو، وكذلك قارنه حاجي خليفة بعمل إيساغوجي<sup>٢٣</sup> .

### المبحث الثالث: عناية علماء الجزائر بمتن السلم المرونق

لم يكن للجزائر أن يغيب عنها ما اشتهر في البلدان والأمصار الأخرى، ولم يكن لمتن الأخضري أن يسافر إلى الشرق حيث الحواضر العلمية الكبرى في مصر ودمشق، ويسافر إلى الغرب حيث فاس والقرويين، ثم يغيب تدريسه عن حواضر الجزائر التي بلغت شهرتها ما بلغت الحواضر الأخرى، فقد كانت الجزائر في الفترة التي سبقت الأخضري قليلا (فترة الوجود العثماني) تسمى بإستانبول الصغرى<sup>٢٤</sup>، وعرفت فيها مدن للعلم كتلمسان، وقسنطينة، وبجاية، ومازونة، ووهران، والجزائر، وعنابة، وبسكرة، وكلها كانت لها شهرتها ولها علماءها الذين استنار بهم الشرق والغرب، ويكفي أن نعلم أن المسجد الجامع بتلمسان كان يوازي جامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس، والأزهر بمصر، وإن كانت فترة ما بعد الأخضري قد شهدت ضعف المدرسة التلمسانية بفعل الأوضاع السياسية إلا أن بعض الأماكن قد بقيت لها قوتها العلمية، وجذبت الكثير من العلماء، وخرّجت العديد منهم.

### العناية به تدريسا:

لقد واجهت صعوبة كبيرة في تتبع تدريس متن السلم المرونق في المدارس الجزائرية، ذلك أن أغلب المصادر التي عدت إليها لم تكن تذكر هذا المتن تحديدا ولكنها تذكر تدريس علم المنطق عموما، وإن كنا نعلم أن أغلب الشروح التي كتبت لا تتبع من فراغ ولكنها عادة ما تكون نتاج حلقات الدرس، وعادة ما توثق شرح الشيخ لطلبته، فوجود شرح للسلم للشيخ أبي راس الناصري لا شك هو دليل على أن حواضر الغرب الجزائري كانت تعتمد متن الأخضري في مقرراتها. وهو ما يؤكد الدكتور أبو القاسم سعد الله بقوله عن طريقة الأساتذة في الجزائر في الفترة العثمانية: " كانوا يلجأون إلى توفير الإملاءات لطلابهم فنتج عن ذلك عدد من التقايد والحواشي والشروح، وهي جميعا تتحول إلى تأليف في مختلف الفروع، فالتعليم إذن كان باعثا على التأليف"<sup>٢٥</sup> ويضيف أيضا عن مساهمة الطلاب في توثيق شروحات أساتذتهم، فيقول: ".كما أن الطلاب أنفسهم يسجلون الدرس كله إذا كان المدرس واسع العلم غير متقيد بالمنقول والمسموع من

المسائل، فإن الطلاب في هذه الحالة يصبحون حريصين على ألا تفوتهم شاردة ولا واردة من درس شيخهم، وبذلك يسهمون بدورهم في حركة التأليف التي كانت ممدوحة حينئذ<sup>٢٦</sup>.

يبدو من خلال كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم الشريف أن المدرسة التلمسانية في القرن العاشر الهجري (قرن الأخضري) كانت تدرّس متن السلم المرونق في علم المنطق، فقد ذكر ابن مريم أن شيخه أحمد بن عيسى الورنيدي، كان يدرّس رسالة ابن أبي زيد ومختصر ابن الحاجب الفرعي وعقائد الشيخ السنوسي وألفية ابن مالك ومنظوم الجزري وأبي مفرغ والسلم المرونق في المنطق وحكم ابن عطاء الله في التصوف<sup>٢٧</sup>، وبذلك فهو يوثق لنا أمرا هاما باعتماد هذا المتن في التدريس في نفس عصر ناظمه، وفي أقصى الغرب الجزائري.

وبالنسبة لمدرسة مازونة الشهيرة فقد كانت تعتمد كتب الأخضري أيضا في مقرراتها، إذ إن شهرة الأخضري في صياغة المتون المخصصة للتعليم جعلت منظوماته أيسر للطلاب وأدعى للاعتماد عليها، ولذلك وجدنا أيضا من الكتب المعتمدة في مازونة "السلم المرونق في علم المنطق" إلى جانب الجوهر المكنون في اللغة<sup>٢٨</sup>.

أما عن حاضرة مدينة الجزائر والتي كانت من مراكز العلم فقد اشتهر فيها الشيخ سعيد قدّورة، والذي كانت مجالسه تشد إليها الرجال، وتلمذ على يديه عدد من العلماء أمثال عيسى الثعالبي، ومحمد بن عبد الكريم الجزائري، ويحيى الشاوي، وعمر المنجلاتي ... وقد كان للشيخ دروس في المنطق الذي برع فيه، ويبدو أنه كان يعتمد متن "السلم المرونق في علم المنطق" في تدريسه، يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: " وقد كانت مساهمة قدّورة في الدرس لا في التأليف وباللسان لا بالتعليم. ولذلك كثر تلاميذه وقلت تأليفه. ومع ذلك فقد نسب إليه مترجموه بعض التأليف التي لا تخرج في نظرنا عن الإملاءات التي كان يملئها على الطلاب في الجامع الكبير أو جامع سيدي رمضان. وقد اطلعنا على بعضها فوجدناها كذلك. فهي مختصرة وموضحة لبعض المسائل التي قد تفوت الطلاب، ثم إن ما اطلعنا عليه منها ليس بقلمه وإنما هو بأقلام النساخ. فعمل هذه الإملاءات كانت أيضا بأقلام الطلاب أنفسهم. وكانت موضوعاتها لا تخرج عن المواد المدروسة عندئذ، ولا سيما مواد الحديث والفقهاء والنحو والمنطق<sup>٢٩</sup>. ثم ذكر من تأليفه: "شرح على السلم المرونق في المنطق".

وعلى العموم فإن الجزائر في الفترة العثمانية، وفي الحواضر العلمية آنذاك كانت تعتمد على متن الأخضري كواحد من المقررات الأساسية، ونشأت الكثير من الشروح والحواشي عن حلقات الدرس ومن رحم المجالس العلمية المنفرقة عبر مناطق الجزائر، بل إن سعد الله قد جعل متن الأخضري من المؤلفات التي كانت شائعة في ذلك الوقت وكانت كملح الطعام في كل مجلس علم<sup>٣٠</sup>.

لقد بقي هذا التقليد سائرا إلى وقت الاحتلال الفرنسي للجزائر، وبقيت المدارس الحرة والزوايا تعتمد الكثير من المقررات الأولى في التدريس، وحافظت إلى وقت طويل على نهج الأولين بالرغم من المحاولات الفرنسية الممنهجة لتحطيم التعليم وفرنسته. وقد حاولت أن أستخرج نماذج من هذه المناهج فوجدت نموذجين؛ واحد للزوايا العلمية والثاني للمدارس الحرة، أما الزوايا فقد وجدت أن زاوية الهامل التي كانت إحدى قلاع العلم في الجزائر، والتي لها شهرتها بين العلماء، كانت تعتمد في مناهجها على تدريس المنطق، فبالإضافة إلى القرآن الكريم والعلوم اللغوية والشرعية، كانت مقرراتها تشتمل على التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية وعلم المنطق والفلك والحساب، .. وفي علم المنطق كانت الكتب المعتمدة هي: السلم للأخضري بشرح المؤلف والملوي والباجوري، وإيساغوجي للأبهري بشرح شيخ الإسلام، والتهديب للسعد بشرح الحصيبي، والشمسية بشرح القطب الرازي، والمختصر للسنوسي، والمطالع للأرموري بشرح الرازي<sup>٣١</sup>.

وبهذا يتبين لنا أن زاوية الهامل كانت تعتمد السلم المرونق كواحد من الكتب الأساسية التي ينبغي على الطالب أن يتعلمها جريا على عادة أغلب المعاهد العريقة، والمدارس الأخرى داخل القطر الجزائري وخارجه.

وبالنسبة للمدارس الحرة فإننا عند البحث وجدنا أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت تدرس سلم الأخضري في التعليم المسجدي، والذي كان ينقسم آنذاك إلى نوعين، ١- التعليم بواسطة دروس الوعظ والإرشاد وهو الموجه لعامة الناس. ٢- التعليم بواسطة الدروس المنتظمة وهو تعليم عال مقسم إلى أربع مراحل، تمكن المتخرج منه من مواصلة دراسته في جامع الزيتونة أو في غيره من المعاهد الإسلامية، وقد كان المنطق يدرّس في النوع الثاني باعتباره موجها للمتخصصين والمتفرغين للتحصيل العلمي الرصين<sup>٣٢</sup>.

من خلال النموذجين السابقين يظهر لنا أهمية متن السلم ضمن المقررات التي اعتمدت في الزوايا والمدارس المعاصرة على السواء، وكيف أنه بقي متوارثا عبر قرون، وهذا الذي ذكرته هو ما استطعت الوصول إليه موثقا، أما الواقع فإنه يؤكد اشتهار كتب الأخضري بين العلماء لسهولتها وقدرتها على تذليل العلوم للطلبة.

#### العناية به تأليفا:

لقد ألف علماء الجزائر العديد من الشروح على متن السلم المرونق، وتركوا تراثا كبيرا من المخطوطات الشاهدة على ذلك، والتي هي - كما ذكرنا - نتاج حلقات العلم والدرس التي كانت تعرفها الحواضر العلمية، فكان الطلبة يدونون شروح الشيوخ على المتون، وكان العلماء يراجعون هذه التوثيقات التي تتوج عادة بمؤلفات جديدة، وفيما يلي سأذكر الشروح التي ألفها علماء الجزائر على السلم المرونق في علم المنطق، لأبين عنايتهم به تأليفا كما بينت عنايتهم به تدرّيسا.

#### - شرح الشيخ أبي عثمان سعيد بن إبراهيم قدورة (١٠٦٦ هـ):

وهو سعيد بن إبراهيم قدورة، أبو عثمان: مفتي مدينة الجزائر وفقهها وعالمها وصالحها. تونسي الأصل، جزائري المولد والنشأة. أخذ عن سعيد المقرّي وغيره. وأخذ عنه محمد بن اسماعيل مفتي الجزائر، ويحيى الشاوي وغيرهما<sup>٣٣</sup>. وقد كانت للشيخ مكانة كبيرة عند العلماء وعند الحكام، فكما كانت حلقاته مقصد طلاب العلم، وكانوا يرحلون إليه من مختلف الأمصار، كذلك كان الحكام يجلونه ويقدرونه ويقبلون يده<sup>٣٤</sup>.

ترك الشيخ سعيد قدورة عددا من المؤلفات في الفقه واللغة والمنطق، ومن هذه المؤلفات شرحه على السلم المرونق للأخضري، والذي ألفه كما يقول كتذييل على شرح المؤلف، قال رحمه الله: "فإني استخرت الله تعالى في وضع تقنييد على الأرجوزة الموسومة ب: "السلم المرونق في علم المنطق" بحيث يكون مضافا لشرح المصنف كالتذييل لما أهمله وأغفله في شرحه مظهرا لمقاصده، ومستخرجا بعون الله بعض فوائده، والله المسؤول في بلوغ الأمل"<sup>٣٥</sup>. ولا شك أن العبارات فيها من التواضع ما فيها، وتبين عن أدب الشارح مع صاحب المتن. وقد قام الأستاذ محمد هوارى بتحقيق مخطوط الكتاب في إطار استكمال متطلبات نيل درجة الماجستير من جامعة

تلمسان، الجزائر سنة ٢٠١٣م، ولا نعلم إن كان قد طبع مستقلا أم لا، فجزاه الله خيرا على ما قدم للتراث الجزائري، وقد وصف المحقق الكتاب بقوله: "إن القيمة العلمية للمخطوط شرح السلم المرونق في علم المنطق" تكمن في كونه يضع بين يدي الدارس الساعي إلى المفاهيم الفكرية القديمة، والتواق إلى رحاب البناء العقلي المتماسك، ومجالات التركيب والتحليل في ميادين البحث والاستقراء المختلفة، إمكانات الاختيار في العلم الواحد بين نمطين أو مذهبين في العرض والتبسيط، يستتير بهما، وهو يحث الخطى في استقصاء ألوان المعرفة، وضروب المذاقات الثقافية. وقد حرص الشارح على أن يأتي شرحه على نظم الأخضري لسلمه ذا مرتكزين: لغوي وتفسيري، وآخر منهجي فلسفي، بحيث تتعاقب الصورتان وتتعاون لإيضاح المبهم من درجات السلم، وتلقيان الضوء على الزوايا القاتمة والغامضة. فهو أبسط وأوضح الشروحات المعروفة، حيث أن قدورة كتب شرحه بأسلوب سهل وعبارة سلسة، لم يتبع أساليب الشراح في التعقيد، لذلك كانت قيمته العلمية عالية. كما أن هذا الكتاب يعتبر مرجعا ثميناً لطلبة العلم، فمن خلاله يتعلمون أهم القضايا التي عالجها المنطق<sup>٣٦</sup>. وقد وصف الحفناوي أسلوب الشيخ سعيد قدورة في كتابه فقال: "وقد بالغ رحمه الله في بسط العبارة في شرح السلم فكان ذلك مما انفرد به"<sup>٣٧</sup>.

ولعل شرح الشيخ قدورة على السلم أشهر الشروح الجزائرية التي تداولها العلماء وأشادوا بها، ودليل ذلك توفر نسخه في خزائن المخطوطات الجزائرية والمغربية، مما جعل الكتاب يبقى إلى يومنا هذا على خلاف ما رأيناه من الشروح الأخرى، ويضاف إلى ذلك شهرة العالم ومكانته، وقرب عصره من عصر صاحب المتن رحمهما الله.

#### - شرح السلم المرونق للشيخ أبي عبد الله محمد بن خليفة (ت ١٠٩٤ هـ):

والمؤلف هو أبو عبد الله محمد بن خليفة الجزائري، فقيه، مشارك في عدة علوم، رحالة، من أهل مدينة الجزائر. رحل إلى المشرق، ودخل مصر فأخذ عن علمائها. وعاد، فتصدى للتدريس، فاشتهر، وأخذ عنه جماعة<sup>٣٨</sup>. أثنى عليه بن زاكور في أزهر البستان فقال: "الشيخ المسن البركة، الحائز قصب السبق في فنون مشتركة، شيخ المشايخ، الذي له في تحقيق العلوم قدم راسخ، .. فاضل علامة، رحالة مجذامة، .. دخل مصر وهو غلان، لسلسيل البيان، فكرع في غديره، حتى تضلع من نميره، وأحرم بمطافه، حتى تروى من نطافه، فأب إلى الجزائر بعد أن ألحم من أسراره

وأشحم، واقتبس من أنواره ما ينجلي به الليل الأسحم، .. وتصدى للتدريس والتصنيف، وتردى بجلتي التقديس والتشريف"<sup>٣٩</sup>.

يذكر ابن زاكور أن الشيخ محمد بن خليفة الجزائري قد أعلمه بشرحه على السلم المرونق، وندبه إلى الاطلاع على كتبه، وهو بذلك يوثق لنا شرحا من الشروح الجزائرية الأولى على سلم الأخضري، غير أننا لا نعلم شيئا عن هذا الكتاب.

- شرح السلم المرونق في علم المنطق، للشيخ معزوز البحري المستغامي (١٢هـ):

وهو المعروف بسيدي معزوز البحري المستغامي، قال عنه صاحب تعريف الخلف: "أوجد زمانه وسراج أوانه حامل لواء كل فن وواصل ما ظهر من العلوم بما بطن، المشار إليه عند الكل بالمقام السامي العلامة الناصح والولي الصالح سيدي معزوز البحري المستغامي، لم يعرف عندنا بغير هذا من قديم غير أن ما أشهر الله من أمره وأظهر عليه من حل فضله أغنى المعرف عن التعريف وطرزه بطراز التكريم والتشريف"<sup>٤٠</sup>. وقد ذكر من مؤلفاته شرحه على السلم المرونق للأخضري.

حقق الكتاب الباحث حبيب بوزوادة، ونشرته دار alphdoc سنة ٢٠٢٠، وهو في ١٩٢ صفحة، وقد وصف المحقق الكتاب بأنه ثالث شرح بعد شرح المؤلف وشرح سعيد قدورة، والحق أنه ليس كذلك فشرح محمد بن خليفة الجزائري سابق عليه، كما أننا لا نحيط علما بما كتب من شروح حتى نستطيع الترتيب والجزم.

- كتاب "القول المسلم في شرح السلم" لأبي راس الناصري المعسكري (ت ١٢٣٨ هـ):

والمؤلف هو محمد أبوراس بن أحمد ابن ناصر الراشدي الناصري المعسكري نسبة إلى مدينة معسكر في الغرب الجزائري، يقول عنه صاحب "تعريف الخلف برجال السلف": "كان رحمه الله ورضي عنه إماما في المعقول والمنقول وإليه يرجع في الفروع والأصول، ورحل في طلب العلم واكتساب المعارف، وافي الأفاضل من أهل مصر وتونس وفاس وأخذ عنهم التالذ والطارف، ودرس وأفاد ورفع منار العلم وأشاد، وكان يدعى في زمانه الحافظ لقوة حفظه وتمكنه متى شاء من استحضار مسانده حتى كأن العلوم كتبت بين عينيه وله تأليف مفيدة بديعة سارت بها لعزتها الركبان واشتدت إليها لنفاستها رغبة القاصي والدان .. توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا ببركاته عام ثمان وثلاثين ومائتين وألف (١٢٣٨ هـ) وقد جاوز التسعين"<sup>٤١</sup>.



انتصب للتدريس ثم تولى القضاء .. وتخلّى عن البادية وعاد لمعسكر وزاول التدريس ليلا ونهارا وداوم على ذلك نحو ست وثلاثين سنة كما ذكر دون أن يتخلف عن ذلك ولو يوما واحدا<sup>٤٢</sup>.

وقد كان الشيخ كثير التأليف حتى ليذكر هو عن نفسه أنه قارب السيوطي في كثرتها، واختلفت هذه المؤلفات بين شتى الفنون والعلوم، أشهرها كتب التاريخ، ورحلته الشهيرة، لكن علم المنطق كان له حظ من هذه المؤلفات، إذ يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أنه من أواخر من ألف في المنطق في العهد العثماني، ويقول: " ذكر أبو راس أن له شرحا على سلم الأخضري سماه (القول المسلم في شرح السلم)، ولعل له غيره في المنطق أيضا، فقد كان عالما بشؤون الدين والدنيا كما عرفنا، وذكر في رحلته (فتح الإله ومنته) تأليفه مبنية، واطلعنا على ذلك وسجلنا له الكتاب المذكور في المنطق، غير أنه لا يستبعد أن يكون له غيره مما لم نسجله"<sup>٤٣</sup>. والذي يهمنا في هذا ليس كل مؤلفاته في المنطق وإنما شرحه على السلم المرونق والذي سماه القول المسلم في شرح السلم، لكنه للأسف مفقود على ما نعلم.

- شرح الشيخ أبي عبد الله محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي (ت ١٢٤٢ هـ):

وهو الأستاذ محمد الصالح بن سليمان بن محمد بن محمد بن أبي القاسم الطالب الرحموني نسبة إلى أولاد رحمون من شرفاء العش في بلد امشدالة، وجد بخطه أنه قرأ وأجيز في جامع الزيتونة بتونس ولما رجع منها اشتغل بالتدريس في جبل بني عيسى واستدعاه الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري، وقدم إليه واشتغل عنده في جبل جرجرة بالتدريس ونفع الخلق بالعلوم إلى أن توفي سنة ١٢٤٢ هـ عن نحو ٩٠ سنة<sup>٤٤</sup>. وقد ذكر له الحفناوي مجموعة من المؤلفات منها شرحه للسلم المرونق، لكن لا نعلم أيضا مكان هذا الكتاب.

هذا ما استطعت تقييده من شروح جزائرية على السلم المرونق، والتي يلاحظ أنها ابتدأت بعد قرن تقريبا من كتابة المتن وامتدت لقرون بعدها، كما أن بعضها مفقود لم يصل إلينا، أو لم يحقق، وبعضها تم تحقيقه وطبعه، وهو ما يبين عناية علماء الجزائر بهذا المتن تأليفا كما اعتنوا به تدريسا.

## الخاتمة:

من خلال ما سبق بيانه وتفصيله، انتهى هذا البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن ذكرها فيما يلي:

- احتلت مؤلفات الأخضري مكانة كبيرة عند العلماء، وذاع صيتها، واشتهرت بين البلدان والأمصار، وتداولها العلماء لما وجدوا فيها من سهولة العبارة، واختصار الفنون والعلوم، ولبراعة مؤلفها في صياغة المتن العلمية كأنه خبير في المناهج ومتخصص فيها.

- لقد اعتنى العلماء في حواضر العلم المختلفة بمتن السلم المرونق للأخضري، وقرروه في حلقاتهم العلمية، واعتمدوه في الدروس، وشرحوه شروحا كثيرة تدل على أهمية هذا المتن وقيمه، وهو ما يفسر انتشاره في غرب العالم الإسلامي وشرقه، حتى رأينا مشايخ الأزهر الشريف يولونه عناية خاصة.

- كان لمتن الأخضري في الجزائر عناية خاصة، فقد قرره العلماء في حلقات الدرس، كما فعلت جميع الحواضر، وسيطر هذا المتن على المناهج في الجزائر لقرون طويلة، ورأينا كيف اعتمده تلمسان، والجزائر، ومازونة، واعتمده من بعدهم الزوايا العلمية، والمدارس الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

- لم يكتف علماء الجزائر بتدريس متن الأخضري فقط، بل إنهم أسهموا في تأليف شروح عليه، وأبانوا عن مقدرة كبيرة في تناوله وتبسيط معانيه وتقريبها للمتعلمين، وأشهر هذه الشروح هو شرح الشيخ سعيد قدورة الجزائري، مفتي المالكية في وقته.

## التوصيات:

مما يحسن التوصية به ههنا أن يتم تعميق البحث في تراث الجزائريين في مجال علم المنطق خاصة، وفي مختلف الفنون والعلوم الشرعية الأخرى، فهي لا تزال بحاجة إلى بحث واكتشاف، وإماطة اللثام عنها تعطي نظرة عن الحالة الثقافية للجزائر التي ظن البعض أنها خلت من أي إبداع وإسهام علمي.

كما أنه من الضروري استنهاض الهمم للبحث عن المخطوطات المفقودة، والتي قد تكون حبيسة الخزانات العائلية، ومن ثم تحقيقها وإخراجها للباحثين والقارئ والمهتمين، فإن العلم ميراث وجب الحفاظ عليه، وتراث الأمة ينبغي صونه من الضياع وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## الهوامش

- <sup>1</sup> ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط ٢٠١٨، ص ١٤. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٢٠٠٢، ج ٣/٣٣٠.
- <sup>2</sup> عبد الرحمن الأخضري، شرح السلم المرونق في علم المنطق، تحقيق وتقديم: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، د ط ت، ص ١٢٨.
- <sup>3</sup> عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط ١٩٩٤، ج ٣/٧٩.
- <sup>4</sup> عبد الرحمن الأخضري، شرح السلم المرونق في علم المنطق، تحقيق وتقديم: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، ص ٩، ١٠.
- <sup>5</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، الجزائر، ط ٢٠١٧، ج ١/٥٠٠.
- <sup>6</sup> محمد هوارى، شرح السلم المرونق في علم المنطق، للشيخ سعيد قدورة (ت ١٠٦٦ هـ - ١٦٥٦ م) - دراسة وتحقيق -، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد الحق زريوح، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر الموسم: ٢٠١٢/٢٠١٣، ص ٤١، ٤٢.
- <sup>7</sup> عبد الرحمن الأخضري، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، تحقيق: محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي، د ط ت، ص ٢٢.
- <sup>8</sup> عبد الرحمن الأخضري، شرح السلم المرونق في علم المنطق، تحقيق وتقديم: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، ص ٣٧، ٣٨.
- <sup>9</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ١/٥٠١.
- <sup>10</sup> انظر مقدمة تحقيق العقد الجوهري في التعريف بالقطب الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري، أحمد بن داود، تحقيق: لحسن بن علجية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط ت، ص ١٤.
- <sup>11</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ٢/٤٠٦.
- <sup>12</sup> الأعلام، الزركلي، ج ٣/٣٣١.
- <sup>13</sup> عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج ٣/٨١.
- <sup>14</sup> مجلة الأصالة، كانت تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر، العدد ٥٣، السنة السابعة، ص ٢٥.
- <sup>15</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ١/٥٠١.
- <sup>16</sup> انظر هامش تحقيق شرح السلم المرونق في علم المنطق، عبد الرحمن الأخضري، ص ٣٧.
- <sup>17</sup> شرح القويسني على متن السلم في المنطق للعلامة الشيخ عبد الرحمن الأخضري، تحقيق: مصطفى العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢٠١٦، ص ٦٠.
- <sup>18</sup> عبد الرحمن الأخضري، شرح السلم المرونق في علم المنطق، ص ٣٧، ٣٨.
- <sup>19</sup> عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج ٣/٨٠.

<sup>٢٠</sup> ينظر عبد الله محمد الحبشي، جامع الشروح والحواشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤، ص ١٠٤٣ إلى ١٠٥٠، وعبد القادر بقادر، المخطوط الجزائري ومكانته في المحاضر الموريتانية، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب أفريقيا، جامعة أدرار، المجلد ٣ العدد ٠٢ مارس ٢٠١٥، ص ٤١ وما بعدها.

<sup>٢١</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ٢/١٥٠.

<sup>٢٢</sup> ينظر أحمد بن مسفر العتيبي، نقد سلم الأخضري، مقال على موقع: [https://ahmad-](https://ahmad-mosfer.com/1752)

[mosfer.com/1752](https://ahmad-mosfer.com/1752)، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٢/٠٢/٠٣، الساعة: ١٠:١٨.

<sup>٢٣</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بتصرف، ج ٢/١٥٠، ١٥١.

<sup>٢٤</sup> المصدر نفسه، ج ١/٣٨٧.

<sup>٢٥</sup> المصدر نفسه، ج ١/٣٣٨.

<sup>٢٦</sup> المصدر نفسه، ج ١/٣٤٥.

<sup>٢٧</sup> ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، راجعه: محمد بن أبي شنب، مطبعة الثعالبية، ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م، ص ٢٤.

<sup>٢٨</sup> بوجلال قدور، العلم والعلماء في بايلك الغرب ١٧١١-١٨٣٠ م، معسكر ومازونة نموذجاً، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، ٢٠٠٨-٢٠٠٩، بتصرف، ص ١٩٨.

<sup>٢٩</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ١/٣٦٨.

<sup>٣٠</sup> ينظر المصدر نفسه، ج ١/٣٥٠، ٣٥٢.

<sup>٣١</sup> عبد الرحمن بلعالم، عبد اللطيف بعجي، زاوية الهامل حاضرة علمية وقلعة ثورية، الكتاب الجماعي: المدارس التعليمية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي ١٨٣٠-١٩٦٢ م، دراسة استبصارية استثمارية، إشراف وتحرير: د. بلخير عمراني، ط ١ ٢٠١٩، ج ١/٣٠٧، ٣٠٩.

<sup>٣٢</sup> رشيد مياد، مؤسسات التعليم العربي الحرومناهجها في الجزائر بين ١٩٣١-١٩٥٦ م، الكتاب الجماعي: المدارس التعليمية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي ١٨٣٠-١٩٦٢ م، دراسة استبصارية استثمارية، إشراف وتحرير: د. بلخير عمراني، ط ١ ٢٠٢٠، ج ٢/٣٨٨.

<sup>٣٣</sup> عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص ٢٥٩.

<sup>٣٤</sup> لمزيد من الاطلاع على سيرة الشيخ يراجع، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ١/٣٥٧ وما بعدها.

<sup>٣٥</sup> محمد هواري، شرح السلم المرونق في علم المنطق، للشيخ سعيد قدورة، ص ١٢٤.

<sup>٣٦</sup> المرجع نفسه، ص ٨٧.

<sup>٣٧</sup> أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير فونتانة، الجزائر، ط ١٩٠٦، ج ١/٦٢.

<sup>٣٨</sup> عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص ١٠٨.

<sup>٣٩</sup> ابن زاكور الفاسي، نشر أزهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط ٢٠١١، ص ٧١، ٧٢.

<sup>٤٠</sup> المصدر نفسه، ج ٢/٥٧٠.

<sup>٤١</sup> أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج ٢/٣٣٢.

<sup>٤٢</sup> أبو راس الناصري، فتح الإله ومنتها في التحدث بفضل ربي ونعمته، المؤسسة الوطنية للكتاب، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الزموري، الجزائر، ط ١٩٨٢، ص ٢٢.

<sup>٤٣</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ٢/١٥٣.

<sup>٤٤</sup> أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج ٢/٥٢٢.

### المصادر والمراجع:

١. ابن زاكور الفاسي، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط ٢٠١١.
٢. ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، راجعه: محمد بن أبي شنب، مطبعة الثعالبية، ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م.
٣. أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة ببيير فونتانة، الجزائر، ط ١٩٠٦.
٤. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، الجزائر، ط ٢٠١٧.
٥. أبو راس الناصري، فتح الإله ومنتها في التحدث بفضل ربي ونعمته، المؤسسة الوطنية للكتاب، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الزموري، الجزائر، ط ١٩٨٢.
٦. أحمد بن داود، العقد الجوهري في التعريف بالقطب الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري، تحقيق: لحسن بن علجية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط ت.
٧. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١٥٠٢ ٢٠٠٢.
٨. شرح القويسني على متن السلم في المنطق للعلامة الشيخ عبد الرحمن الأخضري، تحقيق: مصطفى العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١٠٦٦ ٢٠١٦.
٩. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط ٢ ١٩٨٠.
١٠. عبد الرحمن الأخضري، الجواهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، تحقيق: محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي، د ط ت.

١١. عبد الرحمن الأخضري، شرح السلم المرونق في علم المنطق، تحقيق وتقديم: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، د ط ت.

١٢. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط ٧ ١٩٩٤.

١٣. عبد الله محمد الحبشي، جامع الشروح والحواشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤.

#### الرسائل الجامعية:

١. بوجلال قدور، العلم والعلماء في بايلك الغرب ١٧١١-١٨٣٠م، معسكر ومازونة نموذجاً، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، ٢٠٠٨-٢٠٠٩.

٢. محمد هوارى، شرح السلم المرونق في علم المنطق، للشيخ سعيد قدورة (ت ١٠٦٦ هـ - ١٦٥٦ م) - دراسة وتحقيق -، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد الحق زريوح، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر الموسم: ٢٠١٢/٢٠١٣.

#### المقالات:

١. مجلة الأصالة، كانت تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر، العدد ٥٣، السنة السابعة، ص ٢٥.

٢. عبد القادر بقادر، المخطوط الجزائري ومكانته في المحاضر الموريتانية، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب أفريقيا، جامعة أدرار، المجلد ٣ العدد ٠٢ مارس ٢٠١٥.

٣. عبد الرحمن بلعالم، عبد اللطيف بعجي، زاوية الهامل حاضرة علمية وقلعة ثورية، الكتاب الجماعي: المدارس التعليمية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي ١٨٣٠-١٩٦٢م، دراسة استبصارية استثمارية، إشراف وتحرير: د. بلخير عمراني، ط ١ ٢٠١٩ ج ١.

٤. رشيد مياد، مؤسسات التعليم العربي الحر ومناهجها في الجزائر بين ١٩٣١-١٩٥٦م، الكتاب الجماعي: المدارس التعليمية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي ١٨٣٠-١٩٦٢م، دراسة استبصارية استثمارية، إشراف وتحرير: د. بلخير عمراني، ط ١ ٢٠٢٠، ج ٢.

المواقع الالكترونية:

1. أحمد بن مسفر العتيبي، نقد سلم الأخضري، مقال على موقع: <https://ahmad-mosfer.com/1752>، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٢/٠٢/٠٣، الساعة: ١٠:١٨.

**المكتبات بالمغرب الأقصى في عهد**

**الموحدين**

**ا.م.د. نادية عبد الرحمن معاطي / كلية الآداب - جامعة**

**صبراتة - ليبيا**

**Libraries in the Far Maghreb during the  
Almohad era**

**Dr. Nadia Abdel Rahman Maati College of Arts - University of  
Sabratha - Libya**



المكتبات بالمغرب الأقصى في عهد الموحدين

ا.م.د. نادية عبد الرحمن معاطي

كلية الآداب - جامعة صبراتة - ليبيا

الملخص:

لا يمكن التصدي لقضايا المكتبات دون النظر في أمر الكتاب الذي يعد لبنة جوهرية في هذا الصرح فيزدهر به الفكر، لذا أولى المغاربة وفي مقدمتهم الخلفاء الموحدون عناية فائقة باقتناء الكتب فقد كانوا مضرباً للأمثال بسبب اهتمامهم بهذا الشأن بحيث بلغت الحياة الفكرية بالمغرب الأقصى في عهد الموحدين ذروة نضجها بصدور عديد الكتب والمصنفات من إنتاج أبناء هذا العصر، شملت تلك المؤلفات مختلف العلوم النقلية والعقلية، والتي ذاع صيتها في بلاد المشرق والمغرب والأندلس، وقد ترتب عن هذا الزخم الثقافي انتشار المكتبات التي زخرت بالعديد من الكتب والمخطوطات على اختلاف أنواعها ومسمياتها، وكانت المكتبات من أهم دعائم الحضارة.

## Libraries in the Far Maghreb during the Almohad era

**Dr. Nadia Abdel Rahman Maati**

**College of Arts – University of Sabratha – Libya**

It is not possible to address the issues of libraries without looking into the matter of the book, which is an essential building block in this edifice, in which thought flourishes. Therefore, the Moroccans, led by the Almohad caliphs, took great care in acquiring books. Its maturity came with the issuance of many books and works produced by the people of this era. These books included various transport and mental sciences, which became famous in the countries of the East, the Maghreb and Andalusia. This cultural momentum resulted in the spread of libraries that were filled with many books and manuscripts of different types and names. The most important pillars of civilization.

## المقدمة :

بلغت الحياة الفكرية بالمغرب الأقصى في عهد الموحدين ذروة نضجها بصدور عديد الكتب والمصنفات من إنتاج أبناء هذا العصر ، شملت تلك المؤلفات مختلف العلوم النقلية والعقلية ، والتي ذاع صيتها في بلاد المشرق والمغرب والأندلس ، وقد ترتب عن هذا الزخم الثقافي انتشار المكتبات التي زخرت بالعديد من الكتب والمخطوطات على اختلاف أنواعها ومسمياتها ، وكانت المكتبات من أهم دعائم الحضارة ، فهي تقوم بحفظ وصيانة كنوز المعرفة وتنظيمها وإتاحتها للجميع ، كما أنها تعطي صورة صادقة لمدى اهتمام الخلفاء الموحدين بالفكر والعلم مما يجعلها من أهم مقاييس التقدم والرقي . ومن خلال هذه الدراسة حاولت الإجابة عن عدد من التساؤلات ومنها :

. ما العوامل المساعدة على نمو وازدهار الحياة الثقافية بالمغرب الأقصى ؟

. ما طرق الحصول على الكتاب ودوره في إغناء المكتبة بالمغرب الأقصى ؟

. كيف نشأت المكتبات في المغرب الأقصى؟ وما أنواعها ، وكيف كان تنظيمها ؟ وما مميزات كل نوع منها على حدة ؟ .

. ما أهم الصناعات والمهن المترتبة عن هذا الازدهار والانتشار للكتاب ؟

. ما مصير الإرث الثقافي " الكتب " الذي تركه العلماء والفقهاء ؟ وماذا أصابها من مصائب ونكبات سواء أكانت طبيعية أم بشرية ؟

وقد تم إتباع المنهج التاريخي باعتباره من المناهج الملائمة لمثل هذه البحوث

وقد قسم البحث إلى المحاور التالية :

## المبحث الأول : عوامل ازدهار الحياة الثقافية بالمغرب الأقصى

لم يجد الموحدون بلاد المغرب بلاداً قاحلة من المعارف بل وجدوها قد بلغت شأواً كبيراً في هذا الميدان فالأمير يوسف بن تاشفين المرابطي ومن بعده ابنه علي بن يوسف هما من وضعاً

اللبنة الأساسية لهذا الازدهار فمجلساهما كانا يعجان بأعيان الكتاب وفرسان البلاغة من المغرب ومن جزيرة الأندلس وإن كانت لهم بعض العلوم المحظورة . إلا أن الموحدون طوروا وجددوا هذا الإرث الثقافي . وقد تضافرت عدة عوامل أسهمت في هذا الرقي يمكن إجمالها في الآتي :

#### أولاً : الاستقرار السياسي :

أكمل الموحدون مشروع الوحدة الترابية الذي بدأه المرابطون لبلاد المغرب والأندلس فتمكنوا من تأسيس إمبراطورية مترامية الأطراف امتدت حدودها شرقاً إلى إفريقية وهي تشتمل على معظم الشمال الإفريقي ، هذا الخضوع لحكومة مركزية موحدة حقق استقراراً سياسياً زهاء سبعين سنة وفي ظلها نمت الحركة الفكرية وزادت همة القرائح العلمية على البحث في شتى فروع المعرفة ، وبذل العلماء أقصى الجهود في طلب العلم من مراكز الفكر الإسلامي في المشرق والأندلس بدءاً من زمن الخليفة عبد المؤمن بن علي ( ٥٢٤ . ٥٥٨ هـ / ١١٣٠ . ١١٦٣ م ) وانتهاءً بعهد الخليفة محمد الناصر ( ٥٩٥ . ٦١٠ هـ / ١١٩٩ . ١٢١٣ م )<sup>(١)</sup>.

#### ثانياً : العامل الاقتصادي :

ساهمت الفتوحات الموحدية واتساع أركان الدولة في تدفق الأموال على عاصمة الخلافة مما ساعد على استقرار أوضاع البلاد اقتصادياً هذا بدوره يهيئ المناخ العلمي الذي يدرس فيه الطلبة ويجعلهم يقبلون على البحث والتحصيل ، وكذلك كان له أثره في دفع الأهالي إلى وقف الأوقاف لتعليم الصبيان مما كان له أثره في نهضة العلوم<sup>(٢)</sup>.

#### ثالثاً : تشجيع ولاة الأمر للعلم والعلماء :

لم يدخر الموحدون جهداً من أجل تأسيس المدارس وتطوير الثقافة واستقطاب العلماء والشعراء والفلاسفة من أجل إقامة المناظرات داخل قصورهم ، فالخليفة عبد المؤمن بن علي كرم العلماء ومنحهم الجوائز والاقطاعات والخطط الكبرى وأعطاهم امتيازات لم يتحصلوا عليها من قبل ، كما شجع كثيراً من العلوم التي لم تكن رائجة أو محظورة رواجها في العهد المرابطي مما دفع بالكثير منهم بالتوجه إليه والانضواء تحت لوائه وكذلك الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وابنه المنصور الموحي الذي قرب العلماء إليه وجعلهم أهل خدمته وخاصته ، فأصبحت بذلك العاصمة مراكز تكتظ بهم وتزخر بإبداعاتهم الفقهية والعلمية والأدبية التي ميزت عصرهم<sup>(٣)</sup>.

#### رابعاً : الصلات الوثيقة بين المغرب والأندلس :

على الرغم من أن هذه الصلات لم تنقطع بين المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي للمنطقة إلا أنها ازدادت رسوخاً وازدهاراً بعد أن أصبحت الأندلس إقليمياً تابعاً للمغرب الأقصى في عهدي المرابطين والموحدين فكانت هناك هجرات كثيرة من علماء الأندلس خلال هذه الفترة فراراً من المعارك الطاحنة التي شهدتها منطقة الأندلس ضد نصارى أسبانيا مما دفع العلماء إلى الانتقال إلى المدن المغربية لينعموا بالاستقرار والأطمأنينة فضلاً عن الترحيب والكرم من ولاية الأمر والشعب المغربي وكان لهذا الاحتكاك أثره على المغرب حيث تدفقت الثقافات الأندلسية المتنوعة على المغرب الأقصى ، وانتقل أبناء المغرب الأقصى من قادة ورعية لينهلوا من علوم الأندلس دون قيد على حركتهم . وكان لهذه الهجرات الثقافية أثرها في تنشيط الحركة العلمية بالبلاد<sup>(٤)</sup>.

وهكذا تضافرت العوامل السابقة في تنشيط الحياة الثقافية في البلاد وساعدت على نموها وازدهارها .

#### المبحث الثاني : الكتب وطرق الحصول عليها

لا يمكن التصدي لقضايا المكتبات دون النظر في أمر الكتاب الذي يعد لبنة جوهرية في هذا الصرح فيزدهر به الفكر ، ووجوده مرتبط بوجود المكتبات التي تحافظ عليه لتجعله في متناول الطلبة والباحثين فما هي طرق الحصول عليه ودوره في إغناء المكتبة في المغرب الأقصى أثناء هذه الفترة ؟ .

#### أولاً اهتمام الخلفاء الموحدين باقتناء الكتب:

أولى المغاربة وفي مقدمتهم الخلفاء الموحدون عناية فائقة باقتناء الكتب فقد كانوا مضرباً للأمثال في الاهتمام بهذا الشأن فالخليفة يوسف بن عبد المؤمن كان حريصاً على تجميع الكتب واقتنائها فاجتمع له من كتب الفلسفة ممّا يقرب ما اجتمع للحكم المستنصر الأموي (٣٥٠ . ٣٦٦هـ / ٩٥٢ . ٩٦٨ م ) فشبهت مكتبته بكبريات مكتبات الأندلس ، ومن شدة حرصه على جمع شتات المؤلفات التي كان يخاف ضياعها أنه كان يمارس سلطته السياسية للحصول عليها في بعض الأحيان ، فقد ذكر عنه أنه أرسل رجاله ليأتوا ببعض الكتب من مكتبة ورثها أحد الأندلسيين عن أبيه خوفاً من ضياعها منه ، فأخذ رجال الخليفة الكتب وعوض صاحبها ببعض

الأعطيات<sup>(٥)</sup> . وأودعت هذه الكتب في الخزانة الملكية للحفاظ عليها من الضياع ، وهذا يدل على مدى الجهد الذي بذله يوسف بن عبد المؤمن في جمع المؤلفات التي أودعها بمكتبته .  
ثانياً اقتراحهم تأليف الكتب :

لم يقف اهتمام الموحدين بهذا المجال عند حد اقتناء الكتب الموجودة بل كانوا يقترحون تأليف الكتب من جديد من علماء عرفوا بشهرتهم العلمية فأوكلت لهم مهمة التأليف في بعض المواضيع ، والقضايا التي تهمهم سواء أكانت على الصعيد السياسي أو الديني أو الاجتماعي كتعزيز مشروعية إمامة ابن تومرت ، أو تأكيد مشروعية فرضية الجهاد على المسلمين ، أو الرفع من المستوى الصحي للبيئة الاجتماعية ، والبعض الآخر يتضمن علوماً شغفوا بحبها كالفلسفة والأدب<sup>(٦)</sup> .

ومن بين المؤلفات التي ألغت على هذه الأصعدة وبهمة الخلفاء الذين كانوا يحثون الكتاب على تأليف مؤلفات تدافع عن مبادئ دولتهم وترد على المكتوبات التي تنال منهم فالخليفة عبد المؤمن بن علي دعا الكتاب الذين في خدمة البلاط إلى كتابة كتب ترد على الكاتب القرطبي أبي الحسين عبد الملك بن إياس الذي كانت كتاباته النقدية تهدف إلى النيل من شرائع الدولة الموحدية ومبادئها<sup>(٧)</sup> .

وحدث الخليفة عبد المؤمن كذلك أبا مروان عبد الملك بن زهر على تأليف كتاب الترياق السبعيني ، ثم اختصره عشاريّاً واختصره سباعياً ويعرف بترياق الأنتلة ، كما عكف على تأليف مختصر الأغذية<sup>(٨)</sup> ، وبهمة يوسف بن عبد المؤمن لخص كتاب أرسطو في مجال الفلسفة ، وكذلك لخص كتب الحكيم في جزء واحد فيما يقارب من مائة وخمسين ورقة ترجمة " بكتاب الجوامع " لخص فيه كتاب الحكيم المعروف بسمع الكيان وكتاب السماء والعالم ، ورسالة الكون والفساد ، وكتاب الآثار العلوية ، وكتاب الحس والمحسوس ، ثم لخصها بعد ذلك في كتاب مبسط ضمّ أربعة أجزاء ، كما أن شرحه الآخر على ألفية ابن سينا كان باقتراح السيد أبي ربيع بن أبي محمد بن عبد المؤمن<sup>(٩)</sup> ، وألف أبو بكر بن زهر الترياق الخمسيني للمنصور أبي يوسف يعقوب<sup>(١٠)</sup> كما أمر جماعة من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة وهي الصحيحان والترمذي ، والموطأ ، وسنن أبي داود ، وسنن النسائي ، وسنن البزار ، ومسند بن

أبي شيبية ، وسنن قُطني ، وسنن البيهقي فانتشرت هذه الكتب في جميع أنحاء المغرب وحفظها الناس من العوام والخاصة (١١) .

وألف الفقيه أبو محمد بن القطان للخليفة المرتضى مجموعة من الكتب ومنها كتاب نظم الجمان ، وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان ، وكتاب شفاء الغلل في أخبار الأنبياء والرسل ، وكتاب الأحكام لبيان آياته عليه السلام ، وكتاب المناجاة ، وكتاب المسموعات فيها قصائد متخيرات فيما يخص المولد الكريم وشهر رجب وشعبان ورمضان . وغير ذلك من المؤلفات (١٢) .  
وألف أبو عبد الله محمد بن عيسى بن محمد الأزدي (ت ٦٢٠هـ / ) كتاب الإنجاد في أبواب الجهاد للأمير عبد الله بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن (١٣) . وغزارة هذه المؤلفات أغنت المكتبات الملكية بالمغرب الأقصى .

#### ثالثا : إهداء الدفاتر والذخائر لمكاتبهم :

كان الإهداء سنة دأب عليها بعض أهل العلم تلبية لرغبة الخلفاء الموحدين ولولهم بالكتب بغض النظر عن المنفعة المرجوة من وراء ذلك ، وهي الوصول إلى الجاه والسلطة ، مقابل اعترافهم بمشروعية سلطانه ومباركته سياسياً إلا أن المنفعة الأسمى تتمثل في كونه شكل رصيذاً علمياً للمكتبات الموحدية ، خاصة وأن مضمونه لم يكن مدحاً أو إطراءً ومن بين الكتب المهداة للخلفاء إهداء أبي الحسن الأشبيلي كتابه المعراج للخليفة عبد المؤمن بن يوسف وقدم لإحدى مكتبات الخلفاء الموحدين كتابه في الحيوان ، وأهدى أبو بكر الهزوني كتابه أراجيز في القراءات والتجويد للخليفة يعقوب المنصور (١٤) ، وقدم ابن خروف الإشبيلي كتابه تناول فيه شرح كتاب سيبويه للخليفة محمد الناصر مكتوب بخطه في أربع مجلدات (١٥) ، كما أهدى أبو الحسن بن ذي النون كتاب أرجوزة طويلة للخليفة الرشيد (١٦) . ومن الكتب المهداة للخليفة المرتضى الموحد من جملة موشحات انتقيت من كلام الشيخ أبي عبد الله بن الصباغ الجذامي وقد ألفها مجموعة من الأئمة في تأليف واحد (١٧) ، وحتى من خارج الحضرة المغربية كان الخلفاء الموحدون يستقبلون هدايا الكتب فالسلطان الشهير صلاح الدين الأيوبي أهدى الخليفة يعقوب مصنفين ثمينين منسويين مع جملة من الهدايا الأخرى (١٨) .

ونتيجة لغزارة المحصول العلمي سواء أكانت عن طريق اقتناء الخلفاء الموحدين الكتب أو التشجيع على التأليف أو عن طريق الإهداء ظهرت المكتبات الملكية والمكتبات الخاصة والعامة .

### المبحث الثالث: المكتبات

#### أولاً : المكتبات الملكية / مكتبة العاصمة مراكش :

عرفت هذه الخزانة بعدة أسماء منها الخزانة العالية<sup>(١٩)</sup> وخزانة الكتب ، وردت أول إشارة لها في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ( ٥٥٨ . ٥٨٠ هـ / ١١٦٣ . ١١٨٤ م) عندما تولى مهمة اقتناء الكتب ، وهي مكتبة ملكية جمع لها الخليفة المذكور المؤلفات من كل مكان ، وحرص على اقتناء الكتب ، حتى قيل إنه اجتمع له من كتب الفلسفة ما يقرب مما اجتمع للحكم المستنصر الأموي كما سبقت الإشارة إليه<sup>(٢٠)</sup> ، وأودعت هذه الكتب في الخزانة الملكية للحفاظ عليها من الضياع وهذا يدل على مدى الجهد الذي بذله الخليفة في جمع المؤلفات التي أودعها مكتبته . وعين عليها قيما من كبار العلماء .

#### مكتبة القصر بحومة الصالحية :

وهي المكتبة التي أسسها الخليفة يعقوب المنصور ( ٥٨٠ . ٥٩٥ هـ / ١١٨٤ . ١١٩٩ م) بجوار قصره في مدينة مراكش الجديدة ، وقد جاء ذكرها عند العمري عند حديثه عن المدرسة حيث قال : "وفي هذه الرحبة مدرسة وهي مكان جليل به خزائن الكتب"<sup>(٢١)</sup> والواضح أن خزانة الكتب هذه تابعة لهذه المدرسة الملكية وبالتالي فهي مكتبة خاصة .

#### خزانة الأشربة :

كثف خلفاء الدولة الموحدية جهودهم في الاهتمام بالوضع الصحي لرعايتهم فعملوا على إنشاء خزانة متخصصة ومجهزة بأشربة طبيعية وكيميائية ، من إنتاج أطباء مهرة وتولى مهمة الإشراف عليها أحد أفراد الطاقم الطبي الملحق بالقصر السلطاني ، مثل الطبيب أبو يحيى بن قاسم الاشبيلي بدءاً بعهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ( ٥٥٨ . ٥٨٠ هـ / ١١٦٣ . ١١٨٤ م ) وانتهاء



بعهد الخليفة المستنصر ( ٦١٠ . ١٢١٣/هـ . ١٢٢٣ م ) ، ولما توفي يحيى تولى ابنه الإشراف على الخزانة خلفاً أبيه<sup>(٢٢)</sup>.

### تنظيم المكتبات الملكية ومميزاتها :

#### ١ . التنظيم :

لم يحفظ التاريخ معلومات عن التنظيم الإداري لخزانة الكتب الملكية بخصوص المعلومات المرتبطة بالفهرسة والإدارة والتسيير ، ولم نجد سوى بعض التفاصيل عن وظيفة المحافظ وتعيينه على رأس الخزانة . أما فيما يخص العناصر الأخرى المتعلقة بالتنظيم فالخزانات المغربية تسيير على نهج الخزانات الأندلسية من ناحية التصنيف والفهرسة باعتبارهما قطراً واحداً ، فتكون بذلك الخزانة الملكية الموحدية مصنفة مفهرسة ، فجزء من هذه الخزانة كان مخصصاً فقط لمؤلفات مختلف الفروع العلمية التي بلغ عددها مائتي ألف مجلد ، وضمت رفوفاً أخرى في نفس الخزانة كانت مخصصة لعلوم بشرية أخرى<sup>(٢٣)</sup>.

#### ٢ . خطة الإشراف على المكتبات :

بلغ اهتمام الخلفاء الموحدين بالمكتبات شأواً كبيراً وزودوها بشتى أنواع الكتب بحيث وصل هذا الاهتمام إلى استخدامهم خطة للإشراف عليها من قبل أشخاص يتم تعيينهم من الخليفة مباشرة ، وكانت هذه المهمة ضرورية للإدارة وتسيير المكتبة وتنظيم الكتب ، وتصنيف المعرفة ، إذ اعتبروها من الخطط الجلية التي لا يعين لها إلا عليّة أهل العلم من العلماء البارزين والموسوعين والقضاة وفي بعض الأحيان كانت تعهد إلى الوزراء ، وكان المشرف أو المحافظ يسمى صاحب المصاحف<sup>(٢٤)</sup>، وممن تولى هذه المهمة في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر السرقسطي قاضي الدولة<sup>(٢٥)</sup>، والشخص الثاني الذي تم اختياره لمهمة محافظ الخزانة الملكية الموحدية العالم والمحدث الكبير أبو الحسن علي بن القطان (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م)<sup>(٢٦)</sup>، فعندما تعرضت الخزانة الملكية لنكبة الفوضى ، وسرق جزء منها عقب الحرب الأهلية التي وقعت في النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي بين الأمراء الموحدين . وذلك بعد مقتل الخليفة الموحد أبي محمد عبد الواحد ( ٦٢٠ . ٦٢١ هـ / ١٢٢٣ . ١٢٢٤ م ) أمر الخليفة العادل ( ٦٢١ . ٦٢٤ هـ / ١٢٢٤ .

١٢٢٦م) لحظة استقراره في مراكش وزيره علي بن جامع بالنظر في ترتيب ما تبقى من كتب الخزانة وتمييز الكامل من الكتب ، ومعرفة الناقص منها ، ولكن نتيجة لخلاف وقع بينه وبين وزيره أسندت المهمة إلى علي أبي الحسن بن القطان <sup>(٢٧)</sup> وأصبح تولي الإشراف على هذه الخزانة من المهام الرفيعة التي ينتدب لها أكابر العلماء .

وممن تولي مهمة المحافظ كذلك علي بن لب بن علي بن شلبون المكنى أبو الحسن <sup>(٢٨)</sup>، ومنذ عهد الخليفة ابن يوسف بن عبد المؤمن إلى عهد الخليفة المستنصر تولي أبو يحيى بن قاسم الأشبيلي مهمة الإشراف على خزانة الأشربة وبعد وفاته تولأها ابنه عوضاً عنه <sup>(٢٩)</sup> ، وفي عهد الخليفة عبد الله بن يعقوب الملقب بالعدل تولأها أبو محمد عبد الله العراقي <sup>(٣٠)</sup>.

#### مميزاتها :

تميزت الخزانات الملكية بميزتين أساسيتين :

#### • خاصيتها شبه العمومية :

اشتهر الخلفاء المغاربة بكونهم جمعوا في خزانتهم عدداً كبيراً من الكتب المنحدرة من كل أنحاء الإمبراطورية الإسلامية . وكانت هذه المجموعات تضم في غالب الأحيان مؤلفات نادرة وقيمة . وباقتناع هؤلاء الخلفاء بأن خزائهم كانت على جانب من الثراء والأهمية بحيث يمكن أن تصلح مركزاً للبحث ، فإنهم قد فتحوها أمام العلماء والأدباء . وهكذا فقد كان العلماء ومتقفي البلاط يأتون للاستفادة من هذه الثروة وليكملوا عملهم بدقة كعلماء كبار ، وشراح ، ومجمعين ، وكتّاب . ومن خلال ذلك يمكن أن نصف هذه المؤسسة بطابعها الشبه عمومي <sup>(٣١)</sup> .

#### • الكتابة على بوابة المكتبات :

هذه العادة تقليد قديم وليست ظاهرة تختص بها الخزانة الملكية في المغرب فالموحدون كانوا ينحتون في مقدمة خزائهم إما آية قرآنية ، وفي غالب الأحيان " بسم الله الرحمن الرحيم " ، أو بيتاً شعرياً كما هو الأمر عند الأمير الموحي أبي الربيع الذي أمر بكتابة بيتين كتبهما هو بنفسه على بوابة خزانته :

حَطِّي أن يعفو عن كاتبه

أرغبُ إلى الرحمن يا مَنْ رأى

خطته يملك آلافاته به (٣٢)

يوم يقول الله أين الذي

### ثانياً : المكتبات العامة :

أنشئت مكتبات عامة إلى جانب مكتبات الأربطة الموجودة بالفعل ، وتمثلت هذه المكتبات في المكتبة الملحقة بالمدارس الموجودة شمال جامع المنصور بمراكش الجديدة حيث ورد في وقفية علي " كتاب الأنجاد في أبواب الجهاد " لابن أصبغ الأزدي أنه حبس على المدرسة بقصبة مراكش (٣٣) ، وهذه المكتبة مكتبة عامة وبالتالي فالمكتبة الملحقة بها والكتب الموقوفة عليها عامة متاحة للدارسين كافة .

كذلك وجدت المكتبة الملحقة بجامع الساقية بمراكش القديمة ، ويتضح وجود هذه المكتبة من خلال وقف الخليفة الموحي عمر المرتضى ، للسفر الرابع من كتاب التمهيد لابن عبد البر حيث حبسه على من يقرأ فيه من المسلمين بمدرسة العلم بالجامع المرتضى ، وسمح لهم في الوقفية القراءة فيه بالليل ولكن دون إخراجهم من المدرسة ، ووجدت هذه الوقفية على الجزء الثامن من نفس الكتاب أيضاً (٣٤) ، وبذلك بهذه المكتبة مكتبة عامة لكافة المسلمين الذين يرغبون في الدراسة في المدرسة .

وذكر أيضاً أن مسجد ابن تومرت بتينملل يضم خزانة كبيرة تحتوي على الكثير من الأسفار والمصاحف المحبوسة على هذه الخزانة (٣٥) ولأن هذه الخزانة موجودة في مسجد ، فهي مكتبة عامة وذلك لكثرة الوافدين على المسجد وكثرة المطلعين على الكتب الموجودة .

وبعد ذلك تأتي المكتبة الشارية المنسوبة لمؤسسها أبي الحسن علي بن محمد الغافقي السبتي المعروف بالشاري (ت ٦٤٩هـ / ١٢٥١م ) وهو من أهل المدينة عُرف عنه عنايته بالعلم وطلبه وقد كان محدثاً جليلاً شغوفاً بجمع الكتب فكون مكتبة عظيمة أنشأها بماله الخاص في مدرسته بسبته ، حبس عليها مجموعة من نفائس الكتب التي يمتلكها ليستفيد منها طلاب المدرسة ، فاعتبرت بذلك أول خزانة وقفت بالمغرب على أهل العلم (٣٦).

ومن الناحية التنظيمية لهذه المكتبات لم تشر المصادر إلى تنظيمها الإداري ولا بما يتعلق بما تتميز به عن المكتبات الملكية ولا الخاصة ، باستثناء بعض الإشارات ومنها : أنا لمصطلح

العربي " عامة " الذي كانت تتم عبره الإشارة إلى هذه الخزانات ليس له نفس المفهوم الذي يوجد لدى كلمة عامة اليوم . فالمكتبات العامة بالمعنى المعاصر للمصطلح يجب أن تستقبل كل طبقات الشعب . أما المكتبة العامة سابقاً فإنها لم تكن تستقبل إلا جمهوراً محدداً من طلبة العلم . ومن الملاحظ أن الخزانتيين اللتين سميتا عامتين وللتين حافظ لنا عليهما التاريخ وهما ( الخزانة الموحدية في مراكش ، والخزانة التي أسسها العلامة أبو الحسن الشاري في سبتة ) كانتا ملحقين بالمدارس وهي نوع من الثانويات التي كانت قد ظهرت في المغرب . فتعتبر هذه بداية خزانات المدارس ذات الطابع العمومي وهو نموذج من المكتبات الذي بلغ أوجّه في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي على عهد الدولة المرينية<sup>(٣٧)</sup>.

### ثالثاً : المكتبات الخاصة :

نتيجة للاهتمام بنشر العلم من قبل خلفاء الدولة الموحدية زاد اهتمام العلماء بالتأليف ونسخ الكتب واقتنائها ، ولذلك انتشرت المكتبات الخاصة ، حيث حرص العديد من العلماء على اقتناء الكتب وسنذكر العديد من العلماء أصحاب المكتبات من مختلف المدن .

### أولاً المكتبات الخاصة بفاس :

– مكتبة محمد بن أحمد بن مطرف ( ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥ م ) فقد كان من أهل العلم اشتهر بالحديث والفقہ ، وكان عنده الكثير من الكتب النفيسة ، عني بضبطها وتقييدها واستوطن مدينة فاس<sup>(٣٨)</sup>.

– مكتبة محمد بن أحمد البيروني ( ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥ م ) ، أصله من الأندلس من مدينة جيان ، خرج منها خوفاً من العدو ، استوطن مدينة فاس ، كان من أهل العلم والفضل ، وقد كانت لديه مجموعة من الكتب القيمة اقتناها منذ كان في الأندلس وعني بضبطها والحفاظ عليها<sup>(٣٩)</sup>.

– مكتبة أبو موسى عيسى بن الملجوم ( ت ٥٤٣هـ / ١١٤٨ م ) من أهل مدينة فاس ، وقد عرف بشغفه بالعلم ، ورحل في طلبه إلى الأندلس ، وأخذ عن جُلّ علمائها ، عمل على نشر العلم وتدرّيسه وحرص على جمع الكتب والدواوين العتيقة والدفاتر النفيسة مهما كلفه ذلك من مال ، ويؤكد ذلك ما ذكر عنه أنه اشترى من أبي علي الغساني

أصل ما لديه من كتاب سنن أبي داود ، الذي سمع فيه من أبي عمر بن عبد البر ،  
بمال كثير ، وذلك بعد أن نسخ أبو علي منه نسخه لنفسه<sup>(٤٠)</sup> وهذا يدل على حبه لجمع  
النادر من الكتب واقتنائه .

– مكتبة محمد بن الغرديس الثعلبي (ت بعد عام ٥٤٣هـ / ١١٤٨م) كان قاضياً لفاس  
ونظراً لجامع القرويين وكان موضعه بزنتقة حجامة حيث نزل القاضي عياض احتوت  
خزائنه على تصانيف من فنون العلم واستعان بها الفقيه الونشريسي في تصنيف كتابه  
المعيار ( المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب )<sup>(٤١)</sup>

– مكتبة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المهدي (ت ٥٩٥هـ / ١١٩٨م) نزل بمدينة فاس  
، وهو من أهل العلم والزهد في الدنيا ، وكانت لديه كتب كثيرة كان يعيرها لأهل العلم<sup>(٤٢)</sup>  
– مكتبة عبد الرحيم بن عيسى بن الملجوم (ت ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م) من أشهر علماء  
فاس ، وقد رحل في طلب العلم إلى الأندلس ، وأخذ عن جُلّ علمائها ، كون مكتبته من  
مكتبة والده عيسى بن الملجوم ومن مكتبة أستاذه أبي عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي  
الحياني ، وأضاف عليها الكثير من ذخائر المؤلفات<sup>(٤٣)</sup> .

– مكتبة عبد الرحمن بن يوسف الملجوم (ت ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م) ، عرف بابن رقية ،  
وكان من أكابر العلماء حاز على ثروة طائلة ، واهتم بجمع الكتب وشرائها حتى كون  
مكتبة كبيرة جليلة الشأن ، ثم تركها لابنته التي باعت أوراق المكتبة غير المجلدة بعد  
وفاة أبيها بستة آلاف دينار<sup>(٤٤)</sup> .

– مكتبة أبو عبد الله بن يحيى المسوفي (ت ٦٠٩هـ / ١٢١٢م) كان من رجال الدولة،  
ولي أعمال فاس وعرف عنه حبه للكتب والاعتناء بها، والحرص على جمعها ، وذكر  
عنه أنه كان يعيرها لبعض العلماء لينتفع بها بالنسخ أو المقابلة مع من لديه من  
كتب<sup>(٤٥)</sup>

– مكتبة محمد بن عيسى المومنانبي (ت ٦٣٩هـ / ١٢٤١م) ، كان من كبار المحدثين ،  
اهتم بجمع الكتب حتى قيل إنه أفنى عمره في جمع الكتب ، وقد جمع منها ما لم يكن  
عند أحد غيره<sup>(٤٦)</sup> .

- ثانيا المكتبات الخاصة بمراكش :
- مكتبة أبو علي المنصور بن الحاج داود بن عمر الصنهاجي ( ت ٥٥٠هـ / ١١٥٥م ) ، فقد ذكر عنه أنه كان محدثاً حافظاً ذكياً حسن الخط ، وعرف بحبه لجمع الكتب والدواوين النادرة، وتنافس مع العلماء في اقتنائها حتى قيل إنه اجتمع له من الكتب ما لم يجتمع لأحد من أهل المغرب<sup>(٤٧)</sup>
- مكتبة محمد بن عبد الله بن مسعود بن مفرج ( ت ٥٦١هـ / ١٦٦٥م ) ، من الوافدين على مراكش عرف بتميزه في علم الحديث ، بعيد الصيت في الحفظ والإتقان والضبط ، وكان من المهتمين بجمع الدواوين والكتب<sup>(٤٨)</sup>.
- مكتبة أبي محمد عبدالله بن علي بن غلنده الأموي ( ت ٥٨١هـ / ١١٨٥م ) ، وهو من الأطباء الأندلسيين وقد استوطن مراكش ، وكون مكتبة كبيرة عرفت بكثرة الكتب الموجودة بها<sup>(٤٩)</sup>.
- مكتبة أبو العباس الخزرجي المعروف بابن الصقر ( ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م ) ، حيث كون مكتبة كبيرة احتوت الكثير من نفائس الكتب والدواوين ، وكان ينسخ النادر من الدواوين بخط يده ، وذكر أنه عند توجهه إلى مراكش كان معه من الكتب ما يقارب خمسة أحمال ، هذا بالإضافة إلى ما جمعه من الكتب في مراكش ، وقد تعرض بعض هذه الكتب للضياع أيام مقامه بغرناطة ، وكذلك نهبت بعض كتبه عند دخول الخليفة عبد المؤمن بن علي لمراكش<sup>(٥٠)</sup>.
- مكتبة أحمد بن يحيى العبدي ( ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م ) ، من الأندلسيين الوافدين على مراكش ، ويعتبر من أهل الأدب وكان محدثاً بارعاً ، واهتم بجمع الكتب ، حيث قدرت قيمة ما اقتنى من الكتب بعد وفاته بحوالي ستة آلاف دينار أو يزيد<sup>(٥١)</sup>.
- مكتبة علي بن محمد أبو الحسن القطان ( ت ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م ) ، وهو من أهل فاس واستوطن مراكش ، كان من علماء الحديث وعرف عنه صحبته للأمرء من آل عبد المؤمن ، وتعصبه لهم وله مؤلفات كثيرة ، وصنف العديد من الكتب في شتى فروع العلم ، وكذلك عرف عنه جمعه للكتب واقتنائها ، حيث ذكر أنه اقتنى من الكتب سبعة عشر حملاً ، حملان منه بخط يده<sup>(٥٢)</sup>.

- مكتبة أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي الرندي (ت ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م) ، وهو من الأندلسيين الوافدين من مدينة رندة على مراكش وهو محدث رواية ، وجامع للكتب ودفاتر العلم ودون وسجل شيوخه الذين تلقى العلم عنهم<sup>(٥٣)</sup>.
- مكتبة محمد بن مروان اللخمي الإشبيلي فقد كان من الأدباء المهتمين بالعربية والنحو ، وعرف بحبه لجمع الكتب واقتنائها وهو من الأندلسيين الوافدين من إشبيلية ، وكان مولده قبل التسعين وخمسمائة ومات بمراكش<sup>(٥٤)</sup> .
- مكتبة أبو عبد الله بن أحمد السبائي بن الطراوة (ت ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م) وهو من كبار علماء مراكش وعرف باهتمامه باقتناء الأصول من الكتب ، وحرص على تصحيحها ومقارنتها بأصول شيوخه<sup>(٥٥)</sup> .
- لم يقتصر وجود المكتبات الخاصة على مدينتي فاس ومراكش ، بل وجدت مكتبات العلماء في مدن أخرى ومنها مدينة تلمسان كان بها مكتبة الشيخ أبو عبد الله بن سليمان اليعمري (ت ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م) فقد ذكر أنه مهتم بجمع الكتب النادرة ومغال في أثمانها<sup>(٥٦)</sup> .
- وفي مدينة تادلا كانت مكتبة الشيخ أبو موسى الفشتالي ، إذ كان يفتي الكثير من الكتب يضعها في مخلاة يحملها معه في أي مكان يذهب فيه<sup>(٥٧)</sup> .
- وفي مدينة سبتة كانت المكتبة الشاربية المنسوبة لمؤسسها أبي الحسن علي بن محمد الغافقي السبتي المعروف بالشاربي (ت ٦٤٩هـ / ) وهو من أهل المدينة عُرف عنه عنايته بالعلم وطلبه وقد كان محدثاً جليلاً شغوفاً بجمع الكتب فكون مكتبة عظيمة أنشأها بماله الخاص في مدرسته بسبتة ، والتي ضمت نفائس ودواوين عتيقة غالي في أثمانها . وهي أول خزانة وقفت بالمغرب على أهل العلم<sup>(٥٨)</sup>.
- أما من ناحية التنظيم والمميزات للمكتبات الخاصة فلم يوجد في المصادر ما يشير إلى تنظيم هذه المكتبات . وقد تميزت بالآتي :

- التشابه فيما يتعلق بالكتب التي تضمها المكتبات الخاصة التي كانت مكونة في جزء كبير منها من مؤلفات الدين والأدب واللغة ، ودواوين الشعر . ولكن كانت توجد في بعض المكتبات بعض المؤلفات الفلسفية أو العلمية . فالمراكشي يشير إلى خزانة العالم

يوسف ويكنى أبا الحاج ويعرف بالمراني التي صادرها الخليفة الموحي أبو يعقوب يوسف ، كانت تضم مجموعات هامة من كتب الفلسفة التي كثيراً ما كان الخليفة شغوفاً بها، وكانت مكتبة الطبيب ابن الحكم بن غلندو تضم إلى جانب كتب الطب علوم أخرى (٥٩) .

• كانت خزانات الكتب الخاصة في المغرب مقتصرة على فئات محدودة فلا يستطع الدخول إلى هذه المكتبات إلا العلماء وأصدقاء أصحاب المكتبات الراغبون في التحصيل والاستفادة ممّا فيها من كتب ومعارف ، فمكتبة أبي عبد الله بن يحيى المسوفي ( ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م ) كانت ذات فائدة كبيرة للشيخ أبي محمد (٦٠) ، وكانت كذلك ذات فائدة للشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد السبائي المعروف بابن الطراوة في مجال النسخ عن الأصول والمخطوطات التي ألفها كبار الشيوخ (٦١).

### ثالثاً: صناعة الوراقة والورّاقين :

وقد أسهم انتشار الكتب والمكتبات في ازدهار صناعة الوراقة والورّاقين ، وهي من الصناعات المرتبطة بالكتب ونسخها ، وجاء هذا الازدهار نتيجة لاهتمام العلماء بنسخ المؤلفات واقتنائها :

### أولاً: صناعة الورق

ازدهرت صناعة الورق في العصر الموحي بحيث يعد العصر الذهبي لهذه الصناعة ويرجع ذلك إلى الاهتمام بالكتب بحيث أصبحت البلاد سوقاً جديدة له ، فكان بمدينة فاس وحدها ٤٠٠ مَعْمَل لإنتاج هذه المادة أيام يعقوب المنصور وابنه محمد الناصر . والظاهر أن مركز هذه المعامل هو الذي كان يعرف في فاس بالكغادين عند حي باب الحمراء على مقربة من وادي الزيتون ، وقد خربت هذه المصانع من جراء المجاعات والفتن التي اجتاحت المغرب أواخر ذلك العهد (٦٢) .

ومما يدل كذلك على انتشار هذه الصناعة بمدينة فاس أن مكتبة أحد قضاتها من بني الملجوم كانت كلها من الورق لدرجة أنه بيعت فيها كتبه غير المجلدة بستة آلاف دينار (٦٣) .



وتعد مدينة سبته في طليعة مراكز إنتاج الورق والذي كان ينسب إليها ، واشتهرت في هذا الصدد أكثر من مدينة شاطبة الأندلسية (٦٤) .

ومن المهن التي انتشرت مهنة النساخة والوراقة ، فقد انتشرت هذه المهنة في العصر الموحي وأصبحت مهناً يقات منها من يعمل بها . وقد احتوى بلاط الخليفة المرتضى على " ديوان للنساخين " وكان يشرف عليهم رئيس مسؤول عنهم . وفي أيام الخليفة نفسه عرف أول مركز عمومي للنساخة وهو خزانة مدرسة العلم بالجامع المرتضى بمراكش الجديدة (٦٥) . ومن مشاهير العلماء النساخين :

- أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر ( ت ٥٩٠هـ / ١١٩٣م ) حيث عمل بالوراقة وإسترزق منها زمناً طويلاً (٦٦) .
- عتيق بن علي الصنهاجي المكناسي ( ت ٥٩٥هـ / ١١٩٨م ) أصله من مكناسة الزيتون ، ونشأ بفاس كتب بخطه علماً كثيراً (٦٧) .
- محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق التغمري السبتي كان حياً ( ٥٩٦هـ / ١١٩٩م ) كان صاحب إتقان وضبط ، نسخ بخطه العديد من الكتب (٦٨) .
- محمد بن جرير المعروف بابن تاخميست ( ت ٦٠٨هـ / ١٢١١م ) كان له خط حسن ، ينسخ المصاحف بيده ويعطيها لمن يراه أهلاً لها ابتغاء الثواب (٦٩) .
- محمد بن موسى بن المعلم الفاسي ( ت ٦١١هـ / ١٢١٤م ) عمل بالنساخة وتعيش منها ، إلى جانب كونه خطيباً لجامع القرويين (٧٠) .
- علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي ( ت ٦٢٨هـ / ١٢٣١م ) ، ذكر عبد الملك أنه كتب بخطه مقدار حملين من الكتب (٧١) .
- عيسى بن علي بن واصل المراكشي ( ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م ) كان بارع الخط جيد الوراقة ، نسخ دواوين عدة في فنون شتى (٧٢) .
- محمد بن أحمد بن محمد السبئي المراكشي المعروف بابن الطراوة ( ت ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م ) كان بارع الخط ، وقد تميّر عن سبقة من النساخين بمعرفته للخطوط (٧٣) .
- محمد بن علي العابد الأنصاري الفاسي ( ت ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م ) وهو نساخ بارع مواظب على النسخ ، ويتميز بكتابته لكبار الدواوين (٧٤) .

- الخليفة الموحي أبو حفص عمر المرتضى بن السيد أبي إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) ، كان خطاطاً بارعاً في الكتابة المصحفية وغيرها ولا يزال يوجد بخطه أثران جليلان : ربعة قرآنية كانت في عشرة أجزاء كتبها عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م ، حبسها على مكتبة ابن يوسف في مراكش في القرن الثالث عشر الميلادي ، ونسخة من " الموطأ " للإمام مالك بن أنس في سفرين ، انتسخهما بخطه . وقد ورث السيد أبو زيد ابن الخليفة عمر المرتضى مهنة النساخة عن أبيه (٧٥) .

ومن مشاهير الورقات الأندلسيات اللائي استوطن المغرب في هذه الفترة :

- سعيدة بنت محمد بن فيره الأموي التطيلي وأختها الأصغر منها ولم يذكر ابن عبد الملك اسمها ، سكنتا مراكش مجاورتين لبنت أبي العباس بن عبد الرحمن بن الصقر ، وقد اشتغلتا بنسخ الكتب (٧٦) .

- ورقاء بنت ينتان طليطلية سكنت مدينة فاس وتوفيت بعد ( ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م ) كانت خطاطة بارعة (٧٧) .

ومن الوراقين الأندلسيين الذين استوطنوا المغرب الأقصى :

- أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر ، والد محمد بن الصقر المذكور سابقاً (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م ) أصله من الثغر الأعلى من سرقسطة واستقر به المقام بمراكش وذكر عنه ابن عبد الملك " أنه كتب من دواوين العلم ودفاته ما لا يحصى : كثرة وجوده ضبط " (٧٨) .

- عيسى بن محمد بن شعيب الغاقي (ت ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م ) وهو قرموني استوطن مدينة فاس ويعرف بأبي الأشل ، لشلل كان بيده اليمنى ، وكان حسن الخط وراقاً (٧٩) .

- علي بن نجبة بن يحيى لرعيني ، أشبيلي سكن مراكش ، وكان كاتباً بليغاً بارع الخط ، كتب الكثير وراقاً وإنشاءً ، وتاريخ وفاته غير مذكور (٨٠) .

- يحيى بن محمد بن يحيى بن علي القيسي القرطبي ، ويعرف بابن الأشبيلي ، أصله من قرطبة ، استوطن فاس ، تاريخ وفاته غير مذكور ، وهو خطاط مزخرف للكتب (٨١) .

- أحمد بن محمد بن خلف البكري ( ت في حدود ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ) بطليوسي نزل مراكش ، ويكنى بأبي العباس بن العارض قال عنه ابن عبد الملك : " حسن الخط كثير النسخ " (٨٢) .
- أحمد بن أبي الحسن نبيل الرومي ، مولى أبي القاسم ابن رزين التجيبي الشقوري ، ( ت ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م ) من مدينة مرسية استوطن سبتة ، وقد كان حسن الخط متقن التقييد كتب بخطه من دواوين العلم ما لا يحصى (٨٣) .
- ومن مميزات الوراقة الموحدية التفنن في تنوع الخطوط إلى طرائق مغربية ومشرقية وقد اشتهر منهم :

- الخليفة الموحدي أبو حفص عمر المرتضى بن السيد أبي إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن ( ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م ) ، فقد كان يجيد الكتابة بثلاثة خطوط (٨٤)
- أبو الحكم عبيد بن علي بن علي بن عبيد الله بن غلنده الأموي ( ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ) من أشبيلية ولما تولى المنصور الخلافة حمله معه إلى مراكش ، وقد امتاز في خطاطته بأنه كان يكتب بخطين أندلسيين (٨٥) .
- علي بن سعيد بن مسعود بن سهل الأنصاري ، التلمساني الأصل ، ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته ، والذي سكن بأشبيلية ومراكش وغيرها من المدن ، وقد كان حسن الخط في الطريقتين المشرقية والمغربية (٨٦) .
- أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي المراكشي ( ت ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م ) ، والذي كان يجيد الكتابة بالخط المشرقي (٨٧) .
- محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي ( ت ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ) ، وهو قرطبي الأصل وقد استوطن مراكش ، وقال عنه ابن عبد الملك : " بارع في كل طريقة " ، كما ذكر الشيخ أبو محمد بن القطان أنه كان يكتب بثلاث عشرة طريقة . وقال عند ذكره لكتابه " الانجاد في الجهاد " وقفت على نسختين منه بخطه المشرقي (٨٨) .

كذلك ظهرت مهنة تفسير أو تجليد الكتب بشكل كبير ، وقد اشتغل بها العديد من الأشخاص من بينهم بعض العلماء كالشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي ، والذي كان يعمل بتفسير الكتب وإصلاح التآليف منها (٨٩) ، واشتهرت هذه المهنة بشكل كبير حتى أن أحد

خبراء هذه المهنة ألف كتاباً ، ذكر فيه أهم الأسس والقواعد التي تقوم عليها هذه الصناعة ، والكتاب هو " التيسير في صناعة التسفير " لأبي بكر بن إبراهيم اللخمي الأشبيلي ( ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م ) (٩٠)

#### محنة المكتبة المغربية :

عَرَفَتْ خزانات الكتب في المغرب الأقصى بما تحويه من كتب عدة نكبات ، تمثلت في العوامل الطبيعية والتمثلة في الحشرات القوارض ، وكذلك الأسباب السياسية والتمثلة في الفتن ، وتعرضها كذلك إلى السرقة والنهب . كل هذه العوامل المخربة ألحقت أضراراً بالمكتبات المغربية كما سيتم توضيح ذلك .

#### اولا الأسباب الطبيعية " الحشرات القوارض " :

وهذا الأمر يعتبر مضر خاصة بالمخطوطات نتيجة الشروط غير المناسبة لحفظها ، مثلا وضع الكتب في مستودعات قديمة وغير ملائمة ، والتي أسهمت بشكل كبير في إتلافها ، وبهذا لم تخلُ مكتبة في المغرب من المخطوطات المتآكلة كلياً أو جزئياً بواسطة الحشرات ، ولقد كان المثقفون يقولون عن خزانة القرويين : الذي يسمع العث وهو يلتهم الكتب<sup>(٩١)</sup> ، ودفعاً للهجمات المتخفية للحشرات القارضة تم اتخاذ العديد من الإجراءات ففي الفصل الأخير من كتاب " التيسير في صناعة التسفير " يعرض المؤلف الوسائل التي استخدمت سابقاً للقضاء على العث ( يبخر بأعضاء الهدهد وريشه فإنه يقتل الأرضة ) والمؤلف نفسه يقول بأنه عرف على محمد السامري بأن الذي يكتب على أول ورقة من الكتاب وآخر ورقة هذه الأحرف فإن الأرضة لا تضره وهي : ( يكيكتج ) ، ويؤكد الأشبيلي أن هذا الإجراء قد سبق تجريبه وضمن جدواه<sup>(٩٢)</sup> . وعلى الرغم من كل المحاولات والوسائل المستعملة فالعث والأرضة قد أضاعا عدداً غير يسير من المخطوطات إلى الأبد.

#### الأسباب البشرية

##### • إحراق الكتب :

إحراق الكتب هو أحد العوامل التي كانت وراء ضياع كثير من الكتب النفيسة ، فهذه الظاهرة كانت رائجة في المغرب خاصة في القرن الثاني عشر الميلادي . فلقد شاع على المرابطين والموحدين ، كل دولة من جهتها على إبادة حقيقية لمؤلفات الفلسفة والشروح للمذهب

المالكي ، الأمر الذي حرم المكتبات من عدد من الكتب والتي لم يبق منها إلا العناوين . فمثلاً اعتبر الفقهاء المرابطون ذو المذهب المالكي المتطرف الفلسفة بدعة دخيلة على الدين ، وكل كتبها أصبحت مرفوضة وحضورها يعتبر خطراً في خزانة الكتب وإبادتها أصبحت ضرورية بالنسبة لكل إنسان متدين كإحراقهم كتب أبي حامد الغزالي وتهديدهم بالوعيد الشديد وسفك الدماء إلى كل من وجد عنده شيء منها <sup>(٩٣)</sup> ، وهذا الأمر أزعج الدولة الموحدية التي جاءت بعدهم فأمر الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور ( ٥٨٠ . ٥٩٥ هـ / ١١٨٤ . ١١٩٩ م ) بأن تُحرق كتب علم الفروع فانقطع هذا العلم فترة حكم الموحدين وإحراق كتب المذهب المالكي بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن فأحرق منها جملة في كل أنحاء المغرب ، ومن هذه الكتب : مدونة ابن سحنون ، وكتاب ابن يونس ونوادر ابن أبي زيد ومختصره ، وكتاب التهذيب للبراذعي ، وواضحة ابن حبيب وما حذوا هذه الكتب فالمراكشي يقول : " لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس ، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق النار فيها ... " <sup>(٩٤)</sup> .

وهكذا ضاع علم الفروع مما دفع الناس إلى ترك المصادر الأولى في الشرع الإسلامي والمقصود بها القرآن والحديث . واقتنع الخلفاء الموحدون أن الإكثار من المؤلفات المرتبطة بنفس الموضوع تضر حتى باكتساب العلوم التي تعالجها <sup>(٩٥)</sup>

لم تكن مؤلفات الفقه المالكي هي وحدها وقوداً للنيران على عهد الموحدين ، فكثير من مؤلفات الفلسفة قد أُلقيت في النار في عهد يعقوب المنصور فقد أمر هذا الأخير الذي كان ظاهرياً ومتحمساً لظاهره بأن تحرق مؤلفات أبي الوليد بن رشد ( ت ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م ) برأي من بعض مؤازريه ممن كان من أعداء الفيلسوف الكبير فقد اتهم هذا الأخير بكونه جعل الزهرة أحد الآلهة وفي هذا الصدد يقول المراكشي : " ..... وأمر الحاضرين بلعنة ( ابن رشد ) ثم أمر بإخراجه على حال سيئة وإبعاده وإبعاد من يتكلم في شيء من هذه العلوم ، وكتب عنه الكتب إلى البلاد بالتقدم إلى الناس في ترك هذه العلوم جملة واحدة ، وإحراق كتب الفلسفة كلها ، إلا ما كان من الطب والحساب ، وما يتوصل بها من علم النجوم ، إلى معرفة أوقات الليل والنهار ، وأخذ سمة القبلة .... " <sup>(٩٦)</sup>

وهكذا فالاختلافات المذهبية والنزاعات الإيديولوجية قد حرمت المكتبات المغربية من عدد من مؤلفات الفلسفة التي لم يعرف منها إلا العناوين<sup>(٩٧)</sup> .

• نهب الكتب وسرقتها :

عادة ما تتعرض المكتبات إلى النهب والسرقة في فترة الصراعات السياسية ، وبانتهاء كل دولة مغربية كان يغيب معها جزء كبير من خزانتها الملكية .ففي الحروب الأهلية بين الخلفاء الموحدين في النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي أبيد على إثرها المكتبة الملكية الموحدية . فقد نهبت بعض كتبها أثناء الفتنة التي حدثت بعد مقتل الخليفة الموحدي أبي محمد عبد الواحد ( ٦٢٠ . ٦٢١ هـ / ١٢٢٣ . ١٢٢٤ م) فأمر الخليفة العادل ( ٦٢١ . ٦٢٤ هـ / ١٢٢٤ . ١٢٢٦ م ) وزيره ابن جامع بالنظر بترتيب ما تبقى من كتب الخزانة ، وتمييز الكامل من الكتب ، ومعرفة الناقص منها<sup>(٩٨)</sup> وكذلك تأثرت المكتبات الخاصة بدورها بهذه الظروف<sup>(٩٩)</sup>

ولم يظل التخريب في أثناء الفتن والحروب والمجاعات المكتبات فحسب بل طال حتى المادة الخام المصنعة للكتب وهي معامل الكاغد التي سبق الإشارة إليها فبعد أن كان عددها في مراكش يصل إلى أربعمائة معمل خُرِبَتْ كُلُّها في أيام المجاعة والفتنة التي كانت في أيام العادل وأخيه المأمون في الفترة من سنة ( ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م / إلى ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م )<sup>(١٠٠)</sup> .

**الخاتمة:**

من خلال دراسة موضوع الكتب والمكتبات بالمغرب الأقصى في عصر الموحدين يمكن استخلاص الآتي :

- ١ . أسهمت عدة عوامل في ازدهار الحياة الثقافية بالمغرب الأقصى مما كان له أثره في زيادة المنتج الثقافي والمتمثلة في نشاط حركة تأليف الكتب ، إذ كان الخلفاء الموحدون في المرتبة الأولى ومن المشجعين في هذا المجال .
- ٢ . تنوعت المكتبات إلى مكتبات ملكية وهي مكتبات ملحقة بقصور الخلفاء والأمراء ازدهرت في كبريات مدن المغرب الأقصى كمدينة مراكش ومدينة فاس وغيرها ، وقد احتوت على نفائس الكتب ، مما دفع بالخلفاء الموحدين إلى تعيين محافظ لهذه المؤسسة . ومكتبات عامة

كانت مزودة بكتب الوقف ، إلى أخرى خاصة سميت بأسماء مؤسسيها ، وقد تميزت كل واحدة عن الأخرى بعدة مميزات .

٣ . ترتب عن هذا الازدهار والانتشار نشاط العديد من الصناعات المرتبة بالكتب كصناعة الورق فأصبح المغرب الأقصى يعج بمشاهير الورّاقين والنسّاخين الذين تفننوا في تنويع الخطوط المستخدمة سواء كانت مغربية أو مشرقية .

٤ . على الرغم من انتشار المكتبات بما تحويه من كتب قيمة ونفيسة ، إلا أنها غالباً ما كانت تتعرض لنكبات ومحن ألحقت أضراراً بالمنتج الثقافي .

#### هوامش البحث :

(١) سامية إجمد محمد قريميدة ، الحياة الفكرية بالمغرب الأقصى عصر الموحدين (١١٣٠ هـ / ١١٣٠ . ١٢٦٩ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة السابع من إبريل ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، ليبيا ، ٢٠٠٧ . ٢٠٠٨ ف ، ص ٢٣ .

(٢) حسن علي حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب عهد المرابطين والموحدين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ١٩٨٠ ، ص ٤٤٤ .

(٣) أحمد شوقي بنين : تاريخ حرائن الكتب بالمغرب ، الخزنة الحسينية ، مراكش ، ٢٠٠٣ ، ص ٤٤ .

(٤) حسن علي حسن ، مرجع سابق ، ص ٤٤٦ .

(٥) المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٣١٠ . ٣١١ .

(٦) سامية أمجد قريميدة ، مرجع سابق ، ص ٦٤ .

(٧) أحمد شوقي بنين : مرجع سابق ، ص ٤٨ .

(٨) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : نزار رضا ، منشورات دار الحياة ، بيروت ، (د.ت) ، ج ٢ ، ص ٥٢٠ . ٥٢١ .

(٩) المراكشي ، مصدر سابق ، ص ٣١٥ . ٣١٦ ، محمد المنوني ، حضارة الموحدين ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص ١٨٣ .

(١٠) ابن أبي أصيبعة ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٥٢٢ .

(١١) المراكشي ، مصدر سابق ، ص ٣٥٥ .

- (١٢) ابن عذاري ، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب (الموحدين) ، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ٢٤٦ .
- (١٣) محمد بن محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية ومكنتتها ، القاهرة ، ١٣٤٩ ، ص ١٧٧ . ١٧٨ .
- (١٤) ابن القطان : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق : محمود علي مكي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠ ، ص ٢١٢ ، سامية إجمد قريمية ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .
- (١٥) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة ، تحقيق : محمد بن شريفة ، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، ١٩٨٤ ، السفر الخامس ، القسم ١ ، ص ٣٢١ .
- (١٦) نفسه ، ص ٣٧٢ .
- (١٧) المقرئ : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .
- (١٨) السلاوي : الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ ، ج ١ ، ص ١٧٤ .
- (١٩) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ١ ، ق ١ ، ص ٢٢٨ .
- (٢٠) المراكشي ، مصدر سابق ، ص ٣١٠ . ٣١١ ، محمد المنوني : حضارة الموحدين ص ١٨٦ .
- (٢١) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأنصار ، تحقيق : حمزة أحمد عباس ، إصدارات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ٢٠٠٢ ، السفر ٤ ، ص ٢٠٠ .
- (٢٢) ابن أبي أصيبعة ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٥٣٤ ، سامية إجمد قريمية ، مرجع سابق ، ص ٦٢ .
- (٢٣) أحمد شوقي بنين ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .
- (٢٤) نفسه ، ص ٥٦ .
- (٢٥) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ١ ، ق ١ ، ص ٢٢٨ .
- (٢٦) نفسه ، س ٨ ، ق ١ ، ص ١٦٥ .
- (٢٧) نفسه ، ص ١٧٤ . ١٧٥ .
- (٢٨) نفسه ، س ٥ ، ق ١ ، ص ٢٧٤ .
- (٢٩) ابن أبي أصيبعة ، مصدر سابق ص ٥٣٤ .
- (٣٠) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ٨ ، ق ٢ ، ص ٤٦٨ ، سامية إجمد قريمية ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .
- (٣١) أحمد شوقي بنين ، مصدر سابق ، ص ٥٩ .
- (٣٢) نفسه ، ص ٦٠ .
- (٣٣) محمد المنوني : حضارة الموحدين ، ص ٢٠٤ .
- (٣٤) نفسه ، ص ٢٠٥ .



- (٣٥) نفسه ، ص ٢٠٨ .
- (٣٦) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ٨ ، ق ١ ، ص ١٩٧ .
- (٣٧) أحمد شوقي بنين ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .
- (٣٨) ابن الزبير : صلة الصلة ، تحقيق : عبد السلام الهراس ، سعيد أعراب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط ، ١٩٩٤ ، ق ٥ ، ملحق الأعلام ، ترجمة ١٥٥ ، ص ٣٨٤ .
- (٣٩) ابن القاضي : جذوة الاقتباس فيمن حل بمدينة فاس ، دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧٣ ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .
- (٤٠) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ٨ ، ق ١ ، ص ٢٥٨ .
- (٤١) المقرئ : أزهار الرياض ، ج ١ ، ص ٢٤ عبد الهادي التازي : جامع القرويين ، دار نشر المعرفة ، الرباط ، ١٩٧٣ ، ج ١ ، ص ١٢٤ .
- (٤٢) ابن الزيات : التشوف إلى رجال التصوف ، تحقيق : أحمد التوفيق ، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، ط ٢ ، ١٩٩٧ ، ص ٣٣٢ . ٣٣٤ .
- (٤٣) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ٨ ، ق ٢ ، ص ٥٤٣ . ٥٤٤ ، عبد الهادي التازي ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٢٣ .
- (٤٤) ابن القاضي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ ، عبد الهادي التازي ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٢٣ .
- (٤٥) محمد المنوني : حضارة الموحدين ، ص ١٨٧ .
- (٤٦) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ٨ ، ق ١ ، ص ٣٥١ .
- (٤٧) ابن الأبار : المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ، تحقيق : إبراهيم الابباري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ص ١٩٩ . ٢٠٠ .
- (٤٨) ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق : عبد السلام الهراس ، دار الفكر ، ١٩٩٥ ، ج ٢ ، ص ٣٠ . ٣١ .
- (٤٩) ابن أبي أصيبعة ، مصدر سابق ، ص ٥٣٤ ، محمد المنوني : حضارة الموحدين ، ص ١٨٨ .
- (٥٠) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ١ ، ق ١ ، ص ٢٢٩ .
- (٥١) العباس بن إبراهيم ، الإعلام بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام ، المطبعة الملكية ، الرباط ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .
- (٥٢) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ٨ ، ق ١ ، ص ١٧٦ . ١٩٤ .
- (٥٣) محمد المنوني : حضارة الموحدين ، ص ١٨٨ .
- (٥٤) السيوطي بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ ، ج ١ ، ص ٢٤١ .
- (٥٥) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ٨ ، ق ١ ، ص ٢٦٥ ، محمد المنوني : حضارة الموحدين ، ص ١٨٨ .
- (٥٦) المصدر نفسه ، ص ٣١٨ .

- (٥٧) ابن الزيات ، مصدر سابق ، ٢٥٩ .
- (٥٨) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ٨ ، ق ١ ، ص ١٩٧ .
- (٥٩) المراكشي ، مصدر سابق ، ص ٣١٠ ، أحمد شوقي بنين ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .
- (٦٠) محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب، الرباط، ط٢، ١٩٧٧، ص ٢٨٤.
- (٦١) نفسه ، ص ٢٨٥ ، أحمد شوقي بنين ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .
- (٦٢) ابن أبي زرع : الأنييس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٢ ، ص ٤٩ ، محمد المنوني : تاريخ الوراقة المغربية ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ١٩٩١ ، ص ٣٣ .
- (٦٣) عبد الهادي التازي ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٢٤ .
- (٦٤) محمد المنوني : تاريخ الوراقة المغربية ، ص ٣٣ .
- (٦٥) نفسه ، ص ٢٨ . ٢٩ .
- (٦٦) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ١ ، ق ١ ، ص ٢٢٩ .
- (٦٧) ابن القاضي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٥ .
- (٦٨) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ٨ ، ق ١ ، ص ٢٦٥ ، محمد المنوني : تاريخ الوراقة المغربية ، ص ٣٤ .
- (٦٩) ابن القاضي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٢٠ . ٢٢١ .
- (٧٠) ابن أبي زرع ، مصدر سابق ، ص ٧٢ ، محمد المنوني : تاريخ الوراقة المغربية ، ص ٣٥ .
- (٧١) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ٨ ، ق ١ ، ص ١٦٥ .
- (٧٢) محمد المنوني : تاريخ الوراقة المغربية ، ص ٣٥ .
- (٧٣) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ٨ ، ق ١ ، ص ٢٦٤ . ٢٦٥ .
- (٧٤) السيوطي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٨١ .
- (٧٥) سحر السيد عبد العزيز سالم : مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي (منذ نشأتها حتى نهاية عصر بني مرين) مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٦ ، ص ١٠٧ .
- (٧٦) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ٨ ، ق ٢ ، ص ٤٨٧ .
- (٧٧) نفسه ، ص ٤٩٣ .
- (٧٨) نفسه ، س ١ ، ق ١ ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٥ .
- (٧٩) نفسه ، س ٥ ، ق ٢ ، ص ٥٠٦ .
- (٨٠) نفسه ، س ٥ ، س ١ ، ص ٤١٤ .
- (٨١) محمد المنوني : تاريخ الوراقة المغربية ، ص ٣٨ . ٤٠ .
- (٨٢) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، س ١ ، ق ٢ ، ص ٤٢٢ .

- (٨٣) نفسه ، ص ٥٥٣ . ٥٥٤ ، محمد المنوني : تاريخ الوراق المغربية ، ص ٤٠ .
- (٨٤) سحر السيد عبد العزيز سالم ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ .
- (٨٥) ابن أبي إصبعة ، مرجع سابق ، ص ٥٣٤ . ٥٣٥ .
- (٨٦) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، ص ٨ ، ق ١ ، ص ٢١٣ .
- (٨٧) محمد المنوني : تاريخ الوراق المغربية ، ص ٤٢ .
- (٨٨) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، ص ٨ ، ق ١ ، ص ٣٤٥ . ٣٤٨ .
- (٨٩) الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب ، تحقيق: إبراهيم طلاوي ، مطبعة البعث ، الجزائر ، (د.ت) ، ج ٢ ، ص ٤٩٢ .
- (٩٠) ابن القاضي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٦٩ .
- (٩١) أحمد شوقي بنين ، مرجع سابق ، ص ١٧٥ .
- (٩٢) عبد الله كنون : كتاب التيسير في صناعة التفسير ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٥٩ . ١٩٦٠ ، ص ٤٠ .
- (٩٣) المراكشي ، مصدر سابق ، ص ٢٣٧ .
- (٩٤) نفسه ، ص ٣٥٤ .
- (٩٥) أحمد شوقي بنين ، مرجع سابق ، ص ١٧٩ .
- (٩٦) المراكشي ، مصدر سابق ، ص ٣٨٥ .
- (٩٧) أحمد شوقي بنين ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .
- (٩٨) ابن عبد الملك ، مصدر سابق ، سفر ٨ ، ق ١ ، ص ١٧٤ .
- (٩٩) أحمد شوقي بنين ، مرجع سابق ، ص ١٨٥ .
- (١٠٠) ابن أبي زرع ، مصدر سابق ، ص ٤٩ .

# **الحياة الثقافية للأندلسيين بعد سقوط**

**غرناطة ( ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م )**

**أ.د. وجدان فريق عناد / مركز إحياء التراث العلمي العربي**

**- جامعة بغداد**

**The cultural life of the Andalusians after the  
fall of Granada (897 AH / 1492 AD)**

**Prof. Dr. Wijdan Fareeq Enad / Revival of Arab Scientific**

**Heritage Center - University of Baghdad**

## الحياة الثقافية للأندلسيين بعد سقوط غرناطة ( ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م )

أ.د. وجردان فريق عناد

مركز إحياء التراث العلمي العربي - جامعة بغداد

### الملخص

عاش الأندلسيون حياة صعبة بعد سقوط غرناطة ، فكانوا صورة للصراع بين حضارة الإسلامية والحضارة الغربية ، ويمكن ان نلمس ذلك الصراع من خلال دراسة الحياة الثقافية لهم بعد استسلام مدينتهم وانتهاء الحكم الاسلامي فيها الامر الذي ترك اثر واضح في نتاجهم الثقافي الذي عكس صور تاريخية هامة عن تلك الحقبة الزمنية .

الكلمات المفتاحية : الحياة الثقافية ، الاندلسيون ، غرناطة .

**The cultural life of the Andalusians after the fall of Granada (897  
AH / 1492 AD)**

**Prof. Dr. Wijdan Fareeq Enad**

**Revival of Arab Scientific Heritage Center – University of Baghdad**

**Abstract**

Andalusians lived a difficult life after the fall of Granada, so they were a picture of the conflict between the Islamic civilization and the Western civilization, and we can see that conflict by studying the cultural life of them after the surrender of their city and the end of Islamic rule in it, which left a clear impact on their cultural production, which reflected important historical images of those time period.

.Keywords: cultural life, Andalusians, Granada

## المقدمة

لا يمكن الكتابة عن " الحياة الثقافية للأندلسيين بعد إنتهاء الحكم الإسلامي في غرناطة" دون أن استشعار الألم الذي عاشه الأندلسيون بعد انتهاء الحكم الإسلامي فيها، لقد كان الاضطهاد والتعذيب الوحشي باسم الدين والحرق والعقوبات الاقتصادية والسجن والعبودية والعمل مدى الحياة والطرده هو المصير المحتوم لهم، عاشوا مراقبين معرضين للاعتقال في كل زمان ومكان، ولم يكن لهم حق الاعتراض والدفاع عن أنفسهم، فأى تهمة ووشاية كاذبة من شخص واحد تكفي لمثول الأندلسي أمام محاكم التفتيش التي تصدر أحكامها القاسية التي يجب أن تنفذ خلال خمسة أيام، دون أن يكون للمتهم حق الاستئناف، فلو استعرضنا حياتهم العامة في كل المحاور فسنجد أنها تدور بنفس الوتيرة فالحياة الدينية للأندلسيين في ظل السلطة الحاكمة المسيحية والمتعصبة للكثلكة، كانت هي الفيصل الذي تحكم في طبيعة العلاقة بينهما، إذ سعت قشتالة إلى جعلهم مسيحيين من خلال المراسيم والقوانين التي صدرت في تلك الحقبة .

وعند الانتقال إلى الحياة الاقتصادية، فسرى أن الأندلسيين يملكون مفاتيح الحياة الاقتصادية، فالأندلسي يملك الخبرة والمهارة والرغبة في العمل والمال، لذلك كان العامل الاقتصادي الرديف للعامل الديني في تحديد ملامح العلاقة بين المسيحيين والأندلسيين ، أما الحياة الاجتماعية، فهناك الكثير من التغيرات التي طرأت على حياة الأندلسيين الاجتماعية بعد انتهاء الحكم الإسلامي، وما فرضته عليهم القوانين الملكية الصادرة من أوامر تتعلق بالأسماء والملابس والطعام والزينة ومراسيم الزواج والولادة والموت . كل ذلك أنعكس على الحياة الثقافية والسياسية ، فكانت المرأة التي يمكن من خلالها الوصول إلى العديد من الحقائق التاريخية عن تلك الحقبة الزمنية ، فإعلان الانتفاضات والثورات كان للمطالبة بحقوقهم الطبيعية في الحياة العامة (الدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ) .

سيركز البحث على جانب من جوانب حياة الأندلسيين إلا وهو الجانب الثقافي مبينا أثرها في الحياة العامة لهم .

## - الحياة الثقافية للأندلسيين بعد إنتهاء الحكم الإسلامي في غرناطة

كانت الحياة الثقافية قبل انتهاء الحكم الإسلامي في الأندلس مزدهرة في مختلف الجوانب، ونتيجة لذلك فقد انتشرت المكتبات على مستوى الأفراد والأسر والمؤسسات العلمية، ومع ازدياد الخطر النصراني وتمكنه من السيطرة على المدن والحوضر الأندلسية كانت الكتب والمكتبات تنتقل مع انتقال الأندلسيين إلى المدن الآمنة والبعيدة عن الخطر النصراني . وفي أواخر القرن التاسع غدت مكتبة غرناطة هي المكتبة الأندلسية بكل روافدها، حتى وصل عدد الكتب فيها إلى مليوني كتاب، في مقدمتها كتب القرآن الكريم وعلومه وكتب الحديث والفقه، ثم كتب علوم اللغة العربية والتاريخ والجغرافية وعلوم الفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك والطب، فضلاً عن الكتب المدونة بغير اللغة العربية<sup>١</sup>.

إلا أن تلك المكتبة تعرضت إلى مصير مؤلم تمثل بالأوامر الملكية بإحراق الكتب في باب الرملة، وقام اسقف طليطلة ثينيروس بتنفيذ تلك المحرقة، فقد أمر الملكان الكاثوليكيان إيزابيلا وفرناندو بجمع الكتب من المكتبات العامة والخاصة وإحراقها، وقد دمر عدد الكتب التي أحرقت بأنها تجاوزت نصف مليون كتاب، ثم صدرت الأوامر التي تأمر الأندلسيين بتسليم ما بحوزتهم من الكتب، التي جمعت بكمية هائلة وأشعلت فيها النيران، ثم بدأت حملات للتفتيش عن الكتب فلم تقتنع السلطة المسيحية الحاكمة بأن مسلمي الأندلس قد سلموا كل الكتب، فجمعوا من حملات التفتيش عشرات الألوف من الكتب التي أحرقت أيضاً، ومع ذلك فقد وجدت السلطة المسيحية الحاكمة بعد ستين سنة أن الأندلسيين لا يزالون محتفظين في أعماقهم بعقيدتهم الإسلامية، وأن تلك العقيدة موجودة في الكتب التي لا يزالون محتفظين بها، وأن تلك الكتب هي السبب الذي يجعلهم محتفظين بشخصيتهم رغم كل الضغوط التي تمارس عليهم، فصدرت الأوامر عام ١٠٨٦هـ / ١٦٥٧م بتحريم الكتب الإسلامية، ومن وجد محتفظ بكتاب سيكون مصيره أقسى أنواع التعذيب، وقد وقع حريق في مكتبة غرناطة قضى على البقية الضئيلة الباقية من الكتب، وربما كان الحريق مفتعل من أجل التخلص نهائياً من كل ما له علاقة بالمسلمين<sup>٢</sup>.



وكانت الظروف العامة التي عاش فيها الأندلسيون بعد سقوط غرناطة صعبة جداً، إلا أنهم كانوا يملكون التفوق العلمي في مختلف المجالات، ومع أنهم لم يكونوا يملكون الحرية الفكرية للكتابة والتدوين، إلا أنه يمكن تلمس ذلك التفوق من خلال جوانب عديدة منها:-

١- كانت لغة الألخميادو هي أحد الأساليب التي لجأ إليها الأندلسيون من أجل المحافظة على هويتهم الإسلامية أمام التعصب الديني المسيحي الذي تمثله محاكم التفتيش، فمن خلال ذلك الأدب حفظ التراث الإسلامي، ونقل إلى الأجيال التالية، فقد قام مجموعة من العلماء المسلمين الذين شعروا بخطورة ضياع التراث الإسلامي، واحتمال نسيانه بسبب حظر استعمال اللغة العربية، فضلاً عن تعرضهم لأقسى أنواع التعذيب والتضييق الديني من قبل محاكم التفتيش، فكانت تعاليم الإسلام من أهم المواضيع التي دونت باللغة الألخميادو فهو أدب ديني إسلامي دون معظمه خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وكان أدب الألخميادو أحد أهم رموز تمسك الأندلسيين بدينهم، فمن خلاله عبروا عن المحن التي كانوا يتعرضون لها والتعذيب والقتل والتشريد وسلب الحريات والحقوق على يد محاكم التفتيش<sup>٣</sup>. ومن أشهر المؤلفات الدينية كتاب سيغوبيا للمؤلف إيثة دي خيبير (Ice de Gebir) وهو كتاب عن الشعائر الإسلامية مشهور باسم كتاب سيغوبيا وكان ذائع الصيت في تلك الحقبة<sup>٤</sup>.

كما تم العثور على عدد من المصاحف الأندلسية المخطوطة التي يرجح الخبراء أنها مكتوبة بيد الأندلسيين بعد انتهاء الحكم الإسلامي في الأندلس<sup>٥</sup>، وتعد الكتابات المعروفة باسم كتب الرصاص آخر المؤلفات التي دونت في الأندلس بلغة عربية، والتي لا يزال يحيطها الغموض، لأنها نصوص مسيحية لاهوتية عثر عليها في سنة ١٥٨٨م و١٥٩٥م، تراعي العقيدة الإسلامية وفيها كلمات وعبارات من القرآن والمصادر الإسلامية<sup>٦</sup>.

ولابد من الإشارة إلى تأليف القواميس وكتب القواعد، حيث حاول بعض رجال الدين تعلم العربية من أجل تنصير وتثقيف الأندلسيين ومحو آثار الحضارة الإسلامية، فظهرت إلى جانب هؤلاء مجموعة من المترجمين الناطقين باللغة العربية والقشتالية، وكان من بينهم مسلمون تنصروا، ومن بينهم ألونسو دل كاستيو، وهو مسيحي النشأة كان والده من المسلمين الذين أُجبروا على التنصر، وبفضل تمكنه من العربية والقشتالية عمل مترجماً محلفاً في ديوان الملوك الإسبان

وتعاون مع محاكم التفتيش، ولكن حبه للغة العربية وثقافتها، دفعته إلى جمع الأمثال الشعبية الأندلسية في كتاب ألفه في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وجمع فيه ١٦٠٠ مثل، فمن خلال هذا الكتاب تبدو اللغة الأندلسية المحكية في آخر العهود الأندلسية، وهي دليل على تمسك الأندلسيين بلغتهم رغم الظروف الصعبة وبسبب تحريم اللغة العربية فضل عدم نشر الكتاب.<sup>٧</sup>

كانت اللغة العربية موضع اعتزاز من قبل الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، لكونها لغة القرآن الكريم، فضلاً عن كونها رمز الاعتزاز بالهوية والشخصية الإسلامية، لأن هناك ترابط بين اللغة والدين، وكان استعمالها في كتابة الأدب الألمخيادو من أجل إخفاء التراث الإسلامي بحروف يصعب قراءتها على غير المسلمين، ويبدو أن السلطات تنهت إلى ذلك، فأصبح استخدام اللغة العربية سبباً لتوجيه التهم لهم، واستحقاقهم أقسى أنواع التعذيب.<sup>٨</sup>

ومن الدلائل على تمسك الأندلسيين باللغة العربية هو العدد الكبير من الكلمات والمصطلحات العربية في أدبهم، على الرغم من معرفتهم بالكلمات الإسبانية، وهم كانوا يعتقدون أن مدلول الكلمة باللغة العربية هو تأكيد على مضمونها الإسلامي، وأن المقابل لتلك المفردات بالأسباني لا يفي معناه الحقيقي باللغة العربية، فضلاً عن أن استعمال ما يقابلها بالأسباني هو إفراغ لمفهومها الإسلامي، وإن تصفح أي مخطوط من المخطوطات في الأدب الألمخيادو نجد أصرار على استخدام المفردات العربية مثل الصلاة، والزكاة، والحج، والأذان، والركوع، والوضوء، والقبلة، والجهاد، والجنة، والنار وغيرها.<sup>٩</sup>

وخير دليل على ذلك مسلمي أرغون الذين فقدوا لغتهم للتواصل والمخاطبة فيما بينهم ولاسيما في القرون الأخيرة من بقائهم في إسبانيا، حتى إنهم اضطروا من أجل المحافظة على شعائرهم الإسلامية وتقاليدهم وعاداتهم إلى ترجمة القرآن الكريم والحديث النبوي والكتب الفقهية إلى اللغة الفشتالية، ولكنهم كتبوها بحروف عربية، بلغة الألمخيادو، مع احتفاظهم سراً بكتب عربية، ومن المؤلفات التي عثر عليها مخطوطة من القرن الخامس عشر الميلادي "حديث ذي القرنين" مكتوبة بلغة تجمع بين العربية الفصحى وعامية أهل الأندلس.<sup>١٠</sup>

ومن المهم الإشارة إلى أن المؤلفات الكثيرة التي وضعها الأندلسيون خلال تلك الحقبة، لم يبق منها إلا الشيء القليل، بسبب الحرق من قبل محاكم التفتيش التي كانت تجرم كل ما هو عربي، لاسيما ما هو ذو طابع ديني<sup>١١</sup>.

٢- الآثار التي تركوها في البلاد التي هاجروا إليها : يمكن تلمس المؤهلات العلمية للأندلسيين من انجازاتهم في البلدان التي وصلوا إليها، فقد استقبلهم الوالي العثماني الداوي في تونس، ومنحهم الأراضي والدور، وعمل<sup>١٢</sup> على الإفادة من خبرتهم المهنية، وإجادتهم اللغة القشتالية، والأساليب الحربية البحرية، وبنوا أكثر من عشرين مدينة لا تزال معالمها الأندلسية واضحة<sup>١٣</sup>، وزرعوا الكروم والزيتون والبساتين وعبدوا الطرقات<sup>١٤</sup>.

وفي تونس أعتنت الجالية الأندلسية بجلب الماء إلى القرى التي سكنوا فيها على سبيل المثال قرية غار الملح التي تقع على بعد ٣٧ كم شمال العاصمة التونسية، فهذه القرية تنزود بالماء من خلال قناة تسير تحت الأرض وتخترق وادي فوق قنطرة مبنية بالحجارة بنيت سنة ١٦٤٠م لتزود الميناء وسفن الجهاد البحري بالماء الكافي، ويبدو أن لوجود الجالية اندلسية ووجود المعلم موسى الغرناطي الذي يملك خبرة هندسية دور فعال في بناء ميناء الجزائر وبناء تلك القناة<sup>١٥</sup>.

٣- الشعر: لقد وصلت إلينا بعض الأشعار التي كان الأندلسيين يرددونها خلال تلك الحقبة، منها ما نظم في رثاء الأندلس<sup>١٦</sup>، ومنها ما عبر عن الحزن والألم الذي يعتصر قلوبهم من المعاناة القاسية التي يعيشونها في حياتهم اليومية، فكانت أشعار تلك الحقبة مصدر للمعلومة التاريخية، ومنها على سبيل المثال أبيات بالقشتالية حزينة لا يعرف مؤلفها، نظمت قبيل تنفيذ قرار الطرد النهائي في عهد فيليب الثالث .

يقولون أن علينا الرحيل

تباعا إلى أرضنا الطيبة

هناك الجبال وراء الجبال

من التبر والفضة الخالصة

لقد ذل من يبتغي طردنا

لنذهب معا أخوتي

لنذهب معا كلنا

إلى الخير والوفر يا أخوتي

إلى أمة من العرب مثلنا<sup>١٧</sup>.

تميز الشعر الأندلسي خلال تلك الحقبة بأنه من الشعر الشعبي، وموضوعه الأبرز النقد والاستهزاء بالديانة المسيحية، وهذا النوع من الشعر ازدهر في البلدان التي هاجر إليها الأندلسيون، ومن شعراء تلك الحقبة الشاعر خوان ألونسو أرقوناس خلال القرن السابع عشر الميلادي<sup>١٨</sup>، وكذلك محمد ربدان من أرغون والذي هاجر إلى تونس في أوائل القرن السابع عشر الميلادي، فقد ذكر في كتابه أسماء الله الحسنى باللغة العربية واللغة الألميايدية بشكل أبيات شعرية قصيرة<sup>١٩</sup>.

٤- الترجمة : أجاد الأندلسيون الترجمة وذلك لمعرفتهم باللغة القشتالية وغيرها من اللغات الأوروبية، فكان لهم دور كبير في المعاهدات والمراسلات وترجمة الكتب العلمية ومنهم عميد الترجمة أحمد بن قاسم الحجري<sup>٢٠</sup>.

٥- الطب والصيدلة : كان الأطباء الأندلسيون ماهرون في علاج المرضى، وبرعوا في العلاج، وصناعة الادوية، وفي التعليم، فقرّبهم الحكام وأغدقوا عليهم المكافأة والعطاء، ومن أولئك أبو القاسم الوزير بن محمد الغساني الذي كانت له مؤلفات كثيرة في الطب والصيدلة، وعلي بن إبراهيم الأندلسي، وعبد الواحد بن محمد غريط الأندلسي<sup>٢١</sup>. وفي جنيف وصل من مدينة تولوز الفرنسية الأندلسي أبو زيد المعروف باسم السنيور أبو زيد، وهو من عائلة مشهورة بالطب، وكان من المعاصرين لفولتير وروسو ونيوتن، وكان فولتير يسميه صديقنا العربي<sup>٢٢</sup>.

٦- الرياضيات والفلك والهندسة : كان الأندلسيون بارعون في تلك العلوم، ومنهم أحمد بن معيوف الأندلسي، ومحمد بن أحمد الأندلسي الصحري، ومحمد بن عبد العزيز الأندلسي وغيرهم، وكان لهم مؤلفات مهمة في هذا المجال من العلوم<sup>٢٣</sup>.

٧- الموسيقى : كانت الموسيقى الأندلسية مؤثرة في الأنغام المغربية، التي تأثرت بمدرسة اشبيلية الموسيقية منذ عهد المرابطين وإلى عهد المرينيين، ثم جاءت مدرسة غرناطة الموسيقية التي

استمر تأثيرها حتى بسط الحماية على المغرب . وتبدو التأثيرات الأندلسية واضحة ولاسيما عند الاحتفال بالمولد النبوي<sup>٢٤</sup>، وفي دخول أنماط موسيقية جديدة وتطوير بعض الأنماط الموسيقية التقليدية<sup>٢٥</sup> .

٨- الفنون الحربية : كانت المراكز الجهادية البحرية منتشرة على سواحل المغرب، وكان للأندلسيين دور بارز فيها للانتقام من الاسبان الذين اضطهدهم ونفوهم، ومنهم إبراهيم بن غانم الرباش الغرناطي، الذي كان يملك معرفة عالية في استعمال المدافع، وهو مؤلف كتاب "العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع" وهو من أهم الكتب في مجاله<sup>٢٦</sup> .

٩- العمارة : حمل الأندلسيون معهم فنون العمارة الأندلسية، فشيّدوا القصور والدور بالطرز الأندلسية، فقد كانوا بارعين في النحت والنقش والتتميق والزخرفة بالذهب والأصباغ، وصناعة الزليج الذي تزين به الحيطان، وصناعة الجبس لعمل الحنايا<sup>٢٧</sup> . فعمروا الارض وبنوا القلاع والجسور والمدن، فمدينة تطوان عمرها أبو الحسن المنظري الأندلسي (ت ١٥٠٤م) وكان منها يهاجم السفن والمدن الاسبانية<sup>٢٨</sup> .

١٠- الزراعة : في مجال الزراعة أدخلوا الى بلاد المنفى مهاراتهم الزراعية والإروائية، وحملوا معهم منتوجات من العالم الجديد مثل الطماطة (البندورة)، والبطاطا، وأنواع الفلفل الأخضر والأحمر، وأنواع من التوابل، فضلاً عن زراعتهم المنتوجات الزراعية الأخرى .

١١- الصناعة والتجارة : كان على الاندلسيين المنفيين التعامل في بلدان نفيهم مع مشاكل الحياة الجديدة في النواحي المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التي مع الوقت تمكنوا من التغلب عليها، والمشاركة في بناء المجتمع، من خلال مهاراتهم وعلومهم وحضارتهم، فعلى سبيل المثال صناعة دباغة الجلود وتكرير القصب وصناعة الخزف والأسلحة والسفن والبلاط المُرَجَج الملون وغيرها من الصناعات، التي كان لكل منها نقيب وسوق خاص بها<sup>٢٩</sup> .

كذلك برعوا في التجارة والصناعات التقليدية مثل صناعة الشاشية (الطرابيش الصغيرة)، ففي تونس أصبح لهم سوق خاص قرب جامع الزيتونة، حتى غدت تونس في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي من أهم مصادر إنتاج الشاشية في الدولة العثمانية<sup>٣٠</sup> .

يمكننا القول إن التفوق الثقافي للأندلسيين واضح من آثارهم في البلاد التي هاجروا إليها، إذ شيدوا الحضارة الأندلسية من جديد، فأبدعوا في الانتاج الشعري والادبي المميز، وأحيوا الموسيقى الأندلسية بالزجل الشعري، وأقاموا هندسة عمرانية وصناعة، وزرعوا النباتات التي نقلوها معهم، وكانوا بحارة كان لهم وجود مهم بسفنهم ومراكبهم في المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، فضلاً عن دور المرأة الأندلسية في إحياء الحياكة<sup>٣١</sup>.

ولابد من الذكر أن معاهدة تسليم غرناطة أنهت الوجود السياسي للأندلسيين، كما حاولت القضاء على الوجود الحضاري، من خلال القضاء على ذلك الإرث الضخم الذي لم يبق منه غير بضعة الآف مخطوطة في الاسكوريال، وبعض المدن الإسبانية الأخرى، وفي مكاتب دول العالم والمتاحف، هي كل ماتبقى من المؤلفات التي أحرقتها الإسبان . وفي مجال العمارة يوجد قصر الحمراء وحي البيازين، والمسجد الكبير في قرطبة، وبقايا مدينة الزهراء، والمئذنة والقصر في اشبيلية، وآثار أخرى متناثرة في بقية المدن، وهي في الحقيقة جزء قليل جداً من الإرث الحضاري الضخم، الذي تعرض إلى الدمار المتعمد، فالمساجد حولت إلى كنائس، وأدخلت عليها إضافات شوهت المباني وجعلتها قبيحة، وفي العمارة العسكرية الإسلامية بقي نحو (٤٠٠) قلعة تصور تطور العمارة والفن، فضلاً عن الحصون والحمامات . أن التأثير الأندلسي يبدو واضحاً في ما يعرف اليوم بإقليمي أندلوثيا وبلنسية، حيث الأزقة لا يزال بعضها محتفظ بالاسم الأندلسي، أن الحقيقة الساطعة عن التأثيرات التي لا تعد ولا تحصى ممكن أن نجدها تحت الغطاء القشتالي الذي حاول جاهداً طمس كل معالمه في الأدب والفنون والأساطير والقصص ولوحات الرسامين، وهم عاجزين عن مسح تاريخهم الذي هو تاريخ الأندلسيين<sup>٣٢</sup>.

#### الخاتمة :

من البحث المعنون "الحياة الثقافية للأندلسيين بعد سقوط غرناطة ( ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م ) " يمكننا القول ان النتاج الثقافي الذي تركه الاندلسيون عن تلك الحقبة كان فيه دلائل تثير درب الباحث الدارس لتلك المدة الزمنية في الوصول إلى العديد من البراهين التاريخية ، على أنهم عاشوا مأساة إنسانية قاسية فصراع الديني والعنصري شمل كل جوانب الحياة العامة، وكانت الغاية من ورائه الإبادة الجماعية للأندلسيين.

ولم تكن الحرب الفكرية بعيدة عن ذلك الصراع ، فكان محرم على الأندلسيين الكتابة باللغة العربية وامتلاك الكتب العربية ومن يخالف ذلك عقوبته قاسية فضلا عن حرق أعداد كبيرة من المؤلفات العربية في ساحة باب الرملة . ومع ذلك كانت لهم حياة ثقافية بالقدر الممكن انذاك مؤكدين بذلك تمسكهم بثقافتهم وحرصهم على نقلها من جيل الى اخر .

## الهوامش

<sup>١</sup> - حامد غنيم ابو سعيد، مكتبة غرناطة الإسلامية والمصير الذي آلت اليه، بحث منشور في : عبد الجليل التميمي، أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، ١٩٩٣، ٢ / ٢٦٥-٢٦٦ .

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه ، ٢ / ٢٦٥ - ٢٦٦ .

<sup>٣</sup>-Alvaro Galmes de Fuentes, La lengua española de la literatura aljamiado- morisca comex presión de una minoría religiosa, Espanola de Lingüística, Año 16, fasc 1, Enero- Junio 1986 .

<sup>٤</sup> - ليونارد باتريك هارفي تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي . بحث منشور في . سلمى الخضراء الجيوسي ، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ج ١ ، ط ٢ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٩ ؛

L.p. Harvey, Muslims in Spain 1500-1614, university of chicogo press, Chicago- London, 2005, op.cit, p.380-398.

<sup>٥</sup> - إغناثيون كوتيرث دي تران كومث بنيتا، النقوش الكتابية في اسبانيا وصناعة الأحرف على المواد الصلبة، بحث منشور في: ماء العينين ماء العينين العتيق، اللغة العربية في اسبانيا، الرياض، ٢٠١٥، ص ١١٧ .

<sup>٦</sup> - Mercedes Garcia Arenaly Fernando Rodriguez Mediano, Un Oriente Espnol los moriscos y el sacromonte en tiempos de contrarre forma, Marcial Pons Historria, 2010, p.33 ;

ليونارد باتريك هارفي، تاريخ الموريسكيين، ١ / ٣٤٩-٣٥٠ .

<sup>٧</sup> - ترجم هذا الكتاب الى الأسبانية كورينطي وبوزينب . ينظر :- إغناثيون فيراندو فروتوس، التداخل بين اللغتين العربية والإسبانية، بحث منشور في: ماء العينين ماء العينين العتيق، اللغة العربية في إسبانيا، الرياض، ٢٠١٥، ص ٦٨-٦٩ ؛

L.p. Harvey, op.cit, p. 264-290.

<sup>8</sup>- Abdel latif Mohammed M. seery, La Identidad Arabo Islámica de los Moriscos A Traves de la literatura Aljamiada, Publicado, in: Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993, 2/166-168

<sup>9</sup> - Abdel latif Mohammed M. seery, op.cit, 2/167-168; L.p. Harvey, op.cit, p. 264-290.

<sup>10</sup> - إغناثيون فيراندو فروتوس، التداخل بين اللغتين العربية والإسبانية ، ص ٦٨-٦٩.

<sup>11</sup> - عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، تاريخ ١٠٠ عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٣٣٠؛ عن أخبار الأندلسيين المنفيين في منفاهم، ينظر :- الحجاري، أحمد بن قاسم . ناصر الدين على القوم الكافرين مختصر رحلة شهاب إلى لقاء الأحباب، تحقيق محمد رزق ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ ؛

L.p. Harvey, op.cit,p. 122-200.

<sup>12</sup> - حول الاندلسيين المنفيين في بلاد المغرب الإسلامي ينظر: الناصري، أبو العباس احمد بن خالد. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧، ج٢، ص ١٦٦؛المقري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ). نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، د.م ، د.ت ، ج ٤ ، ص٥٢٧-٥٢٨؛ عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ٣٣٦.

<sup>13</sup> - محمد حجي، الموريسكيون والجهاد البحري في المغرب الكبير، في: الموريسكيون في المغرب، منشور أكاديمية المملكة المغربية الندوة الثانية ٢٢-٢٤ جمادى الثاني ٢١-٢٣ شتبر، شفشاون، ٢٠٠٠، ص ٧١.

<sup>14</sup>-Abdelhakim Gafsi, La decouverte d' une conduit d'eau dans un village morisco – andalous en Tunisie: ghar el melh. in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993, vol. 2, p238-239 ;

ناصر الدين سيعدونني، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي، مجلة الدراسات التاريخية، دمشق، العدد الخامس، السنة ١٩٨١، ص ص ٥٦-٧٦.

<sup>15</sup> - عبد الرحمن الحجي، قصيدة رائعة في رثاء الأندلس لشاعر أندلسي مجهول، مجلة المناهل، العدد ٢٨، السنة العاشرة، ص ٣٤٢، ١٩٨٣، ٣٦٠؛ حسن الوراكلي، ملامح من صورة الموريسكي في الأدب الإسباني، مجلة المناهل، العدد ٢٨، السنة العاشرة، ١٩٨٣، ص ١٥٤-١٩٧.



١٧- عادل سعيد بشتاوي، الموارد، ص ٣١٤؛ لوي كاردياك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية ١٤٩٢-١٦٤٠ مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين في أمريكا، ترجمة عبد الجليل التميمي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر- تونس، ١٩٨٣، ص ٨٣.

18- Ridha Mami, Juan Alonso Aragones :Romancista morisco del siglo xvii . in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993 ,vol .2, p. 248.

19- Antonio Vespertion Rodriguez, los acm Allah al- ucna en la literature aljamiado – morisco. in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993,vol 2, p. 255.

20- Mercedes Garcia Arenal, op.cit, p.١10-127;

محمد رزق، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦ و١٧ الميلادي، الدار البيضاء، ١٩٨٩، ص ٢٧٧-٢٧٩ .

٢١- محمد رزق، الأندلسيون وهجرتهم، ص ص ٢٧٤-٢٧٥ .

٢٢- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ٣٤٠-٣٤٣؛ ليونارد باتريك هارفي، تاريخ الموريسكيين، ٣٥٢/١-٣٥٣ .

٢٣- محمد رزق، الأندلسيون وهجرتهم، ص ص ٢٧٦-٢٧٧ .

٢٤- محمد رزق، الأندلسيون وهجرتهم، ص ص ٢٩٧-٢٩٨ ؛

Rachel Arie , Espana Musulmana siglos v111-xv, p.315-320.

٢٥- عباس الجراري، التأثير الموريسكي في الطرب المغربي، في : الموريسكيون في المغرب، منشور أكاديمية المملكة المغربية الندوة الثانية ٢٢-٢٤ جمادى الثاني ٢١-٢٣ شتنبر، شفشاون ، ٢٠٠٠، ص ٢٠٤ ؛

Rachel Arie, Espana Musulmana siglos viii-xv, p.315-320.

٢٦- محمد حجي، الموريسكيون والجهاد البحري، ص ٧١.

-Vin cent Barletta,covert gestures, p. 2-29

٢٧- محمد رزق، الأندلسيون وهجرتهم، ص ص ٢٩٨-٢٩٩ . ينظر كذلك :-

Carmen Gonzalez Roman, La carpintería de armar, malaga , 2012, p. 21-30 .

٢٨- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ٣٤٠-٣٤٣؛ ليونارد باتريك هارفي، تاريخ الموريسكيين، ٣٥٢/١-٣٥٣ .

٢٩- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ٣٤٠-٣٤٣؛ ليونارد باتريك هارفي، تاريخ الموريسكيين، ٣٥٢/١-٣٥٣ .

- ٣٠- حول النشاطات الاقتصادية للأندلسيين في بلاد المنفى ينظر :- ناصر الدين سيعدونى، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر، ص ص ٥٦-٧٦.
- ٣١- الحسن السائح، إشعاع الموريسكيين في المغرب الأقصى، في: أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، ١٩٩٣ ، ٢ / ٢٦٠؛ ناصر الدين سيعدونى، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر، ص ص ٥٦-٧٦.
- عادل سعيد بشتاوي، عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، تاريخ ١٠٠ عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.

### قائمة المصادر والمراجع

#### - المصادر

- ١- الحجري، أحمد بن قاسم . ناصر الدين على القوم الكافرين مختصر رحلة شهاب إلى لقاء الأحباب، تحقيق محمد رزق ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧
- ٢- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ). نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، د.م ، د.ت.
- ٣- الناصري، أبو العباس احمد بن خالد. الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧.

#### - المراجع

- ٤- عادل سعيد بشتاوي، الأندلسيون المواركة دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة ، مطابع أنترناشيونال القاهرة، ١٩٩٣ .
- ٥- الأمة الأندلسية الشهيدة، تاريخ ١٠٠ عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.
- ٦- لوي كاردياك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية ١٤٩٢-١٦٤٠ مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين في أمريكا، ترجمة عبد الجليل التميمي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر- تونس، ١٩٨٣ .

- ٧- محمد رزق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦ و١٧ الميلادي، الدار البيضاء، ١٩٨٩.
- البحوث المنشورة
- ٨- إغناثيون فيراندو فروتوس، التداخل بين اللغتين العربية والإسبانية، بحث منشور في: ماء العينين ماء العينين العتيق، اللغة العربية في إسبانيا، الرياض، ٢٠١٥.
- ٩- إغناثيون كوتيرث دي تران كومث بنيتا، النقوش الكتابية في إسبانيا وصناعة الأحرف على المواد الصلبة، بحث منشور في: ماء العينين ماء العينين العتيق، اللغة العربية في إسبانيا، الرياض، ٢٠١٥.
- ١٠- حامد غنيم ابو سعيد، مكتبة غرناطة الإسلامية والمصير الذي آلت اليه، بحث منشور في: عبد الجليل التميمي، أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، ١٩٩٣.
- ١١- الحسن السائح، إشعاع الموريسكيين في المغرب الأقصى بحث منشور في: أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، ١٩٩٣.
- ١٢- حسن الوراكلي، ملامح من صورة الموريسكي في الأدب الإسباني، مجلة المناهل، العدد ٢٨، السنة العاشرة، ١٩٨٣، ص ١٥٤-١٩٧.
- ١٣- عباس الجراري، التأثير الموريسكي في الطرب المغربي، بحث منشور في: الموريسكيون في المغرب، منشور أكاديمية المملكة المغربية الندوة الثانية ٢٢-٢٤ جمادى الثاني ٢١-٢٣ شتنبر، شفشاون، ٢٠٠٠.
- ١٤- عبد الرحمن الحجي، قصيدة رائعة في رثاء الأندلس لشاعر أندلسي مجهول، مجلة المناهل، العدد ٢٨، السنة العاشرة.
- ١٥- ليونارد باتريك هارفي تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي . بحث منشور في: سلمى الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج ١، ط ٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩.

- ١٦- محمد حجي، الموريسكيون والجهاد البحري في المغرب الكبير، بحث منشور في:  
الموريسكيون في المغرب، منشور أكاديمية المملكة المغربية الندوة الثانية ٢٢-٢٤  
جمادى الثاني ٢١-٢٣ شتبر، شفشاون، ٢٠٠٠.
- ١٧- ناصر الدين سيعدون، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في  
الجزائر أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي، مجلة الدراسات التاريخية،  
دمشق، العدد الخامس، السنة ١٩٨١.
- المراجع الاجنبية
- 1- Abdel latif Mohammed M. seery, La Identidad Arabo Islámica de  
los Moriscos A Traves de la literatura Aljamiada, Publicado , in :  
Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada  
1492- 1992, Zaghouan , 1993
- 2- Abdelhakim Gafsi, La decouverte d' une conduit d'eau dans un  
village morisco – andalous en Tunisie: ghar el melh. in : Abdeljelil  
Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492-  
1992, Zaghouan, 1993
- 3- Alvaro Galmes de Fuentes, La lengua española de la literalura  
aljamiado- morisca comex presión de una minoría religiosa,  
Espanola de Lingüística, Ano 16, fasc 1, Enero- Junio 1986 .
- 4- Antonio Vespertion Rodriguez, los acm Allah al- ucna en la  
literature aljamiado – morisco. in : Abdeljelil Temimi, Le Ve  
centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan,  
1993,vol.
- 5- Carmen Gonzalez Roman, La carpintería de armar, malaga , 2012 .
- 6- L.p. Harvey, Muslims in Spain1500-1614, university of  
chicogo press, Chicago- London,2005.

- 7- Mercedes Garcia Arenaly Fernando Rodriguez Mediano, Un Oriente Espnol los moriscos y el sacromonte en tiempos de contrarre forma, Marcial Pons Historia, 2010 .
- 8- Rachel Arie , Espana Musulmana siglos v111-xv.
- 9- Ridha Mami, Juan Alonso Aragones :Romancista morisco del siglo xvll . in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993.

**الوزير احمد البانكتي ودوره السياسي  
والاداري في امبراطورية المغول إبان عهد  
قوبلاي خان**

**٦٥٨-٦٨٠هـ / ١٢٦٠-١٢٨٢م**

**أ.م.د. رغد عبدالكريم أحمد / كلية الآداب - جامعة الموصل**

**Minister Ahmed Pankti and his political and  
administrative role in the Maghul Empire  
during Kublai Khan's reign 658-680 AH /  
1260-1282 AD**

**Asst. Prof. Raghad Abdul Karim Ahmed**

الوزير احمد البانكتي وووره السياسي والاداري في امبراطورية المغول إبان عهد قوبلاي خان

٦٥٨-٦٨٠ هـ / ١٢٦٠-١٢٨٢ م

أ.م.و. رغد عبدالكريم أحمد

الوزير احمد البانكتي ودوره السياسي والاداري في امبراطورية المغول إبان عهد قوبلاي خان

٦٥٨-٦٨٠ هـ / ١٢٦٠-١٢٨٢ م

أ.م.د. رغد عبدالكريم أحمد

كلية الآداب / جامعة الموصل

الملخص:

في عالم قوبلاي خان الصين الأعظم متسع من المعلومات التاريخية التي يمكن للباحثين الخوض في غمارها، ولازال ما كتب عنه وعن تاريخ الصين على عهده، لا يرتقي إلى فيض تراث هذا الخان العظيم.

وهذه الدراسة، وهي امتداد لدراسات أخرى قمنا بها عن تاريخ قوبلاي خان والمغول في الصين، تختص بالوزير الجدلي لقوبلاي خان هو أحمد البانكتي الذي أثار اهتمامي نظراً لأصوله العربية ولمكانته التي حازها عند قوبلاي خان، والذي لم ينل من الباحثين سوى الإشارة له بمعلومات هنا أو هناك، جاءت في سياق عام في دراستهم عن تاريخ المغول، وربما السبب يعود إلى تناقض الروايات وعدم وضوح الرؤيا عنه، وتعدد المسميات له وللشخصيات ذات العلاقة به، واختلاف مواقف أهم مؤرخين معاصرين له ممن تناولوا أحداثه وهما ماركو بولو المتوفى سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م الذي كان شاهد عيان غير حيادي أرخ له، ومؤرخ المغول رشيد الدين الهمذاني المتوفى سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م والذي يعتد بأرائه، وبقدر المسؤولية الواقعة علينا حاولنا ان نكون حياديين في نسج خيوط الأحداث والمواقف ومقاربة المعلومات وتحليلها بالطريقة التي لا تخل بتاريخ ومكانة البانكتي، ومحاولة تفكيك الروايات المتناقضة عنه ووضعها في سياقها العام، مع الإشارة إلى أن كل الروايات التاريخية التي تناولت هذه الشخصية أكدت على أن قوبلاي خان كان قد منح البانكتي السلطة المطلقة في إدارة بلاد الصين لأكثر من عقدين من الزمن حتى مقتله على إثر مؤامرة دبرت ضده سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨٢م.

الكلمات المفتاحية: المغول ، البانكتي ، قوبلاي خان ، الوزارة ، الصين.

---

---

**Minister Ahmed Pankti and his political and administrative  
role in the Maghul Empire during Kublai Khan's reign 658-680 AH /  
1260-1282 AD**

**Asst. Prof. Raghad Abdul Karim Ahmed**

**College of Arts / University of Mosul**

**Abstract:**

In the great world of Kublai Khan of China, there is a wealth of historical information that researchers can delve into, and what was written about him and about the history of China during his reign still does not rise to the legacy of the legacy of this great khan.

publishing house, publishing house, publishing house, publishing house, publishing house, publishing house, publishing house, publishing house, publishing house, publishing house, publishing house, publishing house, publishing house, publishing house, publishing house, publishing house, or The publishing house, publishing house, publishing house, publishing house, publishing house, or other information on the subject of history, the beginning of responding to questions and narrations and explaining the vision about it, the multiplicity of names for him and the relevant personalities, and the different positions of his contemporary historians who dealt with his events Marco Polo, And a non-partisan eyewitness who chronicled him, and the Mughal historian Rashid al-Din al-Hamadhani, who died in 718 AH / 1318 AD, tries to be impartial in weaving threads of events and situations, approaching and analyzing information in a way that does not prejudice the history of the punkti, and an attempt to dismantle the contradictory narrations and put them in their general context, with reference to Referring to the absolute power shot in the country of China for more than two decades, even two decades, until his death as a result of a plot by Dr. Bara against him in the year 680 AH / 1282 AD.

**Keywords:** Maghul, Punkti, Kublai Khan, Ministry, China.



## المقدمة:

يعود تاريخ بداية الحكم المغولي للصين إلى سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٥ م، عندما تمكن جنكيز خان من إحتلال الجزء الشمالي من الصين بما فيها العاصمة بكين، واسقاط حكم أسرة الكين فيها<sup>(١)</sup>. وقد توالى على حكمها عدد من الولاة كان آخرهم قوبلاي بن تولوي بن جنكيز خان الذي استمر يشغل هذا المنصب حتى تم اعلان نفسه خاناً أعظم سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م<sup>(٢)</sup>. هذا في الوقت الذي كان أخيه الأصغر اريق بوكا قد أعلن هو الآخر نفسه خاناً أعظم لامبراطورية المغول فكانت الحرب الأهلية بين الأخوين<sup>(٣)</sup>، وانتهت نتيجتها بتنازل اريق بوكا عن العرش، والاعتراف بسلطة قوبلاي بوصفه خاناً أعظم للمغول، وذلك سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م<sup>(٤)</sup>. وهكذا انفرد قوبلاي بمنصب الخان الأعظم، لينصرف خلال السنوات العشرين الأولى من حكمه في تجهيز وقيادة العديد من الحملات الكبرى على الصين الجنوبية التي كانت تحكم من قبل سلالة السونج، حتى تمكن في النهاية من احتلالها، وتوحيد الصين تحت حكمه متخذاً من بكين عاصمة لامبراطورية المغول<sup>(٥)</sup>.

اعتمد قوبلاي خان في إدارة حكمه لبلاد الصين سواءً في مدة حكمه والياً لهذه البلاد أو خاناً أعظم لامبراطورية المغول على الكثير من الموظفين المسلمين ويتقدم هؤلاء شخصية جدلية من أصول عربية اسمه أحمد البانكتي، ويطلق عليه بالغة الصينية اسم ((أهاما)) و((أشمك))<sup>(٦)</sup>، والصينيون وكما هو معروف عنهم كانوا يعتمدون على تسمية الشخصيات الأجنبية ذات المقام العالي في الدولة بمسميات صينية بدلاً من أسمائهم الأصلية، ويهدفون من وراء ذلك إلى طمس حقيقة جذور هؤلاء، ولغرض الإيحاء للآخرين بأن هؤلاء ما هم إلا شخصيات صينية، هذا إذا كانت تلك الشخصيات قد قدمت خدمات جليلة لبلادهم، وفي العادة المسميات لأمثال هؤلاء تحمل دلالات راقية، والعكس صحيح إذا كانت تلك الشخصيات غير مرغوب فيها فالمسميات عند ذلك تحمل دلالات الذم والتحقير، وعلى العموم ان الصينيين تاريخياً كانوا منغلقيين على الأجانب، ويحذرون التعامل معهم وحتى التجار الأجانب، كان مجال حركتهم في مدن تجارية محددة ومقيدي الحركة.

وبخصوص الوزير أحمد البانكتي، فإن من تناول سيرته من غير المؤرخين المسلمين هو ماركو بولو، والذي أشار متعمداً على ما يبدو إلى اسمه الصيني أتشمك دون اسمه الحقيقي مع التأكيد على اصوله العربية في كتابه رحلات ماركو بولو، وكان له موقف عنه فيه الكثير من التحامل وصفات الذم، وحتى المترجم لهذا الكتاب واسمه وليم مارسدن والذي ترجمه من الايطالية إلى الإنكليزية، وصف الوزير أحمد بالمنحرف جاء ذلك في تعليقات المترجم الذي يبدو انه كان متأثراً بآراء ماركو بولو بدلاً من ان يكون في ترجمته حيادياً<sup>(٧)</sup>.

ولغرض بيان أهمية ما كتبه ماركو بولو عن هذا الوزير، لابد أن نشير إلى مكانة ماركو بولو في الأحداث التي شهدتها الصين على زمن قوبلاي خان؛ لما لهذه المعلومات من أهمية في هذه الدراسة التي كان ماركو بولو شاهد عيان فيها.

ولد ماركو بولو في مدينة البندقية الإيطالية سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م وفي سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧٢م شد الرحال نحو الصين التي وصلها سنة ٦٧٣هـ / ١٢٧٥م وقد حضي بمقابلة قوبلاي خان في العاصمة بكين، ونال منه التكريم، وطابت له الإقامة حتى انه اندمج في العمل مع الأسرة المغولية الحاكمة، وتعلم لغة المغول وتقم طبيعة عاداتهم وتقاليدهم، فقرّب قوبلاي من بلاطه، واسند اليه بعض الوظائف، كما كلفه في القيام بعدة مهام بوصفه مبعوثاً من الخان لعدة مقاطعات إدارية صينية، كما صاحب الخان في بعض جولاته في البلاد. وفي حروبه، وهو بذلك كان شاهد عيان على أحداث الصين طيلة تواجده فيها والتي استغرقت سبعة عشر عاماً<sup>(٨)</sup>.

ولكن ما يؤخذ على ماركو بولو انه كان متعصباً لمسيحيته مظهراً لأحكام فيها الكثير من عبارات السوء والكرهية لكل ما هو مسلم، ولهذا جاءت احكامه على الشخصيات التي عملت في الإدارة المغولية لحكومة قوبلاي خان من المسلمين بكثير من الإساءة والأوصاف البذيئة وصيغ التحقير، منطلقاً في ذلك من رؤية كنسية تربي عليها<sup>(٩)</sup>، ومدفوعاً كذلك من أبناء ملته من المسيحيين الذين كانوا يترددون على بلاط قوبلاي خان والذين كانوا لا يقلون عنه تعصباً ضد المسلمين. ولهذا وجب أخذ الحذر في كل ما كان قد دونه من معلومات، ومحاولة مقارنة ذلك بالمعلومات ان توفرت في مصادر أخرى، كما ان المعلومات التي دونها في كتابه هذا، جاء تدوينها بعد عودته إلى البندقية سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٥م<sup>(١٠)</sup>، مع ملاحظة ان الكثير من الأسماء

التي أشار إليها ضمن أحداث هذه المدة كانت محرفة بعض الشيء عن مسمياتها الحقيقية وأحداثها تضمنت في الكثير منها صيغ مبالغة أو تعظيماً أو إصاق تهم غير مسوّغة، هذا ما سنشير إليه بدقة.

وفي الوقت نفسه كان هناك مؤرخ آخر هو رشيد الدين الهمذاني الذي يصنف ضمن خانة مؤرخي دولة المغول والذي استعمل اسم الوزير الحقيقي ((أحمد بانكتي)) دون ان يشير إلى اسمه الصيني أو أي مسمى آخر<sup>(١١)</sup>، وربما لم يشر إلى الاسم الصيني؛ لأنه كان على دراية بأن الاسم الصيني كان يحمل دلالة فيها إساءة للوزير أحمد. وعلى أية حال فإن الهمذاني قدّم لنا معلومات قيمة عن هذا الوزير بما يتعلق بمكانته عند قوبلاي خان وتفردته بالحكم والتأمر عليه ومقتله، ولكن هو الآخر يورد لنا عن هذا الوزير معلومات مرتبكة، على الرغم من أنه كان معاصراً لهذا الوزير، لكنه لم يكن شاهد عيان، فمعلوم ان رشيد الدين عمل وزيراً في دولة المغول الايلخانية في العاصمة تبريز الواقعة في إقليم أذربيجان حتى مقتله سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م<sup>(١٢)</sup>، وما دونه عن احمد البانكتي لا يتناسب مع مكانة هذا الوزير في حكومة قوبلاي خان، وربما كان نقص المعلومات لبعده المسافة بين كلا العاصمتين بكين وتبريز، فضلاً عن ان حكومة الصين على عهد قوبلاي كانت قد انشغلت في شؤونها الداخلية، ولم تعد أحداثها تسترعي اهتمام ممالك المغول الأخرى ومؤرخيها<sup>(١٣)</sup>.

وعلى الرغم من وجود ارباك في معلومات هذين المصدرين اللذين يعدان منفردين بالكثير من المعلومات عن أحداث هذا الموضوع، مع إشارات قليلة وردت عند المؤرخ أبو سليمان في كتابه تاريخ البانكتي وخواندمير في كتابه دستور الوزراء ومصدر معلوماتهما هو الهمذاني، ومع ذلك فإن هذين المصدرين ساعدنا في تغطية الموضوع بالشكل الذي ظهر عليه.

فمن هو أحمد البانكتي؟ وكيف تسلق المناصب؟ وتبوء أعلاها في الحكم ليفوضه قوبلاي خان إدارة حكومة الصين بصلاحيات مطلقة، وهذا ما سنفصل الحديث عنه وفق العناوين الآتية:

أولاً: مرحلة الصعود وتسلق المناصب.

ثانياً: مرحلة الاستئثار بالسلطة.

ثالثاً: مرحلة التطرف بالسلطة وتزايد أعداد المناهضين له.

رابعاً: مقتله وتداعيات ذلك.

#### أولاً: مرحلة الصعود وتسلق المناصب:

ينتسب أحمد البانكتي إلى مدينة بانكت الواقعة على الضفة نهر سيحون اليمنى من بلاد ما وراء النهر<sup>(١٤)</sup>. هذه المدينة التي كان جنكيز خان اثناء حملته على الدولة الخوارزمية التي كانت تحكم هذه البلاد قد اجتاحتها جيوش المغول، ووقعوا بسكانها القتل والأسر والتخريب وذلك سنة ٦١٧ هـ / ١٢١٩ م<sup>(١٥)</sup>، وكان من خطط المغول عند احتلالهم المدن ان يفرزوا الأسرى بحسب ما يعرفونه، ومن لا فائدة منه كان اما يقتل أو يترك، والشباب منهم يستخدموهم كدروع بشرية في مقدمة جيوشهم والنساء القادرات على العمل يستخدمن كجوارى للأسر المغولية، أما أصحاب المهن والمشتغلون في الإدارة، فكانوا يعزلون ويرسلون إلى العاصمة قراقورم أو إلى الولايات ليفاد منهم<sup>(١٦)</sup>. وعلى ما يبدو ان والدة أحمد، كانت مع طفلها أحمد قد انتقتها إحدى نساء الأسرة الجنكيزخانية لتعمل في خدمتها، ولتنتقل بعد ذلك لتكون ضمن خدمة تشابي زوجة قوبلاي خان. وبحكم ان احمد كان مع والدته في العمل، تعرف قوبلاي على موهبته فقربه اليه وأعجب بشخصيته، وأخذ يرافقه في ميادين العمل والسياسة، وكان حينما يؤمر بعمل ما يحسن الأداء<sup>(١٧)</sup>، فيزداد ثقة قوبلاي به، فنال بذلك الحظوة لديه، وأخذت مهامه تزداد، حتى إذا ما أعلن قوبلاي نفسه خاناً أعظم لإمبراطورية المغول سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م<sup>(١٨)</sup> كلف أحمد بمسؤولية تلبية احتياجات البلاط ومشترياته ونجح في ذلك، ولم يؤخذ عليه ما يؤشر على أية مخالفة<sup>(١٩)</sup>، عند ذلك أثبت موهبته، فرفع قوبلاي من مكانته ليختاره كأحد مستشاريه في أمانة مجلس البلاط، وهذا المجلس هو من يرسم سياسة البلاد، ويكون في العادة مؤلفاً من كبار المستشارين الذين يعتمد عليهم قوبلاي خان في إدارة البلاد<sup>(٢٠)</sup>.

#### ثانياً: مرحلة الاستئثار بالسلطة وإنجازاته وتنامي المعارضة ضده:

إن هذا الصعود لأحمد في هذه الوظائف التي تحتل مكانة عالية في الدولة اثارت غضب الكثير من الصينيين ممن كانوا يعملون في بلاط قوبلاي خان<sup>(٢١)</sup>، والذين كانوا شديدي التمسك بالنظام القائم على أساس التدرج الوظيفي والذي لا يتأتى في العادة إلا بعد التدريب وقضاء سنوات في الخدمة وكسب المهارات، وهذا ما لم يمر به أحمد في المناصب التي تقلدها، ومع

ذلك فإن قوبلاي خان لم يأخذ بنصيحة هؤلاء في تقييد صلاحياته لا بل منح أحمد وظيفة ثانية إلى جانب وظيفته في الأمانة بأن أسند إليه مسؤولية رئاسة الديوان الكبير<sup>(٢٢)</sup> الذي يشرف على مهام الأعمال الحكومية للدولة وتعيين النواب والحكام على المقاطعات والولايات والمدن، وما يتبعهم من موظفين، ومنحه لقب ((شوفنجان)) ويعني الوزير الأعظم أو الأمير الالمني أو كبير الأمراء<sup>(٢٣)</sup>، وجميعها تعطي له صفة الرئاسة على جميع أصحاب الرتب الإدارية في حكومة قوبلاي خان، لا بل تعطيه ضمن مفهومنا الحاضر للسلطة صفة رئيس الوزراء الذي تقع عليه مسؤولية إدارة شؤون البلاد، في حين كان يطلق على صفة الوزير ممن كان يعمل تحت سلطته لقب جينكسانك، وكان في العادة هناك أربعة وزراء ممن يحملون لقب جينكسانك كل واحد منهم مسؤول عن جانب محدد من أعمال الديوان ويكون هؤلاء مسؤولين مباشرة امام شو فنجان أي امام الوزير الأعظم<sup>(٢٤)</sup> أحمد، ولا سلطة على احمد في إدارة الديوان الكبير او كما اسميناها برئاسة الوزراء سوى سلطة قوبلاي خان، وكان الخان على العموم لا يتدخل في عمل الوزير أحمد وأعطاه مطلق الصلاحيات في حكم البلاد حتى غدا كأنه الحاكم الأوحد للصين إلى درجة انه جعل ارتباط كل المراتب العسكرية بما فيها قائد الجيش به يتلقى التعليمات منه، كما جعل الكتاب جميعاً تحت ادارته، وتتبعه دواوين الدولة كافة في الولايات جميعاً<sup>(٢٥)</sup>.

وقد أشار ماركو بولو إلى عظمة الصلاحيات التي حازها أحمد البانكتي ((أتشمك)) بقوله ((ان العربي أتشمك ((أحمد)) الرجل الماكر الذي فاق نفوذه عند الخان الأعظم نفوذ الأعضاء الآخرين، وبلغ من إفتتان مولاه به ان سمح له بالانغماس في كل تخط للقواعد والأصول... وتمكن أن يفتن لب جلالته، حتى لاضطره إلى منحه اذنه وثقته في أي شيء خيل له، ومنحه التصرف في جميع الأمور طبقاً لإرادته التعسفية الخاصة، يهب الحكومات والوظائف العامة، ويصدر الأحكام على الجميع، وعندما يحس ميلاً إلى التضحية باي رجل، فما كان عليه الا ان يعلم الخان ليأمر به على الفور ليعدم.))<sup>(٢٦)</sup>.

بهذه الصلاحيات المطلقة كان الوزير أحمد البانكتي يحكم الصين فلم يكن هناك أحد ((يجرؤ على معارضة إرادة أتشمك))<sup>(٢٧)</sup> وكان ينظر اليه على انه يحكم البلاد بإرادة الخان الأعظم فهو سيد الحكم، وهذا الرأي اختصره مؤرخ المغول الهمذاني بقوله ((كان حل الأمور

وعقدها في يده ... وقبض بيده على أزمة الأمور في البلاد))<sup>(٢٨)</sup>. يتولى رأس الدواوين والخزائن وعلى القصر الامبراطوري في العاصمة بكين، ويتولى كذلك مهام الخان الأعظم في حال غيابه عن العاصمة<sup>(٢٩)</sup>.

ويضرب لنا الهمذاني مثلاً على شدة تأثير الوزير أحمد على سيده قوبلاي خان في انها وصلت إلى حد ان الخان كان يتراجع عن تنفيذ بعض الأوامر التي يصرح بها إذا طلب منه الوزير أحمد ذلك، ومن الأمثلة على ذلك قوله ان المسيحيين كانوا في عهد قوبلاي خان شديدي التعصب ضد المسلمين، وقصد رهط من زعاماتهم الخان وقالوا له: ((انه توجد آية في القرآن تقول: ((اقتلوا المشركين كافة))، فاستدعى الخان مدفوعاً بدافع الغضب أحد علماء المسلمين واسمه بهاء الدين البهائي فقال له ((إذا كان الله قد قال: اقتلوا الكفار، فلماذا لا تقتلونهم؟)) حسب ما ورد في قرآنكم، اجاب بهاء الدين ((ان الوقت لم يحن بعد، وليست لنا القدرة على ذلك.)) فغضب قوبلاي أشد الغضب، وقال: ((ولكن الباري مكنتني من ذلك)) ثم امر على الفور بقتل بهاء الدين، ولكن منعه من تنفيذ ذلك الأمر الوزير أحمد البانكتي الذي كان حاضراً في المجلس<sup>(٣٠)</sup>، فكان هذا المنع لا يفسر الا على مدى قوة تأثير أحمد على قوبلاي خان حتى هناك من كان يعتقد أنّ قوبلاي خان لا يعارض لأحمد أي رأي حتى لو كان ذلك يلقي معارضة من المقربين للخان، وفي النهاية لا يسري الا رأي احمد<sup>(٣١)</sup>، ومن كان ينشد أي منصب فما عليه إلا أن يقصد الوزير أحمد الذي كان له الأمر لوحده في التعيينات الحكومية واليه أمر الموافقة أو الرفض<sup>(٣٢)</sup>.

تحدث ماركو بولو بدافع الكره والضغينة، وبصيغة المبالغة المقيتة عن الوزير أحمد بأمر لا يمكن تصديقها من ذلك قوله ((ان اية انثى حسناء تصبح غرضاً لشهواته لم يكن مفر من ان يتحايل على اقتناصها واخضاعها لرغباته ... وان أولاده انشأوا علاقات زنا أثيمة، وارتكبوا اعمالاً كثيرة أخرى فضيحة ومحرمة.)) كما اتهمه بالفساد وجمع ثروة عظيمة من المال الذي كان يتقاضاه كرشوة من طالبي الوظائف الذين كان لزام عليهم أن يقدموا له هدايا فاخرة لقاء تعيينهم<sup>(٣٣)</sup>، وهذه الاتهامات لم نر لها سنداً في مصادر أخرى.

وبعيداً عن تقييمات ماركو بولو المشكوك في مصداقيتها، كان لا بد لنا أن نشير إلى أهم أعمال الوزير أحمد البانكتي الإصلاحية في حقبة ترأسه حكومة الصين والتي حددها الهمذاني بخمسة وعشرين سنة<sup>(٣٤)</sup> فعلى مستوى النقل العام، فإنه حسن الطرق ومدّ القنوات وبنى الأساطيل لنقل الغلال والمؤن بين الشمال والجنوب ولسد احتياجات الكثافة السكانية العالية في العاصمة بكين، وأسس مكاتب للنقل في كل ولاية وحصر أعمالها بموظفين أكفاء كي يمنع الفساد والتلاعب بأسعار النقل، كما انه اتخذ العديد من الإجراءات لضبط الأمن ومنع العامة من امتلاك السلاح<sup>(٣٥)</sup>، واقام العديد من المصانع الحكومية التي تعتمد على أعمال الصهر لانتاج المصنوعات الحديدية التي تخدم عمليات الزراعة، والتي كانت تعطى للفلاحين لزيادة الاحتياطي من الغلال، وعزز ميزانية خزينة الدولة بفرض ضرائب على تجار الفضة، وغرامات مالية على من ينتج مواد رديئة، أو من يغش سبائك الذهب، وشدد على أهمية جودة صناعة الاقمشة وخطط لصنع أقمشة غير قابلة للاحتراق من مادة الاسبست، كما حسن طرائق استغلال مناجم الفضة، وتحسين امدادات الحبوب لقوات الجيش، ونظم سجلات الضرائب وأوجد لها قاعدة ضريبية سليمة من خلال تثبيت أسماء كل من كان تستحق عليه الضريبة وحدد مقدارها، ووصل الرقم المثبت إلى ما يقارب من اثنين مليون من دافعي الضرائب سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧٢م، وعلى المستوى الإداري فإنه دمج الكثير من الدواوين في مؤسسة واحدة لغرض تقليص النفقات، وتسهيل القدرة على التحكم في القرارات، كما نجح الوزير أحمد في رقد الجيش الذي كان قد كُلف في حروب السيطرة على جنوب الصين والتبت بكثير من الموارد التي كان بحاجة لها، كما انه كان وراء استبدال العملة الورقية التي كانت تستخدمها اسرة السونج في الصين الجنوبية بعملة اليوان التي كان قد أقرها قوبلاي خان بناءً على نصيحة الوزير أحمد، وهو بذلك يكون قد وحد العملة الصينية بعد ان كان التعامل يجري بعملتين من قبل<sup>(٣٦)</sup>.

ان هذه المنجزات التي قام بها الوزير أحمد البانكتي والتي جاءت في معظمها لخدمة الطبقة الحاكمة المغولية وتعزيز سلطتها في الصين، لم ترق إلى الثناء من المجتمع الصيني الذي كان ينظر إلى قوبلاي خان ووزيره أحمد البانكتي ما هم إلا غرباء عن البلاد ومحتلون لها، وهذا ما أكده ماركو بولو بقوله ((وينبغي ان يفهم ان الخان الأعظم نظرا لأنه لم يحصل على

السيادة في كاثي ((الصين)) باي حق قانوني، وانه سلم جميع الرئاسات للتتار والمسلمين وغيرهم من الأجانب، ممن يدينون بالولاء والانتماء لأسرته وقصره، ونتيجة لهذا امتلأت قلوب السكان كافة بالكراهية لحكومته.)) ولا يذكر شياً عن فضائله ومنجزاته<sup>(٣٧)</sup>.

والواقع ان الوزير احمد على الرغم من إنجازاته الكبيرة على مستوى البلاد فإنه غالى في التفرد في الإدارة والحكم، وجعل من نفسه (دكتاتوراً) دون ان يلقي اعتراض من قوبلاي خان، من ذلك أنه غير الكثير من القوانين لصالحه، وقلص صلاحيات الوزراء العاملين في الدولة وجعل حدود عملهم لا يخرج عن نطاق توجيهاته، ودمج المجالس الاستشارية بمجلس واحد يعمل تحت سلطته، كما انه كان ينزل رتبة كل من يعارضه أو يعزله، وأسند لأبنائه الخمسة وعشرين أعلى المناصب في الدولة<sup>(٣٨)</sup>.

وعلى الرغم من توالي الشكاوي واتهامه بالتقصير والقصور من بعض الشخصيات المغولية الذين كانوا يرفعونها إلى قوبلاي خان، لكن تلك الشكاوي لم تكن تلقى اذان صاغية من قبل الخان، وكانت تجد طريقها إلى الإهمال، لا بل احياناً كان قوبلاي خان يعنف من يعترض على عمل الوزير أحمد الذي استمر في أداء مهامه كوزير أعظم واضيفت له صلاحيات أكثر عندما أصدر قوبلاي خان مرسوماً بإناطة جميع مهام إدارة الشؤون السياسية للبلاد بشخص هذا الوزير على خلاف رأي بعض الأمراء من العائلة الحاكمة، وبرر منحه هذه الصلاحيات بالقول ان الوزير أحمد له لمسة سحرية في الإدارة وأنه لا يخطئ كما انه يحسن الأداء في العلاقات السياسية مع الدول، وهكذا يكون الوزير أحمد الحاكم الفعلي للصين مستمداً قوته المطلقة من الخان الأعظم قوبلاي، لا بل إن أحد الضباط كان قد كتب في مذكراته بان الوزير احمد قد أسس امبراطورية خاصة به وبعائلته في الصين، وآخر أشار ان انفراد احمد في حكم الصين راجع إلى انه قد عمل سحراً للخان جعله يستسلم لإرادته<sup>(٣٩)</sup>.

هذه الصلاحيات أثارت كراهية جيم كيم ابن قوبلاي خان له وحدث ذات مرة أن تشاجر جيم مع الوزير احمد على مسألة ما وفيها لكم جيم الوزير على وجهه، وأحدث خدش فيه، ولما سأل قوبلاي خان الوزير عن ((ماذا حدث لوجهك؟ فأجابه ركلني الحصان، فكان جيم كيم حاضراً فإغتاض، وقال أتستحي ان تقول ضربني جيم؟))<sup>(٤٠)</sup> ومع ذلك فإن جيم لم يتمكن الحد



من نفوذ أحمد حتى أنه فشل في انقاذ ضابط كان معجباً به من حبل المشنقة، بعد ان أمر الوزير أحمد بإعدامه (٤١).

كان الوزير أحمد شديد التحسس من أية شخصية يرتفع مقامها عند قوبلاي خان، ولاسيما إذا كانت تلك الشخصية تحوز على منصب قد يشكل مصدر تهديد له، وكان من ضمن هؤلاء شخصية صينية كانت قد شغلت منصب مرموق لدى حاكم ولاية منزي التابعة لحكم اسرة السونج في امبراطورية الصين الجنوبية، واسمه كاو والذي انقلب على اسرة السونج الحاكمة ومكن الجيش المغولي من احتلال منزي سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٣م، فكافئه قوبلاي وشمله بعطفه ومنحه منصب في الديوان الكبير، وقدم كاو خدمات جليلة للدولة ولمدة تسع سنوات، وعندما ارتفع نجمه، شرع يکید للوزير احمد الذي ما أن علم بمكائده، حتى ذهب إلى قوبلاي خان وأحضر معه طبقاً أسود فيه أنواع مختلفة من اللؤلؤ، والقي في الطبق أمام الخان خنجراً، وغطاه بقماش كان يلف به رقبتة فساله الخان ((ما هذا وما معناه؟ فأجابه - ومشير لنفسه - انه عندما قدم إلى الحضرة قبل هذا كانت لحيته سوداء مثل هذا الطبق، والآن صارت بيضاء كهذا اللؤلؤ، لكن كاو يريد ان يجعل لحيتي حمراء بهذا الخنجر)) ثم عرض على قوبلاي مكائد كاو، وأحضر الشهود فامر الخان على الفور بالقاء القبض على كاو واعدامه، فلما سمع كاو بالأمر هرب على الفور إلى مقاطعة منزي واختفى هناك (٤٢).

كما اضمر أحمد حقداً دفيناً للقائد العسكري بايان الذي نال شعبية كبيرة بين أقرانه من الأمراء والعسكر لنجاحاته الباهرة التي حققها في النصر على عساكر السونج في جنوب الصين، وجرى استقبال مهيب لبايان في العاصمة بكين، ومنحه الخان لقب فنجان أي وزير، وقد ظل لمدة عامين وزيراً إلى ان تمكن أحمد ان يوشي به ويعزله من منصبه هذا، كما عزل أحد كبار قادة الحرس الامبراطوري لأنه أتهم أحمد بالفساد (٤٣).

شن الوزير أحمد في أواخر عهده بالوزارة حملة تطهير لكل من يشك في ولاءه له، واستبدلهم بما يقارب من ((٧٠٠)) عنصر من اصدقائه واقربائه ووزعهم على مختلف الولايات ليكونوا عيناً له وينفذوا ما يأمرؤا به، كما استحدث ما يقارب من ((٢٠٠)) منصب حكومي خصصه لأقرب الموالين له، وهكذا يكون الوزير أحمد قد وضع مصدات قوية لأية محاولة قد

يقوم بها أشخاص قد ينافسوه على السلطة، وكلما شعر بوجود خطر عليه من أي منافس سرعان ما يكيل له التهمة ويرديه قتيلاً، كما فعل بالضابط زوي بين الذي كان قد قدم خدمات جليلة للدولة أثناء اشتراكه بالحملة العسكرية ضد السونج في جنوب الصين، فارتفع مقامه عند الخان، فما كان من أحمد إلا وأن اتهمه بسرقة الغلال وصنع أختام عسكرية مزيفة، وأحضر من شهد عليه، فكان ذلك كفيلاً بتنفيذ حكم الإعدام به<sup>(٤٤)</sup>. كما أنه كان وراء ارسال كبير المستشارين هانتوم مع ابن قوبلاي خان المسمى نومو خان على رأس فرقة عسكرية لقمع تمرد حاكم التركستان الغربية كايدو خان، حيث وقعا في اسر كايدو وبقياً في الأسر لمدة اثني عشر عاماً حتى تم اعادتهما بتوسط من منكو تيمور خان مغول القفجاق ((القبيلة الذهبية)) الواقعة جنوب روسيا وكانت عودتهما بعد وفاة الوزير أحمد<sup>(٤٥)</sup>.

### ثالثاً: مقتله وتداعيات ذلك:

وإذا كان الوزير أحمد قد تحسب لمؤامرات رجالات الدولة الكبار وتمكن منهم، ولكن تناسى أن هناك خطراً كان يلاحقه من خارج السلطة وتمثل ذلك بفئات كثيرة من الشعب الصيني الذي كان شديد الكره له وعلى حد زعمهم انه كان وراء مضاعفة الضرائب لما يقرب ثلاثة أضعاف، فكان مقدار ما مقرر من ضريبة على مقاطعة سانشي جنوب الصين مثلاً ٩٥٠ الف رفعها إلى ٢,٧٠٠,٠٠٠ يوان (عملة نقدية)، كما انه كان وراء طبع كميات كبيرة من العملة الورقية، دون ان يكون هناك رصيد كاف لضمان قيمتها، فأدى ذلك إلى انخفاض قيمتها كثيراً فالحق بذلك ضرراً كبيراً بالسكان<sup>(٤٦)</sup>، وحقيقة ان بعض هذه التهم، يجب ان لا تنسب اليه وإنما إلى سياسة قوبلاي خان التي استنزفت موارد الصين خدمة لحمالاته العسكرية داخل الصين لقمع التمردات وخارجها للتوسع<sup>(٤٧)</sup>.

وقد استثمر مجموعة من الصينيين حالة الكره هذه والتي لم يتحسب لها الوزير أحمد، وتمكنوا ان ينفذوا إلى الجيش عندما واجه قوبلاي خان مشكلة حدوث نقص كبير في أعداد أفراد جيشه في حملاته العسكرية الكبرى على جنوب الصين والتي استغرقت عشرون عام فاضطر إلى عقد اتفاق مع السجناء الصينيين تضمن مقابل اطلاق سراحهم الخدمة في الجيش لمدة معلومة، وهكذا زج الآلاف منهم في حروبه في الجنوب لاغراض التوسع او لقمع حركات التمرد

ضده<sup>(٤٨)</sup>، ونظراً للحاجة لان يكون من بين هؤلاء الصينيين من ينسق العلاقة بينهم وبين قادة المغول فإنتخب من هؤلاء افراد تولوا مسؤولية قيادتهم تحت سلطة المغول، وواحد من هؤلاء ترقى في المراتب ليصل إلى مرتبة قائد لفرقة عسكرية يبلغ تعدادها عشرة الاف مقاتل، والذي حاز على ثقة المغول واسمه فان كو ((فانغ زو))<sup>(٤٩)</sup>، الذي كان مشعباً بالكراهية والحقد الدفين على الوزير أحمد البانكتي، ونظراً لذكائه المفرط وقوة شخصيته، فقد تمكّن من تنفيذ خطة جهنمية لاغتيال أحمد بالتعاون مع مجموعة من اتباعه الصينيين الذين لم يكن حقدهم أقل من زعيمهم<sup>(٥٠)</sup>، والذين كانوا يمقتون حكومة قوبلاي خان ويشعرون بأنها حكومة جائرة تعاملت مع أبناء قومهم كأنهم مجرد عبيد<sup>(٥١)</sup>.

والواقع ان سياسة المغول العامة تجاه كل الشعوب التي احتلتها كانت تقوم على أساس الاضطهاد العرقي، والتي طبقها جنكيز خان بعد احتلاله للصين واعتمدها قوبلاي خان حيث قسم المجتمع في الصين إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: هم المغول أصحاب السلطة والامتيازات.

الفئة الثانية: مساعديهم من آسيا الوسطى وايران والذين كان يستخدمهم المغول في الوظائف ذات المسؤولية.

الفئة الثالثة: شعب الصين الذي كان يتحمل عبء الاضطهاد السياسي والاجتماعي والاقتصادي<sup>(٥٢)</sup>.

وأرى انه من المفيد أن أسجل بعض الأمثلة على مقدار الاضطهاد والحيث الذي وقع على الصينيين من ذلك:

١- إذا حدث أن قام أحد المغول بضرب أحد الصينيين، فلم يكن من حق المعتدى عليه الأخذ بالتأثر لنفسه، أو المطالبة بتعويض.

٢- محظور على الصينيين ممارسة أية رياضة قد تنمي قدراتهم القتالية.

٣- تخصيص رجل أمن يكون مسؤولاً عن مراقبة عشرة اسر صينية للابلاغ عن اية تحركات سياسية ضد النظام.

٤- إلزام كل أسرة بالصاق قائمة بعدد افراد الأسرة توضع على الباب الرئيس للمسكن كإجراء أمني.

٥- حظر كافة الاجتماعات والتجارة والتجوال والسفر ليلاً.

٦- عدم السماح لأي صيني بامتلاك سلاح أو تصنيعه.

٧- من حق الدولة تسخير الصينيين في أعمال السخرة وبحسب الحاجة لهم<sup>(٥٣)</sup>.

وقد صاحب هذا الاضطهاد وسائل قهر أخرى منها استيلاء الكثير من امراء المغول على الاراضي الصالحة للزراعة من الفلاحين وحولوها إلى مراعي لمواشيهم، فتحوّلت بمرور الوقت إلى أراضي بور كما استحوذوا على التجارة، وليتركوا في النهاية الشعب يتضورون جوعاً<sup>(٥٤)</sup>.

ان هذه السياسة التي لا يمكن تسويغها وهي في الواقع ذاته التي استخدمها الصينيون ضد مواطنيهم من ابناء الايغور المسلمين، عندما استحوذوا على بلادهم في شمال غرب الصين والحقوها بدولتهم في عصرنا الحاضر، وهكذا تكون سياسة المحتل هي نفسها قديماً وحديثاً.

استثمر فان كو حالة الغليان الشعبي، وانضم اليه أكثر من ستة الاف من العامة ورجال الدين ورفعوا راية العصيان على الحكومة مستغلين توجه قوبلاي خان في ربيع سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨٢م إلى مدينة زانادو للتنزه فيها خلال هذه الفصل بعيداً عن ضوضاء العاصمة بكين<sup>(٥٥)</sup>، وفي الوقت نفسه كان ابنه جيم كيم هو الآخر في جولة استجمام خارج بكين<sup>(٥٦)</sup>، فتسللوا إلى العاصمة بكين ضمن مخطط مسبق مع متعاونين معهم في الداخل، وعندما خرج اليهم الوزير أحمد البانكتي ((أتشمك)) على رأس قوة لقمعهم، انقض عليه أحدهم، فأرداه قتيلاً، وليقتل في الوقت ذاته قائد حركة التمرد فان كو أما باقي المشتركين في التآمر فقد تم ملاحقتهم وقتل معظمهم<sup>(٥٧)</sup>.

وصل خبر مقتل أحمد البانكتي إلى قوبلاي خان الذي حزن كثيراً، وأمر باجتماعات من تبقى ممن شارك في هذه الحركة والمتعاونين معهم، وأوفد العظماء وكبار القادة والأمراء ليشاركوا في مراسيم الدفن والعزاء الذي أقيم له في مظهر اجلال بالغ، وقد تكفل قوبلاي بتكاليف العزاء التي بلغت أربعة الاف كيس من النقد، وهو مبلغ كبير جداً لم يعهد لمثله من قبل<sup>(٥٨)</sup>.

أحدث مقتل البانكتي صدمة كبيرة للمسلمين؛ نظراً لكونه يمثل الحصن الحصين لهم والدفاع عنهم ضد أية تجاوزات كانت تقع عليهم<sup>(٥٩)</sup>، وبغيابه اشتد عود المسيحيين الذين حرضوا قوبلاي خان ضدهم وتزعم هؤلاء شخصية مسيحية متعصبة اسمه عيسى كمنجي الذي تمكن من تسلق المناصب حتى أصبح من المقربين للخان، وقد وصف الهمذاني هذا الشخص بالشرير الفاسد السيء الطبع، والذي أوغر قلب الخان بكرهية المسلمين، وتمكن ان ينتزع منه مرسوماً يقضي بمنع المسلمين من ذبح المواشي على الطريقة الإسلامية، وإنما يشقون صدورهم واكتافها جرياً على عادة المغول ويقتل كل من يذبح غنماً في منزله، وأخذ المسيحيون يبتزون أموال المسلمين ويفترون عليهم جزافاً، كما منع عيسى كمنجي المسلمين ختان ابنائهم، كما اوقع بالكثير من علماء الدين والاداريين حتى اضطر اكثر المسلمين إلى مغادرة الصين<sup>(٦٠)</sup>.

ولم تكن عائلة البانكتي بعيدة عن هذه المصائب التي ألمت بالمسلمين في الصين إذ إن هؤلاء المتعصبين ومعهم ماركو بولو الذي هو الآخر على ما يبدو أدى دوراً في هذا التحريض وأظهر الكثير من علامات التشفي بمقتل الوزير أحمد البانكتي وبالمسلمين الذي وصفهم بأنهم اشرار<sup>(٦١)</sup>، هؤلاء كلهم أداروا مؤامرة كبرى تمكنوا فيها من الإيقاع بهذه العائلة<sup>(٦٢)</sup>، عندما أشاروا إلى قوبلاي خان بأن هناك جوهرة كبيرة الحجم كان قد استقدمها تاجران ليقدمها للخان ليرصع بها تاجه، ولكن استحوذ عليها الوزير أحمد البانكتي، فأمر الخان على الفور بتفتيش بيت البانكتي، وليجدوا عند زوجته اينجو خاتون جوهرة كبيرة، فأمر على الفور بمصادرتها، وليخاطب قوبلاي هذين التاجرين قائلاً ((ما جزاء العبد الذي يرتكب مثل هذه الخيانة؟)) فأجابا ((ينبغي قتله إذا كان حياً، وإذا كان ميتاً، فإنه يجب إخراجه من القبر، والتمثيل بجثته ليعتبر بها الآخرون.))<sup>(٦٣)</sup>.

وهكذا تمكن هؤلاء من الإيقاع بهذه العائلة التي خدمت الصين والأسرة المغولية الحاكمة لأكثر من عقدين من الزمن، ولكن هذا هو شأن خانات المغول الذين قلما كان هناك وزير لم تتعرض عائلاتهم لمثل ما تعرضت عائلة أحمد البانكتي، ولم يكن قرار قوبلاي بالتمثيل بجثة هذا الوزير والتتكيل بعائلته استثناءً إذ أمر الخان بإخراج جثة البانكتي من قبره، ثم ربطوا حبلاً في رجله وصلبوه على المشنقة، وبعدها طرحوه أرضاً وساقوا العجلات على رأسه، وكذلك قتلوا

زوجته، وصادروا أمواله وممتلكاته، وسلخوا جلد ابنيه حسن والأمير حسين، بعد أن عذبوهما عذاباً لا يطاق ونكلوا ببقية أفراد عائلتهما<sup>(٦٤)</sup>.

وبهذه الطريقة أُغلق ملفٌ كان الأكثر مأسوية في تاريخ حكومة قوبلاي خان، وكانت له نتائج سلبية على اقتصاد البلاد إذ امتنع التجار المسلمون من تسيير تجارتهم للصين خوفاً من أن تطالهم عمليات الاضطهاد التي وقعت على أبناء ملتهم، كما أن ((التجار المسلمين جميعهم قد نزحوا عنها)) وقد تضاءلت الموارد كثيراً وحرمت خزينة الدولة من الضرائب التي كانت تُستحصل من تجارة هؤلاء، وعندما عرض أمر هذا التدهور لاقتصاد البلاد وبيان اسبابه على قوبلاي خان من قبل مستشاريه فكان الحل بإصدار مرسومٍ بإعادة الحقوق للمسلمين، والسماح لهم بحرية التدين، والذبح على الطريقة الإسلامية، وحماية التجار المسلمين والجالية المسلمة وعدم التعرض لهم بأي أذى ونفذ المرسوم على الفور<sup>(٦٥)</sup>، وبهذا القرار نفذ المسلمون مرة أخرى إلى مراكز القرار في حكومة قوبلاي خان، تدريجياً وكان منهم العديد من الوزراء والمتنفذين في الدولة، وبتأثير أحدهم المدعو أحمد بايان الذي تقلد منصب الوزارة في أواخر عهد قوبلاي خان وكان وراء جلوس تيمور بن قوبلاي خان على عرش أبيه الذي توفي سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٣ م<sup>(٦٦)</sup> وبتأثيره الشخصي تمكن أن ينتزع من تيمور خان قرار إصداره بمرسوم ((إن الدين الإسلامي هو الدين الحق الخالص))، فكان لذلك تأثيره الكبير في نشر الإسلام وحرية العقيدة وتزايد دور المسلمين في الحياة العامة<sup>(٦٧)</sup>، وبهذا الدور نكون قد ختمنا هذه الدراسة.

## هوامش البحث

(١) شبولر، بيرتولد: المغول في التاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام، منشورات دار طلس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٩م، ص ٢٢-٢٣. صفا، ذبيح الله: تاريخ ادبيات در ايران، تهران، ١٣٣٨هـ، ج ٥، م ١، ص ٥.

Bosworth, Ctifford Edmund: The Islamic Dynasties, Edinburghat, 1971, p,141.  
Spuler, Bertold: Die Golden Horde Die Mongol in Rubland, Wiespaden, 1965, p, 616.

(٢) ابن العبري، غريغوريوس الملطي: تاريخ الدول السرياني، منشورات مجلة المشرق اللبنانية، ١٩٥٤م،

- ص ١٣٩. الهمذاني، رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان)) نقله إلى العربية، فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٢١٧، ٢٤٩ .
- النجار، رعد عبد الكريم: امبراطورية المغول، دار غيداء، عمان، ٢٠١٢، ص ١٢٦.
- (٣) البناكتي، أبو سليمان: روضة أولى الالباب في معرفة التواريخ والأنساب المعروف بتاريخ البانكتي، ترجمة محمود عبد الكريم علي، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٤٣٨.
- Boyle, John Andrew: The Mongol World Empire, London, 1977, p,341-372 .  
Favre: Larussta Etna Turaaie, Pariss, p,41.
- (٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣١٨ . البناكتي: تاريخ البانكتي، ص ٤٤٠.
- (٥) لاين، جورج: عصر المغول، ترجمة، تغريد الغضبان، منشورات هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ٢٠١٢م، ص ١١٣.
- (٦) بولو، ماركو: رحلات ماركو بولو، ترجمه إلى العربية، عبدالعزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص ١٤٧، وهامش (١) من ص ١٥٠. ولا توجد في المصادر المتوفرة لدينا والتي اطلعنا عليها أية إشارة عن أصول أحمد البانكتي سوى ما ذكره ماركو بولو بأن أحمد البانكتي هو من أصل عربي عن ذلك ينظر: رحلات ماركو بولو، ص ١٤٧.
- (٧) رحلات ماركو بولو، ص ١٤٧ الهامش رقم (١) من ص ١٥٠.
- (٨) عن هذه التفاصيل ينظر: بولو: رحلات ماركو بولو، ص ٦ من المقدمة للكتاب.
- (٩) عن هذه الأوصاف ومواقفه السلبية تجاه نظرتة عن المسلمين، ينظر تفاصيلها في كتابه رحلات ماركو بولو، ص ٢٤٨-٢٥٠.
- (١٠) بولو: رحلات ماركو بولو، ص ٦.
- (١١) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان))، ص ١٢، ٢٩٠.
- (١٢) عن مقتل الوزير رشيد الدين ينظر: التفاصيل، خواندمير، غياث الدين: دستور الوزراء، ترجمة، حربي أمين حسين، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٣٧٧.
- (١٣) عن إنكفاء الصين وممالك المغول الأخرى بشؤونهم الداخلية ينظر: بياني، شيرين: المغول التركيبية الدينية والسياسية، ترجمه عن الفارسية سيف علي، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣م، ص ١٢٤.
- (١٤) لسترنج، كي: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة بغداد، ١٩٥٤م، ص ٥٢٥. ومعروف تاريخياً ان العديد من القبائل العربية منذ زمن الفتح العربي قد

استوطنت هذه البلاد واندمجت مع اهلها، وأخذ ابنائها يعرفون بأسماء المدن التي استوطنوها.

(١٥) الجويني، عطا ملك: تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، نقله عن الفارسية محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، ١٩٨٥م، ج ١، ص ١٠٧. فهمي، عبدالسلام عبدالعزيز: تاريخ الدولة المغولية في ايران، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٦٠.

(١٦) هوخام، هيلدا: تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة اشرف محمد كيلاني، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٣٠.

(١٧) مان، جون: كوبلاي خان ملك المغول، الذي أعاد بناء الصين، ترجمة احمد لطفي، منشورات هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ٢٠١٣، ص ٣٠٣.

(١٨) البناكتي: تاريخ البناكتي، ص ٤٣٨.

(١٩) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان))، ص ٢٨٤.

(٢٠) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان))، ص ٢٨٤. مان: كوبلاي خان ملك المغول، ص ٣٠٣، ٣٠٨.

(٢١) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٣٤.

(٢٢) بولو: رحلات ماركو بولو، ص ١٤٧. Wood, Frances: Ded marco Go to China, London, Secker, Warburg, 1995, p, 108.

(٢٣) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان))، ص ٢٨٤.

(٢٤) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان))، ص ٢٧٦.

(٢٥) بولو: رحلات ماركو بولو، ص ١٤٧-١٤٩. الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان))، ص ٢٧٦، ٢٨٤. خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٣٤.

(٢٦) رحلات ماركو بولو، ص ١٤٧-١٤٨.

(٢٧) بولو: رحلات ماركو بولو، ص ١٤٨.

(٢٨) جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان))، ص ٢٨٤. ينظر كذلك خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٣٤.

(٢٩) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان))، ص ٢٨٤.

(٣٠) جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان))، ص ٢٩٠.

(٣١) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٣٤.



(٣٢) بولو: رحلات ماركو بولو، ص١٤٨-١٤٩.

(٣٣) رحلات ماركو بولو، ص١٤٨.

(٣٤) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان))، ص٢٨٧.

(٣٥) هوخام: تاريخ الصين، ص٢٤٥. مان: كوبلاي خان ملك المغول، ص٣٠٦. لاين: عصر المغول، ص١١٣.

(٣٦) مان: كوبلاي ملك المغول، ص٣٠٤-٣٠٥. هوخام: تاريخ الصين، ص٢٤٥.

Saunders, J. J: The history of the Mongol conquests, London, 1971, p,124 .

Prawdin, Michael: The Mongol Empire, London, 1960, p, 332.

(٣٧) بولو: رحلات ماركو بولو، ص١٤٩ وهامش (٧) من ص١٥٠. وعن هذا الموقف ينظر كذلك شبولر، برتولد: العالم الإسلامي في العصر المغولي، نقله إلى العربية، خالد أسعد عيسى، منشورات، دار احسان للطباعة والنشر، ص٢٩. هوخام: تريخ الصين، ٢٤٥.

Wood: Did Marco Polo Go to China, p, 109.

(٣٨) بولو: رحلات ماركو بولو، ص١٤٨.

Prawdin: The Mongol Empire, p, 332.

(٣٩) مان: كوبلاي خان ملك المغول، ص٣٠٥-٣٠٨.

Prawdin: The Mongol Empire, p,332.

(٤٠) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان))، ص٢٨٤.

(41) Crump, J. I: Chinese Thinese in the Days of Kublai Khan, Tucson, University of Arizona Press, 1980, p, 420.

(٤٢) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان))، ص٢٨٦-٢٨٧. خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٣٥.

(٤٣) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان))، ص٢٩٦. مان، كوبلاي خان ملك الصين، ص٣٠٧-٣٠٨. اليسيف، دانييل: تاريخ الصين، ترجمة يوسف شلب الشام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٧م، ص١١٣.

(٤٤) مان: كوبلاي خان ملك الصين، ص٣٠٨.

Crump: Chinese in the Days of Kublai Khan, p,420.

(٤٥) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان))، ص٢٦٣-٢٦٤. البانكتي: تاريخ البانكتي،

- ص ٤٢٠ . مان: كوبلاي ملك المغول, ص ٣٠٨. طقوش, محمد سهيل: تاريخ المغول العظام والایلخانيين, دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, ٢٠٠٧م, ص ١٥٧.
- (٤٦) الصياد, فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ, دار النهضة العربية, بيروت ١٩٨٠م, ص ٢٢٤ . مان: كوبلاي خان ملك المغول, ص ٣٠٨ وعن العملة الورقية وكيفية صناعتها وتداولها بين التجار ينظر التفاصيل, بولو: رحلات ماركو بولو, ص ١٤٨-١٤٩.
- (٤٧) عن حركات التمرد التي وقعت ضده وحملات التوسع خارج الصين ينظر التفاصيل الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان)), ص ٢٦٣-٢٧١ . النجار: امبراطورية المغول, ص ١٣١-١٣٧.
- (48) Prawdin: The Mongol Empire, p, 334.
- (٤٩) بولو: رحلات ماركو بولو, ص ١٤٨.
- (٥٠) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان)), ص ٢٨٧.
- (٥١) بولو: رحلات ماركو بولو, ص ٢٤٨.
- (٥٢) هوخام: تاريخ الصين, ص ٢٤٥ . اليسيف: تاريخ الصين, ١١٩.
- (٥٣) هوخام: تاريخ الصين, ص ٢٤٥.
- (٥٤) هوخام: تاريخ الصين, ص ٢٤٦.
- (٥٥) مان: كوبلاي ملك المغول, ص ٣٠٩.
- (٥٦) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان)), ص ٢٨٧-٢٨٨. خواندمير: دستور الوزراء, ص ٣٣٦.
- (٥٧) بولو: رحلات ماركو بولو, ص ١٤٩.
- (٥٨) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان)), ص ٢٨٨ . خواندمير: دستور الوزراء, ص ٣٣٦-٣٣٧.
- (٥٩) خواندمير: دستور الوزراء, ص ٣٣٤.
- (٦٠) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان)), ص ٢٨٩.
- (٦١) رحلات ماركو بولو, ص ١٤٩-١٥٠.
- (٦٢) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان)), ص ٢٨٩.
- (٦٣) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان)), ص ٢٨٨.

(٦٤) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان)), ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٦٥) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان)), ص ٢٩٠.

(٦٦) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان)), ص ٢٩٥-٢٩٨.

(٦٧) أرنولد, سير توماس: الدعوة إلى الإسلام, ترجمة حسن ابراهيم وآخرون, منشورات مكتبة الانجلو المصرية,

القاهرة, ١٩٦٠م, ص ٣٣٥. لوثرروب, ستودارد: حاضرة العالم الإسلامي, ترجمة عجاج نويهض, بيروت

١٩٥٢, ص ٢٣٣.

## قائمة المصادر والمراجع العربية

### أولاً: المصادر العربية والمعربة

- ١- البناكتي، أبو سليمان ((ت٧٣٠هـ / ١٣٢٩م))  
روضة أولى الالباب في معرفة التواريخ والأنساب المعروف بتاريخ البناكتي، ترجمة محمود عبد الكريم علي، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠٠٧م.
- ٢- بولو، ماركو ((٧٢٥هـ / ١٣٢٤م))  
رحلات ماركو بولو، ترجمه إلى العربية، عبدالعزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.
- ٣- الجويني، عطا ملك (ت٦٨١هـ / ١٢٨٢م))  
تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، نقله عن الفارسية محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، ١٩٨٥م، ج ١، ص ١٠٧.
- ٤- خواندمير، غياث الدين (ت٩٤٢هـ / ١٥٣٥م))  
دستور الوزراء، ترجمة، حربي أمين حسين، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ٥- ابن العربي، غريغوريوس الملطي ((ت٦٨٥هـ / ١٢٨٦م))  
تاريخ الدول السرياني، منشورات مجلة المشرق اللبنانية، ١٩٥٤م-١٩٥٦م.
- ٦- تاريخ الزمان، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م
- ٧- الهمذاني، رشيد الدين فضل الله ((ت٧١٨هـ / ١٣١٨م))  
جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيز خان)) نقله إلى العربية، فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.

### ثانياً: المراجع العربية والمعربة

- ١- أرنولد، سير توماس  
الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن ابراهيم وآخرون، منشورات مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ٢- بياني، شيرين  
المغول التركيبية الدينية والسياسية، ترجمه عن الفارسية سيف علي، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣م.

- ٣- شبولر, بيرتولد  
المغول في التاريخ, ترجمة يوسف شلب الشام, منشورات دار طلس للدراسات والترجمة والنشر, ١٩٨٩م.
- ٤- العالم الإسلامي في العصر المغولي, نقله إلى العربية خالد أسعد عيسى, منشورات دار احسان للطباعة والنشر.
- ٥- الصياد, فؤاد عبد المعطي  
المغول في التاريخ, دار النهضة العربية, بيروت ١٩٨٠م.
- ٦- طقوش, محمد سهيل  
تاريخ المغول العظام والايخانيين, دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, ٢٠٠٧م.
- ٧- فهمي, عبدالسلام عبدالعزيز  
تاريخ الدولة المغولية في ايران, دار المعارف, القاهرة, ١٩٨١م.
- ٨- لسترنج, كي  
بلدان الخلافة الشرقية, نقله إلى العربية بشير فرنسيس, وكوركيس عواد, مطبعة الرابطة بغداد, ١٩٥٤م.
- ٩- لاين, جورج  
عصر المغول, ترجمة, تغريد الغضبان, منشورات هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة, أبو ظبي, ٢٠١٢م.
- ١٠- لوثرود, ستودارد  
حاضرة العالم الإسلامي, ترجمة عجاج نويهض, بيروت ١٩٥٢.
- ١١- هوخام, هيلدا  
تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين, ترجمة اشرف محمد كيلاني, المشروع القومي للترجمة, القاهرة, ٢٠٠٢م.
- ١٢- اليسيف, دانييل  
تاريخ الصين, ترجمة يوسف شلب الشام, منشورات وزارة الثقافة, دمشق, ٢٠٠٧م.
- ١٣- مان, جون  
كوبلاي خان ملك المغول, الذي أعاد بناء الصين, ترجمة احمد لطفي, منشورات هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة, أبو ظبي, ٢٠١٣.
- ١٤- النجار, رعد عبد الكريم

امبراطورية المغول، دار غيداء، عمان، ٢٠١٢ م.

ثالثاً: المراجع الفارسية

١- صفا، ذبيح الله

تاريخ ادبيات درر ايران، ١٣٣٨ هـ

رابعاً: المراجع الغربية

- 1- Bosworth, Ctifford Edmund  
The Islamic Dynasties, Edinburghat, 1971.
- 2- Boyle, John Andrew  
The Mongol World Empire, London, 1977, p,341-372
- 3- Crump, J. I  
Chinese Thinese in the Days of Kublai Khan, Tucson, University  
of Arizona Press, 1980.
- 4- Favre  
Larussta Etlä Turaaie, Pariss.
- 5- Prawdin, Michael  
The Mongol Empire, London, 1960.
- 6- Saunders, J. J  
The history of the Mongol conquests, London, 1971.
- 7- Spuler, Bertold  
Die Golden Horde Die Mongol in Rubland, Wiespaden, 1965.
- 8- Wood, Frances  
Ded marco Go to China, London, Secker, Warburg, 1995.

**الأميرة ست الملك الفاطمية ونفوذها في**

**حكم مصر**

**٤١١ - ٤١٥ هـ / ١٠٢٠ - ١٠٢٤ م**

**ا.م.د. علي فيصل عبد النبي العامري / كلية التربية الأساسية**

**– جامعة سومر**

**Princess Sitt al-Mulk the Fatimid and its  
Influence Ruling of Egypt**

**(411- 415 A.H. / 1020- 1024 A.D)**

**Dr. Ali Faisal A. Al-ameri/ College of Basic Education - University  
of Sumer**

الأميرة ست الملك الفاطمية ونفوذها في حكم مصر ٤١١-٤١٥ هـ / ١٠٢٠-١٠٢٤ م

ا.م.د.علي فيصل عبد النبي العامري

كلية التربية الأساسية - جامعة سومر

### الملخص

الأميرة ست الملك هي ابنة الخليفة العزيز بالله الفاطمي وأخت الحاكم بأمر الله ، ولدت بأفريقية (تونس) سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م ، من والده مسيحية الديانة ، وقد أشاد أغلب المؤرخون بشخصيتها اللامعة ودورها القيادي وهيبتها الكبيرة في نفوس الرعية ، وحزمها وحسن تدبيرها لمقاليد الحكم ، وما كثرة ألقابها ، إلا دليل على سمو قدرها وحب الناس لها .

لعبت ست الملك دوراً مهماً قبل انفرادها في حكم مصر ، فكانت موضع استشارة أبيها العزيز بالله الذي كان يحبها ولا يرد لها طلباً ، وكذلك أخذ بآرائها أخيها الحاكم واعتمد عليها ابن أخيها الظاهر بإعزاز دين الله في مدة حياتها في إدارة شئون حكم مصر .

ومن أبرز المشاكل الشائكة التي عانت منها ست الملك ولاحتقتها حتى بعد وفاتها قضية مصرع أخيها الحاكم بأمر الله ، وهل هو بفعل فاعل من قبل أحد أو منها بالذات ، وقد أسهب المؤرخون والباحثون بهذا الشأن بين الاتهام والشك وبين تبرأتها من هذا العمل .

حكمت ست الملك الخلافة الفاطمية بشكل فعلي مدة أربع سنوات (٤١١-٤١٥ هـ / ١٠٢٠-١٠٢٤ م) ، وتوفيت على أثر مرض في الكبد أو المعدة ، عن عمر بلغ ٥٦ عاماً .



**Princess Sitt al-Mulk the Fatimid and its Influence Ruling of Egypt  
411- 415 A.H. / 1020- 1024 A.D.**

**Dr. Ali Faisal A. Al-ameri**

**College of Basic Education – University of Sumer**

**Abstract**

Princess Sitt al-Malik is the daughter of the Caliph al-Aziz Billah the Fatimid and the sister of al-Hakim bi Amr God. She was born in Ifriqiya (Tunisia) in the year 359 AH / 969 AD, of a Christian mother. Most historians have praised her brilliant personality, leadership role, great prestige in the hearts of the subjects, her firmness and good management of the reins of government. Many of her titles, but evidence of the transcendence of her destiny and people's love for her.

Sitt al-Malik played an important role before she was single in ruling Egypt, as she was the subject of the advice of her dear father in God, who loved her and did not return her request.

Among the most prominent thorny problems that Sitt al-Malik suffered and pursued even after her death is the issue of the death of her brother, the ruler by the command of God, and whether it was an active act by anyone or her in particular. Historians and researchers in this regard have elaborated between accusations and doubts and her acquittal of this act.

Sitt al-Malik effectively ruled the Fatimid Caliphate for four years (411-415 AH/1020-1024AD), and she died of a disease in the liver or stomach, at the age of 56 years.

Key words : (princess ,Egypt , Fatimids )

## المقدمة

تعد ست الملك من أشهر النساء في العصر الفاطمي ، والتي لعبت دوراً سياسياً حيويًا فاق غيرها من أميرات القصر الفاطمي وباقي نسوة القصر ، وهذه الشخصية المهمة تستحق تسليط الضوء على جهودها وإخلاصها للدولة بشكل موضوعي وعملي من أجل المحافظة على ديمومة الخلافة الفاطمية خلافة أبيها وأجدادها الذين كان مركز حكمهم في أفريقية (تونس) ومن ثم في مصر ، وماهي عوامل قوتها والتي مكنها نفوذها من السيطرة على مقاليد الحكم السياسي في مصر وملأ الفراغ السياسي لسد الثغرات التي انتابت الدولة لحين إيجاد البديل بدون أطماع وعدم تمسك بالحكم إلا لغرض الحفاظ على الحكم الفاطمي من الانهيار .

واجهت البحث مشاكل عانى منها أغلب الباحثون ، وأبرزها قضية مصرع أخيها الحاكم بأمر الله وهل لست الملك يد في ذلك ؟ ، وسط آراء متلاطمة زادها المغرضون من المؤرخين تعقيداً وتشكيكاً ، بقصد أو بدونه في هذا المجال.

قسمت البحث الى ثلاثة مباحث ، تناول الأول منه إلى : ولادتها ونشأتها ، واسمها وألقابها ، وخصالها ، ومكانتها ، بينما تطرق المبحث الثاني إلى : دورها السياسي قبل توليها حكم مصر ، ومقتل أخيها الحاكم بأمر الله ، وتتصيب ابن أخيها الظاهر بإعزاز دين الله بالخلافة ، ووضح المبحث الثالث : سياستها الداخلية والخارجية ، ووفاتها.

أعتمد الباحث في هذا البحث على عدد من المصادر التاريخية التي تطرقت إلى شخصية ودور الأميرة ست الملك ومدة حكمها الفعلي للخلافة الفاطمية الذي دام أربع سنين ، ومنها : يحيى الأنطاكي في تاريخه المعروف بـ (صلة تاريخ أوتياخا) ، وابن الأثير في (الكامل في التاريخ) ، والمقرئزي في (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء) ، و(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية) وغيرها ، ومن أهم المراجع التي اعتمد عليها الباحث ، هي: (الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية) لمحمد عبد الله عنان ، و (الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ) لعبد المنعم ماجد ، و(المرأة في مصر في العصر الفاطمي) لنريمان عبد الكريم أحمد .

## المبحث الأول

### أ - ولادتها ونشأتها :

هي ابنة الخليفة العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥-٣٨٦ هـ / ٩٧٥-٩٩٦ م) وأكبر أخوات ولده الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١ هـ / ٩٩٦-١٠٢٠ م) من أبيه ، وعمة الظاهر بإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧ هـ / ١٠٢٠-١٠٣٥ م) (١) ، أي الأخت الغير الشقيقة للحاكم بأمر الله (٢) ، ولدت في المغرب (تونس) في ذي القعدة من سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م ، ووصلت مع جدها المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥ هـ / ٩٥٣-٩٧٥ م) إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م (٣) ، وهي من أسرة علوية فاطمية (٤) أما والدتها فهي نصرانية من الطائفة الملكية ، وكانت شبيهةً بها ، ومتعاطفة مع النصارى (٥).

### ب - اسمها وألقابها :

اسمها ست الملك وتخطب بمولاتنا (٦) ، وست الناس (٧) أو إنها ست الملك سلطنة (٨) ، وست النصر (٩) ، والسيدة الشريفة (١٠) ، وست الملوك (١١) ، أو سيدة الملك (١٢) ، أو السيدة العمدة (١٣) ، والسيدة العزيزية (١٤) ، وما كثرة الألقاب لهذه الأميرة إلا لسمو قدرها وعظم منزلتها ، ويبدو أن اسم ست الملك طغى بتسميتها على بقية المسميات التي عرفت بها.

### ت - خصائصها:

كان لها تطلعاتها وطموحاتها السياسية (١٥) ، وكانت كريمةً تجود بهداياها لأخيها الخليفة الحاكم بأمر الله ، ففي سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م فقد أهدته ((ثلاثون فرساً بمراكبها [سرج ولجام] ذهباً . منها مركبٌ واحدٌ مرصع . ومركبٌ من حجر البلور . وعشرون بغلة بسروجها . ولُجْمِها . وخمسون خادماً ، منهم عشرة صقالبة . ومئة تخت [حقيقية] من أنواع الثياب وافخرها ، وتاج مرصع بنفيس الجواهر ، وشاشية مرصعة ، وأسفاطٌ [قفف] كثيرةٌ من طيب [بخور] ، من سائر أنواعه ، وبستان من الفضة مزروع من أنواع الشجر )) (١٦) ، وهذا دليل على حسن العلاقة بينها وبين أخيها الحاكم .

وأقطعت خراج سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م ، وقد وصل مبلغه مائة ألف دينار ، بضمنها ضياع في الصعيد وأسفل الأرض قيمتها ٦٨٤٥٠ ديناراً ، وصهرشت (١٧) ١٧٠٠٠ دينار ، ودمنهور ٥٠٠٠ (١٨) دينار ، بما في ذلك ، ٣٠٥٥٠ دينار تضم دور وبساتين ورسوم (١٩) ، وهذه المردودات جعلها تتمتع بوفرة مالية خاصة للأبأس بها .

وحظيت بمحبة أبيها وكرمه (٢٠) ، ونظراً لكفاءتها في الحكم وما أظهرته من عدل ، تمكنت من كسب رعيته (٢١) ، ولعبت دور الوسيط بين أخيها الحاكم بأمر الله ، وبين الشاكين منه وتفهمت مطالبهم وطيبت خواطرهم (٢٢) ، وكان ابن أخيها الظاهر يجلس في قصرها ويستشيرها في أمور الدولة ((وكانت من الخير إلى الغاية)) (٢٣) ، وأشاد بتدبيرها الراجح ابن تغري بردي(٢٤) ، بقوله : ((وكانت عارفة مدبرة غزيرة العقل)).

تعد ست الملك من أكبر الشخصيات النسائية في عصرها ، ويعود ذلك إلى الدور السياسي التي لعبته والتي دبرت فيه شئون البلاد (٢٥) ، وكانت شديدة الحرص في الحفاظ على دولة الفاطميين وموضع مشورة أخيها الحاكم والذي يبيت في رأبها (٢٦) ، وهي من النساء العاقلات الحازمات (٢٧) ، ووصل بها الأمر إلى تهدئة الجيش ، وتفريق الأموال عن طريق الأمير سيف الدين الحسين بن دؤاس (٢٨) ، وقامت (( بتدبير مملكته [أي الظاهر] أحسن قيام وبذلت العطاء في الجند وساست الناس أحسن سياسة )) (٢٩) ، ((وكانت من الدهاة)) (٣٠) ، وكسبت احترام الجميع (٣١) ، ((وكانت سمحة نبيلة كريمة الأخلاق والفعل)) (٣٢) ، ونظمت شئون الدولة ومسكت زمام أمور الحكم (٣٣) ، وأعادت للخلافة الفاطمية رونقها وبهائها (٣٤) ، وبعد تخلصها من لا تود بقاؤهم ((عظمت هيبتها في نفوس الأبعد والأقرب)) (٣٥) ، إلا أنها لم تكن على وفاق مع والدة الظاهر التي تدعى رقية أو أمنة بنت الأمير عبد الله بن المعز فكانت تناصبها العدا (٣٦) ، ويبدو ان هناك منافسة بين نساء القصر على النفوذ فيه.

وبالنسبة لحاتها الأسرية فهي لم تتزوج مطلقاً (٣٧) ، حالها حال معظم الأميرات الفاطميات ، لدواعي أسرية بحتة (٣٨) ، ولم يشر المؤرخين إلى أسباب عزوفها عن الزواج ، وربما حراجة الموقف كان مبرراً لعدم الخوض في التفاصيل ، ولم يتحدث المؤرخين في الطعن

بعفتها (٣٩) ، ما جعلها تتفرغ لشئون الحكم والسياسة متمتعة بالقرار المستقل وكان أخيها ، الحاكم يسمع مشورتها ويعرض عليها الأمور الصعبة للاستئناس برأيها (٤٠) ، ويبدو أن أمر عزوفها عن الزواج يعود الى انها والأسرة الحاكمة لم تجد لها الرجل الكفو ، لاسيما انها تتمتع بشخصية قوية وحضور واسع ، وربما لم يجرو رجل على خطبتها والدليل عدم تطرق المؤرخين إلى هذا المضمار .

### ث - مكانتها :

تمتعت ست الملك بمزايا خاصة ، إذ كانت هادئة حازمة منذ طفولتها ، ومن أفضل نساء عصرها ، وعاشت مكرمة معززة تحيط بها الجواري والخدم (٤١) ، وتعد أبرز شخصية نسائية في العصر الفاطمي بأجمعه ، ونالت اهتمام المؤرخين (٤٢) ، و((كانت كاملة العقل صحيحة التدبير ... عظيمة القدر جليلة الرأي )) (٤٣) ، ومن النساء ذوات الحسن والكمال ، لا تقل شأنًا عن ((شجاعة الرجال الأبطال)) (٤٤) ، وهي أكبر اخوتها ما عزز مكانتها لدى أبيها متمتعة بكل أشكال الترف ، وما تشييد القصر الغربي (٤٥) ، لتستقل فيه بعيشها بأمر من أبيها العزيز (٤٦) ، وجعل طائفة العطفوية (٤٧) ليقوموا بخدمتها إلا دليلا على ذلك (٤٨) ، وكان بمعيتها طائفة اخرى تدعى القصرية (٤٩) ، ربما كان الغرض من تشكيلها مرافقتها خارج القصر (٥٠) ، وتأمين الحماية لها .

وعين والدها العزيز بالله خالها (أريستس) بطريكاً (٥١) على بيت المقدس ، وجعل خالها الآخر (أرسانيوس) مطراناً (٥٢) على القاهرة ومصر (٥٣) ، ويظهر لنا كذلك دورها الهام في الدولة ، فهي كانت الحاكمة الفعلية للبلاد رغم اعتلاء ابن أخيها الصغير الظاهر الخلافة بمصر بشكل رسمي ، وتسيّر سياسته في الداخل والخارج (٥٤) ، وهناك من يرى انها احكمت قبضتها على الدولة مدة شهرين ، قبل ان ترجع سلطاتها لأبن أخيه الظاهر (٥٥) ، وكان لها بستان يعرف ببستان السيدة العمّة وقد زارها فيه الخليفة الظاهر بإعزاز دين الله ركباً عبر النيل في جمادي الأولى سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م لأنها اعتادت المكوث فيه لغرض الترفيه عن نفسها (٥٦) ويوجد حمّام ربما نسب لها عرف بحمّام السيدة العمّة (٥٧) ، وبالرغم من الدور

السياسي الكبير لست الملك ، إلا أنها لم تتخذ العلامة (٥٨) لها ، ربما لعدم الإشارة لها في المصادر التاريخية والتي اقتصر على ذكر هذا المفهوم (العلامة) في عهدي الخليفين المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ / ١٠٣٥-١٠٩٤م) ، وولده المستعلي بالله (٤٨٧-٤٩٥هـ / ١٠٩٤-١١٠١م) (٥٩).

## المبحث الثاني :

### أ- دورها السياسي قبل توليها حكم مصر :

عند وفاة والدتها في رجب سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م السيدة العزيزية في مخيم منى جعفر (٦٠) ، أقامت العزاء لها والذي دام شهراً برعاية والدها العزيز بالله (٦١) ، وبعد وفاة أبيها العزيز بالله في السنة التي تلتها ، في مدينة بلبيس (٦٢) ، تركت جثمان والدها وأسرت برفقة القصرية الى القاهرة ووصلتها ليلاً ، وسيطرت على أجهزة الدولة الحساسة ، لتقادي أي انقلاب محتمل في ظل الفراغ السياسي والمذهبي الذي تركه أبيها العزيز بالله برفقة بعض رجال الدولة وهم القاضي محمد بن النعمان (٦٣) وريدان صاحب المظلة (٦٤) ، وأبو سعيد ميمون دُبَّة (٦٥) ، وكان الحزن بادياً على كل الناس لوفاة الخليفة ((ولم يبق شارع ولا زقاق إلا وفيه صراخ ونحيب)) (٦٦) ، ووقف يانس الصقلي (٦٧) ، حائلاً دون دخولها القصر (٦٨) ، وحاولت تنصيب ابن عمها عبد الله الذي يحظى بثقتها على ما يبدو ، فأحس بها الوصي على الحاكم برجوان (ت ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م) (٦٩) فألقى عليها القبض وبعثها برفقة ألف فارس الى قصرها في القاهرة (٧٠) ، ويبدو ان العقبات التي واجهتها ست الملك من قبل يانس الصقلي والوصي برجوان لم تثن عزمها في تحقيق ما تصبوا إليه وفرض نفوذها في الدولة .

وقامت ست الملك بدور مهم في كبح جماح ابن النحوي (٧١) وابلغت أخيها الحاكم وتم التخلص منه (٧٢) ، الذي جار بالرعية في الرملة بالمصادرات والاستحواذ على الأموال عنوةً ، وضربه بالسياط على من يعترض على سياسته ، وكان أحد من استجد بها عامل نصراني يقوم بخدمتها ويحظى بمكانة عندها ، شاكياً جوره وظلمه ، فلما عرفت مضمون الكتاب بهذا الشأن ، توجهت لأخيها الحاكم ، وقالت له : (( يا أمير المؤمنين قد ظهر كذب ابن النحوي وابن العداس (٧٣) وأعمالهما الحيلة على الكاتب فهدي بن ابراهيم النصراني وقتله مساعدة للحسين بن

جوهر (٧٤) وقد أفسد البلاد عليك واوحش الناس منك فان كنت يا أمير المؤمنين تُريد اخذ اموال عبيدك فكل يبذلها لك طوعاً ويحملها الى خزانتك تبرعاً بعد ان يكونوا تحت ظلّ الصيانة وفي كنف الحياطة هذا ولم تجر عادات ابائك اطلاق المصادرات)) (٧٥) ، فطلب الحاكم احضار ابن النحوي له ، إلا أن ست الملك اعترضت على ذلك بلهجة شديدة وقالت لأخيها : ((يا أمير المؤمنين ومن هذا الكلب حتى ترفع من شأنه بحمله الى حضرتك وبطن الأرض أولى به)) ، مما جعل الحاكم يأخذ موقفاً أكثر صرامة وزاد بضرب عنقه (٧٦) ، وعند وصول رأسه شكرته ست الملك على صنيعه ، وأمر ان يتعامل بنفس الأسلوب مع ابن العداس وقطع رأسه أيضاً (٧٧) .

ووقفت بجانب ابن أخيها ، علي الظاهر بإعزاز دين الله فيما بعد ، ووالدته في قصرها ، وأيدت في حقه بولاية العهد بعد أن نصب الحاكم ابن عمه عبد الرحيم بن إلياس ولياً للعهد سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م (٧٨) ، متجاوزاً حق ولده الوحيد ! ، وكرست المدة المتبقية من عهد الحاكم في رعاية علي ، وتعليمه داخل قصرها منذ السنة المذكورة (٧٩) ، مع والدته بعيدا عن أخيها وحمايةً له حتى وفاة الحاكم بأمر الله (٨٠) ، وربما كان الأخير لم يحسم أمره بعد ، بشأن تولية ابنه علي لولاية العهد ! والذي أدى إلى تزايد القلق من مستقبل المشهد السياسي وإرباكه أكثر داخل مصر .

وفي شأن علاقاتها مع المغرب ، أرسلت الى ست الملك هدية من أم ملال (ت ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م) الصنهاجية زوجة نصير الدولة (٨١) سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م ، إلا أن هذه الهدية لم تصل لأنها سلبت من قبل العرب عند برقة (٨٢) ، وهذا يعني أن لست الملك مكانة خاصة تتمتع بها في المغرب وان صيتها ودورها السياسي كان فاعلا .

#### ب- مقتل أخيها الخليفة الحاكم بأمر الله :

كثرت الأقاويل بشأن مصرع الخليفة الحاكم واختفاء جثمانه ، ويقال انه طعن ست الملك بشرفها (٨٣) ، فهي الشخصية التي تحلت بالشجاعة اللازمة في نقد بعض سياسة اخيها الحاكم في الوقت الذي لم يجرؤ في مخاطبته غيرها حفاظاً على ديمومة دولة أبيها وتهيئة الأمور لتولي ابن أخيها علي (الظاهر) للخلافة ، وجعلتها مضطرة للتعامل مع حكم الأقلية العسكرية المتنفذة بالدولة وعاملتهم بنفس اسلوبهم الغادر (٨٤) ، وذكر ابن اياس (٨٥) بانها اتفقت مع ابن دواس على

قتل أخيها بإرساله عشرة من العبيد الأشداء وتمكنوا منه في حلوان (٨٦) مكان تواجده ، ووجدوا حمارة الأشهب المعروف بـ (القمر) وهو مقطوع اليدين ، في سرجه ولجامه ولم يجدوا جثته ، وتتبعوا خطى الحمار ووجدوا ثياب الحاكم وهي سبع جبات صوف بيضاء ، وعليها آثار الطعن بالسكاكين ، ثم تخلصت من ابن دواس والتي أوعزت لنسيم الخادم الصقلي صاحب الستر والسيف (٨٧) بتصفيته ، ووجد ضمن حاجاته السكين التي كان يحملها الحاكم ، وقبضت على خطير الملك عمار بن محمد (٨٨) وكان وجود السكين برهاناً دامغاً يمكن إدانته فيه (٨٩) ، وكذلك لغرض إخفاء وطمس اسرار الاغتيال (٩٠) ، وكانت الجيب التي عثر عليها مزررة غير مفتوحة ، وبعد أن أيقنت بمقتله أبدت حزنها عليه لثلاثة أيام وقتلت الرجال الذين كانوا معه (٩١) ، وان ما ورد من التشكيك بأنها وراء اغتيالها لأخيه الحاكم ، ما هو سوى افتراضات من قبل بعض المؤرخين ، ومنها التشهير بسوء تصرفاتها والادعاء بالوهية الحاكم ، وما تخلصها من الرجال الذين تورطوا في قتل أخيها الحاكم يدحض الآراء التي تشير لها بالضلوع بهذا الأمر (٩٢) ، للانتقام من قتلته وللحفاظ على ملك ابن أخيه الظاهر (٩٣) ، فلم تكن ست الملك في مرحلة الغواية بشبابها لأنها في العقد الخامس من عمرها والتي أراد النيل منها مؤرخو السنة والقبط والذين تناقضت آرائهم بها بوصفها بأعقل وأحزم النساء من جانب آخر (٩٤) ، فمن الشك ان تنزلق هذه الأميرة الحاذقة في عمرها المتقدم إلى هذا السلوك المشين (٩٥) ، وقد نفى المقريري (٩٦) ، هذه التهمة بشكل قاطع عن ست الملك واتهم المشاركة (أهل العراق) بتلقيحها وذكر بأن القي القبض على رجل صعيدي تائر من بني حسين في محرم سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م ، وأقر بقتله للحاكم ضمن مجموعة تضم أربعة أشخاص ، وأظهر جزء من أشلاء جلدة رأس الحاكم وبعض فوطته (عمامته) ، واستفهموا عن سبب قتله له ، فرد عليهم : ((غيرة لله ولإسلام)) ، وعندما طلبوا منه بيان طريقته لقتله أخرج سكيناً طعن قلبه بها ومات في الحال ، متفقاً مع سابقه ، المسبحي (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م) (٩٧) وكذلك مع يحيى الأنطاكي (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) (٩٨) في إبعاد ست الملك عن قتل أخيها ، بينما نجد ابو هلال الصائب (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) (٩٩) ، والقضاعي (١٠٠) (ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م) في القسطنطينية يؤيدان ذلك (١٠١) ، وبقت حكاية اختفاء الحاكم لغزاً مبهماً حتى يومنا هذا (١٠٢) ، و يرجح الباحث الروايات التي تستبعد دور ست الملك من تصفية أخيها الحاكم لأن عهده قد شهد استقراراً ملحوظاً لمصر ،



الأمر الذي لا يسوغ اتخاذها عمل شنيع ضد أخيها وتجاوزف بأمن الدولة وتعرضه للمخاطر ، وقد أثبتت الوقائع حرصها الشديد عليه ، خاصة ونحن على علم بكثرة القذف والتشهير على هذه الدولة من قبل خصومها للنيل من منجزاتها والحط من شأنها .

### ت - تنصيب ابن أخيها الظاهر بإعزاز دين الله بالخلافة :

صممت ست الملك على تولى علي (الظاهر) للخلافة بعد غياب ابيه الحاكم مستفيدة من هيمنة نفوذها على الدولة ((لأنه [أي الظاهر] كان عندها وفي حوزتها)) (١٠٣)، وسعت جاهدة على إبعاد عبد الرحيم بن إلياس من الخلافة ، والذي كان يشغل مهام إمارة دمشق ، فخدع بالحضور للقاهرة وزج بالسجن وتوفي في ظروف مجهولة (١٠٤) ، وأما ابن تغري بردي (١٠٥) فيذكر مخطط حادثة تصفية ابن إلياس ولي العهد ، عندما مرضت ست الملك وشعرت بقرب أجلها ، دعت الظاهر للحضور عندها وكانت والدته معه ، وقالت له : ((قد علمت ما عاملتك به ، وأقله حراسة نفسك من أبيك ، فإنه لو تمكن منك لقتلك ، وما تركت لك أحدا تخافه إلا ولي عهدك)) فبكى الظاهر ووالدته ، وسلمت لهما مفاتيح الخزان ، وأوصتهما بما شاءت وأوكلت مهمة قتل ولي العهد لمعضاد الخادم الذي نفذ ما أرادت وتوفيت بعد ذلك بثلاثة أيام وتولى معضاد أمور الدولة ومعه آخرون ، وقيل انه سمح لشرب الخمر واللهو وصادر أموال الناس ، فقبض عليه بأمر من ست الملك ، ومات بسجنه (١٠٦).

وكان اختفاء الحاكم قد زرع استقرار الدولة لذا لجأت ست الملك الى طمأنة الناس بقولها : ((إنه أخبرني أنه يغيب سبعة أيام ، وإنه يواصلني بأوامره)) ، وبعد حوار كثير بينها وبين كبار الجيش أثار غياب الحاكم خمسة أيام ، وقالت لهم : ((قد جاءتني رقعة بانته يأتي بعد غد)) ! (١٠٧) ، وقد نظمت رسلا ينتصون حقيقة ما جرى لأخيها (١٠٨) ، وأخرجت ابن أخيها الظاهر في ظهر عيد الأضحى ، وازدحم عليه الناس مبايعين ، وركب السرداب الأرضي الى قصر الذهب ليخرج مباشرة من بابه لباب العيد (١٠٩)، وقالت ست الملك ((هذا خليفتم)) ، والذي سارع ابن دواس لمبايعته بالخلافة ، وتبعه كبار الأمراء وقادة الجيش ، ونعت بلقب الظاهر لإعزاز دين الله ورتبت الأمور له وعدلت عن ولي العهد إلياس بن عبد الرحيم ، الذي بايع مرغماً وبقي ابن دواس والعزيز عمار بن محمد لا يتصرفان إلا تحت رأي ست الملك (١١٠) ،

والطريف بالأمر ان الوقت الذي استغرق ما بين الدعاء في خطبة العيد والبيعة لولده الظاهر لم تستغرق سوى ثلاث ساعات وهذه سابقة في هذال الشأن (١١١) ، وأنفدت ان يخرج غير الظاهر من باب خروجه فعملت على قطر الباب عموداً وجعلت له رواشن واثقلته بحيث لا يمكن اقتلاعه وعززت ذلك ببناء خلفه أحكمت غلقه (١١٢) ، وقد ألبسته أوفر الثياب (١١٣) ، وبعثت الكتب إلى سائر أنحاء البلاد لغرض أخذ البيعة له (١١٤) وتوجته بتاج جد أبيه المعز لدين الله المحلى بالجواهر الثمينة ، وجعلت فوق رأسه مظلة مزينة بالجواهر ، وقد ركب فرسا جميلا بمركب من الذهب المحلى بالجواهر (١١٥) وسط مراسيم كبيرة ، ورفض أحد غلمان الحاكم بأمر الله البيعة إلا بعد التأكد من خبر الحاكم فسحب منكبا على وجهه وغرق في النيل (١١٦) ، وسيطرت ست الملك على الحكم في مصر (١١٧) ، وأصبحت الحاكمة الفعلية لمصر (١١٨) ، ومارست نفوذها بقوة ((فلا ينفذ أمر جل أو قل إلا بتوقيع يخرج عنها بخط أبي البيان الصقلي عبدها)) (١١٩) .

### المبحث الثالث :

#### أ- سياستها الداخلية :

دأبت ست الملك على معالجة في النظام السياسي والديني والاجتماعي ، وفرضت الأمن والنظام في الدولة ، ورفعت المظالم المختلفة (١٢٠) وخاطبت أهل مصر بلطيف القول ، وواعدتهم بالحسنى ، والنظر بظلاماتهم من قبل عمال الدولة ، وسمحت للنساء الخروج من بيوتهن وأطلقت حرية التصرف بشئونهن ، وردت الجواهر التي كان أخيها الحاكم قد وهبها ونظمت الأمور (١٢١) ودعت عامل تنيس (١٢٢) المنصب عليها من قبل أخيها الحاكم بحمل ما لديه من أموال جمعت عنده وأمر الحاكم بتركها لها لتدير بها أمر الدولة ، فاستجاب لطلبها وكان مقدارها ألف دينار وألفي ألف درهم من ارتفاع (ميزانية) المدينة (١٢٣).

واتسمت سياستها إزاء أهل الذمة بالتسامح ، وخاصة نحو النصارى التي تنحدر والدتها منهم ، وكان دورها بدأ بشكل مبكر منذ عهد أبيها العزيز بالله ، وعند شكوى المسلمين لها من هيمنة أهل الذمة ، فأمر ابنيها العزيز بالقبض على منشا اليهودي (١٢٤) ، والمتصرفين من يهود الشام ، وقبض على عيسى بن نسطورس (١٢٥) ومن يعمل معه من الكتاب النصارى ، وأعاد أعمال الدواوين الى كتاب المسلمين ، فالتمس عيسى بن نسطورس بست الملك للتوسط عند ابنيها الذي

كان يعزُّها ولا يرد لها طالباً الصفح عنه واستئناف مزاولته عمله (١٢٦) ، فضلاً عن كفاءته في مجال عمله (١٢٧) بعد أن حمل لخزينة الدولة ثلاثمائة ألف دينار واشترط عليه العزيز تشغيل المسلمين في أجهزة الدولة (١٢٨) ، فدرأت ست الملك الخطر الذي هدد حياته (١٢٩) ، وقد كانت تحلحل المشاكل التي تؤدي الى اضطهاد النصارى ، وترطب الأجواء المتشنجة ضدهم وتعود بهم نحو أجواء التسامح معهم ، وقد استجابت لظلامة من نصراني وقعت من ابن النحوي ، ولم يقتصر بث العيون على الخلفاء والوزراء ، فقد كانت لنساء القصر اهتمام بهذا المجال ونال الجانب الاستخباري حيزاً كبيراً من قبل ست الملك لتوفير الأمن للدولة ، وجرى ذلك منذ عهد والدها العزيز واستمر في زمن اخيها الحاكم وابنه الظاهر (١٣٠) ، واتخذت من جاريتها نَقْرَب (١٣١) وسيلة لنقل الأخبار عبر رفع الرقاع لها (التقارير) (١٣٢) ، ويعني ذلك تمتعها بالحس الأمني لها ، لمدى أهميته في حماية الدولة ورصد تحركات أعدائها ، ومن يضمن السوء لها .

منذ توليها السلطة في البلاد ، قامت بتنظيم شئونها ، ولم تضيق على أهل الذمة ، ولم تتدخل أيضاً بشأن انتخاب البطارقة ، وتركت حرية ذلك للقساوسة (١٣٣) والأساقفة (١٣٤) داخل الكنيسة ، وجعلت دورها في هذا المعترك مقتصرأ على المباركة بتعيين البطريرك الجديد والاحتفاء به بالقصر وإهدائه التحف وغيرها ، والتي استلمتها من خالها البطريرك الأسبق أرساني (ارسانيوس) ، وتركت للنصارى شأن بناء الكنائس ، رغم حصولها على الرسوم والخراج المفروض على الكنائس ، والذي تساهل فيه الخليفة الحاكم بأمر الله (١٣٥) ، إلا أن ست الملك ومن المؤكد أعادت من جديد الرسوم التي تسامح بها أخيها الحاكم (١٣٦) ، ومما لأشك فيه أن هذه الرسوم تشكل ايراداً مهماً لخزانة الدولة التي قد تجدها بحاجة لها لتعزيز وارداتها ، ويدل ذلك على انها تعاملت مع كافة الأديان على حد سواء .

ولعل الحرية التي تمتعت بها المرأة والنصارى في عهد ست الملك ، فتح الباب للانحلال الخفي ، ففي خمس بقين من محرم سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م ، كان احتفال النصارى بعيد الفصح (١٣٧) ، ونصبت الخيام بقنطرة المقس (١٣٨) واجتمع حشد كبير طيلة نهار ذلك اليوم ((واختلط الرجال بالنساء وهم يعاقرون الخمر ، حتى حملت النساء في قفاف الحمالين من شدة السكر، فكان المنكر شديداً في هذا اليوم )) (١٣٩).

## ب - سياستها الخارجية :

وفي السنة التي توفي فيها الحاكم بأمر الله (٤١١ هـ / ١٠٢٠ م) ، استعملت اساليب الدهاء مع المتمرّد على الخلافة الفاطمية في حلب وهو عزيز الدولة فاتك الوحيد (١٤٠) ، منذ سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٧ م ، وأرسلت له الخلع والخيل ، واستمرت بهذه السياسة معه حتى أغرت أحد غلمانه يدعى بدر ، وكان يدير أموره وشئون غلمانه ، وأغدقت عليه بالعطاء وتمكن الأخير من قتل فاتك سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م ، عن طريق هندي كان أعز غلمانه يدعى (تيزون) ، وأعلم ست الملك بالأمر فلعلت عليه وقلدته ولاية حلب محل سيده (١٤١).

ومن جانب علاقاتها مع البيزنطيين ، الذين كانوا يسعون جاهدين إلى إرجاع بلاد الشام تحت نفوذهم ، وقد تمخض عن ذلك صدام بين الجيشين الفاطمي والبيزنطي والذي أسفر عن انتصار جيش الخليفة العزيز بالله ، وقد تم فيما بعد عقد أبو الفتوح برجوان الوصي على الحاكم بأمر الله مع البيزنطيين الصلح سنة ٣٨٩ هـ / ١٠٠٠ م (١٤٢) مدة عشر سنوات ، إلا أن فقدان الحاكم بأمر الله عن المشهد السياسي زادت مخاوف ست الملك من نقض باسيل الثاني (٣٦٦ - ٤١٦ هـ / ٩٧٦ - ١٠٢٥ م) ، الذي هدد بقطع العلاقات ولوح بعمل عسكري ضد الفاطميين ، جعلت ست الملك تسعى إلى تمتين العلاقات بينهما ، وتأكيداً على حسن النية أخبرت الجانب البيزنطي بما تحقق على صعيد تحرير النصارى وحماية أرواحهم وممتلكاتهم وإعادة تعمير الكنائس ، وبالذات كنيسة القيامة وبعثت نقفور بطريك بيت المقدس رئيساً للوفد الفاطمي ، ولكن بدون تدوين لهذا الاتفاق الذي سرعان ما انهار على يد باسيل الثاني أثر وفاة ست الملك خلال تواجد البطريرك في القسطنطينية (١٤٣) ، ويبدو ان ست الملك لم يكن لها دوراً مهماً وكبيراً في مجال السياسة الخارجية ، لقلة مدة سيطرتها على حكم البلاد ووافتها المبكرة.

## ت - وفاتها :

ذكر النويري (١٤٤) وفاتها في سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢١ م ، وابن الأثير (١٤٥) ، قال : (( وعاشت بعد الحاكم أربع سنين وماتت )) بينما ذكر ابن إياس (١٤٦) والأرجح انها توفيت سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م (١٤٧) وكان سبب وفاتها بعلّة أصابتها بذربٍ كانت منيتها فيه (١٤٨) ، وهو مرض يصيب الكبد أو عدم قدرة المعدة على هضم الطعام (١٤٩) ، ودفنت في موقع بنته لها في مصر ،

وأصاب الدولة الوهن بعد وفاتها (١٥٠) ، وأصبحت الخلافة الفاطمية بعدها في زمن الظاهر بإعزاز دين الله ، تحت نفوذ القُصّر من الأطفال أو اليافعين ، في الوقت الذي احتفظ به الأوصياء والوزراء وحتى قادة الجيش بالحكم الحقيقي للدولة (١٥١).

تركت ست الملك أموالاً طائلة من المجوهرات والتحف وغيرها ، وثمانية آلاف جارية ونيف وثلاثين زيراً صينياً ، مليوناً بمسحوق المسك وغيرها ما لا يعد (١٥٢) ، ولعل ذلك أمراً لا يخلوا من المبالغة (١٥٣).

وقد رثاها ابو القاسم عبد الرحمن بن أعين المتطبّب (١٥٤) ، منها :

إنّ عيشا في ظل سيدة المل  
كٍ اقتسنا نعيمه أفياء  
جاء يُردى له الردى طزفة الطر  
فٍ كذلك الزمان إن سرّ ساء  
فسلو نأي وصبر كصبر  
وفؤاد لا يبرح البرحاء  
عاد حظّ العفاة - من بعد إدنا  
ءٍ إلى جود كفها - إقصاء (١٥٥)

وبوفاتها انتهت شخصية نسائية من البلاط الفاطمي الحاكم استمدت مكانتها من الأسرة العلوية العريقة في النسب والحكم ، ومن الحريصات كل الحرص على الحفاظ على دولة آبائها ، ومن حسن حظ الخلافة الفاطمية ان تبرز فيها مثل هذه الشخصية التي وان كان قد تمتعت بميزات منها الذكاء والحزم وحسن التدبير ، إلا انه - على ما يبدو - كان غير المتوقع ان تسموا وتصل الى هذه الدرجة الرفيعة ، ولا نستبعد ، ان يكون لمعان دور المرأة من الناحية السياسية متجسداً بشخصية ست الملك وتبوئها مركز القرار الأول في الدولة ، قد هيا الأرضية لظهور شخصية نسائية أخرى ، وهي السيدة رصد (١٥٦) زوج الخليفة الظاهر بإعزاز دين الله والدة الخليفة المستنصر بالله التي لعبت دوراً في مسيرة الدولة ، وتركت ست الملك بصمات واضحة في مسار الخلافة الفاطمية وتراث الشعب المصري ، والذي لا نستبعده من خلال كثرة استخدام الألقاب التي نعتت بها نساء مصر في عصرنا الراهن .

## الخاتمة

توصل الباحث إلى عدد من النتائج ، من أهمها :

- استنتج البحث أن كثرة الألقاب لهذه الأميرة ، ما هو إلا دليل على سمو قدرها وعظم منزلتها ، ويبدو أن اسم ست الملك طغى بتسميتها على بقية المسميات التي عرفت بها.
- ان تبادل الهدايا بينها وبين أخيها الحاكم بأمر الله ، هذا دليل على حسن العلاقة بينها وبين أخيها .
- ويرجح الباحث الروايات التي تستبعد ست الملك من تصفية أخيها الحاكم وأن عهده الذي شهد استقراراً ملحوظاً لمصر لا يسوغ لها اتخاذ عمل شنيع ضد أخيها وتعرض أمن الدولة التي هي أشد الحريصين عليها من المخاطر، خاصة ونحن على علم بكثرة القذف والتشهير على هذه الدولة من قبل خصومها للنيل من منجزاتها والحط من شأنها .
- ويبدو ان العقبات التي واجهتها ست الملك من قبل يانس الصقلي والوصي برجوان لم تثن عزمها في تحقيق ما تصبوا إليه وفرض نفوذها في الدولة.
- وربما كان الحاكم بأمر الله لم يحسم أمره بعد ، بشأن تولية ابنه علي (الظاهر) لولاية العهد ! ، زادت القلق من مستقبل المشهد السياسي إرباكاً داخل مصر .
- اثبت البحث ان اتخاذها لجارتها تقرب وسيلة لنقل الأخبار عبر رفع الرقاع والأخبار لها (التقارير) ، يؤكد تمتعها بتوفر الحس الأمني لها ، لأهمية ذلك في حماية الدولة ، ورصد تحركات أعدائها ومن يضمّر السوء لها.
- وفي شأن علاقاتها مع المغرب (تونس)، يتبين لنا أن إرسال هدية الى ست الملك من قبل أم ملال زوجة نصير الدولة الصنهاجية ، يعنى أن لست الملك مكانة خاصة تتمتع بها في المغرب وان صيتها ودورها السياسي كان فاعلا .
- أن إعادة ست الملك للرسوم التي تسامح بها أخيها الحاكم ، لاشك ان تلك الرسوم شكلت ايراداً مهماً لخزانة الدولة شعرت بحاجتها إليها .
- يبدو ان ست الملك لم يكن لها دوراً مهماً في مجال السياسة الخارجية ، لقلة مدة سيطرتها على حكم البلاد ووافقتها المبكرة.

- بين البحث ، بوفاة ست الملك انتهت شخصية نسائية من البلاط الفاطمي الحاكم استمدت مكانتها من الأسرة العلوية العريقة في النسب والحكم ، ومن الحريصات كل الحرص على الحفاظ على دولة آبائها ، ومن حسن حظ الخلافة الفاطمية ان تبرز فيها مثل هذه الشخصية التي وان كان قد تمتعت بميزات منها الذكاء والحزم وحسن التدبير ، إلا انه - على ما يبدو - كان غير المتوقع ان تسموا وتصل الى هذه الدرجة الرفيعة في إدارة شؤون البلاد ، ولا نستبعد ، ان يكون لمعان دور المرأة من الناحية السياسية متجسداً بشخصية ست الملك وتبوئها مركز القرار الأول في الدولة ، قد هياً الأرضية لظهور شخصية نسائية أخرى ، وهي السيدة رصد ، زوج الخليفة الظاهر بإعزاز دين الله ووالدة الخليفة المستنصر بالله التي لعبت دوراً كبيراً ، وتركت ست الملك بصمات واضحة في مسار الخلافة الفاطمية وتراث الشعب المصري ، والذي لا نستبعده كثرة استخدام الألقاب التي نعتت بها ، لنساء مصر في عصرنا الراهن .

### الهوامش

- (١) ابن إياس ، أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) بدائع الزهور في وقائع الدهور ، حققها وكتب له المقدمة والفهارس : محمد مصطفى ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، ط٣ (القاهرة - ٢٠٠٨م) ج ١، ص ٢١١.
- (٢) دفترى ، فرهاد ، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ، ترجمة : سيف الدين القصير ، دار الساقى ، ط١ (بيروت - ٢٠١٢م) ص ٣٢٩.
- (٣) ابن ظافر ، جمال الدين علي (ت ٦١٢هـ / ١٢١٥) أخبار الدول المنقطعة ، مطبوعات المعهد العلمي للأثار الشرقية بالقاهرة (القاهرة - ١٩٧٢م) ص ٥٧ ؛ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١١٣٢م) نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : نجيب مصطفى فواز - وحكمت كشلي فواز ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ٢٠٠٤م) ج ٢٨، ص ١٢٩ ؛ المقرئزي ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : محمد عب القادر أحمد عطا ، ط١ (بيروت - ٢٠٠١م) ج ١ ، ص ٣١٩-٣٢٠ ؛ دفترى ، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ، ص ٣٢٩ ؛ وحدث في سنة ٤٥١م انشقاق في الكنيسة القبطية على خلفية ما جرى في مجمع خلقيدونه الكنسي من المناظرة اللاهوتية ، ولم ينصاع الأقباط لمقررات المؤتمر ، فاعتبروا كفره بنظر الإمبراطور ماركيان (٤٥٠-٤٥٧م) ، وعين للإسكندرية

- بطيركا من جانبه عرف مؤيدوه بالملكية ، وهم الأقباط الكاثوليك ومناصروا الأمبراطور ، أما الكثرة الباقية وهم الأقباط الخارجون فعرفوا باليعاقبة أو المنوفسيه ، ينظر : عنان ، محمد عبد الله ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، دار النشر الحديث ، مطبعة أحمد الصاوي (القاهرة - د. ت) ص ٤١ - ٤٢ .
- (٤) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ٢٠٠٥م) ج ٩ ، ص ١٧٢ .
- (٥) تاجر ، جاك ، أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢م ، تقديم : سمير مرقس - ومحمد عفيفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة - ٢٠١٠م) ص ١٣٨ - ١٣٩ .
- (٦) ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم عبد الواحد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، ط٢ (بيروت - ١٩٦٧م) ج ٧ ، ص ٣٠٦ .
- (٧) ابو الفداء ، الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن علي بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) المختصر في أخبار البشر ، علق عليه ووضع حواشيه : محمود ديوب ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ١٩٩٧م) ج ١ ، ص ٥٠١ ؛ ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) تنمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ١٩٩٦م) ج ١ ، ص ٣٢٢ .
- (٨) المقرئزي ، اتعاط الحنفا ، ج ٢ ، ص ٣ .
- (٩) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٢٠٩ ، ٢١١ .
- (١٠) المسبجي ، عز الملك بن عبيد الله بن أحمد (ت ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م) أخبار مصر (القسم التاريخي) ، قبله بأصوله وأعدده للنشر : أيمن فؤاد سيد ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة - ٢٠١٤م) ص ١٠٦ ، ١٢٥ ؛ القاضي الرشيد ، ابن الزبير (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) الذخائر والتحف ، تحقيق : محمد حميد الله ، تقديم ومراجعة : صلاح الدين المنجد (الكويت - ١٩٥٩م) ص ٦٨ ؛ المقرئزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ١٩٩٨م) ج ٢ ، ص ٣٧٨ .
- (١١) القاضي الرشيد ، الذخائر والتحف ، ص ٦٨ .
- (١٢) المسبجي ، أخبار مصر ، ص ٨٩ (القسم الأدبي) ؛ ابن الصيرفي ، أمين الدين تاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) الإشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق وتعليق : عبد الله مخلص ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي (القاهرة - ١٩٢٤م) ص ٣٤ .
- (١٣) المقرئزي ، اتعاط الحنفا ، ج ٢ ، ص ٢٠ ؛ الخطط ، ج ٣ ، ص ١٤٦ ؛ دفترى ، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ، ص ٣٢٩-٣٣٠ ؛ معجم التاريخ الإسماعيلي ، ترجمة سيف الدين القصير ، دار الساقى ،



- ١ (بيروت - ٢٠١٦م) ص ١٦٢؛ وست الكل ، ينظر : صالح ، حسن محمد ، التشيع المصري الفاطمي ، دار المحجة البيضاء (بيروت - ٢٠٠٣م) ج ٣ ، ص ٤٨٠ ؛ جلميران ، سالم ، رجلان وست نساء ، مطبعة آلاء (بغداد - ١٩٨٦م) ص ١١٦ .
- (١٤) ابن ميسر ، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب (ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) ، المنتقى من أخبار مصر ، انتقاه : تقي الدين أحمد بن علي المقرئ ، قابله بنصوصه وأعدده للنشر : أيمن فؤاد سيد ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة - ٢٠١٤م) ص ٢١٣ ؛ صالح ، التشيع المصري الفاطمي ، ج ٢ ، ص ١٩ ، وربما يوجد لبس بلقب العزيزية بين أن يحسب لست الملك أو لوالدتها وقد يكون اللقب شملتهما معاً .
- (١٥) العبادي ، أحمد مختار ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية (بيروت - د. ت) ص ٢٩٢ .
- (١٦) القاضي الرشيد ، الذخائر والتحف ، ص ٦٨ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ ؛ اتعاط الحنفا ، ج ١ ، ص ٣٣٣ ؛ صالح ، التشيع المصري الفاطمي ، ج ٣ ، ص ٢٠٤ ، ٤٧٨ .
- (١٧) صهرشت : أو صهرجت وهما قريتان متاخمتان لمنية غمر شمال القاهرة ، وتعرفان بزراعة السكر ، وتعرف بهذه التسمية نسبة لصهرجت بن زيد ، وعلى شعبة النيل تبعد عن بنها ثمانية أميال ، ينظر : ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) معجم البلدان ، تقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي (بيروت - د. ت) مج ٣ ، ص ٢١٢ ؛ وأحد أعمال أسيوط ، وتعرف اليوم أبو تيج ، ينظر : المقرئ ، اتعاط الحنفا ، ج ١ ، ص ٣٤٥ هامش رقم (٢) .
- (١٨) دمنهور : وتعرف أيضاً ، دمنهور الشهيد ، على مقربة من الفسطاط بأميال ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج ٢ ، ص ٣١٣ .
- (١٩) المقرئ ، اتعاط الحنفا ، ج ١ ، ص ٣٤٥ .
- (٢٠) الزركلي ، خير الدين ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، ط ١٦ (بيروت - ٢٠٠٥م) ج ٣ ، ص ٧٨ .
- (٢١) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ٥٧ .
- (٢٢) ابن القلانسي ، ابو يعلى حمزة (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت - ١٩٠٨م) ص ٦٠ .
- (٢٣) الدوادري ، أبو بكر بن عبد الله بن أبي أيوب (ت بعد سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) كنز الدرر وجامع الغرر (الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب) ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة - ١٩٧٢م) ج ٦ ، ص ٣١٤ .

- (٢٤) جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراقات وفهارس جامعة ، مطبعة كوستاستوماس (القاهرة - د. ت) ج ٤ ، ص ١٩٥ .
- (٢٥) أحمد ، نريمان عبد الكريم ، المرأة في مصر في العصر الفاطمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة - ١٩٩٣م) ص ١٩٥ .
- (٢٦) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ٥٧ .
- (٢٧) ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراقات وفهارس جامعة ، مطبعة كوستاستوماس (القاهرة - د. ت) ج ٤ ، ص ١٨٥ .
- (٢٨) النويري ، نهاية الأرب ، ٢٨ ، ص ١٢٨ . الحسين بن دواس : هو زعيم قبيلة كتامة البربرية ، وهي أحد القبائل التي ناصرته الفاطميين في المغرب ، وتتسم بالعصبية وشدة البأس ، إلا أنها لم تحافظ على مكانتها في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ، وفقدت الكثير من نفوذها في الدولة الفاطمية ، ينظر : م . ن ، ص ١٢٣ ، هامش رقم (٢) ؛ ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ٦٧٨م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مكتبة القدسي (القاهرة - ١٣٥٠هـ) ج ٣ ، ص ١٩٣ وقد سماه طليب بن دواس .
- (٢٩) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٤٨ .
- (٣٠) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١٢٩ .
- (٣١) م . ن والصفحة .
- (٣٢) المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ .
- (٣٣) ابن الوردي ، تنمة المختصر ، ج ١ ، ص ٣٢٢ .
- (٣٤) شادي ، تيسير محمد محمد ، الفساد في الدولة الفاطمية ، تقديم : سحر عبد العزيز سالم ، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية - ٢٠١٥م) ص ١٥٨ .
- (٣٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٦ ؛ كذلك ينظر : ابن الجوزي ، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) المنتظم في تواريخ الملوك والأمم ، حققه وقدم له : سهيل زكار ، دار الفكر (بيروت - ١٩٩٥م) ج ٩ ، ص ١٧٢ .
- (٣٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٣ .
- (٣٧) دفتري ، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ، ص ٣٣٠ .
- (٣٨) دفتري ، معجم التاريخ الإسماعيلي ، ص ١٦٢ .
- (٣٩) جلميران ، رجالان وست نساء ، ص ١١٨-١١٩ .
- (٤٠) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٠ ؛ أحمد ، المرأة في مصر ، ص ١٩٨ .

- (٤١) ديوان ، عبد الحميد ، موسوعة أشهر النساء في التاريخ العربي كتابنا للنشر ، ط٣ (المنصورية لبنان - ٢٠١١م) ص ٢٧٢-٢٧٣ .
- (٤٢) فضلا عن السيدة رصد (السيدة الوالدة) زوجة الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ، ينظر : ابن الصيرفي ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص ٣٨ ؛ صالح ، التشيع المصري الفاطمي ، ج ٣ ، ص ٤٧٧ ، ٤٨٦ .
- (٤٣) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ٥٧-٥٨ .
- (٤٤) العمري ، ياسين بن خير الله الخطيب (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) الروضة الفيحاء في تواريخ النساء ، تحقيق وتعليق : حسام رياض عبد الحكيم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط١ (بيروت - ٢٠٠٠م) ص ٤٣٦ .
- (٤٥) القصر الغربي : ويطلق عليه أيضاً بقصر البحر ، بني في زمن الخليفة العزيز بالله ، وكان يضم : الميدان ، والبستان الكافوري ، والقاعة ، ينظر : المقرئ ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٧٦-٣٧٨ .
- (٤٦) بول ، ستانلي لين ، تاريخ مصر في العصور الوسطى ، ترجمة وتحقيق وتعليق : أحمد سالم سالم ، مراجعة وتقديم : أيمن فؤاد سيد ، الدار المصرية اللبنانية ، ط٤ (القاهرة - ١٩١٦م) ص ٢٨١ .
- (٤٧) العطفوية : نسبة إلى عطوف الخادم الأسود ، قتله الحاكم بأمر الله سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠م ، ينظر : المسبجي ، أخبار مصر ، ص ١٧٢ ؛ وعرفت حارة باسمهم ، كانت من أفضل مساكن القاهرة ، وقد انتشرت فيها الدور الكبيرة والحمامات والأسواق والمساجد ، قبل أن تتعرض للخراب ، ينظر : المقرئ ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٦ .
- (٤٨) المقرئ ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٧٧ .
- (٤٩) ابن ميسر ، المنتقى من أخبار مصر ، ص ٢١٥ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٧٧ ؛ اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٣١٨ ذكرها (القيصرية) .
- (٥٠) أحمد ، المرأة في مصر في العصر الفاطمي ، ص ١٩٦ .
- (٥١) البطريرك : وهي كلمة يونانية تعني (أبو الآباء) ، بينما البطريرق فهو لفظة لاتينية (Patrikos) ، وتعني قائد المملكة البيزنطية ، ينظر : قاشا ، سهيل ، تاريخ نصارى العراق ، دار الرافدين ، ط١ (بيروت - ٢٠١٠م) ص ١٠٦ .
- (٥٢) المطران : منصب بين الأسقف والبطريرك ، ويتأصل الأساقفة والمقيم بمدينة كبرى ، ينظر : قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ١٠٧ .
- (٥٣) الأنطاكي ، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٧ م) ، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيا ، حققه وصنع فهارسه : عمر عبد السلام تدمري ، جروس برس (طرابلس لبنان - ١٩٩٠م) ص ٢٠٣ .
- (٥٤) أحمد ، المرأة في مصر ، ص ١٩٨ .
- (٥٥) العمري ، الروضة الفيحاء ، ص ٤٣٧ .

- (٥٦) المقرئزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .
- (٥٧) المقرئزي ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٤٦ .
- (٥٨) العلامة : مصطلح يعني على ما يكتب من قبل الخليفة بيده على ما يرده من رسائل أو تعليمات أو سجلات أو توقيع صادر عنه ، وتعد نافذة بعد كتابة العلامة عليها ، وعادةً كان لكل خليفة أو سلطان علامة تميزه عن غيره ، وتذكر بعد السطر الأول من الموضوع ، ينظر : ابن الطوير ، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، إعادة بناء وتحقيق وتقديم : أيمن فؤاد سيّد ، نشر فرانتس شتايز شتوتغارت (ل. م - ١٩٩٢م) ص ٨٨ ، ٨٩ ، ١١٢ ، ١١١ .
- (٥٩) أحمد ، المرأة في مصر ، ص ٢٠٩-٢١٠ .
- (٦٠) منى جعفر : الذي ذكره ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد بن أيّدمر العلّائي (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م) الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها ، تحقيق لجنة التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة (بيروت - د. ت) ق ٢ ، ص ٥٠ ب ((عبرتها خمسة آلاف ومساحتها [بياض في النص] وهي جارية في الأوقاف الناصرية محمد بن قلاون الصالحي على خانقائه وهي جارية في [بياض في النص أيضاً] )) ؟ ، وهي معلومة مبهمة لم يتوفر للباحث غيرها .
- (٦١) ابن ميسر ، أخبار مصر ، ص ٢١٣ - ٢١٤ .
- (٦٢) بلبيس : مدينة تبعد عن فسطاط مصر عشرة فراسخ باتجاه طريق الشام ، سكنها عبس بن بغيض ، فتحت سنة ١٩هـ / ٦٤٠م ، أو السنة التي تلتها ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج ١ ، ص ٣٧٧ ؛ المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٣٩ .
- (٦٣) محمد بن النعمان : هو أبو عبد الله قاضي القضاة ودامت مدة ولايته لمصر وأعمالها أربع عشرة سنة وستة أشهر وعشرة أيام ، ولد سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م ، تولى غسل العزيز بالله بعد موته ، توفي في سنة ٣٨٨هـ / ٩٩٨م ، ودفن في داره قبل نقله للقرافة ، ينظر : ابن سعيد ، علي بن موسى (ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م) ، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة القسم الخاص من كتاب المغرب في حلي المغرب ، تحقيق : حسين نصار ، مطبعة دار الكتب (القاهرة - ١٩٧٠م) ص ٥٥ ؛ ابن ميسر ، المنتقى من أخبار مصر ، ص ٢١٦-٢١٧ ؛ المقرئزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٣٣٦ .
- (٦٤) ريدان : هو أبو الفضل ، الذي عرفت باسمه الريدانية ، وهو أحد خدمة الخليفة العزيز بالله ، قتله الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م ، ينظر : ابن ميسر ، المنتقى من أخبار مصر ، ص ٢١٥ ، هامش رقم (٢) ؛ ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حقق أصوله : يوسف علي طويل - ومريم قاسم طويل ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت - ١٩٩٨م) ج ١ ، ص ٢٦٣ ، ج ٤ ، ص ٥٥٢ . صاحب المظلة : وهو حاملها ومن الأمراء الأجلاء ، وهو من الكرامة لحمل ما يرفع فوق رأس الخليفة ، وعادة ما تكون نفس

- لون لباس الخليفة ، ينظر : ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ١٢٣ ، ١٥٧ ؛ القلقشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرح وتعليق ومقابلة نصوص : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية (بيروت - د.ت) ج ٣ ، ص ٥٥٤ .
- (٦٥) ابو سعيد دُبَّة : أحد خدمة العزيز بالله ، وكان خصياً من عبيد الشراء ، ينظر : المسبحي ، أخبار مصر ، ص ٨١ ؛ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ص ٤٦-٤٨ ؛ الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج ٦ ، ص ٢١٦ .
- (٦٦) المقرئزي ، اتعاط الحنفا ، ج ١ ، ص ٣١٨-٣١٩ ؛ كذلك ينظر : ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ص ٥٤ .
- (٦٧) يانس الصقلي : هو أبو الحسن ، تولى مهام الإشراف على القصور زمن العزيز بالله ، وجعله نائباً له عندما رحل لبليس وكان صاحب الشرطة في عهده ، وتولى ولاية برقة في عهد الحاكم بأمر الله ، توفي سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٩م ، ينظر : ابن ميسر ، المنتقى من أخبار مصر ، ص ٢٢٠ ؛ الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج ٦ ، ص ٢٣٨ ؛ المقرئزي ، اتعاط الحنفا ، ج ١ ، ص ٣١٨ ، ٣٢٦ ، ٣٤٧ .
- (٦٨) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ص ٥٤ .
- (٦٩) برجوان : هو أبو الفتوح برجوان الخادم ، وهو خصياً أبيضاً متكامل الخلقة ، تربي بدار الخليفة العزيز بالله وعندما حضرت الأخير المنية أوصاه بولده ابي علي منصور (الحاكم) ، تولى الوساطة سنة ٣٨٧هـ / ٩٩٧م ، كاتبه أبو العلا فهد بن ابراهيم النصراني ، يحب الغناء وكان مع المغنين كأحدهم ، لكنه لم يحسن السيرة آخر أيامه ، توفي سنة ٣٩٠هـ / ٩٩٩م ، ينظر : ابن الصيرفي ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص ٢٧ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٦٣ ؛ المقرئزي ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٦-٧ ، ج ٤ ، ص ٧١ ذكر وفاته سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٨م ؛ اتعاط الحنفا ، ج ١ ، ص ٣٣٩ .
- (٧٠) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٤ .
- (٧١) ابن النحوي : هو أبو طاهر محمود النحوي الكاتب ، متولي ديوان الإنشاء في الشام ، ضربت عنقه في سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م زمن الحاكم بأمر الله لتجبره وتعسفه في الشام ، ينظر : المقرئزي ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٥٨-٥٩ .
- (٧٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٠ .
- (٧٣) ابن العداس : هو أبو الحسن علي بن عمر ، ضمن كورة بوصير في عهد المعز لدين الله ، ولاء العزيز بالله الوساطة بعد يعقوب بن كلس (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) ، ولم يلقب بالوزير ، وسجنه ٥٧ يوماً لسوء تصرفه بالأموال ، وعرف درب يحمل اسمه (درب العداس) يقع بين دارالديباج والوزيرية ، قتله الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م واحرق في النار ، ينظر : ابن الصيرفي ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص ٢٤-٢٥ ؛ المقرئزي ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٥٨-٥٩ ، ٧٩ .

- (٧٤) الحسين بن جوهر : هو قائد القواد أبو عبد الله بن جوهر الصقلي ، تسلم جميع ما كان بيد برجوان بعد مقتله سنة ٣٩٠هـ / ٩٩٩م ، هرب من الحاكم بأمر الله خوفاً منه ولكنه طمأنه في بادئ الأمر ، ثم قتله سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م مع زوج أخته القاضي عبد العزيز بن النعمان ، ينظر : ابن الصيرفي ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص ٨٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٦٤ ، ٣٥٣ ، ج ٤ ، ص ٥٩٣ .
- (٧٥) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٠ .
- (٧٦) م . ن ، والصفحة .
- (٧٧) م . ن ، ص ٦١ .
- (٧٨) المقرئ ، الخطط ، ج ٤ ، ص ٧٦ . الياس بن عبد الرحيم : جعله الحاكم بأمر الله ولياً للعهد ، وتولى نيابة دمشق سنة ٤١٠هـ / ١٠١٩م ، وبعد وفاة الحاكم قبض عليه ومات في السجن ، ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت - ٢٠٠٤م) ج ١٠ ، ص ٩١ ، ٩٤ .
- (٧٩) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ١٠ ، ص ٩١ ، ٩٤ ؛ دفترى ، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ، ص ٣٣٠ .
- (٨٠) الأنطاكي ، تاريخ الأنطاكي ، ص ٣٠٤ .
- (٨١) نصير الدولة : هو باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ، تولى حكم بني زيري في القيروان سنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م ولقبه في نفس السنة الحاكم بأمر الله بنصير الدولة ، توفي سنة ٤٠٦هـ / ١٠١٥م ، ينظر : ابن أبي دينار ، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت ١١١٠هـ / ١٦٩٨م) المؤسس في أخبار افريقية وتونس ، دار المسيرة ، ط ٣ (بيروت - ١٩٩٣م) ص ١٠٠ - ١٠٢ .
- (٨٢) ابن عذاري ، أبو عبد الله بن محمد المراكشي (ت بعد سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج. س . كولان - و. إ. ليفي بروفنسال ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت - ٢٠٠٩م) ج ١ ، ص ٢٦٠-٢٦١ .
- (٨٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٠٥ .
- (٨٤) بول ، تاريخ مصر ، ص ٢٧١-٢٧٢ .
- (٨٥) بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٢١٠ .
- (٨٦) حلوان : قيل عرفت نسبة لحلوان بن بابلون بن عمرو بن امرئ القيس ، وهي إحدى قرى أعمال مصر تبعد عن القسطنطينية ما يقارب الفرسخين أو خمسة أميال صوب الصعيد ، تطل على النيل ، وأول من اختطها عبد العزيز بن مروان خلال ولايته على مصر سنة ٧٠هـ / ٦٨٩م هرباً من الطاعون الذي حل بمصر ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج ٢ ، ص ١٧٥ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٩ ، ص ٣٦٠ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .

- (٨٧) صاحب الستر والسيف : صاحب الستر (صاحب العذاب) ويقوم بحجب الخليفة عن الأنظار ويرفعه اذا اقتضى ذلك ، وصاحب السيف هو سيف الخليفة المحلى بالذهب ومزّين بالجواهر وهو من صاعقة وقعت على ما يذكر ، ويسلم مع خروج المظلة ، ويقوم بها أمير جليل القدر ، ينظر : ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ١٥٤ ، ١٥٩ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٥٥٤ .
- (٨٨) الأنطاكي ، تاريخ الأنطاكي ، ص ٣٥٩-٣٦١ ، ٣٧٣؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٦ .  
 عمار بن محمد : هو أبو الحسين الأمير رئيس الرؤساء خطير الملك ، تولى ديوان الإنشاء وزمام المشاركة والترک وكان الواسطة بينهما وبين قصر الخلافة وكان توقيعه الحمد لله رب العالمين ، ومدة وساطته بدأت في ربيع الأول سنة ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م ودامت سبعة أشهر وأيام توفي في نفس السنة المذكورة ، ينظر : المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٦ ؛ الخطط ، ج ٢ ، ص ١٩١ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج ٥ ، ص ٣٦ .
- (٨٩) خليل ، محمد محمود ، الاغتيالات السياسية في مصر في عصر الدولة الفاطمية ، مكتبة مديبولي ، ط١ (القاهرة - ٢٠٠٦ م) ص ١٧٠ .
- (٩٠) صالح ، التشيع المصري الفاطمي ، ج ٣ ، ص ٤٨٠ .
- (٩١) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ٥٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٤٩٥ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٠ ، ص ٩٣ ؛ تاريخ الإسلام ، ج ٩ ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .
- (٩٢) أحمد ، المرأة في مصر ، ص ١٩٩ .
- (٩٣) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ٦٠ ؛ خليل ، الاغتيالات السياسية ، ص ١٧٠ .
- (٩٤) ماجد ، عبد المنعم ، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة - ١٩٥٩ م) ص ١٧٢ .
- (٩٥) عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٢٤ .
- (٩٦) الخطط ، ج ٤ ، ص ٧٧ ، نقلا عن : المسبجي (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م) ؛ اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ١٥ ذكر قوله ((عزّت لله وللاسلام)).
- (٩٧) المسبجي : هو المؤرخ عز الملك محمد بن عبید الله بن أحمد الحراني ، وهو أمير وكاتب مصري ، له مع الحاكم بأمر الله مجالس وحاضرات وقلده البهنسا ، وأعقبه ديوان الترتيب ، له عدة مصنفات ، ولد سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م ، وعاش أربعاً وخمسين سنة ، ينظر : الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ابيك (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) الوافي بالوفيات ، اعتناء : س . ديدرينغ ، نشر فرانزشتاينز (بفيسبادن - ١٩٧٤ م) ج ٤ ، ص ٧-٨ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٣٦١ ، هامش رقم (١) ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب (مكتبة القدسي) ، ج ٣ ، ص ٢١٦ .
- (٩٨) الأنطاكي : بطريك الإسكندرية له كتاب مشهور (صلة تاريخ اوتخا) ، ينظر : الأنطاكي ، تاريخ الأنطاكي ، ص ٦ (المقدمة) .

- (٩٩) الصابئ : هو ابو الحسين وقيل أبو الحسن ، هلال بن المحسن بن أبي اسحاق بن هلال بن ابراهيم بن زهرون بن حيون ، ولد سنة ٣٥٩هـ / ٩٦٩م ، صابئي الديانة من الخزنانية نسبة الى مدينة حران السورية ، أسلم سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م ، نجا من مرض كاد يودي بحياته سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م ، ينظر : الصابئ ، أبو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) رسوم دار الخلافة ، تحقيق وتعليق : ميخائيل عواد ، دار الرائد العربي ، ط٢ (بيروت - ١٩٨٦م) ص ٨ وما بعدها (مقدمة المحقق) .
- (١٠٠) القضاعي : هو محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيم ، أحد علماء الشافعية ، وهو مؤرخ ومفسر أيضاً ، شغل مهام الكتابة لدى الوزير الفاطمي علي بن أحمد الجرجاني ، لم يمكث طويلاً ، وكان قاضياً في مصر ، من مؤلفاته : خطط مصر ، ومناقب الشافعي ، وتواريخ الخلفاء ، ينظر : المؤيد في الدين ، هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي (ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) سيرة المؤيد في الدين داعي الدعوة ، تقديم وتحقيق : محمد كامل حسين ، دار الكتاب المصري ، ط١ (القاهرة - ١٩٤٩م) ص ١٠٣ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، مج ٤ ، ص ٥٥ - ٥٦ ؛ الصفدي (طبعة أخرى) ، الوافي بالوفيات ، باعثناء من س . دبزينغ ، المطبعة الهاشمية (دمشق - ١٩٥٣م) ج ٣ ، ص ١١٦ .
- (١٠١) عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٣٢-١٣٣ .
- (١٠٢) دفتري ، معجم التاريخ الإسماعيلي ، ص ١٢٣ .
- (١٠٣) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ٥٨ .
- (١٠٤) ويذكر ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ٦٣ أن ابن إلياس هرب ؛ دفتري ، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ، ص ٣٣٠ .
- (١٠٥) النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٩٤ .
- (١٠٦) م . ن ، والصفحة .
- (١٠٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٠٦ .
- (١٠٨) المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٣٩٧ .
- (١٠٩) باب العيد : محكم البناء تعلوه قبة بنيت مسجداً تسميها العامة بالقاهرة ، وقيل سمي بذلك لأن الخليفة يخرج منه يومي العيد للمصلين في طرف باب النصر لصلاة العيد والخطبة فيه بعدها ، ينظر : المقرئ ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ .
- (١١٠) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .
- (١١١) ابن الصيرفي ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص ٣٣ - ٣٤ ؛ المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٣ .
- (١١٢) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ٦٣ .
- (١١٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ، ص ١٧٢ .



- (١١٤) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥ م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار إحياء التراث العربي ، تصحيح وتعليق : تركي فرحان المصطفى ، ط ١ (بيروت - ٢٠١٠م) ج ٤ ، ص ٦٥ .
- (١١٥) المقرئزي ، اتعاض الحنفا ، ج ٢ ، ص ٣ .
- (١١٦) م . ن ، ج ٢ ، ص ٤ .
- (١١٧) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ٦٣ .
- (١١٨) سيد ، أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الاسرة (القاهرة - ٢٠٠٧ م) ص ١٨٢ .
- (١١٩) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٧١ .
- (١٢٠) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٤٣ ؛ دفتري ، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ، ص ٣٣٠ .
- (١٢١) المقرئزي ، اتعاض الحنفا ، ج ٢ ، ص ٤ .
- (١٢٢) تيس : سميت نسبة لتيس بن حام بن نوح ، تقع بين نهر النيل وبحر الروم (المتوسط) ، بها جزيرة صغيرة بنيت جميع مساحتها : ينظر : المقدسي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تعليق ووضع عليه حواشيه : محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت - ٢٠٠٣م) ص ١٦٨ ؛ المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٢٦ .
- (١٢٣) المسبجي ، أخبار مصر ، ص ١٧٣-١٧٤ .
- (١٢٤) منشا : هو منشا بن ابراهيم بن الفرار ، جعله عيسى بن نسطورس نائباً عنه في الشام ، وبالغ في مراعاة اليهود ، ينظر : ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٣ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٩ ، ص ٧٢ ذكره منشأ اليهودي ؛ بينما ذكره المقرئزي ، اتعاض الحنفا ، ج ١ ، ص ٣٢٢-٣٢٣ بابن القزاز ، وان العزيز بالله قبض عليه مع عيسى بن نسطورس وصادر الكثير من أموالهما .
- (١٢٥) عيسى بن نسطورس : نصراني من أقباط مصر ضبط أمور الدولة ، قتله الحسن بن عمار ليلا ورمى عليه حائطا وقتل أصحابه بعد تعذيبهم سنة ٣٨٧هـ / ٩٩٧م ، ينظر : ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٦ ، ٣٣ ؛ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ص ٥٥ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٩ ، ص ٧٢ ؛ المقرئزي ، اتعاض الحنفا ، ج ١ ، ص ٣٢٧-٣٢٨ .
- (١٢٦) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ٤١ .
- (١٢٧) بول ، تاريخ مصر ، ص ٢٥٠ .
- (١٢٨) الروذراوري ، أبو شجاع محمد بن الحسين (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) ذيل تجارب الأمم ، اعتني بالنسخ والتصحيح : هـ . ف . أمدروز ، شركة التمدن الصناعية (القاهرة - ١٩١٦م) ج ٣ ، ص ١٨٧ ؛

- الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٩ ، ص ٧٢ ؛ البراوي ، راشد ، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السعادة ، ط١ (القاهرة - ١٩٤٨ م) ص ٣٢٤ .
- (١٢٩) حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٣ (القاهرة - ١٩٦٤ م) ص ٢٠٤ .
- (١٣٠) صالح ، التشيع المصري الفاطمي ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ .
- (١٣١) تَقْرُب : جارية لست الملك وكانت جميلة الصورة ، تتمتع بثروة كبيرة ، وكانت وصيتها الى الجارية الأخرى لست الملك وتعرف بـ ( مُدَلَّل ) ، ونقل مالها للقصر لهذه الجارية ، توفيت في ذي الحجة سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م ، ودفنت في القرافة ، ينظر : المسبجي ، أخبار مصر ، ص ١٢٥ .
- (١٣٢) المسبجي ، أخبار مصر ، ص ١٢٥ .
- (١٣٣) القس : وهو أدنى من الأسقف وأعلى من الشماس ، وهي درجة لا رتبة ، ينظر : قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ١١٠ .
- (١٣٤) الأسقف : يأتي بعد المطران ، والأسقف كلمة يونانية جذورها (إبيسكوبوس) Episcopos تعني ناظر أو فاحص ، ويتراأس الكهنة ، والذي يقوم بتدبير الأبرشية ، ينظر : قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ١٠٨ .
- (١٣٥) الأنطاكي ، تاريخ الأنطاكي ، ص ٣٧١-٣٧٢ ؛ أحمد ، المرأة في مصر ، ص ٢٠٤-٢٠٥ .
- (١٣٦) البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٣٤٢ .
- (١٣٧) عيد الفصح ، وهو أكبر أعياد النصارى ، ويرون ان السيد المسيح (ﷺ) قبض عليه في هذا اليوم من قبل اليهود وصلبوه على خشبة ، ينظر : المقريري ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٧-٢٨ .
- (١٣٨) المقس : عرف قبل الإسلام بأمر دنين ، وفيه حصن ومدينة قبل انشاء الفسطاط ، وكان في السابق يقعد فيه رجل لأخذ المكس (الضرائب) وبنى فيه العزيز بالله دار لصناعة المراكب ، وأنشأ فيه الحاكم بأمر الله جامعاً ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج ٤ ، ص ٣٠٢ ؛ المقريري ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤١٨ ، ج ٣ ، ص ٣٤٢ ، ج ٤ ، ص ٦٨ .
- (١٣٩) المقريري ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ١٢ .
- (١٤٠) فاتك الوحيدي : هو أرمني من ممالك بنجوتكين (ت ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م) ، لقب من قبل الحاكم بأمر الله بـ (أمير الأمراء) ، ينظر : الأنطاكي ، تاريخ الأنطاكي ، ص ٣٢٦ ؛ ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٩٤ ؛ العريني ، السيد الباز ، الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية (بيروت - د . ت) ص ٦٨٤ .
- (١٤١) ابن العديم ، كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) زبدة الحلب من تاريخ حلب ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ١٩٩٦ م) ص ١٢٤ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٩٤-١٩٥ .

- (١٤٢) الأنطاكي ، تاريخ الأنطاكي ، ص٢٤٨؛ ماجد ، الحاكم بأمر الله ، ص١٢٣-١٣٣ .
- (١٤٣) الأنطاكي ، تاريخ الأنطاكي ، ص ٣٨٧ ؛ أحمد ، المرأة في مصر ، ص٢٠٣-٢٠٤ .
- (١٤٤) نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص١٢٩ .
- (١٤٥) الكامل ، ج٧ ، ص٣٠٧ .
- (١٤٦) بدائع الزهور ، ج١ ، ص٢١١-٢١٢ .
- (١٤٧) يحيى الأنطاكي ، تاريخ الأنطاكي ، ص٣٨٧ .
- (١٤٨) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٤ ، ص١٩٥ .
- (١٤٩) صالح ، التشيع المصري الفاطمي ، ج٣ ، ص٤٨٠؛ فرحات ، أميرة الشيخ رضا ، الفاطميون تاريخهم وآثارهم في مصر ، كتاب - ناشرون ، ط١ (بيروت - ٢٠١٣م) ص٦٢ ، هامش رقم (١) .
- (١٥٠) العمري ، الروضة الفيحاء ، ص٤٣٧ .
- (١٥١) دفتري ، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ، ص٣٣٠ .
- (١٥٢) المقرئ ، الخطط ، ج٢ ، ص٣٧٨ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٤ ، ص١٩٢ .
- (١٥٣) جلميران ، رجلا وست نساء ، ص١٢١ .
- (١٥٤) ابن اعين المتطبب : لم يعثر الباحث على ترجمة وافية لهذا الشاعر .
- (١٥٥) المسبجي ، أخبار مصر ، ص ٨٩ (القسم الأدبي) .
- (١٥٦) رصد : وهي جارية سوداء وأحد حظايا الخليفة الظاهر بإعزاز دين الله وانجبت له ابنه المستنصر ، وكانت علامتها ((الحمد لله ولي كل نعمة)) ، سيطرت على حكم مصر للسنوات ٤٣٦هـ / ١٠٤٥م وحتى سنة ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م ، ينظر : الأمام المستنصر (الخليفة الفاطمي ، ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) السجلات المستنصرية ، تقديم وتحقيق : عبد المنعم ماجد ، دار الفكر العربي ، مطبعة الاعتماد (القاهرة - ١٩٥٤م) سجل ٢٨ و٣٥ و٥١ ، ص ٩٦ ، ١٠٩ ، ١٦٩ ويوجد اختلاف طفيف في النص ؛ المقرئ ، اتعاض الحنفا ، ج٢ ، ص٤٥ ؛ أحمد ، المرأة في مصر ، ص٢٠٩-٢٢١ .

## المصادر والمراجع

### أ- المصادر .

- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم عبد الواحد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) .
- الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، ط٢ (بيروت - ١٩٦٧م) .
- الأمام المستنصر (الخليفة الفاطمي ، ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) .

- السجلات المستنصرية ، تقديم وتحقيق : عبد المنعم ماجد ، دار الفكر العربي ، مطبعة الاعتماد (القاهرة - ١٩٥٤م).
- الأنطاكي ، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٧م).
- تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيا ، حققه وصنع فهارسه : عمر عبد السلام تدمري ، جروس برس (طرابلس لبنان - ١٩٩٠م).
- ابن إياس ، أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م).
- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، حققها وكتب له المقدمة والفهارس : محمد مصطفى ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، ط٣ (القاهرة - ٢٠٠٨م).
- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراقات وفهارس جامعة ، مطبعة كوستاستوماس (القاهرة - د.ت).
- ابن الجوزي ، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م).
- المنتظم في تواريخ الملوك والأمم ، حققه وقدم له : سهيل زكار ، دار الفكر (بيروت - ١٩٩٥م).
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار إحياء التراث العربي ، تصحيح وتعليق : تركي فرحان المصطفى ، ط١ (بيروت - ٢٠١٠م).
- ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد بن أيدير العلاني (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م).
- الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها ، تحقيق لجنة التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة (بيروت - د.ت).
- الدواداري ، أبو بكر بن عبد الله بن أبي أيوب (ت بعد سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م).
- كنز الدرر وجامع الغرر (الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب) ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة - ١٩٧٢م).
- ابن أبي دينار ، محمد بن أبي القاسم الرعييني القيرواني (ت ١١١٠هـ / ١٦٩٨م).
- المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، دار المسيرة ، ط٣ (بيروت - ١٩٩٣م).
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ٢٠٠٥م).

- سير اعلام النبلاء ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ٢٠٠٤م).
- الروذراوري ، أبو شجاع محمد بن الحسين (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م).
- ذيل تجارب الأمم ، اعتني بالنسخ والتصحيح : ه. ف. أمدروز ، شركة التمدن الصناعية (القاهرة - ١٩١٦م).
- ابن سعيد ، علي بن موسى (ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م).
- النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة القسم الخاص من كتاب المغرب في حلي المغرب ، تحقيق : حسين نصار ، مطبعة دار الكتب (القاهرة - ١٩٧٠م).
- الصابئ ، أبو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م).
- رسوم دار الخلافة ، تحقيق وتعليق : ميخائيل عواد ، دار الرائد العربي ، ط٢ (بيروت - ١٩٨٦م) ص ٨ وما بعدها (مقدمة المحقق).
- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م).
- الوافي بالوفيات ، اعتناء : س. ديدرينغ ، نشر فرانزشتايز (بفيسبادن - ١٩٧٤م) ، وطبعة أخرى باعتناء من س. دبرينغ ، المطبعة الهاشمية (دمشق - ١٩٥٣م).
- ابن ظافر ، جمال الدين علي (ت ٦١٢هـ / ١٢١٥).
- أخبار الدول المنقطعة ، مطبوعات المعهد العلمي للأثار الشرقية بالقاهرة (القاهرة - ١٩٧٢م).
- ابن العديم ، كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م).
- زبدة الحلب من تاريخ حلب ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ١٩٩٦م).
- ابن عذاري ، أبو عبد الله بن محمد المراكشي (ت بعد سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م).
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان - و إ. ليفي بروفنسال ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ٢٠٠٩م).
- ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مكتبة القدسي (القاهرة - ١٣٥٠هـ).
- العمري ، ياسين بن خير الله الخطيب (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).
- الروضة الفيحاء في تواريخ النساء ، تحقيق وتعليق : حسام رياض عبد الحكيم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط١ (بيروت - ٢٠٠٠م).

- ابو الفداء ، الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن علي بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م).
- المختصر في أخبار البشر ، علق عليه ووضع حواشيه : محمود ديوب ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ١٩٩٧م).
- القاضي الرشيد ، ابن الزبير (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي).
- الذخائر والتحف ، تحقيق : محمد حميد الله ، تقديم ومراجعة : صلاح الدين المنجد (الكويت - ١٩٥٩م).
- ابن القلانسي ، ابو يعلى حمزة (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م).
- ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت - ١٩٠٨م).
- القلقشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م).
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرح وتعليق ومقابلة نصوص : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية (بيروت - د.ت).
- المسبحي ، عز الملك بن عبيد الله بن أحمد (ت ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م).
- أخبار مصر (القسمين التاريخي والأدبي) ، قابله بأصوله وأعدده للنشر : أيمن فؤاد سيد ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة - ٢٠١٤م).
- المقدسي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م).
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تعليق ووضع عليه حواشيه : محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ٢٠٠٣م).
- المقرئزي ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م).
- اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : محمد عب القادر أحمد عطا ، ط١ (بيروت - ٢٠٠١م).
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ١٩٩٨م).
- المؤيد في الدين ، هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي (ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م).
- سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ، تقديم وتحقيق : محمد كامل حسين ، دار الكتاب المصري ، ط١ (القاهرة - ١٩٤٩م).
- ابن ميسر ، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب (ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م).

- المنتقى من أخبار مصر ، انتقاءه : تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي ، قابله بنصوصه وأعدده للنشر : أيمن فؤاد سيد ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة - ٢٠١٤م).
- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م).
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : نجيب مصطفى فواز - وحكمت كشلي فواز ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت - ٢٠٠٤م).
- ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) .
- تنمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت - ١٩٩٦م).
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م).
- معجم البلدان ، تقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي (بيروت - د.ت).

#### ب- المراجع.

- أحمد ، نزيهان عبد الكريم .
- المرأة في مصر في العصر الفاطمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة - ١٩٩٣م).
- البراوي ، راشد .
- حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السعادة ، ط ١ (القاهرة - ١٩٤٨م).
- بول ، ستانلي لين .
- تاريخ مصر في العصور الوسطى ، ترجمة وتحقيق وتعليق : أحمد سالم سالم ، مراجعة وتقديم : أيمن فؤاد سيد ، الدار المصرية اللبنانية ، ط ٤ (القاهرة - ١٩١٦م).
- تاجر ، جاك .
- أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢م ، تقديم : سمير مرقس - ومحمد عفيفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة - ٢٠١٠م).
- جلميران ، سالم .
- رجلان وست نساء ، مطبعة آلاء (بغداد - ١٩٨٦م).

- حسن ، حسن ابراهيم .
- تاريخ الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٣ (القاهرة - ١٩٦٤م).
- خليل ، محمد محمود .
- الاغتيالات السياسية في مصر في عصر الدولة الفاطمية ، مكتبة مدبولي ، ط١ (القاهرة - ٢٠٠٦م).
- دفتري ، فرهاد .
- الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ، ترجمة : سيف الدين القصير ، دار الساقى ، ط١ (بيروت - ٢٠١٢م).
- معجم التاريخ الإسماعيلي ، ترجمة سيف الدين القصير ، دار الساقى ، ط١ (بيروت - ٢٠١٦م).
- ديوان ، عبد الحميد .
- موسوعة أشهر النساء في التاريخ العربي ، كتابنا للنشر ، ط٣ (المنصورية لبنان - ٢٠١١م).
- الزركلي ، خير الدين .
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، ط٦ (بيروت - ٢٠٠٥م).
- سيد ، أيمن فؤاد .
- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الاسرة (القاهرة - ٢٠٠٧م).
- شادي ، تيسير محمد محمد .
- الفساد في الدولة الفاطمية ، تقديم : سحر عبد العزيز سالم ، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية - ٢٠١٥م).
- صالح ، حسن محمد .
- التشيع المصري الفاطمي ، دار المحجة البيضاء (بيروت - ٢٠٠٣م).
- العبادي ، أحمد مختار .
- في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية (بيروت - د.ت).
- العريني ، السيد الباز .
- الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية (بيروت - د.ت).
- عنان ، محمد عبد الله .



- الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، دار النشر الحديث ، مطبعة أحمد الصاوي (القاهرة - د. ت).
- فرحات ، أميرة الشيخ رضا .
- الفاطميون تاريخهم وآثارهم في مصر ، كتاب - ناشرون ، ط ١ (بيروت - ٢٠١٣ م).
- قاشا ، سهيل .
- تاريخ نصارى العراق ، دار الرافدين ، ط ١ (بيروت - ٢٠١٠ م).
- ماجد ، عبد المنعم .
- الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة - ١٩٥٩ م).

# **حادثة الاسراء وأثرها الفكري في الإسلام**

**أ.م.د. عبد المنعم عبدالجبار علي جعفر / كلية الآداب**

**جامعة المثنى**

## **The Isra Incident and its Intellectual Impact on Islam**

**Dr. Abdel Moneim Abdel Jabbar A. Jaafar / College of Arts -  
University of Muthana**

## حادثة الاسراء وأثرها الفكري في الاسلام

أ.م.د. عبد المنعم عبد الجبار علي جعفر

كلية الآداب - جامعة المثنى

### الملخص

اعتمدت هذه الدراسة على المحاور التالية وهي :

أولاً/ مفهوم الاسراء في القرآن الكريم، من خلال ايجاد تعريف لمعنى مصطلح الاسراء لغةً واصطلاحاً وتوصيف هذا المفهوم من خلال القرآن الكريم .

ثانياً/ اثر حادثة الاسراء في السلوك الفكري في الجانب العقائدي عندي ابن عربي وابن الرومي.

ثالثاً/ أثرها الفكري في المحور الادبي عند أبو عامر بن شهيد و ابي العلاء المعري، والمخيل الشعبي .

رابعاً / أثرها الفكري في المحور العلمي وسيما في علمي الجغرافية والفلك ، وما نتج عنه من اول محاولة للطيران على يد العالم العربي عباس ابن فرناس.

## The Isra Incident and its Intellectual Impact on Islam

Dr. Abdel Moneim Abdel Jabbar A. Jaafar

College of Arts – University of Muthana

### Abstract

The current study depends on the following axes:

First: The notion of Al-Asra'a in holy Qura'an, through finding a definition to Al-Asra'a from a linguistic and idiomatic standpoints and describing such a notion in holy Qura'an.

Second: the effect of Al-Asra'a on the intellectual behavior in the ideological aspect to Abin Arabi and Abin Al-Romi.

Third: Its intellectual impact on the literary axis to Amir Bin Shaheed, Abin Arabi, and Abin Al-Romi and its impact on the commoners.

Fourth: Its intellectual impact on the Geography and Astrology, and what results, by Abbas Bin Firnas, as the first attempt to try flying.

## المقدمة

أشار القرآن الكريم الى مفهوم انتقال الرسول الاعظم محمد (ﷺ) الى الملكوت الاعلى الذي خلقه الله سبحانه وتعالى واطلق عليه مصطلح (الاسراء) ، وقسم إلى الجنة والنار وسدرة المنتهى، وهذا ما دفع المفسرون واللغويون بأن يضعوا له وصفاً يتناسب ومدركاتهم العقلية والحسية ، فالله الخالق العظيم لم يشر اليه بتفاصيله الدقيقة ليكون واضح المعالم، وتركه للمؤمنين ليصدقوا و يؤمنوا به .

لهذا وظّف منهج التحليل التاريخي لدراسة التقارب مفهوم المصطلح (الاسراء) الدال على توصيف الانتقال الى الملكوت الالهي، لكشف العلاقة بين الدال (وهو الحدث) والمدلول (أثر ذلك الحدث) ، وتبعاتها من التراكمات الخاضعة لمتغيرات الفهم والادراك في العلوم التي تأثرت بتلك الحادثة، للبحث في الجزئيات لهذا الانتقال لملكوت الله وحدثه مع شخص الرسول الاكرم (ﷺ) وطبيعته بأمر من الله تعالى ، و رؤية ما لم تراه البشرية .

وهذه الرؤية لا زالت مجهولة لدينا بتفاصيلها وابعادها، على الرغم من ان كتب التفسير والحديث النبوي الشريف نقلت انتقال رسول الله محمد (ﷺ) الى الملكوت الاعلى وما اطلق عليه القرآن الكريم من تسمية (الاسراء) الذي جعل منها علامة دالة عليه، لأحداث حالة التقارب والعلاقة بين الدال والمدلول للخروج بماهية تاريخية ربما تكون مقاربة للحقيقة في أثرها خارج معطيات الزمكان ، محاوله لتفسيرها وتحليلها وعلى الرغم مما تقدمه التأويلات من شروحات تحاول من خلالها اثبات صحة ما تورده في نمط تصور العقل .

كانت الاثار التي تركتها حادثة (الاسراء في الاسلام) سبباً مباشراً لاختيار هذا الموضوع للبحث والدراسة في آلية الاثر الذي تركته في الاسلام ، وصادها في عقول العلماء والمفكرين المسلمين ومحاولتهم محاكاتها في أطهرهم المعرفية والعقلية من خلال علومهم وعقائدهم ، واثرها فيهم سواء كان ذلك على المستوى العلمي او الادبي أو العقائدي، وتبين أهمية الموضوع لكشف الصلة بين حادثة الاسراء و أثرها في الاسلام ، لكونها ذُكرت في القرآن الكريم ، واثرت تأثيراً كبيراً في عقول المسلمين .

و تماشياً مع طبيعة الدراسة، قُسمت الدراسة على النحو التالي، عُني المبحث الاول بتعريف معنى ( الاسراء ) لغة واصطلاحاً، ومن خلال التعريف عمل الباحث لإيجاد مفهوم لمعنى

(الاسراء) وما المقصود به في القرآن الكريم وأثرها في الدلالة المعنى، أما المبحث الثاني وعنوانه (أثر حادثة الاسراء في الفكر السلوكي العقائدي الاسلامي) وما رافقها من تأثيرات دفعت المتصوفة من المسلمين الى محاولات محاكاة حادثة الاسراء النبوي، من خلال منهجهم في السلوك العقائدي الذي تعبدوا به لله ومن ابرزهم ابن عربي و ابن الرومي برزت تأثيرها فيهما واضحاً.

أما المبحث الثالث فقد حمل عنوان (الاثر الفكري لحادثة الاسراء في الادب، والمخيال الشعبي)، وتناول المبحث الرابع اثر هذه الحادثة في العلوم عند المسلمين، ودرس فيه تأثيرات حادثة الاسراء في العلوم عند العلماء المسلمين، واهمها علمي الجغرافية والفلك، وكان من اعظم تأثيرات حادثة الاسراء العلمية في الاسلام محاولة الطيران التي قام بها العالم المسلم عباس بن فرناس فكان أول انسان يحاول الطيران، وكان عنوانه (اثر حادثة الاسراء في العلوم عند المسلمين).

ومن ثم الخاتمة والتي توضح أهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وال محمد ومن تبعه بإحسان الى يوم الدين والله ولي التوفيق.

### المبحث الأول: دلالة الاسراء وأثرها في التسمية والمعنى

#### اولاً/ معنى الاسراء لغة

اشار القرآن في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup>، فقد استخدم القرآن الكريم مصطلح (اسرى) : والتي تعني في معاجم اللغة: سير الليل، او السفر ليلاً<sup>(٢)</sup>.

ثانياً/ معنى الاسراء اصطلاحاً: وفي هذا يقول رسول الله (عليه أفضل الصلاة واتم التسليم): (أنا لم اسر.. وإنما أسري بي)<sup>(٣)</sup>، وهذا مختلف عما ذكر في اللغة لتعريف المصطلح (اسرى) الذي اطلق على حادثة الاسراء، لكون سير الليل او السفر ليلا هو فعل يقوم به الانسان بملء اختياره و ارادته، وقول رسول الله (ﷺ) مختلف في معناه ودلالته عن ما تشير اليه معاجم اللغة، وهذا يعني ان الرسول (ﷺ) اسري به ليلاً خارج ارادته وبأمر اللاهي، واعتمادا على قول رسول

الله (ﷺ) يأخذ مصطلح الاسراء منحاً اخر في التعريف الاصطلاحي ليكون اقرب الى معنى المفهوم لا التعريف، ويكون الانتقال من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى، بطريقة مخالفة لآليات السفر المتعارف عليها آنذاك خارج معنى الزمكان .

### ثالثاً/ حادثة الاسراء وأثرها في دلالة المعنى :

في البدء لابد من استعراض حادثة الاسراء تاريخياً وكيف حدثت، والملحظ في هذا ان كتاب السيرة النبوية يرونها بشكل فيه اختلافات فيما بينهم في التفاصيل<sup>(٤)</sup> ، وكذلك كتاب الحديث النبوي الشريف، والمفسرين لكتاب الله القرآن الكريم، ايضاً ينطبق عليهم ما ينطق على كتاب السيرة النبوية من اختلافات في الجزئيات والتفاصيل، ولتوضيح المشار اليه لابد من استعراض سريع وعلى النحو التالي :

#### ١- الاختلاف لدى كتاب السيرة ومفاده :

اولاً / رواية الزهري ومفادها: فلما اسري بالرسول الاكرم الى المسجد الاقصى ، واخبر الناس انه قد اسري به الى المسجد الاقصى، ويخبرهم بالأسراء ،ارتد من ارتد، وآمن من آمن، فسعى رجل من المشركين إلى ابي بكر ، فقال له: هذا صاحبك يزعم انه قد أسري به الليلة الى بيت المقدس ، ثم رجع من ليلته، فما كان من ابي بكر الا ان صدق ذلك<sup>(٤)</sup> .

اما رواية ابن اسحاق ومفادها: اسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى ، وذكر التمحيص والبلاء الذي اصاب بعض المسلمين، وذكر ان رسول الله (ﷺ) رأى ما رأى من آيات الله وعظيم خلقه وسلطانه ، ثم بعد ذلك ينتقل لقول منقول عن ام المؤمنين عائشة ومفاده: أن رسول الله (ﷺ) رأى الانبياء و وصفهم ، ورأى الجنة والنار ، وفرضت عليه الصلاة<sup>(٥)</sup> .

ثانياً/ ورواة الحديث النبوي ايضاً يذكرون اختلافات كبيرة في حادثة الاسراء، فذكر البخاري ما ملخصه في باب فرض الصلاة ،بينما الرسول في داره بمكة ، فرج سقف بيته فنزل جبريل ففرج صدر رسول الله ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايماناً فأفرغه في صدره ثم أطبقه ثم اخذ بيد رسول الله فعرج به الى السماء الدنيا ، فلما وصل السماء ، قال جبريل لخازنها أفتح ، فسأله من هذا ، فقال جبريل ، فسأله خازن السماء هل معك أحد ، فأجاب جبريل نعم معي محمد (ﷺ) ، فقال خازن السماء فأرسل اليه ، فلما علو السماء رسول الله وجبريل ، دخلا الجنة وشاهدوا الانبياء عند كل سماء، ثم يكمل البخاري حتى وصل رسول الله الى نبي الله

موسى، وكيف ان نبي الله موسى يخبر الرسول محمد ويسأله عن فرض الصلاة ، وينصح نبي الله موسى الرسول محمد ، في ان يطلب الرسول محمد من الله سبحانه تخفيف الصلاة عن امته في كل مرة الى تخفف لخمس اوقات في اليوم<sup>(٦)</sup> .

أما الهيثمي فيذكر ما مفادها : أن ابا جهل وهو احد كبار المستهزئين بالرسول (ﷺ)، جاء حتى جلس لرسول الله فسأله هل من شيء ، فرد رسول الله :نعم، أني أسري بي الليلة ، فسأله الى اين ، فأجابه الرسول إلى بيت المقدس، فأجابه ابو جهل فأصبحت بين ظهرانينا ، فقال له رسول الله نعم، فعلم ان رسول الله لا يكذب ، فأراد ابو جهل أن يدعوا قريش حتى لا ينكر رسول الله حديثه ، فدعاهم حتى جلسوا إلى الرسول و أبي جهل فذكر لهم رسول الله حديث الاسراء فكانوا بين متعجب وبين مكذب ، فقالوا لرسول الله وتستطيع ان تتعت لنا المسجد وفي القوم من سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد ، فرفع المسجد لرسول الله و وصفه لهم<sup>(٧)</sup> .

ثالثاً/ المفسرين كذلك لديهم اختلافات في رواية حادثة الاسراء، فيذكر الطبري اسراء الرسول على دابة تسمى البراق، ويسدل من أن الدابة تحمل الاجساد ولا تحمل الارواح، واكمل الطبري تفسيره إلى قوله الذي باركنا حوله بأن جعلت البركة حوله لساكنيه في معاشهم وأقواتهم وحروثهم وغرسهم ، ثم يفسر قوله تعالى: (لنريه من آياتنا) حتى نري عبدنا محمداً من عبرنا وادلتنا وحججنا<sup>(٨)</sup>.

اما الثعلبي فذكر حادثة الاسراء: بشكل مقتضب جدا ويذكر: كان ابتداء امر المعراج في المسرى ، والمعراج بعد الاسراء ، وأشار الثعالبي أن الرسول الكريم (ﷺ) لو اخبر عن المعراج قبل الاسراء ،لاشئت انكارهم له ولم يصدقوه ، فأخبرهم بما طلبوا منه في وصف بيت المقدس بها ، فلما تمكن ذلك في قلوبهم بانتهى له حجة عليهم ، وأخبر بصعوده الى السماء العليا وسدرة المنتهى وبقرينه حتى دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنا<sup>(٩)</sup>.

ومن خلال المتقدم ، فمن الممكن ايجاد دلالة ومعنى مختلفين لحادثة للأسراء ،له أثر كبير في الدلالة والمعنى والمفهوم ، وعلى النحو التالي :

١- أن حادثة الاسراء من الممكن توصيفها بأنها عملية نقل لرسول الله (ﷺ) من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام خارج نطاق الزمکان.



٢- ان النص القرآني الشريف لم يشر إلى ذكر وجود دابة البراق، وهذا ربما اختلق ونسب لرسول الله (ﷺ) من قبل المحدثين والمفسرين .

٣- وان وجود الدابة التي ذكرها المحدثين والمفسرين في الحديث الشريف واطلقوا عليها اسم (البراق) ربما هو دلالة لسرعة الانتقال خارج اطار المحسوس والادراك ( كسرعة البرق ومنها اشتقوا اسم الدابة البراق)، في اطارهم ادراكهم الحسي، وتصورهم الفكري، فأرادوا بذلك ايجاد حل مقنع لمعرفة الوساطة التي انتقل بها رسول الله (ﷺ) الى الملكوت السماوي الاعلى.

٤- وصف كتاب الحديث والتفسير دابة البراق : دابة فوق البغل ودون الحمار بيضاء اللون، وهذا الوصف للدابة متأني من مدركاتهم الحسية المتواجدة حولهم مثل الانعام المتعارف عليها في بيئة عيشهم.

٥- والدلالة الاكثر اهمية أن النص القرآني لم يشر الى دابة البراق، ولا الى تفاصيل اخرى وردت فيه ، مثل لقاء الرسول الاعظم بالأنبياء والرسل في السموات ، وصولاً الى سدرة المنتهى، وكذلك لم يشر النص لتفاصيل اخرى مثل عرض الخمر واللبن والماء على رسول الله (ﷺ).

٦- اضيف الى انتقال رسول الله (ﷺ) في حادثة الاسراء ، حالة اخرى وهي المعراج ، وهو ايضا لم يذكر في سورة الاسراء ، وانما اضافها المحدثين في الحديث النبوي الشريف وكذلك المفسرين ، وكما يرى الباحث أن المعراج اشير اليه في القرآن الكريم في سورة المعارج بقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾<sup>(١١)</sup> ومن خلال النص الورد في سورة المعارج واعتمادا على الطبري أن العروج اختص بالملائكة وصعودها للسماء فقط<sup>(١٢)</sup> ، اما في حالة الاسراء فقد نقل النبي (ﷺ) بروحه وجسده ،ورجع الى مكة ، وهنا يصبح معنى الاسراء مختلف عن معنى العروج .

٧- أما في سورة النجم (١-١٨)<sup>(١٣)</sup> ، فهي وكما يرى الباحث حادثة اسراء ثانية نقل بها الرسول الاعظم الى الملكوت الاعلى وشاهد بها الجنة والنار، وجميع تفاصيل الملكوت الاعلى وصولاً الى اقرب مكان يصل به العبد الى الخالق العظيم .

ويتضح من المتقدم أن حادثة الاسراء ومن خلال توضيح معناها لدى اللغويين، وتوصيفها كمفهوم في نقلها من خلال كتاب الحديث النبوي الشريف ، والمفسرين ، والاختلاف معهم في الفهم والادراك له أثر في الدلالة والمعنى مختلف تماما عن ما نقلوه وفسروه .

ومن الممكن الاعتماد في صحة ما ذهبنا اليه مستنديين على المحاورۃ التي حدثت في سورة النمل بين النبي سليمان (ﷺ) والملاء المحيطين به من يحضر له عرش الملكة ، فقال احدهم وهو الذي عنده علم من الكتاب انا اتي به اليك قبل ان يرتد اليك طرفك ، وهذا عبد من عباد الله خصه بعلم جزئي من الكتاب ، وليس علم الكتاب كله، نقل العرش بسرعة قبل ارتداد طرف سليمان<sup>(١٤)</sup>، فكيف بالخالق العظيم الله سبحانه وتعالى إذا اراد نقل عبد من عباده ، واحضاره اليه بالقرب منه و( محمد رسول الله سيد الاولين والآخرين فما هي القدرة العظيم في تقريبه اليه جل شأنه) .

### المبحث الثاني

#### أثر حادثۃ الاسراء في الفكر السلوكي العقائدي

أثرت حادثۃ الاسراء وانتقال الرسول (ﷺ) الى الملكوت الاعلى في الاسلام تأثيراً كبيراً في المسلمين، الى الدرجة الذي دفع بعض المتصوفة من المسلمين، أن يفكروا بالوصول الى الملكوت الاعلى، ويحاولون الوصول الى ما وصل اليه الرسول الاعظم (ﷺ) عن طريق تمسكهم بالعبادة لله وطاعته، ومحاكات كل عمل وفعل يقوم به الرسول (ﷺ) وآل البيت (عليهم السلام) والصحابۃ رضوان الله عليهم، ونتيجة هذا التأثير ظهر في الاسلام مجموعة من المتصوفة ، ومن ابرزهم :

#### التعريف أبن عربي:

وهو أبو بكر محمد بن علي، الذي يرجع نسبه الى قبيلة طيء العربية، والمعروف باسم أبن عربي، وبألقابه العديدة ومنها محي الدين، والشيخ الاكبر، وأبن افلاطون، في مدينة مرسية سنة ٥٦٠ هجرية، وتوفي في دمشق عام ٦٢٧ هجرية<sup>(١٥)</sup>، ويضيف ادريس شاه أن نشأة أبن عربي الصوفية ترجع إلى اتصال والده بالصوفي الكبير عبد القادر الجيلاني الملقب بسلطان الخلان، ويقال أن بزوغه جاء نتيجة النفوذ الروحي للجيلاني الذي تنبأ لابن عربي منذ الصغر بأن هامته ستعلو بها مواهب بارزة<sup>(١٦)</sup>.

وينحدر أبن عربي من اسرة عريقة في النسب وغنية، وهو يذكر عن أبويه شدة التقوى، وكان له خالان سلكا طريق الزهد، أحدهما يحيى بن يغال الذي تخلى عن ملكه في تلمسان ولزم خدمة عابد فرض عليه أن عليه أن يكسب قوته من الاحتطاب، أما خاله الثاني فهو أبو مسلم الخولاني

الذي كان يقضي الليل في مجاهدات شديدة للتقرب إلى الله عز وجل، وقد كان لابن عربي اسفار كثيرة في طلب العلم بدأ من الاندلس والمغرب العربي، حتى دخل مكة وبغداد الى ان استقر به المقام في دمشق وتوفي بها، واتصل وتلمذ على يد اكابر متصوفة عصره، وليس هذا فحسب بل كان ذو مقام وحظوة عند السلطان (١٧).

وبلغ ابن عربي مقاماً عالياً في التصوف وفلسفته وشدة تعلقه بالذات النبوية المقدسة، فقد كان ينظر كما هو الحال عند سائر المتصوفة، إلى شخصية رسول الله (ﷺ) بأنه الانسان الكامل، فهناك محمدان في فكر ابن عربي، الاول محمد النبي الذي كانت دعوته من مكة حتى انتهت بالمدينة المنورة وانتقل الى جوار الله عز وجل، والثاني محمد الخالد الذي تمثلت فيه شخصية كل الانبياء (١٨)، ومن خلال هذه النظرة العميقة للذات النبوية والعشق لها، فجدها تؤثر بتصوفه ويكون صدى حادثة الاسراء كبير الاثر في نتاجه الصوفي.

#### أثر حادثة (الاسراء) في فكر ابن عربي :

يعد ابن عربي من كبار متصوفة عصره، وتأثر بالفكر الاسلامي الذي ساد بعصره، واتضح تأثره بشخصية الرسول (ﷺ) تأثراً كبيراً ، لاسيما حادثة الاسراء التي أثرت بفكره بمرتكزات عدة :

١- يعد ابن عربي من القائلين بوحدة الوجود (١٩) .

٢- عد من زهاد أهل النظر من الصوفية وعرف جميع مذاهبهم ، ونظرتهم الى العلوم مبنية من خلال التحصيل الصوفي (٢٠) .

٣- تأثر ابن عربي بمنطق ارسطو واقسامه وعلى النحو التالي :

أ- العلم المتحرك والمحسوس ، وهذا العلم الطبيعي .

ب- العلم الذي ينتهي الى مقدار وعدد، وهذا العلم الرياضي.

ت- والعلم الذي ينتهي الى وجود بالإطلاق، وهذا علم ما بعد الطبيعة.

وهذا التقسيم الارسطي الذي أثر في ابن عربي اوجد له الحل من خلال المجاهدات الصوفية والرياضيات الروحية، لكون العقل الفلسفي قد يؤدي لمن يشتغل به بالشك في الذات الالهية ووجودها، وعلى هذا كان لابد لابن عربي من ايجاد طريق اخر للوصول المباشر الى العلم الحقيقي، وتحصيله من الله ، ولان الله يعرف بذاته كل ما خلقه (٢١) ، فذلك يستطيع الانسان أن

يصل الى المعرفة التي تأهله الى الاتحاد مع الله ، وفق المنطق الارسطي الذي تأثر والذي يرى الله سبحانه وتعالى هو الوجود المطلق .

ويمكن القول أن كتاب الفتوح المكية هو قمة التوهج الصوفي في نفس وعقل أبن عربي والذي عكس تأثره بالفلسفة واسلوب توظيفها في كتاب الفتوح المكية ، وعبر عنها من خلال حادثة الاسراء، بين رجلين، الاول يرمز الى الدين وهو عالم الشريعة ،والثاني يرمز للعقل وهو عالم يبحث الاسباب وعللها، ويقومان برحلة في وقت واحد الى حضرة الالهة ويتخلص المسافران ويتحرران من الرواسب الارضية وهذه كانت بداية الرحلة، والعلاقة بين الرسل وإلى من أرسلوا إليهم من البشر، وفي هذا محاكات لرسول الله محمد(ﷺ) في حادثة الاسراء، تتضح في نهاية الرحلة، وإذا بشخص قد تقدمها في الوجود من النفوس الجريئة فأنسوا به للشبه فقالوا له: أنت تقدمتنا في هذه الدار فهل خطر لك ما خطر لنا في الوجود؟، فأجابهما وما خطر لكما؟ طلب بمن استخلفنا في تدبير هذا الهيكل، وهذه محاكات اخرى بين الرجلين، ومن سبقهما في الوجود شبيه بالمحادثة التي حدث بين جبرائيل(عليه السلام) والرسول محمد(ﷺ) ، فأجابهما عندي بذلك علم صحيح به ممن استخلفكم وجعلني رسولا على جنسي لأرشدكم إلى طريق العلم الذي فيه سعادتكم فقال الواحد إياه أطلب فعرفني بذلك الطريق حتى أسلك فيه وهو يمثل المتبع، وقال الآخر لا فرق بيني وبينك فأريد أن استنبط الطريق إلى معرفته من ذاتي ولا أقلدك في ذلك، فأنت كنت أنت حصل لك ما أنت عليه وما جئت به بالنظر الذي خطر لي فلماذا أكون ناقص الهمة واقلدك فيكون صاحب النظر.

ويشير ابن عربي الى متبع العلم ويسميه صاحب النظر أنه اراد أن يساوي الرسول من خلال حصوله على العلم بالأدلة العقلية ومن النظر الفكري، أما متبع الرسول ومقلده اخبر بالعلم من صانعه عن طريق الرسول ليصل الى طريق الكمال والسعادة فيطلق عليه تسمية المتبع، ثم يسرد أبن عربي كيف بدأ كل من صاحب النظر والمتبع في الرياضة للتخلص الشهوات وطبائع النفس حتى اذا تخلصا منها فتح لهما باب السماء وبدأت رحلتها إلى السماء الدنيا وبقية السماوات وصف حال كلاً منهم في سفره، فيحصل التابع على ما في العلم الإلهي الحاصل للنفوس الجزئية لهذه النشأة الانسانية ، لاسيما وآدم المنصوص عليه صاحب هذه السماء، فعلم التابع صورة الاستخلاف في العلم الالهي، وعلم صاحب النظر الاستخلاف العنصري في التدبير

وعلى الزيادة والربو والنمو في الاجسام القابلة لذلك النقص، فما يزداد صاحب النظر الا غما على غم، وما يصدق متى تنقضي سفرته ويرجع الى بدنه، في كل سماء يدخلونها المتبع وصاحب النظر، يحصل صاحب النظر على العلوم الجزئية التي تعنى بالعلم الجزئي المتعلق بالبدن، ويحصل المتبع على العلوم الكلية من الرسل ويلاقي الترحيب والحفاوة، فيزداد صاحب النظر هما وغما الى غمه، ويزداد المتبع حفاوة وترحيب من الانبياء ويقف على صحة رسالة المعلم رسول الله (ﷺ) بدلالة إعجاز القرآن فأنها مواقع الامور وظهور المعنى الواحد ويحصل له مرتبة خرق العوائد<sup>(٢٢)</sup> ، والرحلة السماوية باجتياز السماوات السبع وهي نفس المراحل التي اسرى بها رسول الله (ﷺ) ويقسمها ابن عربي على النحو التالي:

- ١- سماء القمر وفيها ادم .
- ٢- سماء عطارد وفيها عيسى ويحيى .
- ٣- سماء الزهرة وفيها يوسف .
- ٤- سماء الشمس وفيها ادريس .
- ٥- سماء المريخ وفيها هارون .
- ٦- سماء المشتري وفيها موسى .
- ٧- سماء زحل وفيها ابراهيم .

ويصل المسافران في الوقت نفسه والزمن والسرعة كل على مركبه صاحب النظر ومركبه العقل، والثاني المتبع على جناح النور والايمان، ثم يبدأ الفرق في المعاملة فصاحب النظر يبقى بعيدا عن الملائكة ويصيبه الحزن، اما المتبع يواصل طريقه للقاء بالانبياء وتكشف له اسرار الكون وبروج السماء ويواصل طريقه الى الله (٢٣) .

ونجد محاكات ابن عربي لشخص النبي الاكرم (ﷺ) في حادثۃ الاسراء، من خلال حديثه عن صاحبي النظر والمتبع، عندما يصف حالة صاحب النظر وتضايقه لطول الرحلة ومتى تنتهي لتعود راحة لبدنه، كأنما اراد القول ان رسول الله (ﷺ) اسرى بروحة<sup>(٢٤)</sup> واستخدم كلمة سفر وهي المعنى المتقابل مع كلمة أسرى<sup>(٢٥)</sup> .

## أثر الانتقال حادثة (الاسراء) على جلال الدين الرومي:

### التعريف بجلال الدين الرومي :

ولد جلال الدين بن الرومي ٦٠٣ هجرية في مدينة بلخ، التي نسب إليها كبار العلماء والفلاسفة والفقهاء، كالفردوسي وابن سينا، والغزالي، وقد غادرها أبوه بهاء الدين الملقب بسليمان العلماء، وهو صوفي وعالم دين هرباً من الغزو المغولي القادم من الشرق، والذي دمر المدينة بعد عام وأتى عليها، متوجهاً إلى مكة لأداء فريضة الحج، وفي نيسابور التقى الشاعر الصوفي المشهور فريد الدين العطار، الذي أهدى إلى جلال الدين الرومي كتابه أسرار نامه، لقد ظل الرومي معجباً بالشاعر الصوفي طوال عمره، وكان يردد القول: "لقد اجتاز العطار مدن الحب السبع بينما لا أزال أنا في الزاوية من ممر ضيق"، وبعد العودة من مكة استقرت عائلة الرومي في ارزجان وهي مدينة في أرمينيا، احتلها علاء الدين كيقباز السلجوقي، ومنها دعا بهاء الدين ولده جلال الدين إلى قونية، ولما وصلا إليها استقبلهما بالتبجيل والاحترام ورحب بهما، وبنى لهما مدرسة في وسط البلدة، وفي تلك الفترة من حياته أطلق عليه والده بهاد الدين لقب "خداوندكار" ومعناه مولانا أو شيخنا على الرغم من صغر سنة، وبهذا الاسم عرف في أصقاع العالم الإسلامي كافة.

وتزوج جلال الدين من ابنة خوجة شريف الدين لالا السمرقندي فأنجب منها سلطان ، وعلاء الدين جلبي، وبعد وفاة والده في قونية حل ابنه جلال الدين الرومي مكانه في منزلته العلمية والدينية، تتلمذ الرومي على يد برهان الدين محقق الترمذي، ثم توجه إلى حلب للدراسة ومنها انتقل إلى دمشق، وكان الشيخ محيي الدين بن عربي يمضي بها السنوات الأخيرة من حياته، ويروى أن ابن عربي رأى الرومي من قبل يمشي خلف والده بهاء الدين، فقال: "سبحان الله محيط يمشي خلف بحيرة".

عاد جلال الدين إلى قونية، واستقر في مدرسته، وتولى تعليم الشريعة ومبادئ الدين والتوجيه الروحي، وفي تلك الفترة من حياته تعرض لحادثة غيرت مجرى حياته، وجعلت منه صوفياً محترقاً بالمحبة الإلهية.

وكانت بدايات جلال الدين الرومي بالتصوف عندما التقى بشمس تبريز، الدرويش الجوال، الذي وصل قونية وأقام في أحد خاناتها منقطعاً إلى نفسه، وذات يوم تعرض شمس لموكب

الرومي وتلامذته، وجرت بينهما محاورة قصيرة، أغمى فيها على مولانا جلال الدين، وعندما استعاد وعيه أخذ شمساً إلى المدرسة، وهناك اعتزلا الناس في خلوة لمدة أربعين عاماً، صار بعدها شمس الدين الأستاذ الروحي للرومي، والذي ظل يحتفظ لأستاذه طوال حياته بحب وعرفان للجميل، توفي جلال الدين ٦٧٣ هجرية (٢٦)

### أثر حادثۃ الاسراء في شخصية جلال الدين بن الرومي:

تأثر جلال الدين الرومي بحادثۃ الاسراء تأثراً كبيراً، وذلك من خلال طريقتين الأولى عندما التقى بابن عربي، وكان هذا اللقاء في اواخر حياة ابن عربي، ونجد هذا التأثير في تعريف جلال الدين للتصوف وتشبيهه بالكيمياء بمعنى أنه اشبه بتعلم الكيمياء من استاذ او كتاب، والرأي الثاني ويوضحه بالقول: "والشريعة تمثل الطريق الواسع المعد للناس جميعاً، في حين أن الطريق مسلك ضيق من نصيب العدد القليل من اولئك الذين يريدون تحقيق مرتبتهم الكاملة بوصفهم أناساً كاملين" ، وخلاصة القول بأنه لا يوجد انسان كامل في هذه الدنيا يصل الى الكمال المطلق سوى الرسول (ﷺ) وأهل بيته عليهم السلام (٢٧).

وهذين الرأيين لدى الرومي يوضحان تأثره الواضح في ابن عربي ،وقد يدفعان للقول ان الاستاذ الاول في حياة الرومي بعد والده هو ابن عربي لوصفه التصوف بالكيمياء وهذا يؤكد تأثره بكتاب الفتوح المكية وانه ربما اطلع عليه بتبحر عميق لنجده يقارن التصوف بتعلم الكيمياء ، لكون كيمياء السعادة لدى ابن عربي تتحدث عن سفر الروح خارج البدن عند صاحب النظر والمتبع (٢٨)، أما رأيه الثاني بأنه لا يوجد انسان كامل في هذه الدنيا يصل الى الكمال المطلق سوى الرسول (ﷺ) وأهل بيته عليهم السلام ، وهذا متأني من نظرة ابن عربي للذات النبوية المقدسة التي تمثلت في شخصية كل الانبياء وهو الانسان الكامل لديه (٢٩) .

أما التأثير المباشر لحادثۃ الاسراء على ابن الرومي فنجد على مرحلتين الأولى من خلال وصف ادريس شاه للطريقة الصوفية للرومي بانها مزج منقول من الحكمة وبين الاشراف الشخصي التي ترجع أصوله الى الصحابي أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ، ولعلنا نختلف مع ادريس شاه بهذا الوصف فإن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لم يعرف عنه المتصوف او الزهد كعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أو ابي ذر الغفاري (رضي الله عنه)، ولا نجد تبرير لرأي ادريس شاه، ولكن من خلال متابعة سيرة الرومي نلاحظ كان لديه صديقة اطلق عليها لقب الصديقة لكونها كانت تصدقه في كل ما

يقول ويفعل<sup>(٣٠)</sup> ، وهذا تأثر واضح من الرومي بحادثة الاسراء التي حصلت مع النبي (ﷺ) عندما كذبتة قريش في وقوعها وصدق به أبو بكر (رضي الله عنه) فسمي على اثر تصديقه للنبي بالصديق، فعندما اطلق الرومي لقب الصديقة على صديقه كانت محاكات منه لحادثة الاسراء، بعد وقوعها في جانب منها.

أما المرحلة الثانية لتأثر الرومي في الاسراء النبوي الشريف، فيتحقق من خلال رمزية طريقته المولوية في الرقص التي تعد وكما يرى الباحث أنها سفر الروح خارج البدن إلى الله تعالى، وهذا فيه رواسب تأثره بأبن عربي في شخصيتي صاحب النظر والمتبع، ويعد السماع، أو الرقص الكوني لل دراويش الدوارين، من أشهر فنون الطريقة المولوية، وهو طقس له رمزيته، فالثياب البيض التي يرتديها الراقصون ترمز إلى الأكفان، والمعاطف السود ترمز إلى القبر، وقلنسوة اللباد ترمز إلى شهادة القبر، والبساط الأحمر يرمز إلى لون الشمس الغاربة، والدورات الثلاث حول باحة الرقص ترمز إلى المراحل الثلاث في التقرب إلى الله، وهي طريق العلم، والطريق إلى الرؤية والطريق المؤدي إلى الوصال، وسقوط المعاطف السود يعني الخلاص، والتطهر من الدنيا، وتذكر الطبول بالصور يوم القيامة، ودائرة الراقصين تقسم على نصفي دائرة، يمثل أحدهما قوس النزول أو انغماس الروح في المادة، ويمثل الآخر قوس الصعود، أي صعود الروح إلى بارئها، ويمثل دوران الشيخ حول مركز الدائرة الشمس وشعاعها، أما حركة الدراويش حول الباحة فتتمثل القانون الكوني، ودوران الكواكب حول الشمس وحول مركزها.

والطريقة المولوية برمزيتهما أنها محاكات لحادثة الاسراء التي وقعت مع النبي (ﷺ)، ولكن بهيئة الرقص الذي يمثل صعود النبي (ﷺ) للسماء وتخلصه من القيود الارضية ووصوله الى أقرب موضع من الله تعالى الذي عبر عنه بصعود الروح الى بارئها<sup>(٣١)</sup> .

ولجلال الدين الكثير من الاشعار التي يصف بها حادثة الاسراء ويصف بها عشقه لله لرسول الاكرم محمد (ﷺ) منها قوله:

من أجلك انكفا الفلك الاشم  
واستحال التراب بحرا من دم  
لست أدعوك هلالا.  
فأنت اسمى من كل حول هلال



أنعم بمن انت له جناح

يا لها من رفعة له وجلال

كم له على عارضه من خال (٣٢).

ومن أبرز أعمال جلال الدين كتاب المثنوي وهدفه عرض الانسان الكامل والوجدان الطاهر ويتألف من ٢٦ الف بيت في ست أجزاء (٣٣)، وفيه تأثير كبير بالأنبياء سيما شخصية الرسول الاعظم محمد (ﷺ) الذي يعده الرومي الانسان الكامل، وفيه تركيز على تأثير الجلال بحادثة الاسراء ويعبر عنها " وهكذا كان النبي (ﷺ) متعلقا بدار الخلد ولقائه تعالى تاركاً الدنيا لحالها معتبراً اياها مجرد جسر يربط الانسان بأخرته، كما علم اصحابه ان الهدف من الحياة يجب ان يكون لقاء الله تعالى لا الدنيا التي لا يقر لها قرار، عد الرومي حياة النبي الاكرم هي حالة اسراء دائم وسفر الى الله تعالى لا ينقطع، وربط بين النبي (ﷺ) والصحابة الذين يعلمهم النبي ان لقاء الله في دار الخلد وان الحياة هي هذه الجسر للقاء، وهذا اللقاء بعد السفر من الدنيا الى الآخرة، ولكن النبي (ﷺ) دائم السفر الى الله دائم الشوق اليه وترسم صورة الانسان الكامل رسول الله فهي في حالة سفر دائم مع الله معبرا عن تعبير السفر، هو تعبير يقابل الاسراء الى الله تعالى.

### المبحث الثالث

#### الأثر الفكري لحادثة (الاسراء) في الادب العربي

أثرت حادثة الاسراء في الادب العربي تأثيراً واضحاً، وسيما في ادب الرسائل، والمخيال، الشعبي، الذي سنأتي على تبيينه تباعاً:

اولاً/ أبو عامر بن شهيد الاندلسي (٣٨٢-٤٢٦ هجرية):

وهو أبو عامر احمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان بن احمد بن عبد الملك بن شهيد، ينتهي نسبه الى بطن من أشجع وهم من قبيلة غطفان، ولد بقرطبة في خلافة هشام بن الحكم وتوفي فيها، وينتمي الى اسرة عريقة في النسب، وكانت حياته مترفة، وقد بلغ مرتبة الوزارة في الدولة العامرية، لكنه لم يصل الى منزلة الكتابة في الديوان ليلقب بالوزير الكاتب، وعاصر مجموعة من الاحداث والفتن السياسية ومنها فتنة قرطبة التي حدثت عام ٤٠٣ هجرية على اثر مبايعة البربر علي بن حمود الادريسي ودخل قرطبة عام ٤٠٧ هجرية، وفي ايام خلافة

الحمويين سعى به الوشاة في عهد علي بن حمود فتردت احواله وسجن، ثم ما لبثت ان تغيرت اوضاعه في زمن المعتلي بن يحيى عام ٤١٢ هجرية .

ولم يطل حكم المعتلي في قرطبة فثار عليه القاسم بن المأمون ٤٣١٣ هجرية، ففر ابن شهيد الى مالقة ، ثم ثار اهل قرطبة على القاسم بن المأمون وبايعوا عبد الرحمن المستظهر الذي رفع من قدر، وكان حكمه مدة قصيرة لم تتجاوز السبعة وأربعون يوم، ولم يعثر في المصادر ما يثبت صلته بالأمير الجديد المستكفي. وكان ابن شهيد لا يطيق الابتعاد عن ملاهي الحياة ، واعتل في اخر عمرة فلزم داره بضع سنين حتى غلب عليه الفالج وتوفي في مستهل ٤٢٥ هجر من شهر ذي القعدة.

وبعد استعراض حياة ابن شهيد لابد من الحديث عن اصحاب مودته ومنهم الامراء والوزراء ، وكان الامراء يرفعون قدره والوزراء يطلبون وده ،ومن اشهر اخباره مع الحاجب أبي عامر المنصور بن المظفر وكانت له صلة محمودة معه، وكذلك عاصر نخبة من علماء قرطبة منهم ابي مروان بن حيان ، وكذلك الفقيه أبي محمد بن حزم ، وهؤلاء من ممن عاصرهم ،ويبدو انه ربطته بهم صلات الصداقة.

اما حديث ابن شهيد عن اعدائه فقط أطلق عليهم في رسالته التوابع والزوابع (خصومه وحساده) الذين حسدوه على عظم قدره عند الامراء ، واحاطته بالمعجبين الذين يلتقون حوله ويشيدون بذكره ، ويذكر ابن شهيد ثلاثة من كبار اعدائه وهم أبو محمد وابو القاسم وابو بكر، فأبو محمد انضى عليه لسانه عند الامير المستعين ،وابو محمد عبد الله المعروف بابن الفرضي قتله البربر بعد سيطرتهم على قرطبة (٣٤).

#### الهدف من رسالة الزوابع والتوابع :

عرف عن أبي عامر انه كان محاط بكثير من الخصوم والحساد ،تعرضوا له بالأذى الكبير، فانبرى لهم يرد اذيتهم وينتقص منهم ومن ادبهم ،فما كان منه الا ان بسط جمال شعره ، ونثره، وفنون ادبه، فألف رسالة التوابع والزوابع لتكون رد على منافسيه وحاسديه وفيها من الافكار الجديد التي عجزوا عن الاتيان بمثلها بزمانه لتكون رد عليهم، وليس هذا فحسب بل انه يعطي تصورا لمن يقرأ رسالة التوابع والزوابع ويتمعن بها أنه كان متأثر بينية اسلامية عميقة ،لأن فكرتها ومنحائها فيها تأثير كبير بشخصية رسول الله (ﷺ) كون حادثة الاسراء المباركة

حدثت معجزة لأثبات النبوة بعد صراع مرير وكبير مع مشركي قريش<sup>(٣٥)</sup> ، وكذلك رسالة الزوابع والتوابع اذا ما اجرينا مقارنة في الحدث نجدها جاءت رد على صراع خاضه ابن شهيد مع حاسديه مع فارق كبير بين طبيعة الحدث والشخوص والزمكان<sup>(٣٦)</sup> .

#### أثر حادثة الاسراء في التوابع والزوابع :

مقدمات بداية رحلة ابن شهيد الى عالم الارواح : تبء الرحلة بعد اتمام أبو عامر رسالته الى أبي بكر بن حزم ويبدو انه صديقاً له، يوضح له تعلم واشرقت عليه بوادر المعرفة، بقليل من المطالعة والجهد، ثم يحدثه عن حبيب له مات واخذ برثائه ، واذا بجني يطلع عليه وأسمه زهير بن نمير ويتصور له ويلقي إليه بنتمة شعره الذي كان يرثي به حبيبه، ويظهر الجني زهير بن نمير رغبته في اصطفائه، كما تصطفي التوابع خلانها ، فتتوثق بينهما الصحبة ، ثم يلقنه التابع ابيات يتمثل بها ، فيحضر امامه ، ويوحى إليه .

وفي حال اجراء المقاربة التي تظهر أثر حادثة الاسراء الفكري والنفسي بشخصية ابن شهيد وطريقة كتابته لرسالة التوابع، يتضح التالي :

ان ابن شهيد يظهر ان كان على قدر كبير من الحزن والالام قبل ان يظهر له تابعه من الجن (زهير بن نمير) ويعلمه كلمات أن تمثل بها ظهر و اوحى اليه<sup>(٣٧)</sup> ، وهذا قريب الشبه بما حدث مع رسول الله (ﷺ) عندما كان يعاني من ظلم العرب وقريش واضطهادهم لنبوته<sup>(٣٨)</sup> ، ويذكر ابن سعد بينما رسول الله (ﷺ) نائم ، أتاه جبرئيل وميكائيل (عليهما السلام) فانطلقا به الى ما بين المقام وزمزم ، واسري به الى الملكوت الاعلى الى السماوات ، سماءً ، سماءً ، الى ان وصل السماء السابعة وبعدها سدة المنتهى<sup>(٣٩)</sup> .

#### رحلة ابن شهيد :

تبء من الفصل الاول الذي أذ يسأل أبو عامر صاحبه من الجن زهير بن نمير في أن يزور ارض التوابع ، فيطير به على متن جواده ، حتى ينزل وادي الارواح فيزور صاحب أمري القيس ، وصاحب طرفة من الجاهلين ، ويرغب في زيارة الشعراء العباسيين مبتدئاً بتابع أبي تمام ، ويلتقي بطريقه بشيطان قيس بن الخطيم ، ثم ينتقل الى توابع الطائيين وساعر الخمر ، وينتهي لقائه في رحلته الاولى في حضرة تابع المتنبى، ويساجلهم الشعر ويذاكرهم فيه ويعارضهم ايضاً،

ويأخذ الاجازة منهم<sup>(٤٠)</sup>، وهنا لابد من التوضيح والمقاربة بين رحلة ابي عامر بن شهيد الخيالية وكيف وظف فيها حادثۃ الاسراء وتأثر بها وعلى النحو الاتي :

١- اولاً ان ابي عامر هو من طلب من تابعه من الجن أن يزور ارضهم واسماها ارض التوابع والزوابع وكانا يتحادثان فيما بينهما<sup>(٤١)</sup>، وكذلك كان جبرائيل مع كل سموات يبين لرسول الله من هم ساكنيها ويحدثه عنها<sup>(٤٢)</sup>، وهذا قريب الشبه من الذي حصل مع رسول الله عندما اتياه الملاكين فقالا له : انطلق الى ما سألت الله<sup>(٤٣)</sup>، وهذا يعني ان رسول الله هو من سأل الله وطلب منه الاسراء في رواية ابن سعد .

٢- انطلق ابو عامر على متن جواد حتى نزل بوادي الارواح والتقى توابع الشعراء<sup>(٤٤)</sup>، بينما انطلق رسول الله على دابة البراق، ومنها اسري به للملكوت الاعلى والتقى مع الرسل والانبياء (عليهم افضل الصلوات واتم التسليم)، وكان يحدثهم ويحدثونه<sup>(٤٥)</sup>، كذلك فعل ابن شهيد مع توابع الشعراء ، وهذا تأثر كبير بحادثۃ الاسراء في اسلوب كتابة رسالة التوابع والزوابع .

٣- ذكر ابن شهيد في رسالته ان طار على متن جواد حتى نزل وادي الارواح ، وفي الاسراء النبوي الشريف تحدث الرسول الاكرم (ﷺ) عن اودي في جهنم، ولابد من القول ابن شهيد اجري نوع من المقاربة بين وادي الارواح الذي هو طار اليه، والذي يبدو انه خارج البلاد المتعارف عليها ويحتاج الى الطيران اليه وربما ينقل لمخيلة المطلع أن ارض الجن في السماء ، كما ان وادي جهنم في الملكوت الاعلى وهو الذي شاهده رسول الله (ﷺ) في الملكوت الاعلى<sup>(٤٦)</sup> وفي الفصل الثاني من رحلة ابن شهيد يتحدث عن مطارحاته في المروج الخضراء ومذاكراته مع تابع الجاحظ وتابع عبد الحميد ، فيأخذان عليه طغيان السجع عليه ، ويدافع عن نفسه ، وهذا مقارب لما حصل مع رسول الله (ﷺ) في فرض الصلاة على امته ، وحديثه مع موسى (عليه السلام) عندما طلب من رسول الله (ﷺ) المراجعة لله للباري في تخفيف الصلاة، لانها ليس لها استطاعة بالصلوات المفروضة عليها، لان موسى كان قد عرف الناس واستطاعتهم<sup>(٤٧)</sup>، ثم ان رسول الله بعد مراجعة الله تعالى في امر التخفيف في الصلاة ، يأمر الله تعالى بتخفيفها وفرضها على العباد، وللمقاربة نجد ان بعد لقاء ابن شهيد مع التوابع كان في المروج الخضراء ولقاء رسول الله مع موسى وباقي الانبياء في الجنة ، والمرج الخضراء تعبير عن الجنة في لقائه مع

توابع الجاحظ وعبد الحميد، وكذلك ان ابن شهيد اجيز من قبل الجاحظ وعبد الحميد ، وكذلك رسول (ﷺ) اجيز من لدن الله سبحانه وتعالى بتخفيف الصلاة<sup>(٤٨)</sup> .

ويتضح من رسالة ابن شهيد بعد استعراض أهم أوجه الشبه بينها وبين حادثة الاسراء ، انها لم تعالج أفكار كبيرة ، أو تعالج هماً فكرياً له شأن في الامة، على الرغم من تأثرها في اسلوبها الادبي بحادثة الاسراء ، لكنها عنيت بشيء واحد فقط وهو معاناة ابن شهيد من حساده وكارهيه.

### ثانياً/ أبو العلاء المعري

هو أبو العلاء احمد بن عبد الله بن بشير الانصاري المعروف بالمعري نسبة الى هذه البلد المولود سنة ٣٦٣ هجرية، وهو من اسرة معروفة بالفضل والعلم والادب وكان أبوه قاضي المعرفة، وكذلك جده، لاقى المعري في طفولته عناية بالغة من أبويه، وأصيب المعري بمرض الجدري، فذهب بإحدى عينيه ثم انطفأت الثانية، ويصف المعري نفسه في حديثه عنها فيخبرنا بأنه لم يعرف من مشاهد الدنيا غير لون ثوبه الاحمر الذي كان يرتديه وهو طفل صغير، ورغم ما مر به من مصاعب في طفولته لكن هذا لم يمنعه من مواصلة العلم والتعلم فكان معلمه الاول ابيه الذي اهتم بتلقيه العلم حتى شب، ثم ما لبث ان انهدم جانب كبير من حياته بوفاة والده، وأحاطته امه بالرعاية والاهتمام، وينتمي المعري الى اسرة حلبيه ذات مكانة أعانتة على اتمام تحصيله في حلب، ولكنه لم يستقر فيها فقد كان تواقاً لتحصيل العلم، فتنقل في بلاد الشام لتحصيله وانتقل الى بغداد ولقي حفاوة كبيرة من علمائها، ثم عاد الى حلب ولزم داره واعتزل الناس، وكانت داره تغص بطلبة العلم الذين يأخذون عنه العلم والمعرفة وكانت ثقافة كبيرة في علوم عصره ، حتى توفي ومات ٤٤٩ هجرية<sup>(٤٩)</sup> .

### رسالة الغفران وأثر حادثة الاسراء فيها:

ابتدع أبو العلاء رسالة الغفران وتتضمن رموز وإشارات، وتلميحات وتصريحات، تعالج ما كان يعاني منه أبي العلاء من فقدان نعمة البصر، فقد جعل بطلها ابن القارح يسعى لدخول الجنة قبل الناس و يعجب من طول وقوفه، وهنا تحدث للرجل حوادث ومناقشات مع الشعراء وكما يناقش خازن الجنة، وهذه الرسالة تناقش مفهوم المعري الذي لم يتقرر لديه الايمان بوجود الجنة والنار، فتولد في مخيلته الشك في أحوال الثواب والعقاب، وكان يتمنى في قرارته أن تصدق الاخبار ويكون من أهل النعيم<sup>(٥٠)</sup>، فجعل من ابن القارح لسان حاله المتكلم .

ومن الامور التي جعلت المعري يسجل لسان حاله طريقته ونظريته للشعر والشعراء، فقد صنف سكان الجنة والنار و جعلهم مراتب، فقد وضع في اقصى الجنة بيوتا حقيرة وأسكن فيها شعراء الرجز، وقال لهم: لقد صدق الحديث النبوي: " ان الله يحب معالي الامور ويكره سفاسفها"<sup>(٥١)</sup>. وهذا المعنى يحمل طابع الثورة، وربما تكون ثورته على الواقع الادبي الذي تردى في أيام المعري، وما الواقع الادبي الا انعكاس للواقع الاجتماعي والسياسي الذي كان يمثله الشعراء وهذا جانب، اما الجانب الاخر الذي حاول المعري الايحاء اليه وتمثله بهذا الحديث فهو يذهب بمن يطلع على رساله الغفران الى الامام الحسين (عليه السلام) وقيمته، ونعتمد في هذا الرأي عند الترجيح به، على ما يذكره المؤرخ البيهقي بنقله حادثة استشهاد الامام الحسين (عليه السلام)، وفي معرض حديثه عن الامام يذكر هذا القول للإمام عن الامور التي علمها له جده رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومن المرجح ان الامام كان يردد هذا القول على مسامع الناس لحثهم على الثورة وتغيير الواقع، و ابو العلاء باستخدامه هذا القول دون الاشارة الى قائله حث على الثورة في الادب الذي هو انعكاس الواقع، وبالتالي فإن قيام ثوره في مفاهيم الادب ستغير المجتمع وتطبعه بطابعها<sup>(٥٢)</sup>.

أما رسالة الغفران فيبيدئها المعري بذكر ابن القارح الذي يركب نجيبا من نجب الجنة خلق من ياقوت و در، فيسير في الجنة على غير منهج، فإذا رأى نجيبا يلمع بين كثنان العنبر والاشجار<sup>(٥٣)</sup>.

وعند أمعان النظر في بداية رحلة ابن القارح فإن المعري يستمر في عملية التلميح ومن خلال المقاربة يتضح أن النجيب الذي هو من نجب الجنة يماثل البراق وهو الذي ركبه رسول الله في الاسراء، ولكن المعري هنا اطلق مصطلح نجيب والذي من الممكن عده مرادف لتسمية البراق هذا من جهة، أما من الجهة الاخرى فإنه يقدم وصفا لدخول ابن القارح للجنة على غير منهج ويصف نجيب ابن القارح من الدر والياقوت لتكون صفة النجيب التغاير عن وصف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للبراق دابة فوق الحمار ودون البغل<sup>(٥٤)</sup>، ويقدم وصفا للجنة مقارب لما مذكور في قرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾<sup>(٥٥)</sup>، ولكن الفارق بين حادثة اسراء الرسول و رحلة ابن القارح وانتقاله للسماء التي عني بها المعري الآخرة انها رحلة ليس لها منهج على خلاف رحلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان لها منهج وفيها حكمة اللاهية.

ويبدو للباحث التاريخي المطلع بتمعن على تفاصيل حادثة الاسراء وما تيسر له من مصادرها ورواياتها، والذي يبحث بشأنها أن رسالة الغفران لابي العلاء تأتي متأثرة بشخصية النبي الاعظم محمد (ﷺ) وال بيته (عليهم السلام) وانه على اطلاع كبير و واسع بتفاصيل الحادثة وسير ال بيت النبوة عليهم السلام، ودليلا في ذلك المدخل الذي اعتمد عليه في تسمية الرسالة بالغفران، فبعد دخول ابن القارح الى الجنة على نجيب من نجبها، رفع صوته متمثلا بقول البكري:

ليت شعري متى تخب بنا الناقة نحو العذيب فالصبيون

محققاً زكرة وخبز رقاق وحباقاً ، و قطعة من نون

فجرى بين ابن القارح والبكري الحوار الذي مفاده غفران الله عز وجل للبكري بشفاعة رسول الله (ﷺ) وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ومفاده: أتشعر أيها العبد المغفور له لمن هذا الشعر، فيجيب الشيخ ابن القارح: نعم، حدثنا اهل ثقتنا عن اهل ثقتهم ويتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى يصلوه بأبي عمرو بن العلاء، ان هذا الشعر لميمون بن قيس بن جندل بن بكر بن وائل، فيجيب الهاتف انا ذلك الرجل، من الله علي بعدما صرت من جهنم على شفير، فيسأله ابن القارح كيف كان خلاصك، فيجيبه البكري سحبتني الزبانية الى سقر، فرأيت رجلا في عرصات القيامة يتلألاً وجهه تلالؤ القمر، والناس يهتفون به من كل أوب يا محمد يا محمد الشفاعة!، فصرخت في ايدي الزبانية يا محمد أغثني فإن لي بك حرمة! فقال: يا علي بادره فأنظر ما حرمته؟ فجاني علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وانا بأيدي الزبانية كي القي في الدرك الاسفل من النار، فزجرهم عني وقال ما حرمتك؟ فأجبتة انا القائل:

ألا أيهذا السائلي أين يمت فأن لها في أهل يثرب موعدا

فآليت لا أرثي لها من كلاله ولا من حفي، حتى تلاقي محمدا... (٥٦)

وينتقل المعري على لسان ابن القارح لنموذج آخر في الغفران الذي يسند فيه جوهر رسالته في الغفران الذي ناله الاعشى، ومفاده: قال الاعشى لعلي (عليه السلام)، كنت أومن بالله وبالْحساب وأصدق بالبعث وانا في الجاهلية فمن ذلك قولي:

فما أبيلي على هيكل بناه وصلب فيه صارا

يرواح من صلوات المليك طورا سجودا طورا جؤارا

بأعظم منك تقى في الحساب إذا النسومات نفضن الغبارا

فذهب علي (عليه السلام) إلى النبي (ﷺ)، فقال له يا رسول هذا اعشى قيس قد روي مدحة فيك، وشهد أنك نبي مرسل، فقال رسول الله هلا جاءني في الدار السابقة؟ فذكر له علي قد جاء ولكن صدته قريش وحبه للخمر، فشفع لي، فأدخلت الجنة<sup>(٥٧)</sup>.

ومما يعزز الرؤية المذكورة اعلاه في كون أبي العلاء مطلع بسعة وبتفاصيل دقيقة على حادثة الاسراء والتي استخدمها برسالة الغفران واجاد توظيفها، ليتمكن من تحويلها من خطاب أدبي، فحسب بل الى خطاب عقائدي، ودليلنا في ذلك أن ذكر علي (عليه السلام) لم يكن لمجرد أنه ابن عم النبي (ﷺ) أو لكونه زوج السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، بل لكون علي بن أبي طالب (عليه السلام) ورد ذكره في حادثة الاسراء، فقد ورد في الحديث النبوي الشريف عن الرسول (ﷺ) عن أبي هريرة أنه ذكر "ليلة اسري بي وصرت إلى السماء الرابعة، نظرت فإذا بملك شبيه بعلي بن أبي طالب"<sup>(٥٨)</sup>، وفي حديث اخر عن أنس بن مالك عن رسول الله (ﷺ) ذكر ما مفاده: "ليلة اسري بي إلى السماء الرابعة رأيت صورة علي بن أبي طالب، فقلت يا جبرئيل هذا علي؟ فأوحى إلي بأن هذا ملك خلقه الله تعالى على صورة علي بن أبي طالب"<sup>(٥٩)</sup>، وهذان الروايتان التي اعتمد عليها في اثبات ورود ذكر علي بن أبي طالب (عليه السلام) في حادثة الاسراء تؤكدان الاطلاع الواسع بكل تفاصيل الحادثة برواياتها وليس مجرد عمل أدبي، اراد من خلاله محاكاة حادثة الاسراء على لسان ابن القارح، وقد أجاد استخدام اسلوب التصريح عندما ذكر الرسول الاعظم (ﷺ) وعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، وليس هذا فحسب بل جعل من معنى الغفران مرادف لمعنى عقائدي اتصف به رسول الله (ﷺ) وال بيته (عليهم السلام) الا وهو الشفاعة.

ومن خلال اجراء مقارنة بين رسالة ابن شهيد (الزوابع والتوابع)، ورسالة أبي العلاء المعري (الغفران) ، سنلاحظ الاختلافات التالية :

١- أن محقق رسالة التوابع والزوابع اجهد نفسه في اي الرسالتين اقدم في التأليف، وايهما اقتبس الفكرة من الاخر ، على الرغم من الفرق الشاسع بين الاثنين وكبير، فأبن شهيد في الاندلس وظروفه الاجتماعية والفكرية ، تختلف عن ظروف أبي العلاء المعري ، على الرغم من أنه خلص الى نتيجة مفادها ان ابي العلاء اقتبس الفكرة من ابن شهيد<sup>(٦٠)</sup>، والباحث يرى عكس ذلك ربما تكون الفكرة نتيجة التأثر بحادثة الاسراء ، وكذلك اسلوب نقل العلم والمعرفة من مكان



الى اخر واقتباس الافكار في ذلك الزمن يحتاج الى وقت طويل بالإضافة الى اساليب و صعوبة نسخ الكتب ونقلها آنذاك .

٢- ان الفكرة التي طرحها ابن شهيد لم تكن فكرة عميقة وكبيرة على الرغم من تأثرها بحادثة الاسراء ، فقد كانت ذاتية تمثل معاناة فردية، بعكس أبي العلاء الذي تمكن من توظيف فكرة رسالة الغفران وتأثرها بحادثة الاسراء بعدة مسارات وتحمل فكراً عميقاً ومن الممكن الإشارة اليه على النحو التالي :

ب- ان أبي العلاء طرح معاناته الذاتية في الشعر مطالباً بثورة فيه والتميز بين الشعراء ، شعر الرجز والشعر الرصين وتمثل بذلك بقول الامام الحسين (عليه السلام) : ان الله يحب معالي الامور ويكره سفاسفها<sup>(٦١)</sup>، وهذه الثورة في الشعر لا ترمي فقط الى اصلاح الشعر بل الى اصلاح امة من خلال اصلاح اهداف الشعر وغاياته .

ت- نقل ابو العلاء مفهوم الغفران الادبي الى مفهوم عقائدي بأن جعله مساوي الى معنى مفهوم الشفاعة والتي ممكن الحصول عليها بواسطة الرسول وال بيته (عليهم صلوات الله)<sup>(٦٢)</sup> .

ث - وظف ابو العلاء الادب في العمل السياسي بأن جعل من رسالة الغفران وتأثرها بحادثة الاسراء ، احد اساليب الدعوة الاسماعيلية (الفاطمية) في نشر مذهب العقائدي والسياسي لما عرف من توجهاته السياسية والمذهبية من خلال اتصاله بالأمام الحاكم الفاطمي في مصر<sup>(٦٣)</sup> .

### ثالثاً/ أثر حادثة الاسراء في المخيلة الشعبية :

يعرف المخيال : أنه حالة من الصراع بين العقل والعاطفة ، اي انه حالة من الصراع بين ادراك الموضوع ، ومقارنته في الواقعية الخيالية ، بوصفه حالة من تشكل العقل وايمان الوجدان<sup>(٦٤)</sup>.

وهذا دفع المخيلة الشعبية على ايجاد نوع من الحكايات فيها استلهام للواقع الذي تدركه، وتوظفه في لترسيخ دافعية ما تؤمن به في موروثها العقائدي ، ونجد ذلك واضحاً في قصص الف ليلة ولية في حكاية (الحكام اصحاب الطاووس والبوق والحصان) ، والذي يعيننا من هذه الحكاية الفرس الذي يطير وهو مصنوع من خشب الابنوس حيث أن ابن الملك ركب الحصان وطار به عالياً الى عنان السماء ، ثم وبعد وقت من طيرانه تمكن من التعامل معه وعرف كيف يتمكن من انزاله<sup>(٦٥)</sup> . وهذه الحكاية الشعبية فيها محاكاة لحادثة الاسراء إذ اظهرت الفرس

مقاربة للبراق في طيرانها الى عنان السماوات، ومن هذه الحكاية نرى تأثر الادب الشعبي بالموروث الديني الذي هو جزء من العقيدة الاسلامية في حادثة الاسراء .

### المبحث الرابع / أثر حادثة الاسراء في العلوم عند المسلمين

أثرت حادثة الاسراء تأثيرا كبيرا في دراسة العلوم لدى المسلمين، لا سيما في علم اهتمام الامم بالعلوم، الجغرافيا والفلك، ونجد ذلك في مؤلفاتهم واضحا فجد ابن صاعد الاندلسي قد قسم الامم الى سبع طبقات على اختلاف اهتمامها بالعلوم<sup>(٦٦)</sup>، وكذلك نجد تأثيرها كبيرا في علم الجغرافية عند المسعودي الذي قسم الارض الى سبعة أقاليم<sup>(٦٧)</sup>، وهذا التقسيم للأقاليم ربما جاء بتأثير حادثة الاسراء لكون الرسول (ﷺ) عندما أسرى به تحدث عن سبع سماوات<sup>(٦٨)</sup>.

وكان لها أيضاً تأثير كبير في علم الجغرافية لاسيما عند الحديث عن الانهار، وقسمتها الى انهار باطنة في الجنة، وانهار تتبع من الجنة الى الارض، فالأنهار التي جرى الحديث عنها في حادثة الاسراء بين جبرائيل ورسول الله (ﷺ) ومفاده: نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما النهران الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات<sup>(٦٩)</sup>، ونلاحظ تأثر الجغرافيين المسلمين بهذا التقسيم، ونجد المسعودي قد تأثر بهذا الحديث النبوي الشريف تأثيرا كبيرا، وافرده له باب في مؤلفه مروج الذهب، يصف فيه كل نهر من الانهار المذكورة بالحديث النبوي بصفته وهي: النيل، والفرات، وجيحون، ودجلة<sup>(٧٠)</sup>.

وليس هذا فحسب فنجد أن بعض رواة الحديث النبوي الشريف نقلوا عن رسول (ﷺ) أحاديث أثرت في علم الجغرافية وربما تكون من مشاهدات الرسول (ﷺ) في ليلة الاسراء، فقد ذكر الطبراني عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: "أربعة جبال من أجدال الجنة، وأربعة انهار من انهار الجنة فأما الجبال فالطور ولبنان وطور سيناء وطور الزيتون والانهار من الجنة النيل والفرات وسيحان وجيحان"<sup>(٧١)</sup>.

أهتم الجغرافيون المسلمون أيضا بذكر اسماء المدن ومواقعها، بتأثير حادثة الاسراء وهذا ما يؤكد الباحث من خلال مثالين يوردهما ياقوت الحموي، على سبيل المثال لا الحصر، اما المثال الاول مفاده: أن رسول الله (ﷺ)، قال: رفعت ليلة أسري فرأيت مدينة اعجبتي، فقلت:

فسأل جبرائيل عنها، يا جبرائيل ما هذه المدينة ، هذه نصيبين ، فقال رسول الله :اللهم عجل فتحها واجعل فيها بركة للمسلمين<sup>(٧٢)</sup>.

أما المثال الاخر الذي اشار اليه من خلال حديثه عن المدن التي تسمت بالمنصورة ومنها مدينة في خوارزم القديمة على شرقي نهر جيحون، ويروي الحموي أن النبي (ﷺ) رآها ليلة الاسراء من مكة إلى المسجد الاقصى<sup>(٧٣)</sup>، وهذه الاشارة الى المدن في كتب البلدانيات توضح أن رسول الله (ﷺ) في حادثة الاسراء شاهد العديد من المدن مما دفع الجغرافيون المسلمون إلى ذكر تلك المدن والاهتمام بكل تفاصيلها، متأثرين بحادثة الاسراء والاشارات التي نوهت عنها بذكر تلك المدن ،وبالتالي ظهرت كتب البلدانيات.

ونجد تأثير الاحاديث الواردة عن حادثة الاسراء عند علماء مسلمين اخرين ، ومنهم الجغرافي ابن الفقيه في قوله عن خلق السموات الارض، فقد حاول تفسير قوله تعالى في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار، ويذكر أن النبي(ﷺ) سئل عن الارض أهي سبع ،قال: نعم، والسموات سبع<sup>(٧٤)</sup>، وهذا ربما يؤكد مشاهدة النبي للسموات السبع وعلمه في الارض ،ورؤيته لها في حادثة الاسراء.

أما تأثير الاسراء في علم الفلك فيتضح عند القزويني الذي كان يحاول تفسير حركة الافلاك وفي معرض حديثه عن حركة الشمس يشير لسؤال النبي (ﷺ) لجبريل عن حركتها، بقوله: " أن الشمس تتحرك بحركتها القسرية وهي حركة الفلك الاعظم في مقدار ما يرفع الانسان قدمه للخطو الى ان يضعها ثمانمائة فرسخ ويشهد بصحة هذا ما روى عن رسول الله (ﷺ) أنه سئل جبريل عن دخول وقت الصلاة"<sup>(٧٥)</sup>، ومن المعلوم أن الصلاة فرضت على المسلمين في ليلة الاسراء.

ومن التأثيرات التي يراها الباحث لحادثة الاسراء أنها أثرت في علوم الفضاء لدى العلماء المسلمين، ودفعتهم الى الاهتمام به ، ودراسته ومعرفة حركة النجوم والاهتمام بها لتعيين مواقيت الصلاة، ولكن اعظم تأثر نراها عند العالم العربي عباس بن فرناس الذي حاول الطيران ،وكان فقيه وعالم في علم الفلك وله انجازات عديدة ومن اهمها أنه صنع الة الميقاتة لمعرفة الاوقات، ويحسب له أنه أول من حاول الطيران عندما صنع الاجنحة وإن لم يكتب له النجاح<sup>(٧٦)</sup>، وربما

كانت هذه المحاولة من تأثره بالنبي (ﷺ) ووصفه للبراق بأن لها اجنحة مكنتها من الطيران ، فأُنصب اهتمامه على الاجنحة واهميتها في الطيران.

ولم يقف تأثير حادثة الاسراء عند العلوم فقط، فقد تعداه للمرويات التاريخية وأثرها على المسلمين فيذكر المقدسي حادثة غريبة حصلت أيام معاوية ان نهر الفرات مد فرمى برمانة شبه البعير البازل، فسأل كعب الاحبار عنها فقال هي من الجنة، ويشير المقدسي الى زعم أهل الكتاب أن انهار الجنة أربعة تخرج منها وهي سيحان وجيحان والفرات والنيل<sup>(٧٧)</sup> .

### الخاتمة

بعد الانتهاء من هذا البحث لا بد من عرض أهم النتائج التي تم التوصل إليها اجمالاً وهي:-

١- ان التعريف اللغوي لحادثة الاسراء هو تعريف لمعنى ( اسرى ) وهي كلمة عربية بمعنى السفر ليلاً، وهذا ما تعارف عليه العرب في لغتهم، ولكن العرب اطلقوه على حادثة الاسراء لكونها حدثت ليلاً وكما تنص الآية القرآنية المباركة، والسفر حالة يختارها الانسان بإرادته، السفر من عدمه، اما الاسراء اصطلاحاً وهذا ما توصل اليه الباحث: هو حالة انتقال الرسول الأعظم (ﷺ) الى الملكوت الاعلى بأمر الاهي خارج نطاق الزمان والمكان .

٢- الاسراء حالة مختلفة عن المعراج ، فالأسراء حالة اختص بها الرسول وحدة الاكرم وحده فقط ، بينما المعراج هي حالة اختص بها الملائكة كما ومبين .

٣- اضاف المحدثين والمفسرين لحادثة الاسراء ، تفاصيل لم يشر اليها النص القرآني، حيث نسبوا وكما يرى الباحث: ان الرسول اسرى على دابة اسمها البراق واعطوها وصفاً دون البغل وفوق الحمار، وهذا الوصف يتلائم مع البيئة العربية ليسهل عليهم ادراك وفهم اسراء الرسول، علماً الآية القرآنية ولا حتى الآيات اللاحقة اشارت الى البراق، لكن ادراكهم وفهمهم الى السرعة الخاطفة التي انتقل بها رسول الله للملكوت الاعلى ، صور لهم ان البراق دابة تتطلق مثل البرق، ويرى الباحث ان والمحدثين المفسرين نسبوا الحديث الرسول الاعظم ، كذلك اضافي الى حادثة الاسراء، معراجاً للملكوت ،وهناك فرق بين الاسراء والمعراج ، اذ ان الاسراء مختص فقط بالنبي وهذا ما وضحة الباحث، اما المعراج واعتماداً على الطبري في تفسيره يختص بالملائكة ، كما موضح بتفسير سورة المعارج .

٤- يرى الباحث ان الاسراء النبوي حدث مرتين الاولى في سورة الاسراء وهو بمكة، والثانية بعد الاولى، وكما موضح في سورة النجم .

٥- وفي الجانب العقائدي فقد تأثر ابن عربي في حادثة الاسراء وجعل هنالك سفر بالروح الى الله تعالى بعد مغادرتها البدن وجعل هنالك سفر روحي لله تعالى بين شخصين المتبع وصاحب النظر للوصول الى حقيقة الوجود، وجعل من السفر الروحي مرادفا لمعنى الاسراء، وقد واجه ابن عربي مشكلة الوصول الى الوجود المطلق من خلال تأثره بالفلسفة اليونانية والمنهج الارسطي في تقسيم العلوم، وعمل على حلها من خلال تضلعه في الدمج بين التصوف والفلسفة اليونانية وفق المنهج الارسطي من خلال القول : العلم الذي ينتهي الى وجود بالإطلاق، وهذا علم ما بعد الطبيعة، وابن عربي يعني بالعلم الذي ينتهي بالإطلاق هو الوصل الى الله عن طريق العبادة والحصول من خلالها الى تحصيل العلوم .

٦- أما جلال الدين الرومي فقد أثرت فيه حادثة الاسراء بجانبين الجانب الاول تأثره بأن استخدم كلمة السفر اي السفر الروحي لله تعالى من خلال طريقته المولوية التي عكس فيها رمزية الاسراء، أما الجانب الثاني فقد اطلق على صديقة له لقب الصديقة لكونها كانت تصدق كل ما يقول ويفعل وهذا التأثير جاء نتيجة اطلاق تسمية الصديق على ابي بكر (رضي الله عنه) بعد تصدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بجاذبة الاسراء، وقد اضاف ادريس شاة تأثر ابن الرومي بطريقته الصوفية بالصحابي الجليل أبو بكر وبانها مزج منقول من الحكمة وبين الاشراف الشخصي التي ترجع أصوله الى الصحابي أبو بكر الصديق، وهذه الاضافة لا تجد لها قبول لكون أبي بكر (رضي الله عنه) لم يكن من الزهاد المشهورين مثل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) او أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه)، وان ابن الرومي ربما تأثر بابن عربي الذي التقى به واستخدم معنى السفر الروحي مرادفا لكلمة الاسراء .

٧- أثرت حادثة الاسراء في الادب العربي من خلال المتيسر من المصادر المطلع عليها ، في نمطين من التفكير الاولى في الادب الرصين في شخصيتي أبين شهيد، وابي العلاء المعري، وهذا ما أوضحناه في المبحث الثالث من الدراسة فجد تأثر ابن شهيد في رسالة التوابع والزوابع يأخذ طابع الطيران، وطابع الطيران عند ابن شهيد جواد من ارض الجن، مماثل لانتقال الرسول الى الملكوت الاعلى في حادثة الاسراء على البراق، وجعل من الجنى زهير بن نمير، مماثلة لشخصية الملاك جبرائيل الذي كان يوضح كل شيء للرسول في السماوات وصولا الى سدة

المنتهى، والى ارضهم وادي الارواح ارض التوايح والزوايح ، ويجعل من رسالته محاكاة لحادثة الاسراء، ويظهر فيها معاناته الشخصية من حاسديه وكارهيه، اما ابي العلاء فكان في تأثره بحادثة الاسراء ، ولسان حالة المتكلم على نجيب من نجب الجنة وهو مماثل للبراق في حادثة الاسراء، وكانت الشخصية التي تتحدث هي ابن القارح ، وابن القارح هذا صنف الجنة الى منازل رفيعة للشعراء الذين عرفوا بشعرهم الرصين ، وشعراء الرجز الذي صنفه انه شعر بائس وحقير ، ليس هذا فحسب بل انه تمثل بقول الإمام الحسين (عليه السلام) الذي علمه له جده رسول الله (ﷺ) : ان الله يحب معالي الامور ويكره سفاسفها، علما انه لم يشر لقائلة، ليعبر عن امتعاضه ليعن ثورة بالشعر الذي تردى في زمانه ويحاول اصلاحه لأنه يعكس واقع الامة المتردي، وتمثله هذا بقول الامام الحسين (عليه السلام) هو بمثابة اعلان ثورة بكل نواحي الحياة وليس الشعر فقط ، وكذلك سخر ابي العلاء سعة اطلاعه العالي في استخدام مفهوم الغفران مفهوم يشابه الشفاعة واخرجة من واقعه الادبي الى واقعه العقائدي .

اما النمط الثاني من التأثير فنجد في الخيال الشعبي وتأثره بحالة العقائدية التي صورت الحصان يطير عالياً ،انما عكست تصورهم لأسراء النبي انه حالة من الطيران لمقابلة الخالق العظيم، وعكستها على شكل موروث شعبي .

٨- اثرت حادثة الاسراء في الاسلام في الجانب العلمي من خلال علم الجغرافية والفلك، في مفهوم تقسيم الارض لسبع اقاليم وانهار الجنة الاربعة، ونجد المؤرخ والجغرافي المسعودي يقسم الارض الى سبعة اقاليم كما هو مبين لكون النبي شاهد الارضين والسماوات السبعة، وكذلك شاهد الرسول الاعظم انهار الجنة وسأل جبرائيل عنها كما هو مبين في الدراسة فيفرد المسعودي باباً للحديث عن انهار الجنة في كتابة مروج الذهب وهم انهار الجنة الاربعة ، وكذلك اهم تأثيرات حادثة الاسراء في كتب البلدانيات ونجد عند

ياقوت الحموي الذي تحدث عن المدن التي شاهدها النبي الاعظم في حادثة وذكرها في معجم البلدان وهذا فيه مؤشر ان الاسلام سيصل الى ابعد المدن، ومن اهم تأثير حادثة الاسراء هي محاولة الطيران التي قام بها عباس بن فرناس والتي لم يكتب لها النجاح ربما جاءت بتأثير حادثة الاسراء .

## الهوامش

- ١- الاسراء/١.
- ٢- الفراهيدي، كتاب العين، ٢٩١/٧؛ وللاستزادة ينظر أبن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١٥٤/٣.
- ٣- الشعراوي، الاسراء والمعراج، ص ٢٤.
- ٤- للاستزادة في تفاصيل رواية الزهري ينظر : المغازي النبوية، ٤٨-٤٩.
- ٥- لاستزادة في تفاصيل اختلاف رواية ابن اسحاق عن الزهري، ينظر: ابن لسحاق، السيرة النبوية، ٣٠٩/١.
- ٦- البخاري ، صحيح البخاري ، ٩١/١-٩٢، و يروي البخاري رواية الاسراء وفيها كثير من التفاصيل للاستزادة ينظر: صحيح البخاري، ٩١/١-٩٧.
- ٧- الهيثمي، مجمع الزوائد، ٦٤/١-٦٥، والاستزادة في تفاصيل رواية الهيثمي واختلافها في بعض الجزئيات عن البخاري ، ٦٤/١-٦٩.
- ٨- الطبري، جامع البيان، ٢٣/١٥-٢٤.
- ٩- الثعلبي، تفسير الثعلبي، ٦/٦٩، وفيه اختلاف عما يرويه الطبري ويفسر حادثة الاسراء من وجهة مختلفة .
- ١٠- للاستزادة في تفاصيل حادثة الاسراء والليلة التي اسري بها برسول (ﷺ) طبعت رواية ابن عباس بكتاب ونسب إليه تأليفه وسمي معراج النبي ينظر : ٢-٤٧.
- ١١- المعارج/٤.
- ١٢- الطبري، المصدر السابق، ٢١/١١٠.
- ١٣- ينظر سورة النجم في القرآن الكريم من الآية ١ إلى الآية ١٨.
- ١٤- سورة النمل الآية ٤٠ بقوله تعالى ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ وللاستزادة في تفاصيلها وتفسيره ينظر : الواحدي، تفسير الواحدي، ٨٠٤/٢.
- ١٥- اسين بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، ص ٥-٢٩، ص ٨٢.
- ١٦- الصوفيون، ص ٢٤٨.
- ١٧- للاستزادة في مكانة اسرته واتصالها بأكابر متصوفة عصره وحظوتها عند السلاطين، ينظر، اسين بلاثيوس، المرجع السابق، ص ٦-٨٢.
- ١٨- من الممكن المقارنة بين وجه نظر الباحث والكتاب ادريس شاه ، والفرق بين وجه نظر الباحث، وادريس شاه الذي جعل من أبن عربي متصوفا على النمط المسيحي الأرثوذكسي، فالإسلام يشهد حالة تطور التصوف من الزهد وصولا بتطوره لتسمية التصوف، على عكس المسيحية التي تفر حالة الرهبة المتصوفة، ص ٢٥٣.
- ١٩- انجل جنتالث بالنشا، تاريخ الفكر الاندلسي، ٤٢٨.
- ٢٠- المرجع نفسة، ص ٤٣٠.

- ٢١- للاستزادة في التداخل الذي أحدثه ابن عربي بين التصوف والمنهج الارسطي الفلسفي وادخاله العقل الفلسفي في التصوف وتأثره بالفلسفة اليونانية ينظر، يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ،ص١١٨-١١٩ .
- ٢٢- ابن عربي، الإسرا الى مقام الاسرى،ص٢٤١-٢٤٥ .
- ٢٣- للاستزادة في تفاصيل الرحلة السماوية في الملكوت الاعلى للرجلين الذي اسماها ابن عربي كيمياء السعادة، ينظر ، ابن عربي الفتوح المكية ،٣/٣١٤-٣٢٩ .
- ٢٤- ينظر: ابن كثر، البداية والنهاية، يذكر ويناقش روايات الاسراء ان الرسول ﷺ اسري به بروحة ، ٣/٦٨٠-٦٨٧ .
- ٢٥- الجوهرى، الصحاح،٣/١٢٢١؛ وللاستزادة ينظر: ابن منظور في لسان العرب في شرح معنى كلمة اسرى،١٤/٣٨٧ .
- ٢٦- ايفا دي فيتراي، جلال الدين والتصوف،ص١٨٨-١٨٩ .
- ٢٧- جلال الدين ابن الرومي، مثنوي،١/١٤ .
- ٢٨- ينظر: كتاب الفتوح المكية مادة كيمياء السعادة،٣/٣١٤-٣٣٠ .
- ٢٩- ينظر : ادريس شاه، المرجع السابق،٢٥٣ .
- ٣٠- القونوي، محمد بن عبدالله، اعده وترجمة نصوصه، أخبار جلال الدين الرومي،ص٢٦٥ .
- ٣١- ينظر شرح القصائد في الهوامش للديوان، جلال الدين، الرومي، قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز ،ص٥١ .
- ٣٢- المحمدي، محمد، قصص المثنوي،٢/١١ .
- ٣٣- المحمدي، محمد، المصدر نفسه،٢/٦٤ .
- ٣٤- ابن شهيد، رسالة التوايح والزوايح، ص٢٨ .
- ٣٥- ابن شهيد، المصدر نفسه ، ص٧-١٩ .
- ٣٦- ينظر: ابن حبان ، كيف كان المشركين يعادون رسول الله ﷺ) والمسلمين حتى حدوث حادثة الاسراء وما بعدها الى الهجرة النبوية الشريفة للمدينة المنورة، السيرة النبوية واخبار الخلفاء ، ص٤٠-٧٤ .
- ٣٧- ابن شهيد ،المصدر السابق،ص٧٢ .
- ٣٨- ينظر : ابن عبد البر ، الدرر في اختصار المغازي والسير، ص٣٧-٦٤ .
- ٣٩- الطبقات الكبرى،١/١٠٢ .
- ٤٠- ابن شهيد، المصدر السابق،ص٧٢ .
- ٤١- المصدر نفسه، ص٧٢ .
- ٤٢- محمد بن رزق بن طرهوني ، الاسراء والمعراج، ص٦-٩ .
- ٤٣- ابن سعد، الطبقات الكبرى،١/١٠٢ .
- ٤٤- ينظر : ابن عباس، الاسراء والمعراج، ص٩-٢٩ .



- ٤٥- ابن شهيد، المصدر السابق، ص ٧٢.
- ٤٦- ابن العربي، احكام القرآن، ٣/٤٠٤.
- ٤٧- الاستزادة في المحاوره بين نبي الله موسى (عليه السلام) ورسول الله (ﷺ) في شأن تخفيف الصلاة، ينظر: ابن عباس، الاسراء والمعراج، ص ٣٥.
- ٤٨- ابن شهيد، المصدر السابق، ص ٧٢-٧٣.
- ٤٩- للاستزادة في حياة أبي العلاء وعقيدته، ينظر: حسين فتوح، عقيدة ابي العلاء، ص ١١-١٤.
- ٥٠- زهير غازي زاهد، لغة الشعر عند المعري، ص ١١.
- ٥١- المعري، المصدر نفسه، ص ٩؛ وهذا الحديث النبي ذكر في مصادر الحديث النبوي الشريف مع اختلاف بسيط في الالفاظ، فقد استبدلت كلمة يكره بكلمة يبغض عند السرخسي، المبسوط، ١٥/٨٤.
- ٥٢- ينظر: المعري، رسالة الغفران، واستخدامه قول الامام الحسين (عليه السلام) دون الاشارة الى قائله، ص ٤٢.
- ٥٣- المعري، المصدر نفسه، ص ٤٣.
- ٥٤- الطبري، المصدر السابق، ١٥/٥.
- ٥٥- الحج/٢٣.
- ٥٦- المعري، المصدر نفسه، ص ٥٠.
- ٥٧- المعري المصدر نفسه، ص ٥١-٥٢.
- ٥٨- الطبري الشيعي، نوارد المعجزات، ص ٧٣-٧٤.
- ٥٩- محمد بن علي الطبري، بشائر المصطفى، ص ٢٥٣.
- ٦٠- ابن شهيد، المصدر السابق، ص ٦٧.
- ٦١- اليعقوبي، المصدر السابق، ٢/١٧١.
- ٦٢- ينظر: المعري، المصدر السابق، ص ٤٢-٥٥.
- ٦٣- مصطفى غالب، اعلام الاسماعيليه، ص ١٠٣-١٠٤.
- ٦٤- ثابت رسول، جماليات الواقعية الخيالية في عروض المسرح العراقي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدمة الى مجلس كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد للعام ٢٠١٤، ص ٣٢.
- ٦٥- الف ليلة وليلة، ص ٧٨٥-٧٨٦.
- ٦٦- طبقات الامم، ص ١٤-١٥.
- ٦٧- اخبار الزمان، ص ٤٥.
- ٦٨- محمد بن رزق الطهروني، المرجع السابق، ص ٦.
- ٦٩- ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١/٢٣٩-٢٤٠.
- ٧٠- ١/٦٦-٧١.

- ٧١- المعجم الاوسط، ٣٤٢/٧؛ وللاستزادة في نقل الحديث النبوي الشريف في اكثر من مصدر من مصادر الحديث النبوي الشريف، ينظر: ابن حزم، المحلى، ٢٨٣/٧؛ ابن حجر، فتح الباري في صحيح البخاري، ١٦٦/٧ .
- ٧٢- معجم البلدان، ٢٣٣/٥ .
- ٧٣- المصدر نفسه، ٢٤٥/٥ .
- ٧٤- مختصر كتاب البلدان، ص ٤ .
- ٧٥- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص ٥٣-٤٥ .
- ٧٦- ابو الحسن المغربي، المغرب بحلى المغرب، ص ٣٣٣ .
- ٧٧- مطهر بن طاهر المقدسي، وهذا الكتاب منسوب اليه، البدء والتاريخ، ٦٠/٤ .

### المصادر والمراجع

#### قائمة المصادر الاولية:-

#### • القرآن الكريم

ابن اسحاق، محمد (ت ١٥١هـ)

- ١- السيرة النبوية، حققه وعلق عليه، احمد فريد، ط ١، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٩م).
- البخاري، محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ) .
- ٢- صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب ، ط ٢، دار ابن كثير، (بيروت ١٩٨٧م).
- الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)
- ٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور، ط ٤، دار العلم للملايين (بيروت ١٤٠٧هـ).
- الثعلبي، أبو محمد بن عاشور (٤٢٧هـ)
- ٤- تفسير الثعلبي، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ابن حبان، أبو حاتم محمد (٣٥٤هـ)
- ٥- السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء، تحقيق سعد كريم الغني، بلا.
- ٦- صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الاوطى، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
- أبن حجر ، احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ)

٧- فتح الباري في الصحيح البخاري، تحقيق مجموعة من علماء الأزهر، مطبعة بولاق، القاهرة ١٣٠٠ هـ.

أبن حزم ، علي بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ )

٨- المحلى، تحقيق احمد شاکر ، ط١ ، دار الفكر (بيروت ١٣٥٢ هـ).

الرومي، جلال الدين (ت ٦٠٣-٦٧٣ هـ)

٩- قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز ،نقلها من الفارسية وقدم لها وعلق عليها محمد سعيد جمال الدين، الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة، ٢٠٠٨م).

الزهري، محمد بن شهاب (١٢٤ هـ)

١٠- المغازي، وهذا الكتاب عبارة عن جمع روايات الزهري في السيرة النبوية حققها سهيل زكار، دار الفكر ، دمشق، ١٩٨٠م.

السرخسي، شمس الدين (ت ٤٨٣ هـ )

١١- المبسوط ، تحقيق جمع من الأفاضل ، ط١، دار المعرفة ( بيروت ١٤٠٦ هـ ).

ابن سعد، محمد (ت ٢٣٠ هـ)

١٢- الطبقات الكبرى، اعد فهارسه وقدمه رياض عبدالله ، دار احياء التراث، بيروت، ١٩٩٦م.

ابن شهيد، ابو عامر أحمد بن أبي مروان (ت ٤٢٦ هـ)

١٣- رسالة الزوابع والتوابع، حققها وشرحها بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م.

ابن صاعد، أبو القاسم، احمد (ت ٤٦٢ هـ)

١٤- طبقات الامم، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.

الطبراني، سليمان ابن احمد (ت ٣٦٠ هـ )

١٥- المعجم الاوسط، تحقيق قسم التحقيق في دار الحرمين، طبع دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة ١٩٩٥م).

الطبري ، محمد بن جرير (٣١٠ هـ)

١٦- جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق الشيخ صدقي جميل، دار الفكر للطباعة ، بيروت ١٩٩٥م.

الطبري الشيعي، محمد بن جرير بن رستم (متوفي في القرن الرابع الهجري)

- ١٧- نوادر المعجزات، تحقيق ونشر مؤسسة الامام المهدي (عليه السلام)، قم، ١٤١٠ هـ .
- الطبري، محمد بن علي (٥٢٥ هـ)
- ١٨- بشائر المصطفى، تحقيق جواد القيومي، ط١، مؤسسة النشر الاسلامي، (قم ١٤٢٠ هـ).
- ابن عباس، عبد الله (٦٨ هـ)
- ١٩- الاسراء والمعراج ، وهذا الكتاب هو عبارة عن رواية ابن عباس في الاسراء والمعراج ، طبع على نفقة مكتبة التعاون (، بيروت ، بلا .
- ابن عبد البر، يوسف (٤٦٣ هـ)
- ٢٠- الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق سوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، ١٤٠٣ هـ.
- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (٥٤٣ هـ)
- ٢١- احكام القرآن ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٣ م.
- ابن عربي، محمد بن علي (٦٢٧ هـ)
- ٢٢- الاسرى الى مقام الاسرى، تحقيق سعاد الحكيم، الناشر دار دندرة، بيروت ١٩٨٨ م.
- ٢٣- الفتوحات المكية، قرأه وقدم له، نواف الجراح، دار صادر (بيروت . بلا).
- أبن فارس، الحسين احمد (٣٩٥ هـ)
- ٢٤ = معجم مقاييس اللغة، تحقيق محمد عبد السلام هارون، طباعة مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ١٤٠٤ هـ.
- الفراهيدي، الخليل بن احمد (١٧٥ هـ)
- ٢٥- معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، طبع دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠ م.
- ابن الفقيه ، ابو بكر احمد بن محمد (٣٤٠ هـ)
- ٢٦- مختصر كتاب البلدان، طبع بمطبعة بربل، مدينة ليدن ، ١٣٠٢ م.
- القزويني، زكريا بن محمد (٦٨٢ هـ)
- ٢٧- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، طبعة حجرية، بلا.
- ابن كثير، اسماعيل بن عمر (٧٧٤ هـ)

- ٢٨- البداية والنهاية، راجع نصه وضبطه وقدم له سهيل زكار ، ط١، دارصادر، بيروت ٢٠٠٥م.
- المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ)
- ٢٩- اخبار الزمان، ط٥، دار الاندلس(بيروت ١٩٨٣م) .
- ٣٠- مروج الذهب، حققه يوسف ألبقاعي، ط١، دار أحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٢م.
- المعري، احمد بن عبد الله(ت ٤٤٩ هـ)
- ٣١ - رسالة الغفران، تحقيق محمد عزت، دار احياء التراث العربي(بيروت ١٩٦٨م).
- المغربي ، ابو الحسن علي بن موسى (٦٨٥ هـ)
- ٣٢- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م.
- المقدسي، مطهر بن طاهر(المتوفي في القرن الرابع الهجري )
- ٣٣- البدء والتاريخ، وهذا الكتاب منسوب إليه، وقد اعتنى بنشره وترجمته من العربية إلى الفرنسية كلمان هوار من أعضاء مجلس العلوم الفرنسي، يطلب من مكتبة المثنى(بغداد، ١٩١٦م) .
- أبن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)
- ٣٤- لسان العرب، تحقيق أبو القاسم محمد كرو، ط ١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الواحدي، ابو الحسن علي بن احمد (٤٦٨ هـ)
- ٣٥- تفسير الواحدي، تحقيق عدنان داوودي، دار القلم ، بيروت ١٤١٥هـ.
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين (٨٠٧ هـ)
- ٣٦- مجمع الزوائد، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٨٨م.
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين (ت ٦٢٦ هـ)
- ٣٧- معجم البلدان، تحقق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٠م
- اليعقوبي، احمد بن اسحاق (ت ٢٩٢ هـ)
- ٣٨- تاريخ اليعقوبي، وضع حواشيه خليل المنصوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- قائمة المراجع :

١- الف ليلة وليلة، منشورات عكاظ ، الرباط، ٢٠١٢م .

- اسين بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة عن الاسبانية عبد الرحمن بدوي، نشر المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ١٩٦٥م.
- ٢- انجل، جنثالث باليشيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ترجمة و طباعة، المركز القومي للترجمة بأشر جابر عصفور، القاهرة، ٢٠١١م.
- ٣- ايفا دي فيتراي، جلال الدين والتصوف، ترجمته الى العربية عن مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة الإيرانية، طهران ٢٠٠٠م.
- ٤- ثابت رسول، جماليات الواقعية الخيالية في عروض المسرح العراقي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدمة الى مجلس كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد للعام ٢٠١٤، ص ٣٢.
- ٥- حسن فتوح، عقيدة ابي العلا، مطبعة المورسكي، القاهرة، ١٩١٠م.
- ٦- ابن رزق، محمد، الاسراء والمعراج، دار فواز للنشر والتوزيع، الاحساء ١٤١٢هـ.
- ٧- زهير غازي زاهد، لغة الشعر عند المعري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٩م.
- ٨- السحار، عبد الحميد جودة، الاسراء والمعراج، دار مصر للطباعة، القاهرة ١٩٩٠م.
- ٩- شاه، ادريس، الصوفيون، ط٢، ترجمة بيومي قنديل، المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠٠٦م.
- ١٠- الشعراوي، محمد متولي، الاسراء والمعراج، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ١١- القونوي، محمد بن عبد الله، اعده وترجم نصوصه، اخبار جلال الدين الرومي، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ.
- ١١- المحمدي، محمد، قصص المثنوي، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت ١٩٩٨م.
- ١٢- مصطفى غالب، اعلام الاسماعيلية، منشورات دار اليقظة العربية، بيروت، ١٩٦٤م.
- ١٣- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، نشر لجة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م.

**الاستراتيجية الاميركية في الشرق الاوسط  
وموقف المؤسسة الدينية الشيعية منها**

**د. عبد الزهره شهيد عجمي الحسناوي / كلية الآثار**

**جامعة ذي قار**

**The American strategy in the Middle East and  
the position of the Shiite religious  
establishment towards it**

**Dr. Abdul-Zahra Shahid A. Al-Hasnawi / College of Archeology-  
University of Dhi Qar**

## الاستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط وموقف المؤسسة الدينية الشيعية منها

د. عبد الزهره شهيد عجمي الحسناوي

كلية الآثار / جامعة ذي قار

### الملخص

مثل خروج الولايات المتحدة الأميركية من الحرب العالمية الثانية (١٩٣١ - ١٩٤٥) منتصرة إيداناً بولادة مرحلة استراتيجية وسياسية جديدة تمثلت بالرغبة الجارفة التي اجتاحت الأوساط السياسية الأمريكية ، بضرورة ان تأخذ واشنطن بزمام قيادة السياسة الدولية ، سيما إنها ادركت مبكراً ضعف الحلفاء (بريطانيا - فرنسا) في مواجهة التحديات ما بعد الحرب، وبالرغم من ان واشنطن كانت قد اعتمدت في استراتيجياتها تلك على آليات وأدوات دعائية ( Propaganda ) أتسمت بما سمي المحافظة على السلم الدولي والوقوف بوجه الخطر الأحمر السوفياتي .

وفي ضوء ذلك سجلت المؤسسة الدينية في النجف الأشرف موقفها الواضح والراسخ من أن الغرب لا يمكن أن يتعاطفوا مع الإسلام او يروجوا لأدبياته ، أضف الى ذلك حرصت المرجعية الدينية على النأي بنفسها ونفوس أتباعها من الشيعة عن الدخول في معترك الصراعات الدولية في تلك المرحلة التاريخية والسياسية التي أتسمت بحدة خلافاتها الفكرية والأيديولوجية .



## **The American strategy in the Middle East and the position of the Shiite religious establishment towards it**

**Dr. Abdul-Zahra Shahid A. Al-Hasnawi**

**College of Archeology/ University of Dhi Qar**

Such as the exit of the United States of America from World War II (1931 – 1945) victorious, marking the birth of a new strategic and political stage, represented by the overwhelming desire that swept the American political circles, the need for Washington to take the lead in international politics, especially as it realized early on the weakness of the allies (Britain – France). In the face of post-war challenges, although Washington had relied in its strategies on propaganda mechanisms and tools, it was characterized by what was called maintaining international peace and standing up to the Soviet red danger.

In light of this, the religious establishment in Najaf recorded its clear and firm position that the West could not sympathize with Islam or promote its literature. In addition, the religious authority was keen to distance itself and the souls of its Shiite followers from entering the fray of international conflicts at that historical and political stage that It was marked by the sharpness of its intellectual and ideological differences.

## المقدمة

تعد المرحلة التاريخية التي عقبته الحرب العالمية الثانية من اشد المراحل تعقيدا في بناءها السياسي والأيدولوجي ، مما انعكس سلبا على مجمل العلاقات الدولية التي سادها الشك المتبادل وفوبيا الحروب المتقابلة .

فبعد بروز الولايات المتحدة بوصفها القطب الدولي الابرز وتراجع دور كل من (بريطانيا وفرنسا) وسيادة روح التنافس الدولي بعد اتضاح معالم القطب الدولي المنافس ل واشنطن والمركز اصلا في الاتحاد السوفيتي الذي يعد دولة ايدولوجية بامتياز تعتمد في ادارة سياستها على الفكر الشيوعي ، مما عد تهديدا واقعيا للدول الغربية ولا سيما الولايات المتحدة التي اندفعت ببناء استراتيجيتها التي ارتكزت على رؤى براغماتية شديدة التطرف وهذا ما شهدته منطقة الشرق الاوسط التي وجدت فيها و واشنطن انها المنطقة الاكثر تعقيدا والاهم استراتيجيا كونها تمثل بحسب رأي صانع السياسة الاميركية صلب الخيارات المفتوحة والمتعددة بيد ساسة واشنطن .

وعليه رسموا استراتيجياتهم بالاعتماد على ما تسخر به المنطقة من مميزات فالنفط والموقع الجيوسياسي بل وحتى الجوانب العقائدية والدينية باعتبارها ضد نوعي غاية في الاهمية في الصراع مع السوفيت .

وبالرغم من اعلان و واشنطن انها تعتمد الفكر الليبرالي في رسم سياستها الخارجية الا ان الحقيقة التي لا يشوبها شك انها تعتمد في تحديد مقومات استراتيجيتها اتجاه الشرق الاوسط على (اوليغارشية) سياسية تتمحور في مؤسسات محددة جدا منها (البنتاجون) وزارة الدفاع ووزارة الخارجية ووكالة الاستخبارات المركزية

وفي ضوء ما تقدم يأتي هذا البحث كمحاولة اكايدمية لاستجلاء حقيقة تلك الاستراتيجية وموقف المؤسسة الدينية الشيعية منها والمتمثلة ( المرجعية الدينية ) التي حرصت على ابعاد اتباعها عن مجمل التنافس الدولي المحتدم .

يتمحور البحث باتجاهين اولهما بحث في طريقة الفكر الاسلامي ودور المؤسسة الدعائية والاعلامية الاميركية فيه وموقف علماء الشيعة منه في ما جاء المحور الثاني ليسلط الضوء على التحديات الغربية المعاصرة ودور المرجعية في افشال تلك التحديات (الحشد الشعبي انموذجا) اعتمد البحث على مجموعة متنوعة من المصادر تقف في طليعتها الوثائق الاميركية المنشورة

وغير المنشورة فضلا عن كتب متعددة الاتجاهات الفكرية والسياسية لمؤلفيها اضافة الى ذلك تمخض البحث عن نتائج مهمة منها ان واشنطن لا تحدها في استراتيجيتها اتجاه المنطقة اية ثوابت دينية او انسانية انما رأت النجاح هو الهدف الاسمي والابرز برغم مما سببته من كوارث للمنطقة .

فيما كان الموقف العقائدي المبني على ثوابت مبدئية هو ما ميز موقف المرجعية الدينية التي سعت الى ابعاد المنطقة وشعوبها عن دهاeliz السياسة الدولية التي كانت تبني ضمن ثوابت ميكافليه بغیضة تتسم بان الغاية تبرر الوسيلة .

### المحور الاول :-

\* الفكر الاسلامي في النشاط الدعائي الاميركي وموقف علماء الشيعة منه

مثل خروج الولايات المتحدة الاميركية من الحرب العالمية الثانية (١٩٣١ - ١٩٤٥) منتصرة إيداناً بولادة مرحلة استراتيجية وسياسية جديدة تمثلت بالرغبة الجارفة التي اجتاحت الأوساط السياسية الأمريكية , بضرورة ان تأخذ واشنطن بزمام قيادة السياسة الدولية , سيما إنها ادركت مبكراً ضعف الحلفاء ( بريطانيا - فرنسا ) في مواجهة التحديات ما بعد الحرب وفي مقدمتها الامتداد الشيوعي المتمركز اساساً في القوة السوفياتية , وبذلك طفى على سطح الوجود الاستراتيجي ماسمي بـ (القطبية الثنائية) والنسق الثنائي القطبية (Bipolar system) , وبالرغم من ان واشنطن كانت قد اعتمدت في استراتيجياتها تلك على آليات وأدوات دعائية ( Propaganda ) أتمم بما سمي المحافظة على السلم الدولي والوقوف بوجه الخطر الأحمر السوفياتي .

بيد أن النظرة المنفحصة لهذه الاستراتيجية والمتمعنة لمفرداتها وحيثياتها يجدها سعي متواصل وكبير لتحقيق هدف رئيس هو ( أمركة العالم ) إذ اعتقد صانع القرار الساسي الأمريكي انها الوسيلة المثلى لتحقيق الأهداف ذات المديات البعيدة , حيث كانت واشنطن وقادتها يحلمون بقيام عالم اميركي واحد تكون فيه الكرة الأرضية مجرد مساحة يمكن التصرف بها حسبما تمليه المصالح الأمريكية.<sup>(١)</sup>

وعليه ونظراً لتطورات المواجهة ( الأمريكية -السوفياتية ) أرست واشنطن أسس استراتيجية بنيت على بديهية وجود ( عدو داهم ) حتى لو كان وهمي ( افتراضي ) من أجل أن تكون

استعداداتها بمستوى الأحداث ، مع مراعاة ايجاد وسائل مساعدة في ادارة هذه الاستراتيجية والازمات التي قد تقع وتحتل تلك بما يعرف بالخيارات المفتوحة والمتعددة (2). (open options) وقد كان أبرز سمات ( استراتيجية الخيارات المفتوحة ) الأمريكية استخدامها أسلوب ( الضد النوعي او القوة المضادة ) (3) وهو ما أفرزته مرحلة الخمسينيات من القرن العشرين إذ استطاعت الإدارة الأميركية تجنيد الفكر القومي والفكر الإسلامي السلفي في صراعاتها مع الاتحاد السوفياتي ، فالاتجاه الأول ظهر واضحاً مع بدايات تسنم الرئيس المصري جمال عبدالناصر مقاليد السلطة في مصر ، ففي آذار من عام ١٩٥٤ رغب عبدالناصر ان يشكل كتل دولي اسلامي ، الا ان الإدارة الأمريكية التي وقفت الى جانبه من أجل احكام سيطرته على السلطة وازاحة الرئيس محمد نجيب كان لها رأي آخر ، اذ لم ترحب الخارجية الأمريكية بهذه الخطوة وحبذت أن تظهره ( أي عبد الناصر ) بمظهر فكري تقدمي من خلال التركيز على الروح القومية وإشاعتها في المنطقة العربية ، شريطة ان يجعل من مصر حصن كبير ضد الشيوعية ، هذه الرؤى الأمريكية كان قد نقلها الدبلوماسي الأمريكي المعروف هنري بايرود (H.Byroode) مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط الى الزعيم المصري والذي بدوره راح يتناغم معها (4).

اما الضد النوعي الثاني والمتمثل في الفكر السلفي فقد عملت واشنطن أن تجعله يتركز اساساً في الدولة السعودية والتي رأت في زعامتها للعالم الإسلامي مع وجود الأماكن الإسلامية المقدسة ما يوفر للحكومة الأمريكية حرية التعامل مع الأحداث السياسية التي تتاب المنطقة ، مع حرص واشنطن على مراعاة توازن القوى بين الاتجاهيين من أجل ادامة روح الصراع وتجبيره لصالحها في مواجهاتها مع الشيوعية العالمية ، وقد اشارت الوثائق الأمريكية غير المنشورة لهذه الاستراتيجية بكل وضوح من خلال دعمها الاقتصادي والفكري للترويج للفكر السلفي السعودي ، إذ أشارت إحدى الوثائق السرية أن الملك عبدالعزيز آل سعود كرس نفسه لدعم توجهات الإدارة الأمريكية في المنطقة لاسيما حماية المصالح الغربية في المنطقة من جميع التهديدات خصوصاً التحديات الشيوعية ،

ففي لقاء جمع بين ابن سعود والسيد آرثر أيدي A.EDDY أحد كبار رجال المخابرات الأمريكية في السعودية ، وذلك بتاريخ ١٩ /مايس عام ١٩٥١ ، ركز فيه الملك السعودي على أهمية إقامة تحالف سعودي اسلامي مع الولايات المتحدة والقوى الغربية ضد جميع التحديات بما فيها المد

الشيوعي وطالب الملك بضرورة دعم المذهب الوهابي الذي يسعى لأحكام سيطرته على العالم الإسلامي , سيما وإن أكثر من ١٠٠,٠٠٠ مسلم يتقاطرون على المملكة للحج , وأشار الى ان دعم واشنطن له وللمذهب الوهابي سوف يحقق لها مصالحها في المنطقة ويقيم تحالفاً استراتيجياً مع معظم زعماء العالم الاسلامي . (5)

هذه الرغبة السعودية كانت مثار اهتمام أمريكي كبير , لذلك دأبت جامعات امريكية رصينه كجامعة برنستون ( Princeton university ) وجامعة نيوجرسي (Newjersy university) ومكتبة الكونجرس (Library of congress) على دراسة الثقافة الإسلامية وتوجيهها ضمن استراتيجية الرد المتعدد الأشكال ( Multideterrence ) في صراعها مع الاتحاد السوفياتي , وعليه أشاره وثائق أميركية سرية الى ضرورة توجيه الثقافة الإسلامية وعقائد الإسلام في الصراع مع الشيوعية ولاسيما العقيدة الوهابية التي تكون اكثر طواعية لتقبل هذه الأفكار وأكثر صلابة وتطرف في تطبيقها, (6) كما تسارعت الخطى الأمريكية لتطوير البنية الثقافية والأصولية للعقائد الإسلامية ولاسيما السلفية , إذ شكلت حلقات لهذا الغرض مع دراسة كافة الخطوات اللازمة من مالية الى ثقافية الى مطبوعات الى أظهار حرص اميركا على الاسلام بين الشعوب الإسلامية كجزء من دعاية أمريكية هادفه. (7)

ولأجل تحقيق تلك الاستراتيجية وجهت دعوات لمعظم قادة الفكر والثقافة الإسلامية وهم كل من القاضي الشرعي محمد بن أحمد الهاجري مدير دار التمويل الإسلامي السعودي بالإضافة الى الحاج أمين الحسيني والباحث في شؤون الحركات الإسلامية ووزير التربية والتعليم المصري السابق محمد علي الوبا , كما وجهت الدعوة الرسمية ومن قبل السفير الأمريكي في بغداد الى المجتهد الكبير، والمرجع المعروف الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وضمن منح القادة , والذي بدوره رفض الدعوة وأكد عدم جدية واشنطن على ترسيخ مبادئ الفكر الإسلامي في المجتمعات العربية . (8)

وفي ضوء ذلك سجلت المؤسسة الدينية في النجف الأشرف موقفها الواضح والراسخ من أن الغرب لا يمكن أن يتعاطفوا مع الإسلام او يروجوا لأدبياته , أضف الى ذلك حرصت المرجعية الدينية على النأي بنفسها ونفوس أتباعها من الشيعة عن الدخول في معترك الصراعات الدولية في تلك المرحلة التاريخية والسياسية التي أتسمت بحدة خلافاتها الفكرية والأيدولوجية .

وبالرغم من ذلك أقيمت تلك المؤتمرات والندوات لدراسة الثقافة الإسلامية وترويج لها ضمن مديات الحرب الباردة بين القطبين العظميين آنئذ ، واضطلعت بتلك المهمة الحكومة الأمريكية متمثلة بالكونجرس وجامعة برنستون ، ورصدت ميزانية مالية كبيرة لإنجاح هذه الدراسة قدرت بنحو (٢٥ مليون دولار أمريكي ) ، فضلاً عن ذلك خاطب الكونجرس شركة أرامكو العاملة في السعودية للمساهمة في دعم الفكرة مالياً وللمساهمة في اصدار كتب اسلامية لكتاب سعوديين تحث على مقاومة المد الشيوعي والتحالف مع الولايات المتحدة واعتبار ذلك استراتيجية حيوية وضرورية لأمن المنطقة والأمن القومي الأمريكي.<sup>(9)</sup>

ومع اتساع الأحداث السياسية التي انتابت المنطقة عموماً والعراق خصوصاً، أتسمت مواقف المؤسسة الدينية في العراق وإيران بالمبدئية والفهم العميق لمجريات الاستراتيجية الأمريكية ومفرداتها الهادفة الى جعل إسرائيل القوة الكبرى والفاعلة في المنطقة ، وهذا ما يمكن تأشيرته وملاحظته بدقة في موقف الولايات المتحدة من ثورة مصدق في إيران إذ رأته واشنطن ان هذه الثورة يمكن أن تكون بداية النهاية للمصالح الأمريكية في الخليج والمنطقة لذلك أعدت ماكنتها الاعلامية والدعائية والعسكرية للإجهاز على هذه الثورة رغم تحفظ المؤسسة الدينية الشيعية في إيران على الآليات والإجراءات التي أتخذها مصدق سيما تقريبه لعناصر الحزب الشيوعي الإيراني (توده) وموقف رجالات هذا الحزب من الدين والقومية ،<sup>(10)</sup> إلا ان زعماء الدين الشيعة رفضوا الأسلوب الذي تحاول الولايات المتحدة ورجالات البلاط الإيراني ومن ورائهم الشاه اللجوء إليه للقضاء على مصدق وثورته وبالأخص سياسة الضغط الاقتصادي وتجويع الشعب الإيراني.<sup>(11)</sup>

وطبقاً لذلك جاءت الإدارة الأمريكية كما توقعتها المؤسسة الدينية ، إذ أستخدمت واشنطن مايسمى باستراتيجية (دعاية الفعل)<sup>(12)</sup> *propaganda of Action* وفيه لعبت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) دورها في القضاء على مصدق وحركته وقد أعدت خطة للأنقلاب على الحكومة بأشراف وتنفيذ مدير عمليات الشرق الأوسط ( كيرمت روزفلت )<sup>(13)</sup> K.Roosevelt ، وبإدارة ميدانية من قبل الكولونيل ( شوارزكوف )<sup>(14)</sup> Schwarzkopf ، قائد عمليات بعثة الدرك الأمريكية العاملة في ايران<sup>(15)</sup>

ولعل إدراك المؤسسة الدينية خطورة التحركات الأمريكية في إيران واتخاذها موقف الرفض والمندد كان في محلة لأنها كانت مدركه تمام الإدراك بأن دخول واشنطن على خط الأزمة الداخلية

بين مصدق والشاه , سيجعل إيران ساحة لتطبيق الاستراتيجيات الأمريكية وصراعاتها مع الاتحاد السوفياتي , وهذا ما حدث تماماً إذ أضحت إيران ميداناً رحباً لعمليات المخابرات الأمريكية , أضف الى ذلك ربط الشاه إيران بأمريكا ربطاً وثيقاً إذ كانت كل التعليمات تصدر من السفارة الأمريكية في طهران تنفذ دون جدال مهما كانت حتى التافهة منها . (16)

وبالتناغم مع موقف المؤسسة الدينية في إيران , جاءت رؤية المرجعية الدينية في النجف متوافقة معها بأهمية إبعاد بلاد المسلمين عن تأثيرات السياسة الأمريكية , وقد تمثلت تلك الرؤية في مواقف سماحة المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم (قدس سره ) إذ رفض اتخاذ المسلمين أدوات للتنافس الفكري المادي بين الشيوعية والقوى الغربية , سيما بعد وصول حزب البعث الى السلطة في العراق عقب نجاح انقلاب ( ٨ / شباط ١٩٦٣ ) الدموي , فبالرغم من الشعارات التي رفعها قادة البعث بأنهم ضد توجهات الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة , بيد أن سياساتهم المتعاقبة أفضت الى فضحهم بما لا يساوره شك في أنهم مجرد أدوات تتلاعب بها الإدارة الأمريكية , إذ أثبتت الوقائع والشواهد بأن التدخل الأمريكي كان له القول الفصل في وصول هذه الفئة المتآمرة لدست الحكم في العراق , ولعل قول الملك الأردني حسين بن طلال خير دليل وبرهان على الدور الأمريكي في نجاح الانقلاب حيث أشاره بقوله ( ان ما حدث في العراق يوم ٨/شباط ١٩٦٣ كان بتأييد كبير وواضح من المخابرات المركزية الأمريكية ) (17)

أضف الى ما تقدم فقد ذكر عدد من موظفي وزارة الخارجية الأمريكية في ذلك الوقت بأن صدام حسين وبعض من البعثيين قد أجروا اتصالات مع السلطات الأمريكية في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن المنصرم , إذ كان الاعتقاد السائد لدى صناع القرار السياسي الأمريكي آنذاك بأن البعث هو القوة السياسية للمستقبل ويستحقون الدعم الأمريكي ضد حكم الزعيم قاسم . (18) ولعل من يستقرأ هذا الجزم لقادة الولايات المتحدة بأن البعث هو القوة السياسية للمستقبل , قد لا يندهش (خصوصاً أن السياسة لا جزم فيها إذ هي فن الممكن ضمن عالم متغير ) ومع ذلك فإن الرؤية الأمريكية بنيت على واقع صلب إذ تؤكد لسانة واشنطن ان هذا الحزب وقادته لا تحدهم في فعاليتهم السياسية او تحدهم ثوابت او مبادئ او قيم مما يجعلهم اكثر طواعية لمتطلبات السياسة الأمريكية في المنطقة .

ولعل ما ذكره الأستاذ حسن العلوي يؤكد صحة ما ذهبنا اليه في تحليلنا إذ أشار الى أن البعثيين قد استخدموا أسلوباً وضيقاً في تأجيج الشارع والجماهير ضد الحزب المنافس ( يقصد بذلك الحزب الشيوعي) حيث اقدم عدد من اعضاء حزب البعث على حرق القرآن الكريم امام انظار الناس وادعائهم بأن شيوعيين مما أدى بالجماهير الى اتخاذ مواقف عدائية ضد الحزب الشيوعي وأنصاره. (19)

وبالعودة الى الدعم الأمريكي للبعثيين في انجاح انقلابهم في عام ١٩٦٣ , فقد أشار أحد أبرز قادتهم وهو علي صالح السعي حينما سأل في صيف عام ١٩٧٦ م عن صحة ما نقل عنه خلال جلسات المؤتمر القومي السابع للبعث ( بأنهم جاؤوا الى الحكم في العراق بقطار أمريكي حيث أكد صحة قوله وإن الدعم الأمريكي كان له الفضل الأكبر في اتمام السيطرة على الحكم في العراق). (20)

لقد طبق قادة حزب البعث معظم آليات الاستراتيجية الأمريكية لاسيما المتعلق بالمجتمع العراقي إذ قسم على أسس عرقية وطائفية مع ايجاد حاله من العداء المعلن مع المؤسسة الدينية في النجف الأشرف , إذ اقدمت السلطات البعثية على تفسير معظم علماء الدين عن العراق بحجة إنهم يمارسون إدواراً سياسية وكان على رأس أولئك السيد الخميني (قدس سره) والذي كان يقود الثورة في إيران من مدينة النجف عبر ما سمي بـ (ثورة الكاسيت) (21) , أي إيصال تسجيل المحاضرات السيد الى إيران عبر تهريب أشربة الكاسيت .

بيد أن الاستراتيجية الأمريكية وخياراتها المتعددة ازدادت (براغماتية) (22) (Pragma بروى شديدة التطبيق في عام ١٩٧٩ , لعل الأحداث التي انتابت المنطقة حتمت على الإدارة الأمريكية الجروح الى هذا التشدد , فالحدث الاول تمثل في اعلان انتصار الثورة الإسلامية في إيران , بقيادة السيد الخميني وأسقاط حكم الشاه, والثاني الاجتياح السوفياتي لأفغانستان وتنصيب حكومة شيوعية موالية لموسكو برئاسة نجيب الله , وفي ضوء ذلك كان على الولايات المتحدة أن تأخذ بزمام الأمور وتستعين بعملائها في المنطقة حتى يمكن ان تحتوي تداعيات الثورة في إيران سيما وأن معظم علماء النجف الأشرف قد أعلنوا عن تأييدهم الكبير لهذه الثورة وقادتها وعليه رتبت عملية وصول صدام حسين للسلطة في العراق وذلك في ١٧/تموز ١٩٧٩ حتى يؤدي دور الشاه الذي تخلت عنه واشنطن وأصبح في حكم المعادلات السياسية عملية خاسره للإدارة الأمريكية ,



خصوصاً وأن معظم سياسات البيت الأبيض ترسم على أسس دعائية تروج لمفاهيم ليبرالية واحترام  
أرادة الشعوب . (23)

وفي تسعينيات القرن الماضي وفي ضوء الضعف الذي دب في اوصال الاتحاد السوفياتي  
رغم عملية اعادة البناء Perestroika التي اعلن عنها الرئيس ميخائيل غورباتشوف إلا أن الإدارة  
الأمريكية برئاسة جورج بوش كانت تريد الدخول العسكري في الخليج لذلك أمرت صدام بافتعال  
أزمة سياسية مع الكويت واعطته السفير الأمريكية في بغداد (أبريل جلاسبي) A.Galasbi الضوء  
الأخضر لغزو الكويت . (24)

لقد كان موقف علماء الشيعة والمؤسسة الدينية واضح حيال هذه الاستراتيجية الهادفة لاحتلال  
أقاليم المسلمين بحجة حماية حلفاء واشنطن في المنطقة , إذ أكدت مراجع النجف وإيران ولبنان ,  
على ضرورة الوقوف ضد التوجهات الأمريكية الرامية الى تفتيت المنطقة وأحكام سيطرتها على  
ثرواتها ودعم إسرائيل بشكل لامحدود في مد نفوذها في الدول الإسلامية , ولعل خوف المرجعية  
على المنطقة وشعوبها كان في محلة , إذ اعرب المتحدث باسم البيت الأبيض عقب انتهاء  
عمليات عاصفة الصحراء وتحرير الكويت قائلاً ( إن الحرب قد انتهت والغرب يتوجه نحو  
استراتيجية إقامة ) نظام عالمي جديد في الشرق الأوسط والسياسة التي ستتبع من الآن فصاعداً  
هي : استمرار الحرب في المنطقة ولكن بوسائل أخرى). (25)

ويبدو أن هذا الموقف الرفض لسياسة واشنطن ومن ورائها إسرائيل في المنطقة كان له  
تداعياته على الواقع العراقي , أمتد لعقد من الزمن , إذ وقفت واشنطن الى جانب نظام صدام  
حسين في إجهاض الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ وضرب الجموع المهاجمة قرب بغداد  
بالبطائرات لحماية النظام , وتثبيت حكمة في اضطهاد الاغلبية الشيعية , والتحول فيما بعد لاتخاذ  
استراتيجية جديدة يكرس صيغة العقوبات الاقتصادية والتقنية عن العراق وإيران وهي ما سميت  
باستراتيجية ( الاحتواء المزدوج containment pair ), ومع كل الخدمات التي قدمها صدام  
حسين إلا أن الأمريكان أتخذوه ذريعة لاستنزاف الأموال الخليجية , وهذا ما عبر عنه السفير  
الأميركي لدى قطر في ١٩٩٣/٣/٢٢ قائلاً ( ان نجاح سياساتنا لا تعتمد على نكائنا وإنما على  
غباء وعناد أعدائنا ) . (26)

وبالرغم من كل النجاحات التي تحققت لواشنطن بوجود صدام حسين على رأس السلطة في العراق ، إلا أن الاستراتيجية التي أتبعها الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب ، اختلفت عن سلفه بيل كلنتون إذ عمد الى اصدار قانون تحرير العراق وقرر الإطاحة بالنظام العراقي في بداية عام ٢٠٠٣ ، بيد أن المتأمل لهذا التغيير في الاستراتيجية الأمريكية يمكن أن يؤشر جملة معطيات طفت على سطح الأحداث وكان لها النصيب الأكبر من ذلك التغيير منها إن واشنطن سعت لإيجاد موازنة لتفرد السعودية لسوق النفط العالمي بإدخال العراق الى ذلك السوق وتوفير طاقة رخيصة مع مراعاة خطورة اعتماد الولايات المتحدة على امدادات النفط السعودي والتي بلغت في عام ٢٠٠٠ الى اكثر من ٦٤% بحسب تقارير ( المجموعة القومية لسياسات تطوير الطاقة (NPD) ( National Energy policy Development Group ) الأمريكية<sup>(27)</sup>

بالإضافة الى رسوخ الرغبة الأمريكية الجامعة في ايجاد بؤر للتوتر تكون معالجتها عن طريق اتخاذ اجراءات عابرة للحدود ، لاسيما بعد التخلي عن استراتيجية الرد الشامل Massive Retaliations وتعويضها باستراتيجية الحرب بالوكالة<sup>(28)</sup> . Proxy wars

وبالتأكيد لا يتم التنقل لهذه الاستراتيجية دون توفير السبل الكفيلة لتفعيلها ، وهو ما تم عن طريق أيجاد جماعات ارهابية متطرفة تكون متجاوزة لمفاهيم القومية وعابرة لسيادة الدول وهذا ما رشح عنه اصدار قانون مكافحة الإرهاب الذي تبنته واشنطن ، بعد اصداره من الكونجرس الأمريكي باسم قانون الوطنية في الولايات المتحدة الأمريكية وسمي بـ ( US patrot Act ) الذي يعني تجمع قوى امريكا وتعزيزها لصد الارهاب.<sup>(29)</sup>

ونظر الى الفكر الإسلامي بأنه الإرهاب الأقصى تهديداً للولايات المتحدة ، ولاسيما أن معظم كتاب امريكا دائماً ما يثيرون ان هناك تيارات اسلامية لا تميز بين الدين والسياسة ويدخلون تعاليم الدين ضمن ممارساتهم السياسية مما يشوه الدين والسياسة بحسب قول اولئك الكتاب.<sup>(30)</sup>

وعليه وفي ضوء ذلك فقد أتشح قانون مكافحة الارهاب برداء فكري أيديولوجي رفعه الرئيس الأمريكي بوش إذ عبر عن ذلك بقوله ( إن الله أمرني بقتال القاعدة وطالبان ومحاربة وإزالة نظام صدام ففعلت ) ،<sup>(31)</sup> كذلك قوله ( إنتاج صراع بين الخير والشر ، وامريكا سوف تسمي الشر باسمه ).<sup>(32)</sup>

في ضوء هذه التحديات الفكرية والأمنية ، أيقنت المؤسسة الدينية مديات الخطورة التي يضمورها هذا القانون الأمريكي للأسام وشعوبه ، لذلك برز دورها من خلال خطابات المرحلة ، إذ أكدت فيها ضرورة التنبه لمشاريع الغرب في المنطقة مع الابتعاد عن كل ما من شأنه إن يثير الخلاف بين الشعوب الإسلامية ، لأن أي خلاف يقع سيكون مدعاة للتحرك الأمريكي لتنفيذ خططها وسياساتها المرسومة مسبقاً .

وهذا ما تم بالفعل من خلال إيجاد قوى أكثر تطرفاً مثل داعش والنصرة وغيرها بمعاونة من حلفائها في المنطقة .

### المحور الثاني :-

التحديات الغربية ورد فعل المرجعية ( الحشد الشعبي انموذجا )

مثلت الأحداث الأمنية التي ضربت العراق والمنطقة في حزيران عام ٢٠١٤ والمتمثلة بظهور داعش كقوة استراتيجية وكمرأة عاكسة لحقيقة المخططات الغربية .

وقبل الخوض في حيثيات هذا الموضوع يمكن لنا إثارة تساؤلات عدة نحدد ضمنها خطورة الموضوع وتداعياته . منها الى مدى يمكن القول إن داعش مثل ضرورة استراتيجية أمريكية في المنطقة والعالم ؟ وهل كان رد الفعل الديني والشعبي في العراق بمستوى هذه الضرورة الاستراتيجية؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة لابد لنا ان نعرض على الذاكرة التاريخية ونتصفح ما حفظته لنا من ممارسات امريكية سابقة ، فبعد الاجتياح السوفياتي لأفغانستان في كانون الأول عام ١٩٧٩ ، رأت الإدارة الأمريكية إن الفرصة مؤاتية لاستدراج السوفيات نحو حرب طويلة الأمد ورد الدين الذي بذمتها نحو موسكو في حرب فيتنام ، لذلك اعتمدت واشنطن على استراتيجية حرب الاستنزاف ( War of Attrition ) من خلال ايجاد ودعم قوى محلية تمارس حرب عصابات مكلفة ضد موسكو<sup>(33)</sup> ، بمعاونه دول إقليمية تدور في تلك السياسة الأميركية وهو ما تمخض عنه إيجاد وتأليف تنظيم القاعدة برسم من واشنطن ودعم مالي سعودي وخليجي مع توليف تحالف مؤلف من مصر وباكستان للدعم اللوجستي ، وقد برز اول دعم أمريكي للقاعدة من خلال المذكرة التي رفعها برجنسكي Brzezinski مستشار الأمن القومي الأمريكي للرئيس جيمي كارتر ( G . carter ) في ٢٦/ كانون الاول المتضمنة توصيات بأهمية زيادة المساعدات الأمريكية للتنظيم مع ضرورة

أن تُرغب باكستان بأهمية المساعدة مع مراعاة ان تعمل ذلك بتنسيق كامل مع الدول الإسلامية والعربية . (34)

بالإضافة لما تقدم ركزت المذكرة على أهمية الإيحاء للدول الإسلامية بالعمل على إطلاق حملة دعائية وإعلامية واسعة للتعريف بالتنظيم على أنه يمثل قاعدة للجهاد ضد الأعداء الشيوعيين . (35)

وبالتناغم مع الموقف الأمريكي أخذت السعودية وبالتنسيق مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) لتجمع الأموال لتدعم التنظيم ووضعت خطة أمريكية تعتمد على المال السعودي وبتكليف مصر لشراء سلاح سوفياتي وتهريبه الى باكستان بالتعاون مع (CIA) حتى يصل الى القاعدة دون إثارة السوفيات ولإيجاد خرق معنوي بالإيحاء الى وجود عناصر سوفيتية داخل الجيش تقوم بأرسال هذه الأسلحة , فضلاً عن فتح باب الهجرة الى أفغانستان عن طريق الحدود الباكستانية للجهاد والقتال . (36)

ولعل النظرة المتفحصه لهذه الاستراتيجية يجدها مشابهة الى حد كبير للاستراتيجية الأمريكية حيال داعش وأن اختلفت في بعض الآليات المستخدمة فالدول التي تدعم القاعدة سابقاً هي ذاتها الداعمة لداعش مع توافر الأموال الخليجية والرغبة الأمريكية لاستدراج روسيا وإيران , لاسيما إن موسكو عكفت منذ سنين أنصاج استراتيجية روسية تحدد فيها ماهية دورها في قيادة العالم , ففي عام ٢٠٠٧ نشرت وزارة التنمية الروسية بالتعاون مع وزارة الخارجية الاستراتيجية الروسية حتى عام ٢٠٢٠ والمتمركزة أصلاً على ضرورة عودة روسيا كدولة عظمى وقوة قيادية في الاقتصاد العالمي أضف الى ذلك تركيز زعامتها في مجال التحديث في العالم , وانطلاقاً من تلك الرؤية الروسية المستقبلية وخطورتها , أكدت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كونداليزا رايس عام ٢٠٠٧ ( أن التحدي الروسي الرئيسي لنا وللعالم يكمن في سياستها في مجال الطاقة والرامية الى السيطرة الكاملة على هذا الجانب ) (37) , ويبدو أن نظرة رايس كانت منطقية الى حد كبير خصوصاً وإن موسكو تكتسب أهميتها كمصدر رئيس للنفط والغاز الى حلفاء واشنطن في أوروبا الغربية إذ تغطي روسيا ما نسبته ٥٠% من احتياجات الغاز الأوروبية . (38)

وعليه كان على واشنطن ايجاد بؤر للتوتر قريبة من مصالح روسيا الاستراتيجية أملاً في اشغالها عن خططها المستقبلية وهذا ما تم عن طريق ايجاد داعش كقوة مشابهة للقاعدة في العراق

وسوريا ، يتمحور في ثلاثة ابعاد رئيسية هي قوة إرهابية عابر للحدود الوطنية ، وشبه دولة ، وأيديولوجية سياسة ذات اصول دينية متطرفة. (39)

وفي ضوء الاستراتيجية الأميركية الهادفة الى ايجاد مناطق توتر تشغل دول المنطقة والعالم جاء الاجتياح الداعشي لمناطق العراق في الموصل والمنطقة الغربية ، والذي وجدت فيه المؤسسة الدينية في النجف والمتمثلة بالمرجعية العليا بأنه تهديد للوجود ولكيان الدولة العراقية ، ففي يوم ١٠/حزيران ٢٠١٤ وصلت المجاميع الإرهابية على مشارف بغداد وأخذت تهدد السكان الآمنين (40) ، وبعد ثلاثة ايام أصدرت المرجعية فتواها الشرعية بضرورة حمل السلاح وجهاد هذه الفرق المارقة في خطبة الجمعة بتاريخ ١٣/حزيران ٢٠١٤ والتي ألقاها سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي من على منبر الجمعة في العتبة الحسينية المطهرة ، إذ اشار ان سماحة المرجع الاعلى السيد علي السيستاني اعلن فتواه بالجهاد الكفائي لمحاربة داعش ومن يقف ورائها . (41)

وانسجاما مع الفتوى الجهادية يمكن للمنصف أن يجد حقيقة تاريخية راسخة هي ان نظرة المرجعية كانت حريصة أن تولي رعايتها لجميع العراقيين دون استثناء لقومية او طائفة او دين ولهذا جاءت فتواها على شكل دعوة للكلم . (42)

في حين حاول بعض السياسيين ولاسيما الكرد تحقيق مكاسب ومصالح لهم عن طريق استغلال الأزمة الأمنية ، وهذا ما عبر عنه رئيس الإقليم مسعود البارزاني بقوله ( ان عراق ما قبل ٦/١٠ سيختلف كثيراً عن عراق ما بعد ٦/١٠ ) وهو يشير هنا ضرورة تقسيم البلاد وتوسيع رقعته الجغرافية من خلال التهديد الداعشي . (43)

هذا الموقف الكردي كان قد تناغم مع مواقف القوى الأخرى ولاسيما من سياسي المنطقة الغربية وبعض زعاماتها الذين أخذوا ينشدون إقامة اقليمهم الخاص بدعم من الدول الإقليمية ولاسيما العربية منها . (44)

وطبقاً لرؤى المرجعية ومواقفها حيال التحديات أجتهد أبناء العراق في الوسط والجنوب لتلبية نداء ودعوة المؤسسة الدينية وهو ما نضج عنه تشكيل فصائل جهادية شعبية لمجابهة التحديات وعليه رأت فصائل الحشد الشعبي النور والتي مثلت رادع استراتيجي تحت أمره المرجعية ، وبدأت هذه الفصائل تقلب المعادلة العسكرية ضد داعش من خلال تحقيق انتصارات سريعة كانت غاية في

الأهمية كونها أرجعت الثقة الكاملة في نفوس المجاهدين بقدرتهم على أفشال جميع المخططات الغربية في العراق والمنطقة . (45)

وإذا ما أردنا أن نضع تقيماً للحشد الشعبي في الميزان الاستراتيجي ، فيمكن القول ان الحشد أصبح يمثل رقماً صعباً في المواجهات مع قوى التطرف لاسيما بعد العمليات التي خاضها وحقق فيها انتصارات كبيرة بحسب المراقبين الأميركيين ، ويشيد الأستاذ هادي العامري رئيس منظمة بدر وأحد أبرز قادة الحشد إن الانتصارات التي تحققت للحشد جاءت كنتيجة متوقعة لتوفر عاملين مهمين هما سرعة اصدار الفتوى من المرجعية مع سرعة استجابة الشعب لهذه الفتوى . (46)

وتناغماً مع ما تقدم يمكن الإشارة الى أن الانتصارات التي تحققت في ديالى وصلاح الدين وخصوصاً في بيجي وتحرير آمرلي وتطويق الأنبار والموصل ، جعل قوات الحشد تنتقل من استراتيجية رد الفعل الى صناعة الفعل ، وهو ما أخرج السياسة الأمريكية في العراق وأظهر عدم جديتها في قتال داعش إذ قامت الطائرات الأمريكية بإلقاء المساعدات العسكرية العاجلة الى فلول داعش لأملاً في ايجاد نوع من المعادلة العسكرية مع الحشد . (47)

أضف الى ذلك فقد تناقص عدد الطلعات الجوية الأمريكية على داعش ليصل الى اقل من ١٠ طلعات جوية في اليوم الواحد دون تحقيق اهدافها القتالية . (48)

وفي ضوء ذلك لجأت الجهات الأمريكية الى اعوانها في العراق لإطلاق حملة دعائية وإعلامية لتشوية صورة الحشد والحط من قوته وشأنه من خلال افعال تخريبية مع سرقة بعض الحاجيات المنزلية وإصاقها بقوات الحشد ، (49) من أجل أبعاد مقاتليه عن ساحة العمليات وتوفير الوقت لداعش من أجل اعادة تنظيم قطعاته .

ويبدو أن هذه الحملة لم تكن لتلقى قبولاً لدى الشارع العراقي ، لاسيما ان هذه الأساليب لم تكن ببعيدة عن ذاكرته حيث استخدم حزب البعث قاداته هذه الحملة أبان الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ حينما تم توجيه جهاز المخابرات العراقي بحرق المخازن الغذائية والمستشفيات والمنشآت الحيوية وأطلاق حملة دعائية بأنه هذه الاعمال قامت بها فصائل المقاومة في وقتها .

وأخيراً لا بد لنا من القول ان المؤسسة الدينية والشعب العراقي كان في مستوى الحدث الذي أنتاب البلاد وهدد هويته ووجوده ، وعليه فقد استطاعت المرجعية الدينية افرغ استراتيجيتها

الدفاعية وارغام الدوائر الأمريكية بقبول الواقع المتحقق على الأرض واعتبار المبادرة تتركز بهذه المؤسسة الراعية لكل أبناء العراق.

### الخاتمة

تعد المرحلة التاريخية التي سجلت دخول الولايات المتحدة لمنطقة الشرق الاوسط مرحلة مفصلية في تاريخها ذلك ان واشنطن ارادت من خلال انتهاجها رأى براغماتية شديدة التعقيد ان تجعل من المنطقة ضد نوعي في صراعها مع الاتحاد السوفيتي لذلك اعتمدت في استراتيجيتها على اليات نشاطها الدعائي المتمثل في اتخاذ الفكر الاسلامي ضد نوعي اتجاه الشيوعية لذلك ارادت ان تسوق ان الفكر الاسلامي يمكن ان يكون ضمن اولويات خياراتها المتعددة ، هذا النشاط كان قد جوبه بموقف المؤسسة الدينية الشيعية المتمثلة بالمرجعية الدينية في النجف الاشرف التي عارضت في مواقفها المعلنة انجرار الشعوب الاسلامية الى غمار الحروب الاستعمارية والتنافس الدولي ، لذلك اعلنت المرجعية صراحة ولا سيما مرجعية الشيخ كاشف الغطاء الى خطورة تلك التوجهات الاميركية ، اضع الى ذلك فان المرجعية في قم حذرت مقلديها من ان استراتيجية الولايات المتحدة اتجاه بقاء الشاه من عدمه لاسيما في فترة مصدق انه سيجر الشعوب الاسلامية الى مهاوي الانجرار نحو الحروب ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .

وفي الفترة المعاصرة ومع اعتماد الولايات المتحدة على اليات ميكافيلية من خلال تجنيد الفرق الاسلامية المتطرفة ولاسيما الفرق الداعشية انطلاقا من رأى المفكر الاميركي ورائد البراغماتية المعاصرة ( ناعوم تشومسكي ) الذي يصرح ( انك اذا اردت غزو شعب ما فعليك بإيجاد عدو وهمي او افتراضي يكون اخطر منك عليه وتكون انت المنقذ ) هذه الاستراتيجية سعت واشنطن الى تنفيذها من خلال ايجاد فصائل ارهابية داعشية كجزء من استراتيجية الخيارات المفتوحة للإدارة الاميركية وهنا كان موقف المرجعية الدينية واضحا وصريحا من ان هذه الاستراتيجية ونجاحها سيؤدي الى حروب دامية لاسيما بعد ادراكها ان البيت الابيض يعتمد على الية حروب محدودة خارج حدود الدول وهذا ما نبهت منه ووقفت ضده من خلال اعلان مرجعية السيد السيستاني ومن خلال دعوتها بوجود الجهاد الكفائي لكل فرد قادر على حمل السلاح أي كان معتقده لذلك سجلت المرجعية من خلال ذلك نبوغها في اجهاض الاستراتيجية الاميركية ومشاريعها التوسعية .

### المصادر والهوامش

١- صفوان قدسي ، السياسة المسلحة ، دراسات في الفكر السياسي المعاصر ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٤ ، ص ٨٨-٨٩ .

2- Roland Dannreuther , The Gulf conflict : A Political and Strategic Analysis , New York : Palgrave Macmillan , 1992 , PP 10 -12 .

٣- استراتيجية سياسية وعسكرية اعتمدها الإدارة الأمريكية في مطلع الخمسينيات ، اعتمدت اساساً التلويح بالقوة فقط مع استخدام القوة الاقليمية المضادة عن طريق دعمها من خلال بالمعونات العسكرية والمساعدات الاقتصادية ، ويمكن القول إنها بداية لاستراتيجية القوة الناعمة . عن ذلك ينظر : احمد نوري النعيمي ، عملية صنع القرار في السياسة الخارجية ، الولايات المتحدة الأمريكية انموذجاً ، دار زهران للنشر ، عمان ، ٢٠١١ ، ص ٦٣٠ .

٤- كوبلاند ، لعبة الأمم ، ترجمة مروان خيري ، مركز الحرمين للأعلام الإسلامي ، دم ، د . ت ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

5- Depart ment of Stats , confil entail – Securty In formation , Dhahran , Saudi , Arabia , from , W.A . EDDY , to Miss Dorothy Thompson, 237 .E.48 th st . New York , June 7, 1951 .

6- Ibid .

7- Department of stats , office of the secretary , confilential . security In formation , : Subject , collo quiun on Is lamic culture under the Joint sponsorshio of the Library of congress and Princeton University , Januar y , 13 , 1953 .

8- United states Government , Colloquium On Is Lamic Culure , Under The Auspices of The Library of con Gress and Princeton University , May 8,1953.



- 9- Ibid .
- 10- HAKIMEH Saghay –Biria , United States . Propagandain Iran:1951-1953 . Submitted to the Gradu at faculty of the Louisiana State University, 2009 , P 84.
- 11- Homa Katouzian , Musaddig , and The struggle for Power in Iran . London , 2009 . PP. 267 -71 .
- ١٢- مصطلح دعائي يرتبط بالحرب النفسية يستخدم اسلوب الانقلابات العسكرية بمعونة دولة أخرى او أسلوب الاغتيالات السياسية والحزبية لغرض التأشير على مجمل الاتجاهات السياسية والاجتماعية , أضف الى لك قد يدخل ضمن هذا المصطلح الدعائي ماتقدمة بعض الدول من معونات اقتصادية لجلب الأنصار للدولة المقدمة للمعونة , عن ذلك ينظر : احمد بدر, الأتصال بالجماهير بين الأعلام والتنمية , الكويت , ١٩٨٢ , ص١٩٥ .
- ١٣- كيرمت روزفلت هو حفيد الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت , أشهر رجال المخابرات الأمريكية في مرحلة الخمسينات عمل في مصر والعراق وإيران ومظم اجزاء الشرق الأوسط , محمد حسنين هيكل , بين الصحافة والسياسة , ط٥ , بيروت , ١٩٨٤ , ص١٩٥-١٩٠ .
- ١٤- شوارزكوف: هو الجنرال الاميركي الذي قدم الى ايران عام ١٩٤٧ لتدريب قوات الدرك الايراني والشرطة ضمن القوات الاميركية العاملة في الشرق الاوسط وهو المسؤول العسكري عن عملية اجاكس للإطاحة بمصدق وهو والد الجنرال نورمان شوارزكوف قائد عملية عاصفة الصحراء لإخراج القوات العراقية من الكويت عام ١٩٩١ , للمزيد ينظر : Hakimeh Saghay – Bira , OP Cit , P 85
- ١٥- محمد وصفي ابو مغلي , العلاقات الايرانية - الأمريكية وإثرها في الخليج العربي ١٩٤١ - ١٩٧٩ م , البصرة , ١٩٨٢ , ص١٧-٢٠ .
- 16- Hakimeh Saghay – Bira , OP cit , PP 77 – 78 .
- ١٧- نقلاً عن ماريون فاروق سلوغت , بيتر سلوغت , من الثورة الى الدكتاتورية , العراق منذ ١٩٥٨ , ترجمة , مالك النبراسي , منشورات الجمل , ٢٠٠٣ , ص١٢٦ .

18- F .R.U.S, 1961 –1962 , Vol xvii , Memorandum , from Depart –  
ment of states , Executive Secretary to the President's Special Assistant  
for National Secretary , Washington , June , 20,1962 ,

ماريو فاروق سلوغت , بيترسلوغت , المصدر السابق , ص ١٢٦- ١٢٧ ,

١٩- حسن العلوي , مقابلة تلفزيونية مع قناة البغدادية الفضائية بتاريخ ٢٢/٣/٢٠١٤ .

٢٠- ماريو فاروق سلوغت , بيترسلوغت , المصدر السابق , ص ١٢٦ , مصداقاً لهذا الكلام ما  
أكده , السياسي الكردي محمود عثمان , في لقاء له مع قناة ابو ظبي الفضائية عام (٢٠٠٠ وفي  
برنامج بين زمنين , إذ أشار عثمان أنه ألتقى السعودي في باريس وأكد الأخير صحة الدعم  
الأمريكي ومصداقية مقولته حيث إشار (( أن الغاية تبرر الوسيلة )) .

٢١- عن ذلك ينظر : محمد حسنين هيكل , مدافع آية الله , قصة إيران والثورة , ط٤ , دار الشروق  
القاهرة , ١٩٨٨ .

٢٢- البراغماتية (PRAGMA) مصطلح مشتق من اللفظ اليوناني ومعناه العمل وهو مذهب  
فلسفي يقدر ان العقل لا يبلغ غايته إلا إذا اوصل صاحبه نحو النجاح فالفكرة الصحيحة هي  
الفكرة الناجحة ولقد سيطر هذا الاتجاه الفلسفي على الفكر والسلوك السياسي الأمريكي الذي يبغى  
البحث عن النجاح العملي والفصلي دون النظر للمبادئ والقيم الإنسانية والروحية , للمزيد ينظر :  
جميل صليب , المعجم الفلسفي , بيروت , ١٩٧١ , ص ٢٠٣- ٢٠٤ .

٢٣- مجدي كامل , كيف تباع أمريكا أصدقاءها , الأمريكان واستراتيجية الغدر بالحلفاء , دار  
الكتاب العربي , القاهرة , ٢٠٠٩ , ص ٩١ .

٢٤- المصدر نفسه , ص ٩٢-٩٣ .

٢٥- غازي السعودي , اسرائيل في حرب الخليج (( وجهة نظر اسرائيلية )) , دار الجليل للنشر ,  
عمان , ١٩٩١ , ص ١١٩ .

٢٦- مجدي كامل , المصدر السابق , ص ٩٢-٩٣ .

27- Naif Bin Hethlain Saudi Arabia and the US Since 1962 : Allies in  
conflict , London , 2013 , PP,331-31 .

- ٢٨- آ . ادلفي , التقنية الجديدة وسياسة الأمن الغربي , ترجمة مديرية التطوير القتالي , وزارة الدفاع ( كتب محدودة التداول ) , بغداد , ١٩٩٩ , ص ٩-١٣ .
- 29- Naif Bin Hethlain , OP, cit , P .312 .
- 30- Ibid , PP.312-14 .
- ٣١- ياسر عبد الحسين , القيادة في السياسة الخارجية الأمريكية , بعد الحرب الباردة , دار مكتبة عدنان , بغداد , ٢٠١٥ , ص ٣٦٢ .
- ٣٢- المصدر نفسه , ص ٣٦٣ .
- 33- Naif Bin Hethlain , Op .cit , P . 148
- 34- NSA , Memorandum from Brzezinski to cartere , Reflections on soviet Intervention in Afghanistan , 26 Decemiber 1979 .
- 35- Ibid .
- 36- Naif Bin Hethain , OP,Cit PP .160 – 63 .
- ٣٧- ياسر عبدالحسين , منطقة الفراغ في العلاقات الدولية , الرهان الأمريكي - الروسي في عالم متغير , إصدارات مركز بلادي للدراسات الاستراتيجية , بغداد , ٢٠١٦ , ص ١٥١-١٥٢ .
- ٣٨- المصدر نفسه .
- ٣٩- المصدر نفسه , ص ١٢٩ .
- ٤٠ - جريدة الصباح الجديد ١١/حزيران ٢٠١٤ .
- ٤١- قناة كربلاء الفضائية خطبة الجمعة بتاريخ ١٣/حزيران ٢٠١٤ , قناة الانوار الفضائية , بتاريخ ١٣/حزيران / ٢٠١٤ .
- ٤٢- جريدة البيئة , بتاريخ ١٦/حزيران ٢٠١٤ .
- ٤٣- جريدة الصباح الجديد , بتاريخ ١٤/حزيران / ٢٠١٤ .
- ٤٤- المصدر نفسه .
- ٤٥- خطبة المرجعية الدينية العليا في يوم الجمعة الموافق ١١/تموز / ٢٠١٤ .
- ٤٦- قناة الغدير الفضائية بتاريخ ٢٢/تموز ٢٠١٤ .
- ٤٧- قناة العهد الفضائية بتاريخ ٢٨/آذار ٢٠١٥ .

- ٤٨- المصدر نفسه , لم تكن واشنطن جادة في حربها على داعش مقارنة مع عدد طلعاتها الجوية على العراق ابان حربها معه عام ١٩٩١ , إذ بلغ عدد الطلعات الجوية اليومية الى اكثر من ٢٠٠٠ طلعة , غازي السعدي , المصدر السابق .
- ٤٩- قناة الشرقية الفضائية بتاريخ ٢/نيسان ٢٠١٥ .

# **دولة بني النجاح في اليمن**

**(٤١٢-٥٥٤هـ / ١٠٢١-١١٥٩م) دراسة تاريخية**

**م.د. سناء عبدالله عزيز الطائي و م.د. ساجد عبد محمد**

**كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة الموصل**

**The Rise and Fall of Bani Najah State In  
Yemen (412 - 554 H. / 1021 - 459 A.D.)**

**Dr. Sana Abdullah Aziz Al-Taei and Dr. Sajid Abdel  
Mohamed**

**College of Education for Human Sciences - University of  
Mosul**

## دولة بني النجّاح في اليمن (٤١٢-٥٥٤هـ / ١٠٢١-١١٥٩م) دراسة تاريخية

م.د. سناء عبداللّٰه عزيز الطائي

م.د. ساجد عبد محمد

كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة الموصل

### المخلص

شهدت اليمن خلال المراحل التاريخية المختلفة، ولادة وسقوط دول عديدة، وكان القانون الأساس الذي ينطبق على تاريخ اليمن، هو أن تاريخ اليمن كله ما هو إلا تاريخ النضال من أجل إقامة دولة مستقلة وموحدة<sup>(١)</sup>. وقد كان لكل الدول اليمنية دور بارز في الحفاظ على الشخصية الحضارية العربية، ومن الدول التي تأسست في اليمن، دولة بني نجّاح وقد امتد تاريخها إلى أكثر من قرن ونصف انحصرت بين سنتي (٤١٢-٥٥٤هـ / ١٠٢١-١١٥٩م) وتعاقب على قيادة هذه الدولة حكام عديدون عرفوا بـ (الملوك)، وكانت لهم أعمالهم المتميزة، وخاصة في مجال توحيد اليمن، ومواجهة التحديات في تلك المرحلة المضطربة من التاريخ العربي الاسلامي، هذا فضلاً عن الدور الكبير الذي قام به بعض ملوك هذه الدولة في مجال خدمة الدولة العربية الاسلامية في جميع المجالات. ولفهم حقيقة دور بني نجّاح ودورهم في اليمن واسهاماتها انصرف هذا البحث إلى متابعة ظروف قيام وتتبع دور الملوك حتى سقوط الدولة النجّاحية. وذلك ضمن السياق التاريخي العام للدولة العربية الاسلامية أبان حكم العباسيين وعاصمتهم بغداد (١٣٢-٦٥٦هـ / ٧٤٩-١٢٥٨م).

الكلمات المفتاحية: بني نجّاح ، الصراع ، الصليحي ، جيش ، زيد

---

---

**The Rise and Fall of Bani Najah State In Yemen 412 - 554 H. /  
1021 - 459 A.D.**

**Dr. Sana Abdullah Aziz Al-Taei**

**Dr. Sajid Abdel Mohamed**

**College of Education for Human Sciences - University of Mosul**

**Abstract**

Yemen has witnessed during the various stages of history the emergence and the fall of many states. The main law that may be applied upon the history of Yemen is that it is the history full of struggle to establish an independent unified state. For each state, there is a significant role in keeping the Arab civilized character. One of the states that has been established in Yemen is Bani Najah state. Its history has extended to more than one and a half century (412 - 554H. / 1021 - 1159 A.D) This state has been ruled by so many rulers known by (kings), They have distinguished deeds particularly in the field of unifying Yemen, and facing challenges in that confused period of Arab Islamic history . In addition, there is the great role done by some Kings of that state in the field serving Arab Islamic culture. In order to understand the fact of Bani Najah State in Yemen , this paper searches in the circumstances of establishing and falling the state putting all this in the general historic context of the Arab Islamic State during the Abbasid Caliphates in their capital Bagdad 132 - 656 H./ 749 - 1258 A. D.

## ظروف نشأة دولة بني نجاح:

واجهت الدولة العربية الاسلامية في عهد حكم العباسيين، متغيرات سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية واسعة ولعل من أبرزها السعي لاستكمال تكوين الأمة العربية، وإشراك غير العرب في السلطة، وفي الجيش<sup>(٢)</sup>، ويذكر المؤرخ عبد العزيز الدوري<sup>(٣)</sup>، أنه نتيجة طبيعية للتحوّل الاجتماعي والاقتصادي، ولتأكيد الحياة المدنية، وقد اتجه العرب، نحو الفعاليات الاقتصادية، خاصة بعد أن ابتعدوا عن الجيش ومؤسساته وأدى ذلك إلى توحيد المصالح الاقتصادية، وإلى انتشار العرب فيها واتضح ذلك منذ القرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين). ورافق هذا التطور توسع المدن بشكل ملفت للنظر، وبروز دور العامة من الناس في حياة المدن وظهور تنظيمات حرفية.

ومع بقاء أهمية (النسب) لدى الكثيرين في الحياة الاجتماعية، فقد أصبح دور (المال) أساسياً، بل وصارت الفوارق المالية أساس تكتلات وحركات اجتماعية. وكلما كان المجتمع العربي الاسلامي يتوغل في الحضارة، ويتوسع في التجارة، كان دور النسب في الحياة العامة يتضاءل. كما أن سيطرة الجند، ومعظمهم من غير العرب، قادتته نحو تعثر التجربة السياسية، فاتجهت من نوع من الشورى إلى الاستناد إلى شيوخ القبائل وتطلعهم نحو السلطة، وحين تراجع السلطان العربي، ابتداءً من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، نتيجة تخلي العباسيين عن القبائل العربية كأساس وحيد للجيش، والاعتماد على جيش نظامي مختلط، بدأت التجزئة، وتعرضت الدولة العربية الاسلامية إلى خطر الانقسام، حين ضغطت السلطة المركزية في بغداد وسيطر الجند على مقدرات الحياة السياسية، فأخذت كثير من أقاليم الدولة تتفصل لتقيم كيانات سياسية مستقلة أو شبه مستقلة عن مركز الخلافة ببغداد، ولم تشذ اليمن عن ذلك، إذ ظهرت فيها دول عديدة استقل بعضها فعلياً واستقل البعض الآخر اسماً<sup>(٤)</sup>.

في عهد الخليفة (المأمون) (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م)، قامت في اليمن دولة بني زياد<sup>(٥)</sup> وعاصمتها زبيد. وعند قيام هذه الدولة وما بعد ذلك، كانت هناك إلى جانبها دول أخرى هي الدولة الصليحية في صنعاء<sup>(٦)</sup>، ومن ثم دولة الأئمة الزيدية في صعدة<sup>(٧)</sup> ودولة بني يعفر وهكذا انقسمت اليمن، خاصة بعد ظهور دولة بني نجاح على أنقاض دولة بني زياد في زبيد وتهامة، سياسياً ومذهبياً، فلقد أصبح هناك تباين مذهبي فالمذهب الشافعي الذي ظهر في اليمن



سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م) ابتداء من المعافر والجند ثم انتشر إلى صنعاء شمالاً وعدن وجنوباً. واتخذ المذهب الاسماعيلي، حراز سنة (٢٦٨هـ/٨٨١م) لينتشر إلى المحويت وحجة وهمدان. أما المذهب الزيدي فكان أول ظهوره في صعدة سنة (٢٨٠هـ) على يد يحيى بن الحسين بن القاسم الرسمي ثم انتشر جنوباً حتى وصل إلى صنعاء ودمار. ولم تكن الخلافات بين هذه المذاهب، واسعة، وإنما اقتصر على مسائل اجتهادية لم تكن تمس جوهر الدين الاسلامي بأي حال من الأحوال<sup>(٨)</sup>.

وإلى جانب هذا التباين المذهبي، فإن اليمن عرفت التعددية السكانية، وإلى جانب القبائل العربية اليمنية المعروفة نزلت في اليمن عناصر غير عربية، وخاصة في مدينة زبيد وسواحل تهامة ومن أبرز هذه العناصر الهنود ثم الأحباش، الذين استعان بهم حكام الدولة الزيادية وبدأوا بتربيتهم على إدارة الدولة وفي الجيش بعد استجلابهم وهم أطفال صغار، لذلك شعر هؤلاء بانتمائهم إلى اليمن واخلاصهم لها ولم يكن هذا غريباً عن السياق العام الذي كانت تنتهجه الدولة المركزية ببغداد وخاصة في الالتزام بمبدأ المساواة بين العرب وغيرهم من العناصر (الأعجمية) التي دخلت الدين الاسلامي<sup>(٩)</sup>.

ارتبطت الدولة الزيادية بمركز الخلافة ببغداد، وظلت العلاقات السياسية والدينية قائمة وهو ما عبر عن نفسه في الدعاء للخليفة العباسي في خطبة الجمعة، وفي ارسال شيء من الزكاة إلى مركز الخلافة. وقد انتهج حكام هذه الدولة نهج الخلفاء العباسيين في مجال الاعتماد على العناصر غير العربية في الجيش والادارة، فأخذوا يجلبون العبيد من بلاد الحبشة ويقومون بتربيتهم وتدريبهم داخل القصور، وبمرور الزمن يعمدون إلى تكليفهم بالمناصب والمسؤوليات القيادية، وطبيعي أن يتطلع هؤلاء إلى السلطة، ففي أواخر عهد حكم بني زياد، وفي ظل حكم الحسين بن سلامة الزيادي (توفي ٤٠٢هـ/١٠١١م) استأثر مولى من العبيد اسمه مرجان بالسلطة، وكان قد تولى الوزارة، فصار له نفوذ كبيرة، وأخذ يعتمد على أنصاره من العبيد ومن هؤلاء عبدان من الحبشة، "رباهما صغيرين وولاهما كبيرين" أحدهما اسمه (نفيس) وقد عهد إليه مرجان بـ (تدبير الادارة العامة) وثانيهما اسمه (نجاح) وتولى أعمال الكدري والمهجم ومور<sup>(١٠)</sup>.

وبعد وفاة الحسين بن سلامة الزيادي، انتقل الحكم إلى طفل من آل زياد اسمه ابراهيم. وقد كفلته عمته (هند بنت أبي الجيش الزيادي)، وكانت من النساء اليمنيات الشهيرات، لذلك

سرعان ما غدت صاحبة الكلمة الأولى والسلطة الحقيقية في الدولة<sup>(١١)</sup>. ولكن مرجان لم يرض بذلك، إذ بدأ يتآمر عليها خاصة بعد أن شعر بميلها إلى نجاح ومكاتبها اياه. وقد خطط مرجان لإلقاء القبض عليها وعلى ابن أخيها. يقول صاحب كتاب (قرة العيون بأخبار اليمن الميمون) أن نفيس "كان ظلوماً غشوماً، وكان نجاح رؤوفاً رحيماً، وكان مولاها مرجان يفضل نفيساً على نجاح، وابن زياد وعمته يفضلان نجاحاً، فأغرى بهما نفيساً سيدهما مرجان فقبض عليهما وسلمهما إلى نفيس فبنى عليهما جداراً سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م وهما قائمان ينشدانه الله حتى ختمه عليهما فكان ذلك آخر العهد بهما"<sup>(١٢)</sup>.

لما قتل نفيس مولاها، ركب المظلة، وضربت السكة باسمه، وكان نجاح يومئذ غائباً عن زبيد، وقد قرر مواجهة نفيس و"استنفر الناس وتجهز لحربه وقصده إلى زبيد بجموع عظيمة"<sup>(١٣)</sup>. أما نفيس فقد استعد للمواجهة ودارت بينهما وقائع منها يوم رمع، ويوم فثال على نجاح، ومنها يوم العقدة على نفيس ومنها يوم العرق وفيه قتل نفيس على باب زبيد<sup>(١٤)</sup> وخسر الفريقان قرابة خمسة آلاف قتيل وجريح، ودخل نجاح مدينة زبيد في ذي القعدة سنة (٤١٢هـ/١٠٢١م) فقبض على مرجان وسأله عن ما فعله بمولاها وعمته، فقال هما في هذا المكان فأخرجهما نجاح، وصلى عليهما وبنى عليهما في العرق مشهداً، وجعل مرجان مكانهما وبنى عليه حياً وأمر بإحضار جثة نفيس فجعلت عند مرجان فبنى عليهما الجدار حتى ختمه"<sup>(١٥)</sup>.

سيطر نجاح على زبيد، وركب المظلة، وضرب السكة باسمه، وكاتب أهل العراق وبذل لهم الطاعة ففوضوا إليه النظر العام في الجزيرة اليمنية وتقليد القضاء لمن يراه أهلاً<sup>(١٦)</sup>. ونظير موقعه الموالي للخلافة في بغداد، فقد كرمه الخليفة العباسي القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣١م) بلقب (المؤيد نصير الدين)، وأصدر مرسوم النيابة الخالص وبذلك أضفى الشرعية على حكمه"<sup>(١٧)</sup>.

كان نجاح ينتمي إلى قبيلة الجزل الحبشية، ومن بطن يعرف بـ (السحرتيون). وقد تمتع بشخصية قوية، وعرف باللين والعدل والرأفة، وقد تقلد مناصب عديدة في الدولة الزيادية منها (انظر السراي)<sup>(١٨)</sup>. وقد أشار خير الدين الزركلي<sup>(١٩)</sup> إلى شخصية نجاح قائلاً بأنه "يعد من الدهاة الشجعان، نشأ في عهد إمارة الحسين بن سلامة وحدثت فتن ظهرت فيها كفايته وأمانته وإخلاصه، وكثر عليه المتغلبون والخارجون، واشتدت الحروب في أيامه فخرج ظافراً متمكناً".

بد أن سيطر الملك نجاح على زييد توجه نحو سهل تهامة، وتمكن من إخضاعه، ثم أسرع لتوطيد سلطته على اليمن والقضاء على شيوخ القبائل والأمراء الذين سبق لهم الاستقلال في مناطق مختلفة. وقد استغرق ذلك منه قرابة أربعين سنة، وهي فترة حكمه. ضم عسير وصنعاء وعدن وحضرموت وبذلك أصبحت الدولة النجاشية تضم حدود اليمن الكبرى كلها. ولم يمنع هذا نجاح وحلفائه من مواجهة تحديات كبيرة كان من أبرزها التحدي الذي مثلته الدولة الاسماعيلية الأولى التي تأسست في اليمن وعرفت باسم (الدولة الصياحية)<sup>(٢٠)</sup>.

### الصراع النجاشي - الصليحي:

حينما قامت الدولة الفاطمية، في بلاد المغرب، تحمل أبناء اليمن أمثال (ابن فضل) و(ابن حوشب) مسؤولية نشر الدعوة الاسماعيلية في اليمن والبحرين واليامة ومصر والهند<sup>(٢١)</sup>. ولئن تعرضت الدعوة الاسماعيلية في اليمن إلى بعض الصعوبات بسبب التنافس بين الدعاة، فإن الدعوة سرعان ما تجددت وراجت على يد (علي بن محمد الصليحي) الذي تفقه في أصول المذهب الاسماعيلي وعمل على نشره. ولم تأت سنة (٤٥٥هـ/١٠٦٢م) إلا وكانت الدعوة الاسماعيلية قد انتشرت في أرجاء مختلفة من اليمن. ويشير الاستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن<sup>(٢٢)</sup> إلى أن الصليحي هذا كان سنياً وقد شغل أبوه مناصب قضائية، لكن ابنه سرعان ما تحول إلى المذهب الاسماعيلي وقد كتب إلى الخليفة المستنصر الفاطمي في مصر يستأذنه في إظهار الدعوة الاسلامية في اليمن فأذن له وقد شمر عن ساعد الجد وأخذ ينتقل في البلاد داعياً إلى الامام الفاطمي، وكان علي الصليحي بعد أن سيطر على صنعاء واتخذها عاصمة لدولته الجديدة أن يحكم اليمن باعتباره نائباً عن الخليفة الفاطمي، وكان الفاطميون ينظرون إلى الصليحيين نظرتهم إلى كبار رجال دولتهم وقد استطاع الصليحي أن يجمع اليمن تحت لواء واحد.

كتب عمارة اليمني<sup>(٢٣)</sup> عن الدولة الصليحية يقول: "لم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعلي بن محمد الصليحي، فإنه استولى على اليمن سهله وجبله، وشماله وجنوبه، وشرقه في مدة يسيرة بعد أن قهر ملوكه". وكان (علي الصليحي) ادارياً ممتازاً، وأدخل كثيراً من وجوه الإصلاح في بلاد الحجاز، فخصص أموالاً وفيرة للبيت العتق، وتشجيع موسم الحج، وأحسن معاملة الناس ونشر العدل بينهم واستمالهم إليهم وأثر عنه قوله: "انصف المظلوم، وأقمع الظالم"<sup>(٢٤)</sup> ولكن

الدولة الصليحية اصطدمت بالدولة النجاشية وقد مر الصراع بينهما بمراحل عديدة استغرق سنوات طويلة، وانعكس سلبياً على أوضاع اليمن السياسية والاقتصادية والاجتماعية وخاصة في مجال استنزاف امكانات البلد وتعرضه لمشاكل عديدة.

### مراحل الصراع النجاشي-الصليحي:

أظهر علي بن محمد الصليحي في المرحلة الأولى من الصراع، الطاعة للملك نجاح، فقد كان الصليحي يتودد إليه ويرسل له الهدايا<sup>(٢٥)</sup>. يقول صاحب قرة العيون: "كان الصليحي يخاف نجاحاً صاحب زبيد، وكان يتلطف له ظاهراً وهو يعمل على الإيقاع به وقد تم له ذلك حين نجحت جارية جميلة أهداها الصليحي لنجاح سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م من أن تدس السم له"<sup>(٢٦)</sup>.

وتبدأ عندئذ مرحلة جديدة من الصراع، بعد مقتل نجاح وتولى الحكم من بعده مولى له اسمه كهلان، حيث أن أولاد نجاح كانوا صغاراً وقد استمر الأمر هكذا قرابة ثلاث سنوات، إذ لم يلبث علي بن محمد الصليحي أن أزال حكم بني نجاح فهرب ابنه سعيد المعروف بـ (الأحول) وأخوته إلى جزيرة دهلك سنة (٤٥٥هـ/١٠٦٣م)<sup>(٢٧)</sup>. وقد أدخل الصليحي زبيد وأتاب عليها شقيق زوجته (أسعد بن شهاب) وذلك سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٣م) وقد اتسمت فترة حكم ابن شهاب هذا بالتسامح واللين، فاستفاد من ذلك سعيد بن نجاح، فعاد سراً إلى زبيد وبدأ يجمع من حوله الأنصار حتى بلغوا قرابة سبعين مقاتلاً. كما طلب من أخيه جياش الحضور إلى زبيد، فحضر مصطحباً معه من أنصاره قرابة ٤٠٠ مقاتل<sup>(٢٨)</sup>.

عند المهجم جرت في ١٢ من ذي القعدة سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م)، معركة كبيرة بين سعيد الأحول وأخيه وأنصاره من جهة، والصليحي وأخيه عبد الله من جهة أخرى. وقد تفرق جيش الصليحي وانضم الكثيرون إلى جيش سعيد وأخيه. وقد قتل الصليحي في المعركة، وبعد هزيمة الصليحيين، عاد الأمر في اليمن إلى بني نجاح "وامتلأت صدور الناس هيبة من أول ملوكهم وهو سعيد بن نجاح"<sup>(٢٩)</sup>.

كعب جياش<sup>(٣٠)</sup> عن (معركة ذي القعدة) يقول: "لا أنسى انتصاب رأس الصليحي في عود المظلة، وقراءة المقرئ: قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير، انك على كل شيء قدير".

وبعد ثلاثة أيام من المعركة، دخل سعيد بن نجاح، زبيد في ١٦ ذي القعدة (٤٥٩ هـ/١٠٦٦ م) ورأى الصليحي وأخيه أمام هودج أسماء بنت شهاب زوجة الصليحي وأم المكرم، فأنزلها دار شخار ووكل بها من يحرسها. وعمد سعيد لتعزيز سلطته، ورفد جيشه بمقاتلين جدد من الأحباش. ويقول صاحب المفيد في هذا الصدد: "واستوثق الأمر بتهامة لسعيد، وبعث بالأموال إلى بلاد الحبشة من اشترى له عشرين ألف عبد" (٣١).

دخل الصراع النجاشي-الصليحي، المرحلة الثالثة حينما سألت أسماء بنت شهاب، سعيد بن نجاح أن يسمح لها هي ومن معها من النساء بالعودة إلى صنعاء فرفض. وقد أشارت المصادر إلى أن سعيد نصب رأس زوجها وأخيه قبالة طاق الدار التي أنزلت فيها، وبقيت في الأسر ثمانية أشهر وقيل سنة، ثم أرسلت سرّاً إلى ابنها المكرم، تقول: انها قد حملت من سعيد، ولم يكن سعيد قد رآها قط، وإنما أرادت أن تثير حفيظته وحفيظة أنصاره، ولما وصلت الرسالة، أقرأها ابنها الناس وهو على المنبر فضجوا بالبكاء، وقرروا القتال، واتجهت جموعهم وقدرت بثلاثة آلاف فارس غير الراجل نحو زبيد، واصطدم الطرفان عند باب المجرى إلى القبلة. وكان جيش سعيد يتألف من عشرين ألف مقاتل، وانتهت المعركة بهروب سعيد، وسيطرة قوات المكرم على زبيد. وقد أمر المكرم بإعادة خاله أسعد بن شهاب إلى ولاية زبيد سنة (٤٦٠ هـ/١٠٦٧ م) ورجع بأمه إلى صنعاء (٣٢).

بعد عودة المكرم إلى صنعاء، رجع سعيد بن نجاح ثانية إلى زبيد، وسيطر عليها وعلى تهامة وسبأ، فابتدأت المرحلة الرابعة من الصراع، وفي سنة (٤٧٩ هـ/١٠٨٦ م) توفيت أسماء بنت شهاب بصنعاء، فتولت زوجة المكرم السيدة أروى بنت أحمد الصليحي السلطة وتمكنت من استخدام الحيلة وتكوين التحالفات المضادة لآل نجاح ونجحت في استعادة السيطرة الصليحية على زبيد وذلك بعد مقتل سعيد سنة (٤٨١ هـ/١٠٨٩ م) وتفرق أولاد جناح وهروب جيش بن نجاح نحو الهند. وكانت زوجة سعيد (أم المعارك) معه عندما أطبقت عليه جيوش الصليحيين، وقد أنزلتها السيدة أروى بغرفة وجعلت رأس زوجها أمام طاقتها وقالت: "ليت لك عيناً ترى يا مولاتنا أسماء، رأس الأحول أمام زوجته أم المعارك" (٣٣).

### جهود جيش بن نجاح ودوره في استعادة السلطة على زييد:

أقام جيش بن نجاح ووزيره قسيم الملك أبو سعيد خلف بن ابي الطاهر الأموي قرابة ستة أشهر في الهند ونقل لنا المؤرخ عمارة اليمني أخبار هربه وتكيفه لأحوال الهند وعادات أهلها من اطالة الشعر والأظافر وستر احدى عينيه بخرقه سوداء. ويوضح جيش نفسه كيفية عودته إلى (زييد) متكرراً وتصنته على أخبارها وأحوال الناس فيها ومن ثم نجاحه في العودة إليها وحكمها بعد أسر أميرها أسعد بن شهاب وذلك بمساعدة أهالي زييد المقاتلة من العبيد الأحباش الذين قدر عددهم بنحو خمسة آلاف مقاتل يقول عمارة اليمني: عندما عاد جيش إلى زييد، نشرت المصاحف، وابتهلت له الرعية، وظهر الفقهاء. وكانت عودة جيش إلى زييد وحكمه فيها سنة (٤٨٢هـ/١٠٨٩م) واستمراره حتى وفاته في شهر ذي الحجة سنة (٤٩٨هـ/١١٠٥م)<sup>(٣٤)</sup>.

وصف جيش بن نجاح بأنه كان ملكاً، ضخماً، شهماً، شجاعاً، جواداً، كريماً، وقوراً، حليماً<sup>(٣٥)</sup>، وقد لقب بـ (الملك المكين نصير الدين أبو الطامي جيش بن نجاح اليماني)<sup>(٣٦)</sup>. وكان أديباً شاعراً له ديوان شعر. كما عرف بأنه مؤرخ متميز له كتاب بعنوان (المفيد في أخبار زييد) والكتاب، كما أشارت إلى ذلك الكثير من المصادر لا يزال مفقوداً منذ زمن بعيد<sup>(٣٧)</sup>. وقد أسهب المؤرخون في ذكر تفاصيل خطته للعودة إلى زييد والسيطرة عليها وإعادة تكوين الدولة النجاشية، ويبدو أنها كانت خطة محكمة استفاد منها من ابتعاد المكرم عن ادارة شؤون دولته لمرضه، وترك الأمور إلى زوجته السيدة أروى بنت أحمد وقد ذكر جيش في تاريخه أن علي بن ألقم وزير الصليحي أسعد بن شهاب، قد عاونه في اعلان الثورة في زييد والاتفاق على موعد محدد واشارة متميزة، وهي ضرب الطبول وفي الموعد انطلقت الثورة، وخرج الرجال من مخابئهم وساعدهم أهالي زييد في الهجوم علي (الحامية العسكرية الصليحية) و(قصر الامارة) وتم اعتقال الوالي أسعد بن شهاب وقرر بعدها الملك جيش اطلاق سراحه "لأنه أحسن السيرة لآل نجاح وعبدهم أثناء ولايته لزييد"<sup>(٣٨)</sup>.

### المرحلة الخامسة من الصراع-النجاشي-الصليحي:

بعد وفاة الأمير الصليحي المكرم سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م)، أسندت الدعوة والسلطة إلى الأمير أبي خمير سبأ بن أحمد الصليحي. وفي عهده تبادل النجاشيون والصليحيون السيطرة

على تهامة، لكن جيش أش أراد أن يعزز مركزه ضد الصليبيين فطلب من مركز الخلافة ببغداد مساعده فأرسلوا إليه حملة عسكرية تضم قرابة ألف فارس معظمهم من الغز السلاجقة<sup>(٣٩)</sup>.

ان سبب استغاثة جيش بالخلافة العباسية يرجع إلى ازدياد نفوذ الصليبيين في اليمن وتفاقم خطرهم على مستقبل الدولة النجاشية. هذا فضلاً عن رغبته في تحقيق التوازن بين المقاتلين الأحباش والغز الأتراك، لهذا فقد اقتطع الغز، لقاء عملهم هذا (وادي ذوال) <sup>(٤٠)</sup>. وثمة سبب ثالث وهو رغبة جيش في الاستفاده من دعم العباسيين ضد النفوذ الفاطمي الذي أخذ بالانتشار في اليمن. وقد استطاع جيش أن يصد الخطر الصليبي بمساعدة قائده ربحان الكهلاني مولى بني نجاح الذي خاض معركة حاسمة سميت بمعركة الكظائم قرب باب زبيد وكان إلى جانب الكهلاني قادة آخرون أبرزهم الشريف يحيى حمزة، والأمير يحيى بن غانم السليماني. كما استنهض المخلاف السليماني فشاركت إلى جانب النجاشيين وبعد هذه المعركة التي جرت سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) لم يعد للصليبيين موطأ قدم في تهامة. وفي الوقت نفسه أخضع الملك جيش، بني زريع ملوك عدن الذين سرعان ما اعترفوا بزعامته عليهم. وقد أبقى السيدة أروى، زوجة المكرم الصليحي في منطقة (تعز) فظلت تحملها معترفة بسلطة آل نجاح إلى أن توفيت سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م) <sup>(٤١)</sup>.

توفي الملك جيش في شهر ذي الحجة سنة (٤٩٨هـ/١١٠٤م) وتولى الحكم من بعده ولده أبو منصور فاتك<sup>(٤٢)</sup>. وفي بداية أمره اصطدم بأخويه ابراهيم وعبد الواحد، لكنه استطاع اعتقالهما. ولعل من أبرز ما تميزت به فترة حكمه استكثاره من الجند الأحباش، واستمراره في إخضاع أمراء اليمن، وسعيه لإنعاش الحياة الاقتصادية وتقريبه للعلماء والشعراء واغداق الأموال عليهم<sup>(٤٣)</sup>. وقد توفي سنة (٥٠٣هـ/١١٠٩م) تاركاً ولده المنصور وهو طفل صغير فكفله عبيد أبيه وعندما اسمع عمه (ابراهيم) بذلك جمع أنصاره واتجه نحو زبيد. أما عمه الآخر عبد الواحد فقد أسرع كذلك للاستحواذ على السلطة ودار الصراع عند أبواب دار الامارة الأمر الذي دعا (خواص الأمير) من عبيد المنصور لطلب مساعدة الحرة السيدة أروى بنت أحمد بذي جبلة والتي أمرت كلاً من المفضل بن أبي صلحب التعكر، ومسعود بن أبي المكرم الهمداني والتي عدت للتحرك باتجاه زبيد وقد دارت معركة كبيرة كان من نتيجتها انتصارهما وهزيمة عبد الواحد وهكذا تمكن جماعة المنصور بن فاتك من العودة إلى زبيد عاصمة ملكة سنة (٥٠٤هـ/١١١٠م) <sup>(٤٤)</sup>.

يقول الاستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن<sup>(٤٥)</sup> "ان السلطة الفعلية في عهد المنصور بن فاتك بن جياش كانت في أيدي الوزراء... ومنهم أنيس الفاتكي، وهو من الأحماس أيضاً وقد امتاز بالشجاعة، ولو أنه اتصف بالشدة، وقد أثرى هذا الوزير اثراءً كبيراً من الأموال التي استولى عليها بني نجاح، حتى أنه بنى قصرًا عظيمًا اتخذه داراً لإقامته، بلغ عرض كل قاعة من قاعاته ثلاثين ذراعاً، وعرض كل مجلس من مجالسه أربعين ذراعاً، وسك النقود باسمه، وأراد أن يفتك بالمنصور، ولكن المنصور دبر له كميناً وقضى عليه واستولى على أمواله وجواريه، ومن بينهما جارية تدعى (علم)<sup>(٤٦)</sup> تزوجها المنصور فولدت له فاتك الثاني ابن منصور الذي آل إليه الحكم...".

#### أوضاع زبيد السياسية بعد وفاة المنصور بن فاتك:

توفي المنصور بن فاتك مسموماً في حدود سنة (٥١٧هـ/١١٢٣م). وقد عاشت زبيد والتهايم اليمنية أوضاعاً سيئة بسبب الصراع الذي حصل على السلطة بين وزرائه وقادته أمثال الوزير (من الله الفاتكي) و(القائد أبو محمد سرور الفاتكي نسبة إلى فاتك) وكان الفاتك من منصور الثاني (٥٢١-٥٣١هـ/١١٢٧-١١٣٧م) طفلاً صغيراً عندما توفي أبوه، والفاتك هو ابن الحرّة الصالحة (علم الحجابة) وقد حكم الفاتك البلاد بمعاونة عبيد والده وأبرزهم (أبو منصور مفلح الفاتكي) وقد تميز عهد الفاتك بظهور الكثير من محاولات التمرد على السلطة، هذا فضلاً عن اشتداد نشاط الاسماعيليين. ومن محاولات التمرد التي تمكن من قمعها، ما قام به عمه محمد بن فاتك في زبيد كما أن الفاتك قضى على الشريف غانم السيلماني في المهجم، وجابه الداعي الاسماعيلي سبأ بن أبي السعود، وكان من جراء هذه الحروب المتوالية ان اضطر إلى الاكثار من جلب الجند الأحباش واستخدامهم في توطيد الحكم ومواجهة التحديات<sup>(٤٧)</sup>.

حين توفي الفاتك سنة (٥٣١هـ/١١٣٧م)، لم يكن له ولد يخلفه في الحكم، فاجتمع أنصاره من رؤساء الجند وقرروا اختيار ابن عمه فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش والذي عرف بالفاتك الثالث (٥٣١هـ-٥٥٣هـ/١١٣٧-١١٥٨م) وكان والياً في تهامة<sup>(٤٨)</sup> وقد عرف بأنه "ضعيف العزم، قليل النظر في السياسة، منهكاً في اللهو واللعب والفساد وتضييع المال في غير موقعه لذلك تولى قائد الجند (سرور) الذي سرعان ما اصبح صاحب السلطة الفعلية والكلمة العليا في البلاد قرابة عشرين عاماً"<sup>(٤٩)</sup>.



## الخاتمة:

توفرت لدى الدولة النجاحية، حين ظهورها عوامل عديدة ساعدتها على أن تحكم طوال فترة زمنية استغرقت قرابة (١٤٠) عاماً. ومن هذه العوامل: الموقع الجغرافي والتجاري والعلمي والثقافي لمدينة زبيد، لما كانت تمتلكه من ارث حضاري، وغنى اقتصادي<sup>(٥٠)</sup> كما حظيت الدولة بملوك أقوياء أبرزهم مؤسسها الأول (نجاح) ومؤسسها الثاني (جياش). وقد اشتهر بعض ملوكها بثقافتهم العالية وبإخلاصهم لليمن ووحدتها ومما ساعدهم على ذلك الانقسام السياسي والتنوع البشري والتعددية المذهبية لكن ظروف الضعف سرعان ما بدأت تظهر للعيان بعد وفاة الملك جياش الذي كان "مأمون القول والفعل مهتماً لأمر البلاد"<sup>(٥١)</sup> وقد أدى التنافس على السلطة بين القادة (الأحباش) وكذلك بين أبناء أسرة آل نجاح أنفسهم، إلى دخول الدولة في صراعات استنزفت امكانيات الدولة وأتعبت الناس. ولا يمكن أن ننسى الصراع الطويل الذي خاضته الدولة النجاحية مع الأمراء الصليحيون الذين ما انفكوا يناصرون آل نجاح العداء لأسباب سياسية ومذهبية. وثمة من يشير إلى أن القبائل العربية اليمنية لم تقتنع بحكم آل نجاح وظلت تنتظر إليهم على أساس أنهم من العبيد الاحباش الطارئین على المجتمع اليمني. ولم تكن علاقات النجاحيين الخارجية بالكثير من القوى السياسية في اليمن جيدة، فعلى سبيل المثال اتسمت علاقاتهم ببني زريع في عدن بالعداء لأسباب عديدة لعل من أبرزها الاختلافات المذهبية التي كان لها دورها في تعميق الصراع والتنافس ومحاولة الطرفين فرض سيطرتهم على اليمن<sup>(٥٢)</sup>.

لقد استمرت عوامل التدهور والضعف في جسم الدولة النجاحية وجاءت الضربة القاضية على يد علي بن مهدي الرعيني الذي كان من الخوارج وقاد حركة سياسية معارضة لدولة بني نجاح وتمكن من جمع اعداد كبيرة من الأنصار الذين سعدوا إلى الجبال واستقروا في (حصن الشرف). وبالرغم من محاولة السيدة علم أم الفاتك مقاومة تلك الحركة في سنة (٥٣٦هـ/١١٤١م) من خلال التقريب إلى علي بن مهدي إلا أن خطر المهديين سرعان ما أخذ يتزايد ويهدد الدولة النجاحية وخاصة بعد سلسلة الهجمات التي تعرضت لها زبيد والحصار الشديد الذي فرض عليها واضطرار أعداد كبيرة من سكانها إلى الخروج منها إلى المناطق المجاورة.

لقد استطاع علي بن مهدي الرعيني أن يدخل زبيد يوم ١٤ رجب سنة (٥٥٤هـ/١١٥٩م) وقد قتل الأمير فاتك بن محمد وانتهت بذلك دولة بني نجاح إلا أن الأمر لم يدم طويلاً للمهديين إذ سرعان ما تقدم الأيوبيون بقيادة شمس الدولة توران شاه الأيوبي، ليدخلوا اليمن تحت سيطرتهم وكان ذلك في التاسع من شوال سنة (٥٦٩هـ/١١٧٤م)، فبدأت عندئذ حقبة جديدة في تاريخ اليمن.

### الهوامش:

- (١) الشهاري، محمد علي، مقارنة عامة لقضية الوحدة اليمنية عبر الماضي والحاضر والمستقبل، جامعة عدن، الندوة العلمية حول اليمن عبر التاريخ، عدن ٢٣-٢٥ سبتمبر/أيلول، ١٩٨٨، ١٧١-١٩٤.
- (٢) للمزيد ينظر: الجنابي، خالد جاسم، تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الأموي، بغداد، ١٩٨٤، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، ٧-١٢.
- (٣) التكوين التاريخي للأمة العربية، مجلة المستقبل العربي، بيروت، كانون الثاني، ١٩٨٠، ٣٩.
- (٤) عبد العزيز الدواي، المرجع نفسه، ٣٩-٤٠.
- (٥) للمزيد حول الدولة الزيادية ينظر: الشيباني، عبد الرحمن بن علي الديبغ (ت ٩٤٣ هـ)، تحقيق: محمد بن علي الأكوخ الحوالي، القسم الأول، القاهرة، ١٣٧٤هـ، ١٤٧.
- (٦) زبيد قصبة تهامة كانت مستقر لملوك اليمن وصفت بأنها بلد جليل، حسن البنيان، يسمونه (بغداد اليمن)، وبه تجار كبار وعلماء وأدباء، عليه حصن من الطين بأربعة أبواب. وقد اختطت زبيد سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م) من قبل والي العباسي محمد بن زياد. وتمتعت زبيد بمركز جغرافي وتجاري وعلمي كبير طيلة فترة حكم الزياديين والنحاحيين، لكن دورها السياسي سرعان ما اتضاءل بعد اتخاذ مدينة تعز عاصمة للأيوبيين ومن بعدهم الرسولييين. مصطفى، شاكر، المدن في الاسلام حتى العصر العثماني، دار السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٨، ٢٧٨؛ ربيع، حسين، بحر الحجاز في العصور الوسطى، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الامام محمد بن مسعود، الرياض، ١٩٧٧، العدد ١، ٤١١.
- (٧) للمزيد حول نشأة الدولة الزيادية وتطورها ينظر: المداح، أميرة علي، العثمانيون والامام القاسم بن محمد بن علي في اليمن، دار عكاظ للطباعة والنشر، جدة، ١٩٨٢، ١٧.
- (٨) ابراهيم، محمد كرم، عدن دراسة في أصولها السياسية والاقتصادية (٤٧٦-٦٢٦هـ/١٠٨٣-١٢٢٨م)، بغداد، ١٩٨٥، ١٣٠.

- (١) للمزيد ينظر: خالد يوسف صالح: الدولة الناجحية في اليمن (٤١٢-٥٥٤هـ/١٠١٢-١١٥٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٥.
- (١٠) الشيباني، عبد الرحمن بن علي الديبغ (ت ٨٦٦-٩٤٤هـ/١٤٦١-١٥٣٧م)، قرّة العيون في أخبار اليمن الميمون، د.ت، د.م، القسم الأول، ٢٣٢.
- (١١) ناجي، سلطان، الحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمرأة في المجتمع اليمني، مجلة المؤرخ العربي، ع ١٤، ١٩٨٠، ٦٤.
- (١٢) الشيباني، قرّة العيون، المصدر السابق، القسم الأول، ٣٣٢-٣٣٣.
- (١٣) المصدر نفسه، القسم الأول، ٣٣٣.
- (١٤) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (٣٦٠هـ/٩٧٠م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكواع الحوالي، الرياض، ١٩٧٤، ١٢٢؛ الشيباني، قرّة العيون، القسم الأول، ٣٣٣-٣٣٤.
- (١٥) الشيباني، المصدر نفسه، القسم الأول، ٣٣٤.
- (١٦) ابراهيم، المرجع السابق، ١٣٠-١٤٠.
- (١٧) ابراهيم، المرجع نفسه، ١٤٠.
- (١٨) حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ٢١٠/٤. ان نجاحاً كان آخر نظار (وزراء) السراي في الدولة الزيادية.
- (١٩) الزركلي، خير الدين، قاموس تراجم الاعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٩، ٣٢٤/٨.
- (٢٠) للمزيد ينظر: رياض، زاهر، دولة حبشية في اليمن، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، ١٩٥٩، ع ١٨، ١٠٩-١١٠.
- (٢١) حسن، المرجع السابق، ١٩٧/٤.
- (٢٢) حسن، المرجع نفسه، ١٩٨/٤.
- (٢٣) المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وادبائها، لندن، ١٨٩٢، ٣٠٨.
- (٢٤) حسن، المرجع السابق، ٣٠٨/٤.
- (٢٥) رياض، دولة حبشية في اليمن، المرجع السابق، ١١٠.
- (٢٦) الشيباني، قرّة العيون، المصدر السابق، القسم الأول، ٢٤٦.
- (٢٧) ابراهيم، محمد كريم، التواريخ المحلية لمدينة زبيد في اليمن، دراسة في منهاجها ومصادرها وأسس تأليفها، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، ١٩٨٢، ٥٨؛ صالح، المرجع السابق، ٦٠.
- (٢٨) صالح، المرجع نفسه، ٦٠.
- (٢٩) حسن، المرجع السابق، ٢١١/٤.

- (٣٠) بن علي، نجم الدين عمارة (ت ٥٦٩هـ/١١٧٤م)، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وادبائها، تحقيق: محمد بن علي الأكوخ، ط٢، القاهرة، ١٩٧٦، ٢٠٠-٢٠١.
- (٣١) بن علي، المصدر نفسه، ٢٠٢-٢٠٣.
- (٣٢) الوصابي، وجيه الدين الحبشي، تاريخ وصاب: الاعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، صنعاء، ١٩٧٩، ٣٦-٣٧.
- (٣٣) الوصابي، المصدر نفسه، ٦٧.
- (٣٤) الوصابي المصدر نفسه، ٤٩-٥٠؛ حسن، المرجع السابق، ٤/٢٧.
- (٣٥) أبو مخزومة، ابو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن احمد، (ت ٩٤٧هـ/١٥٤٠م)، تاريخ ثغر عدن، تحقيق: أوسكار لوفغرين، ليدن، ١٩٣٦، ٤٦/٢.
- (٣٦) حسن، المرجع السابق، ٤/٢١.
- (٣٧) نكر الدكتور محمد كريم ابراهيم في كتابه التواريخ المحلية لمدينة زيد دراسة تحليلية لكتاب الملك الجياش (المفيد في اخبار زيد) وأشار إلى أهميته ومنهجه وأسس تأليفه وأسباب فقدانه وما وصل إلينا منه، ويعد كتاب جياش أهم مصدر لدراسة تاريخ دولة بني نجاح في اليمن وقد اعتمد عليه عمارة اليمني.
- (٣٨) الشيباني، قرة العيون، القسم الأول، ٣٤٣.
- (٣٩) ابراهيم، المرجع السابق، ١٣٣.
- (٤٠) وادي ذوال ينبع كورة تهامة بالوادي الحصيبي. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ١١٩.
- (٤١) رياض، المرجع السابق، ١١٣.
- (٤٢) كان لجياش ستة أولاد هم: فاتك ومنصور و ابراهيم وعبد الواحد والذخيرة ومعارك. للمزيد ينظر: الزركلي، الاعلام، ١٤٨/٢.
- (٤٣) رياض، المرجع السابق، ١١٥.
- (٤٤) رياض، المرجع نفسه، ١١٥.
- (٤٥) حسن، المرجع السابق، ٤/٢١١-٢١٢.
- (٤٦) ناجي، المرجع السابق، ٦٤.
- (٤٧) للمزيد ينظر: الشيباني، قرة العيون، القسم الأول، ٣٥١.
- (٤٨) الشيباني، المصدر نفسه، القسم الأول، ٣٥١.
- (٤٩) الدجيلي، محمد رضا حسن، الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، بغداد، ١٩٨٥، ٥١.
- (٥٠) للمزيد ينظر: رياض، المرجع السابق، ١١٧-١١٨-١١٩.

(<sup>٥١</sup>) ابراهيم، محمد كريم، عدن: دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية، مجلة كلية الآداب، بغداد، ١٩٧٩،

١٥٦-١٩٦.

(<sup>٥٢</sup>) للمزيد ينظر: بن اسير، محمد بن منصور، الجواهر الفريد من تاريخ مدينة زبيد، ٣٣-٦٢.

**المضامين السياسية في خطب السيدة  
الزهراء (عليها السلام)**

**م.د. مصطفى سالم حازم و م.د. محسن طعمة يوسف**

**كلية الآداب – جامعة البصرة**

**Political implications of the sermons of Lady  
Al-Zahra (peace be upon her)**

**Dr. Mustafa Salem Hazem and Dr. Muhsin Toma Yousif / College  
of Arts - University of Basrah**

المضامين السياسية في خطب السيدة الزهراء (عليها السلام)

م.د. مصطفى سالم حازم

م.د. محسن طعمة يوسف

كلية الآداب - جامعة البصرة

الملخص

لقد بينت السيدة الزهراء (عليها السلام) في خطبتيها المشهورتين ( فذك، وفي جمع من نساء المهاجرين والانصار) عدة مضامين سامية ومؤثرة، من بينها المضامين السياسية التي اشارت اليها بنوع من التركيز والدقة، وبينت من خلال الطرح الواقعي الدور السياسي البارز الذي لعبه رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) في نشأة الدولة وقيامها، وتطرت ايضا الى مظلومية امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) وأحقيته في خلافة رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) وقدرته على إدارة شؤون المسلمين دينياً وسياسياً بما مكنه الله تعالى من خصال قل نظيرها بين المسلمين، وكذلك اشارت (عليها السلام) إلى بطلان دعوى القوم في خلافة رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) من خلال الادلة القرآنية والشواهد التاريخية التي عاصرها الرسول الاكرم (صل الله عليه واله وسلم)، يضاف إلى ذلك ان السيدة الزهراء (عليها السلام) استطاعت ان تبرهن من خلال خطبها ان المسار الديني لا يمكن عزله عن المسار السياسي. ان دور السيدة الزهراء عليها السلام لم يقتصر على تبيان مظلومية اهل البيت والموقف من مغتصبي السلطة، بل انها وجهت الدعوة للمهاجرين والانصار للقيام بالثورة ضد الظلم والجور والتعدي الذي تعرض له اهل البيت عليهم واكدت على ضرورة مواجهة السلطة الظالمة المغتصبة لحقوق المسلمين بالقوة وهذا يمكن اعتباره بدايات التأسيس لجنبة الوقوف بوجه الحاكم الجائر.

الكلمات المفتاحية: السيدة الزهراء، المضامين السياسية، خطب

---

---

**Political implications of the sermons of Lady Al-Zahra  
(peace be upon her)**

**Dr. Mustafa Salem Hazem**

**Dr. Muhsin Toma Yousif**

**College of Arts – University of Basrah**

**Abstract**

In her famous sermons (Fadak, and on a group of the women of the Emigrants and the Ansar) the Lady al-Zahra (peace be upon her) clarified several lofty and influential contents, among which are the political ones that she referred to with a kind of focus and precision. (may God's prayers and peace be upon him and his family) in the establishment and establishment of the state, and also addressed the oppression of the Commander of the Faithful, Ali bin Abi Talib (peace be upon him).

And his entitlement to the succession of the Messenger of God (may God's prayers and peace be upon him and his family) and his ability to manage the affairs of Muslims religiously and politically, with what God Almighty has enabled him with qualities that are few in comparison among Muslims. Through the Qur'anic evidence and historical evidence that the Noble Messenger (may God bless him and his family and grant them peace) lived through, in addition to that, Lady Al-Zahra (peace be upon her) was able to prove through her speeches that the religious path cannot be isolated from the political path. The role of Lady al-Zahra, peace be upon her, was not limited to demonstrating the oppression of the Ahl al-Bayt and the position on the usurpers of power. Establishment of the side standing in the face of the unjust ruler.



## المقدمة

تعد الخطب التي القتها السيدة الزهراء (عليها السلام) سواء كانت الفدكية منها او التي القتها في جمع من نساء المهاجرين والانصار، من الخطب المهمة والمؤثرة التي ابدعت فيها السيدة الزهراء من حيث البلاغة والصياغة والبيان والبراعة في اختيار العبارة الدالة على العديد من الجنبات الدينية او الاجتماعية او الفكرية او السياسية، التي تضمنتها خطب السيدة الزهراء (عليها السلام) ، وهذا ما شجع الكثير من الباحثين والمفكرين على دراسة مضامين تلك الخطب واستلهاهم العبر والمواقف الصادقة التي أرادت السيدة الزهراء (عليها السلام) إيصالها للمجتمع الإسلامي، من أجل تصحيح كل المسارات الخاطئة التي سلكها المسلمون بعد وفاة النبي الاكرم محمد (صل الله عليه واله وسلم)، حينما استعانت بقوله تعالى ﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾<sup>(١)</sup>، اذن الزهراء (عليها السلام) حددت أوجه الانحرافات التي لحقت بالأمة من اللحظات الاولى التي أعقبت وفاة رسول الله (صل الله عليه واله وسلم)، واران أن تبين ان هناك مسارات صحيحة موصلة لمرضاة الله تعالى وتوفيقه وفيها محافظة على وحدة المسلمين بالمقابل هناك طرق تؤدي الى عكس ذلك.

لقد استطاعت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أن تعطي لكل جنبه من جنبات الخطب المباركة حقها في تناول الغرض الذي أرادت طرحه أمام المسلمين، فمن بين تلك الجنبات المهمة والمضامين البارزة في خطب الزهراء (عليها السلام)، هي المضامين السياسية التي طرحتها السيدة الزهراء (عليها السلام) وهذا ما سنتناوله في ثنايا البحث دون التطرق لبقية المضامين الاخرى.

إن ما سيتم تناوله في موضوع المضامين السياسية في خطب السيدة الزهراء (عليها السلام) كل ما يتعلق بمفاهيم رئيسية ترتبط بصورة خاصة بحياة المسلمين، من خلال دراسة الدور السياسي لرسول الله (صل الله عليه واله وسلم) وفعالياته السياسية، وحقوق الإمامة والخلافة والاحداث السياسية التي مرت على المسلمين والتي ستمر بهم في قابل الايام والسنين، وكذلك تسليط الضوء على واجبات المسلمين ومهامهم في نبذ الباطل والوقوف بوجه الظلم والدفاع عن

الحقوق الشرعية التي بينها الله تعالى في كتابه الكريم بقوله: ( ولا تتركوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من واليا ثم لا تتصرون) (٢).

المبحث الاول: الدور السياسي لرسول الله (صل الله عليه واله وسلم) في تأسيس الدولة والمؤامرات التي تعرض لها.

لقد مرت عموم الإنسانية وبالخصوص أهل مكة بمراحل حرجة في حياتهم العامة من سوء الاوضاع المتعلقة بالأحوال الدينية والمعيشية والاجتماعية وعدم الاستقرار وانعدام الأمن الذي يهدد السلم المجتمعي في مكة والمدن القريبة منها وهذا ما جاء في قول السيدة الزهراء (عليها السلام): ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مُدَقَّةَ الشَّارِبِ، وَنَهْرَةَ الطَّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلَانِ، وَمَوْطِئِ الْأَقْدَامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ الْوَرَقَ، أذَلَّةَ خَاسِيَيْنِ، تَخَافُونَ أَنْ يَخْتِطِفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ...﴾ (٣).

ان مجيئ الرسول الاكرم (صل الله عليه واله وسلم) بالرسالة السماوية قد قلب موازين المعادلة السائدة في زمانه والازمان الاخرى التي سبقت زمانه ، واصبح الوضع العام في مكة والمدن القريبة منها تشهد تطورا سريعا وملحوظا على مختلف الاصعدة سواء ما يتعلق بمظاهر الدين الجديد الذي خلق لهم الاستقرار الفكري والذهني المتعلق بطرق العبادة والمعتقدات التوحيدية (...فَرَأَى الْأُمَمَ فِرْقًا فِي أَدْيَانِهَا، عُكْفًا عَلَى نِيرَانِهَا، عَابِدَةً لِأَوْثَانِهَا، مُنْكَرَةً لِّلَّهِ مَعَ عِرْفَانِهَا، فَأَنَارَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ظُلْمَهَا، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهْمَهَا، وَجَلَّى عَنِ الْأَبْصَارِ غُمَّهَا، وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْهِدَايَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوَايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ الْعَمَايَةِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ...) (٤)، وانعكس هذا الحال على كل مفاصل حياتهم الدينية والاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية (٥)، فبعد ان كانوا مجرد اقوام وجماعات متفرقين متناحرين مستضعفين يأكل بعضهم خيرات بعض ليس لهم وزن أمام القوى الكبرى الموجودة في المحيط السياسي الاقليمي المتمثل بالإمبراطوريتين الفارسية والرومانية (٦)، ناهيك عن سيطرة بعض رجالات الديانات السماوية الاخرى ( اليهودية والنصرانية)، على المقدرات الفكرية والعقدية والاقتصادية لدى فئة كبيرة من العرب (٧)، ألا ان هذا الحال قد تغير الى حد كبير مع مجيئ نبي الرحمة ومنقذ البشرية من ظلام الجهل والتخلف والوثنية الى نور الايمان والعلم والامل والحياة

الحرّة الكريمة<sup>(٨)</sup> (...فَأَنْقَذَكُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالتِّي...)<sup>(٩)</sup>، هنا بينت السيدة مراحل التأسيس التي اعقبت عصور الظلام والجهل الذي عاشه العرب عامة وأهل مكة خاصة ، فقد أصبح لهم شان بين القبائل والامم بما من الله عليهم من الرفعة والمكانة والحضور، من خلال التحالفات التي اقامها الرسول الاكرم ( صل الله عليه واله وسلم) بينه وبين القبائل المجاورة وفي طليعتها قبائل الاوس والخزرج<sup>(١٠)</sup>، بالإضافة الى رسائل الدعوة التي بعثها رسول الله ( صل الله عليه واله وسلم) لملوك الفرس والروم ومصر يدعوهم فيها للإسلام<sup>(١١)</sup> ، يضاف الى ذلك المعارك الحربية التي أضطر رسول الله ( صل الله عليه واله وسلم) إلى خوضها من أجل نصرته الإسلام وتثبيت اركانه (...مائلًا عن مدرجة المشركين، ضاربًا ثبجهم، أخذًا بأكضامهم....حتى انهزم الجمع وولوا الدبر..)<sup>(١٢)</sup> .

#### - المؤامرات التي تعرض لها النبي (صل الله عليه واله وسلم)

ان لكل نجاح يحقق على أرض الواقع يرافقه حالة من عدم الارتياح والانزعاج لدى الاعداء الذين لا يتمنون أن يرو اعدائهم بالأمس أسيادهم اليوم، بفضل ما تحقق من انتصارات وفرض لمعتقدات ونبذ لمسلمات واهية عملوا على فرضها من أجل نيل مكاسب سياسية واقتصادية وغيرها من المكاسب الاخرى، وهذا ما حصل فعلاً مع رسول الله (صل الله عليه واله وسلم)، فبعد ان تمكن الرسول الاكرم محمد (صل الله عليه واله وسلم) من نشر دعوة السماء وفرض الاسلام بقوة الحجة والمنطق والبيان والادلة المقنعة المؤثرة كما جاء في خطبة الزهراء (عليها السلام): (داعياً الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة..)<sup>(١٣)</sup>، مستندة الى قوله تعالى: (ادعو الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن..)<sup>(١٤)</sup>.

ان كل النتائج التي تحققت في عصر رسول الله ( صل الله عليه واله وسلم) قد اغاضت اعداءه من قريش وبقية القبائل العربية المتحالفة معهم واليهود من جهة<sup>(١٥)</sup> ، وكذلك الروم من جهة اخرى<sup>(١٦)</sup> ، يضاف إلى ذلك أن هناك بعض الشخصيات التي لعبت دور بارز ومؤثر في اضعاف وحدة المسلمين وزعزعة ثقتهم برسول الله ( صل الله عليه واله وسلم)، من خلال التستر بإظهار الاسلام وكتمان الشرك والحقد والنفاق والتعاون مع الاعداء في الخفاء في سبيل إفشال أهداف الرسالة السماوية والنيل من النجاحات التي حققها الرسول الاكرم ( صل الله عليه واله وسلم) والمسلمين في نشر الاسلام ونشأة الدولة<sup>(١٧)</sup>، فقد بان ذلك بصورة واضحة وجلية من

خلال كثرة المحاولات التي قام بها اعداء الرسول<sup>(١٨)</sup> (صل الله عليه واله وسلم) ، سواء كانت سرية ام علنية في التخطيط لإجهاض التجربة الاسلامية الناجحة التي قلبت موازين القوة وافشلت مراهنات الاعداء في تكذيب النبي ( صل الله عليه واله وسلم)، من خلال التعاون ،الحاصل بين زعماء قريش المتمثلين بابي سفيان من جهة ، وبعض رجالات القبائل الاخرى التي اضر الاسلام بمصالحهم، والتحشيد لخلق تحالفات معادية للإسلام بصورة عامة وللرسول بصورة خاصة<sup>(١٩)</sup> ، ولم يكتف هؤلاء بسياسة الرفض والتأمر وانما خططوا للقيام بالتصفية الجسدية للرسول الاكرم ( صل الله عليه واله وسلم) وهذا ما حصل ليلة هجرة النبي (صل الله عليه واله وسلم) من مكة الى المدينة ، وكذلك التخطيط لشن الحروب على الاسلام بدءاً من معركة بدر في السنة ( ٢ هـ / ٦٢٣م) مروراً بكل المعارك التي خاضها المسلمون في أحد والاحزاب ( الخندق)<sup>(٢٠)</sup> وما بعدها من معارك الجلاء اليهودي<sup>(٢١)</sup> ومعركة حنين سنة (٨هـ / ٦٢٩م)<sup>(٢٢)</sup>.

فالزهراء (عليها السلام) قد اشارت الى هذه الجنبه من خطبها حين قالت: (.. وبعد ان مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب " كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله" أو نجم قرن للشيطان، وفغرت فاغرة من المشركين...)<sup>(٢٣)</sup>، فالسيدة الزهراء (عليها السلام) قد كشفت عن حجم المؤامرات التي تعرض لها النبي (صل الله عليه واله وسلم) وان تلك المؤامرات لم تتوقف او تتكفى طلية حياة النبي (صل الله عليه واله وسلم) منذ اللحظات الاولى لنشر الدعوة وحتى الايام الاواخر من حياته الشريفة.

الى جانب هذا فان السيدة الزهراء (عليها السلام) قد اشارت الى جزئية مهمة تتعلق بالجانب السياسي المتمثل بالمشاركات العسكرية عند بعض ممن عاصر النبي (صل الله عليه واله وسلم)، وصاحبه في اغلب حروبه التي خاضها، يلاحظ ان هناك شخصيات كانت لا تحبذ المشاركة في الحروب بصورة فعلية ولا تظهر بمظهر المسلم المدافع عن قيم الاسلام والجهاد في سبيل الله، وقد ظهرت عند بعضهم تصرفات يمكن ان تحسب على انها نوع من المؤامرة ضد جيش المسلمين حينما كانوا يفرون من ساحات القتال، حتى وان كان هذا الفرار يحسب على انه جبن ونقص في الشجاعة والمواجهة الا انه في الوقت نفسه يعد تشتيت لقوة المسلمين وزرع الفرقة بين صفوفهم لأن هذا الامر يصدر من شخصيات، تعد عند البعض من الشخصيات التي تحظى بمنزلة وتقدير، فكيف بمن يكون هذا وزنه وهذه منزلته ويظهر منه الفرار من الحرب

وترك ساحة القتال، الى جانب قيامهم بعمل الجاسوسية وتقصي اخبار النبي (صل الله عليه واله وسلم) من أجل ايجاد ثغرة يمكن النفاذ منها لأضعاف اواصر القوة عند المسلمين، وهذا ما بينته السيدة الزهراء (عليها السلام): (.. وتتوكفون الاخبار، وتتكصون عند النزال، وتفرون عن القتال..)<sup>(٢٤)</sup>، هنا يلاحظ ان السيدة الزهراء (عليها السلام) لم تقف عند حد معين في فضح نوايا القوم المنافقين الذين تظاهروا أمام المسلمين بشي واخفوا أشياء كثيرة فيها انتقاص لمقامهم وتستر على معائبهم، وأن حقيقة الفرار من سوح القتال يعد من أبرز الخيانات في العرف العسكري وتدخل ضمن التآمر السياسي<sup>(٢٥)</sup>، ناهيك كونه محرم في دستور الاسلام<sup>(٢٦)</sup>.

ان صوت الحقيقة الذي صدحت به السيدة الزهراء (عليها السلام) ظل منارة يضيء عتمة من تعمد اخفاء الحقائق وكاشفاً عن نوايا الآخرين في نكث العهود والمواثيق والانقلاب على الاعقاب.

### المبحث الثاني: أحقية أمير المؤمنين في تولي الخلافة

ان من بين الاسس المهمة والحساسة التي ركزت عليها السيدة الزهراء (عليها السلام) في خطبها، مسألة تولي أمير المؤمنين (عليه السلام) شؤون المسلمين خلفاً لرسول الله (صل الله عليه واله وسلم)، من خلال ما يتمتع به الامام (عليه السلام) من خصال كثيرة لم تتوفر عند أحد من المسلمين سوى رسول الله (صل الله عليه واله وسلم)، فقد ورد بخصوص بعض خصال علي (عليه السلام)، (...السبق الى الايمان، والهجرة، والنصرة لرسول الله "صلى الله عليه واله وسلم"، والقربى منه والقناعة وبذل النفس له، والعلم بالكتاب والتنزيل، والجهاد في سبيل الله، والورع، والزهد، والقضاء، والحكم، والفقهاء والعلم..)<sup>(٢٧)</sup> هذا من حيث الواقع، الا ان الشيء المهم الذي يجب الالتفات اليه هي مسألة الولاية والخلافة المنصوص عليها والتي وردت في سور عدة من القرآن الكريم، فقد ورد في قوله تعالى: (انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة ويأتون الزكاة وهم راكعون)<sup>(٢٨)</sup>، وكذلك قوله تعالى لرسوله الكريم (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين)<sup>(٢٩)</sup>، وهذه إشارة إلى ما حصل من أمر بُلغ فيه رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) عن طريق جبريل (عليه السلام) بضرورة تبليغ المسلمين بإمامة أمير المؤمنين (عليه

السلام) في غدير خم<sup>(٣٠)</sup> ، وهذا شذرات قليلة من الآيات الكثيرة التي تحدثت عن أحقية الامام علي (عليه السلام) في تولي الخلافة<sup>(٣١)</sup>، هذا من جانب، ومن جانب آخر أن عموم المسلمين كانوا على علم ودراية بمن سيتولى منصب الخلافة بعد رسول الله (صل الله عليه واله وسلم)، إلا أن هناك عملية مدبرة قد خطط لها في الخفاء وأتخذ في سبيل نجاحها عدة تدابير كي يتم من خلالها تحقيق الغاية المنشودة وهو إبعاد الخلافة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وتتصيب من هو غير مؤهل لهذه المهمة ولا يمكن مقارنته بأمر المؤمنين (عليه السلام) كما جاء في بعض المقاطع من خطب الزهراء (عليها السلام)، إلا أن الأمر الذي خطط له قد حصل بعد وفاة النبي (صل الله عليه واله وسلم) في سقيفة بني ساعدة<sup>(٣٢)</sup>.

إن السيدة الزهراء (عليها السلام) عملت جاهدة على التعامل بروح الإصرار مع الأحداث المصيرية التي تمر بها الأمة بعد وفاة بعد النبي الأكرم (صل الله عليه واله وسلم)، لذلك يلاحظ من خلال خطب السيدة الزهراء (عليها السلام) أنها ركزت على أحقية أمير المؤمنين (عليه السلام) في خلافة رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) سياسياً ودينياً، استناداً لقول رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) (أست أولى بالمسلمين من انفسهم.. من كنت مولاه فهذا علي مولاه)<sup>(٣٣)</sup>، فدلالة مفردة (مولاه) تعني إنه أولى بالمسلمين من انفسهم، لأن المشهور في قول العرب (.. أن الرجل إذا قال لرجل: إنك أولى بي من نفسي، فقد جعله مطاعاً أمر عليه، ولا يجوز أن يعصيه..)<sup>(٣٤)</sup>، لذا فإن الزهراء (عليها السلام) تناولت مسألة الإمامة المتمثلة في تولي الخلافة من منظور سياسي، يضاف إلى ذلك أن إصرار الزهراء (عليها السلام) على أحقية أمير المؤمنين (عليه السلام) في تولي الخلافة لم يك وراءه أغراض خاصة وإنما خوفاً على الاسلام والمسلمين لما سيحصل لهم من مصاعب في حال إبعاد الإمام (عليه السلام) عن الخلافة وهذا ما سأنترق إليه لاحقاً.

ان السيدة الزهراء (عليها السلام) حينما ذكرت موضوع الإمامة في ثنايا خطبها فقد سلطت الضوء على حجم استقرار النظام بصورة العامة اذا ما التزمت الامة بطاعة آل البيت (عليهم السلام) حينما قالت: (وطاعتنا نظاماً للملة.. وامامتنا اماناً من الفرقة)<sup>(٣٥)</sup> ، لان الامامة في مفهومها العام كما جاء في قول الامام الرضا عليه السلام (.. ان الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين...)<sup>(٣٦)</sup> وهناك أمر اخر غاية في الاهمية تضمنه

خطاب السيدة الزهراء (عليها السلام) يعد من المضامين السياسية المهمة التي يمكن الالتفات إليها، وهو المقارنة العامة في المواقف والصفات بين أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين مغتصبي السلطة، فقد جاء بهذا الخصوص ( ... كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطَانِ، وَفَعَرَتْ فَاعِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا، فَلَا يَنْكِفِي حَتَّى يَطَّأ صِمَاحَهَا بِأَحْمَصِهِ، وَيُحْمَدَ لَهَبَهَا بِسِنْفِهِ، مَكْدُودًا فِي ذَاتِ اللَّهِ، مُجْتَهَدًا فِي أَمْرِ اللَّهِ، قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ سَيِّدِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، مُشْمِرًا نَاصِحًا ، مُجِدًّا كَادِحًا وَأَنْتُمْ فِي رَفَاهِيَةِ مَنْ الْعَيْشِ، وَادْعُونَ فَاكِهِونَ آمِنُونَ..)<sup>(٣٧)</sup>، وهذه المقارنة طرحت من اجل تبين انحرافات الأمة أولاً، وثانياً من أجل أن تسهل هذه المقارنة على المسلمين في عصر الزهراء (عليها السلام) والعصور اللاحقة لها في سبيل حسن اختيار الشخصيات التي تتولى السلطة، وتكون عند قدر المسؤولية، فقد قالت (عليها السلام): (.. وَ إِنْ تَعَجَّبَ وَ قَدْ أَعْجَبَكَ الْحَادِثُ، إِلَى أَيِّ سِنَادٍ اسْتَنْدُوا وَ بِأَيَّةِ عُرْوَةٍ تَمَسَّكُوا ، اسْتَبَدُّوا الذُّنَابِيَّ وَ اللَّهُ بِالْقَوَادِمِ ، وَ الْعَجَزَ بِالْكَاهِلِ....)<sup>(٣٨)</sup> ، فقد ورد أن السيدة الزهراء (عليها السلام) قصدت من قولها (استبدلوا الذنابي...بالقوادم، والعجز بالكاهل)، أن القوم استبدلوا من هم في عليين ومن هم في طليعة القوم والقرب من الله تعالى، بمن هم دون ذلك، أي السوقة من الناس والاتباع الذين دون قوادم، وكذلك الحال ينطبق على الكاهل الذي يكون عمدة القوم في المهمات وعدتهم للشدائد والملمات<sup>(٣٩)</sup>، فهنا يلاحظ إشارة الزهراء (عليها السلام) للمسلمين بضرورة إجراء عملية تمحيص وتدقيق جدي يتمحور حول اختيار الشخصية التي تكون على رأس الهرم السياسي للدولة.

أن صورة المقارنة التي رسمتها السيدة الزهراء (عليها السلام) في الانحراف الذي سلكته الأمة في اختيار الخليفة، استندت فيه الى نفس الجنبه التي وردت في القران الكريم حينما عرض الحوار الذي دار بين النبي موسى (عليه السلام) وبين بني اسرائيل حينما طالبوه ان يسأل الله تعالى أن ينزل عليهم أطعمة تعودوا على تناولها ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾<sup>(٤٠)</sup> ، بعد أن من الله عليهم بأذن واشهى واطيب الاطعمة ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ..﴾<sup>(٤١)</sup>، إلا أنهم ارادوا خلاف ذلك فكانت النتيجة، قوله تعالى: ﴿...أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَصُرِبْتُمْ عَلَيْهِنَّ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا

بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ<sup>(٤٢)</sup>، ويمكن اعتبار هذه الآية تقريب لحالة الأمة حينما اختارت الأدنى من الرجال على من هو خير، وهذا أشبه بحال بني اسرائيل حينما استبدلوا ما هو خير بالذي هو ادنى، ويمكن التأمل في استقرار للمحصلة النهائية التي ستصل إليها الأمة لحالة الخسران نتيجة لهذا الاختيار مقارنة لحال بني اسرائيل، فالزهراء (عليه السلام)، قد أعطت خياراً مميز في الصلاح ورفاه الامة لو أنهم رضوا بما اختاره الله تعالى ورسوله (صل الله عليه واله وسلم)، والذي سيحكم المسلمين من بعد الرسول الاكرم (صل الله عليه واله وسلم)، وهذا ما صرحت به أمام جمع من نساء المهاجرين والأنصار (..وَاللَّهِ لَوْ تَكَافَأُوا عَنْ زِمَامِ نَبِيِّهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَأَعْتَلَقَهُ وَلَسَارَ بِهِمْ سَيْرًا سُجْحًا لَا يَكْلُمُ خِشَاشُهُ وَلَا يَتَعَنَّعُ رَاكِبُهُ، وَ لَأَوْرَدَهُمْ مَنَهْلًا نَمِيرًا فَضْفَاضًا تَطْفُحُ ضِبَقَاتُهُ، وَ لَأَصْدَرَهُمْ بَطَانًا قَدْ تَخَيَّرَ لَهُمُ الرِّيَّ غَيْرَ مُنْحَلٍ مِنْهُ بِطَائِلٍ إِلَّا بِغَمْرِ الْمَاءِ وَ رُدْعِهِ سَوْرَةَ السَّاعِبِ، وَ لَفْتِحَتْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتُ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ)<sup>(٤٣)</sup>.

#### ـ الانقلاب في المواقف (نكت العهد)

ان من بين الامور التي تعد من بواطن الانقلاب التي حصل في سقيفة بني ساعدة، ونتج عنه حصول استيلاء على الخلافة من قبل ابو بكر ومن اعانه، وهذا يعد نكت للعهد الذي أبرمه رسول الله صل الله عليه واله وسلم مع المسلمين بخصوص خلافة امير المؤمنين (عليه السلام) في غدير خم<sup>(٤٤)</sup>، والتنصل من كل ما عاهدوا الله عليه في الامتثال لأوامر النبي (صل الله عليه واله وسلم) في التمسك بأحد الثقلين ( اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ال البيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا)<sup>(٤٥)</sup>.

ان المتمعن في خطب السيدة الزهراء عليها السلام يستشعر ان السيدة (عليها السلام) ارادت ايصال رسالة مفادها ان نوايا القوم في ابعاد امير المؤمنين (عليه السلام) عن الخلافة معروفة ومسجلة عندها وعند امير المؤمنين كونهم من خط واحد ، وان المخطط الذي يسعى اليه مغتصبو الخلافة قد بانته خطوته لدى آل بيت محمد (علي والزهراء) عليهم السلام، لان اولئك لا يحبذوا ان تستقيم العملية السياسية التي اوجدها النبي (صل الله عليه واله وسلم) والتي سيكون لأمير المؤمنين (عليه السلام) دور في استكمال مسيرتها.



وهناك عدة مضامين سياسية متعلقة في جزئية نكت العهد الذي قطعه ثلة من المسلمين بعد وفاة النبي الاكرم (صل الله عليه واله وسلم) اوردها السيدة الزهراء (عليها السلام) واعطت الاسباب المباشرة التي دفعتهم لانتهاج ذلك الموقف، فكان من بين تلك الاسباب قوة شخصيته (عليه السلام) وحضوره وذوبانه في حب الله تعالى وتطبيق شرعه وما سيحققه من مساواة وعدل بين جميع المسلمين دون تمييز وانحياز، والظاهر ان لمواقف امير المؤمنين (عليه السلام) في حروب الدعوة الاسلامية وما نتج عنها كان جانب سلبي عند الكثيرين الذي تضرروا من وراء سيف علي (عليه السلام)، واعتقد ان الزهراء (عليها السلام) قد اتخذت من رمزية السيف إشارة الى قوة السلطة التي سيعمل بها علي (عليه السلام) على جميع الاصعدة، ولاوجود للانحياز في مفهومه السياسي، هذا من جانب، ومن جانب اخر ربما ارادت الزهراء (عليها السلام) ان تعطي سبب خالد في نفوس الكثير ممن دخل الاسلام، وهو أن ما جرى للكفار والمشركين من أقربائهم او من هم في خاصتهم جراء المعارك التي خاضها النبي (صل الله عليه واله وسلم) وكان لسيف علي بن ابي طالب (عليه السلام) الحكم الفصل في التخلص من هؤلاء الاعداء الذين تربصوا برسول الله المكاييد والمعضلات ومحاولتهم افشال المشروع السماوي الرامي الى تحقيق نصر الله والفتح وإعلاء كلمة التوحيد، فقد ورد في خطبتها المباركة (..وَمَا تَقْمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ، تَقْمُوا وَاللَّهِ مِنْهُ نَكِيرٌ سَيِّفِهِ، وَشِدَّةٌ وَطْئِهِ، وَنِكَالٌ وَقَعْتِهِ، وَتَتْمُرِهِ فِي دَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ..)، ويبدو ان الزهراء (عليها السلام) ارادت من وراء التطرق لجزئية سيف علي (عليه السلام) ودوره في ابعاد الخلافة عنه، ان تفضح القوم ومن يقف وراء ذلك المشروع وهم بنو أمية بصورة عامة وآل ابي سفيان بصورة خاصة، وهذا السبب، على ما يبدو، قريب من الحقيقة بدليل طبيعة العلاقة وتطورها التي ستحدث بين ابي بكر وعمر من جهة وبين ابي سفيان وابناءه من جهة اخرى، حتى وصل الحال ان قلد ابا بكر يزيد بن ابي سفيان<sup>(٤٦)</sup> قيادة الجيش المتجه لفتح الشام سنة ( ١٤هـ / ٦٣٥ م) وكانت هذه البادية الاولى لتولي ابناء ابي سفيان المناصب العليا في الدولة.

ويمكن إضافة دليل اخر يؤيد ان هؤلاء قد نكثوا العهود والمواثيق حينما لم يبايعوا امير المؤمنين (عليه السلام) وان هذا النكث ان لم يك نكث لقضية الخلافة وحدها او لشخص عليا (عليه السلام) فقط وانما يعد ذلك نقض لبيعة رسول الله (صل الله عليه واله) بالنبوة لان الزهراء

(عليها السلام) ارادت ان تحذرهم وتنبههم الى ان النقض لأمر الخلافة مرتبط بأمر النبوة لأنها الامتداد لها، وهذا ما جاء في الخطبة (... ويجهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة، ومهبط الوحي الامين، والطّبين بأمر الدنيا والدين..)<sup>(٤٧)</sup>.

#### - القراءة المسبقة للأحداث التاريخية ( الفتن )

ان معرفة معطيات الاحداث المعاصرة لأي عملية سواء كانت سياسية ام اقتصادية ام اجتماعية ام دينية او غيرها من نواحي الحياة الاخرى ، ايجابية كانت أم سلبية، تعطي تصوراً أو انطباعاً واضحاً عن نتيجة المخرجات الحتمية لتلك العملية، وتساهم بشكل واضح في قراءة الاحداث اللاحقة والمستقبلية لزمان وقوع تلك الاحداث ، فالزهراء (عليها السلام) وهي بنت مدينة العلم وحليلة باب تلك المدينة حري بها ان يكون لديها حدس و يقين ثابت وقراءة مستقبلية لمجمل الاحداث التي ربما ستمر بها الامة اعتماداً على طبيعة المواقف والآراء التي يتم فرضها والتعامل بها من قبل الباحثين عن السلطة واعتبارها من الضروريات الواجب تبنيتها.

فالحجج التي تذرع بها ابو بكر ومن كان إلى جانبه في تلك المؤامرة، هو الخوف والحرص على الاسلام والمسلمين من وقوع الفتنة والانشقاق والتحزب بين المسلمين وهذا الذي دفعه للقيام بهذا الامر، واعتباره خليفة لرسول الله (صل الله عليه واله وسلم) والمؤمن على كل ما جاء به النبي الخاتم (صل الله عليه واله وسلم)، فالسيدة الزهراء (عليها السلام) لم تترك حجة او ذريعة تذرع بها مغتصبو الخلافة الا وتطرقت لها وحللتها وكشفت بطلان دعواتهم لها، فكان من بين تلك الدعاوى مسالة الخوف من حدوث الفتنة التي ستحصل بعد وفاة النبي(صل الله عليه واله وسلم)، فمن خلال خطاب السيدة الزهراء (عليها السلام) الذي تناول هذه الجنبه يمكن تلمس الكثير من الامور التي تعطي تصور عالي لأعلمية الزهراء (عليها السلام) ونظرتها الثاقبة في قراءة الاحداث وتعطي أدلة دامغة من اجل كشف كل أكاذيب القوم، وتحذر المسلمين من عواقب وقوفهم وراء هكذا ادعاءات، فقد جاء بهذا الخصوص (.. وَأَطْمِئِنُّوا لِلْفِتْنَةِ جَاشَأً..)<sup>(٤٨)</sup> ، اي انهم تيقنوا وجعلوا قلوبهم مطمئنة لنزول الفتنة<sup>(٤٩)</sup> ، وهنا يمكن ان نطرح تسأل، ما هو الدليل الذي استند عليه ابو بكر واصحابه لحدوث الفتنة بين المسلمين بعد وفاة النبي ( صل الله عليه واله وسلم) ، ولو كان توليه الخلافة بعد وفاة النبي (صل الله عليه وآله ) لمنع الفتنة، فلماذا حصلت الفتن بعد توليه الخلافة كالحروب التي قام بها والتي عرفت تاريخياً بحروب (الردة)<sup>(٥٠)</sup>.

ومعنى قول الزهراء (عليها السلام) ان الفتنة التي اراد ابو بكر واصحابه التحذير منها بعد وفاة النبي (صل الله عليه واله وسلم)، لم تكن هي الفتنة التي استقرأتها الزهراء (عليها السلام)، فهي رأت أنها بداية الفتن التي ستعصف بالإسلام نتيجة لاغتصاب الخلافة، وان هناك احداث وويلات ستمر بها الامة الاسلامية، فقد جاء في قولها: (...وَأَبْشُرُوا بِسَيْفِ صَارِمٍ وَهَرَجٍ شَامِلٍ وَاسْتِبْدَادِ مِنَ الظَّالِمِينَ يَدْعُ فَيْئَكُمْ زَهِيداً وَ زَرَعَكُمْ حَصِيداً...) (٥١).

ان المتتبع للأحداث التاريخية التي عصفت بالامة الاسلامية بعد وفاة النبي الاكرم (صل الله عليه واله وسلم)، بدأ من احداث ما عرف تاريخيا بـ(حروب الردة)، حينما اعترض العديد من المسلمين على تولي ابو بكر الخلافة، لأنه قد حصل بخلاف ما اسس له النبي (صل الله عليه واله وسلم)، لذلك اخذت الماكنة الاعلامية توصف تلك الحروب بأنها موجّهة ضد من رجع للشرك بعد وفاة النبي (صل الله عليه واله)، اي انه ارتد عن الاسلام (٥٢).

يضاف الى ذلك ان الاحداث التي لحقت بالإسلام من قتل واضطرابات وجور من قبل الحكام والتعدي على الحقوق ومصادرة الاموال، وغيرها من الظواهر السلبية، قد قرأتها الزهراء قبل حين وقدرت حصولها نتيجة لعملية الاختيار الخاطيء الذي مارسه المسلمون، ولم يك هذا تنبأ أو رمي من وحي الخيال، وإنما هي قراءة مستقبلية للأحداث المأساوية، فالتمتعن في مفردات هذا المقطع من الخطبة التي لقتها السيدة الزهراء (عليها السلام) في جمع من نساء المهاجرين والانصار، يرى ان الزهراء (عليها السلام) أعطت لكل مفردة ذكرتها قبالة حدث تاريخي سيصيب المسلمين، فلو التفقتنا الى ذلك واجرينا ربط بين كل مفردة وبين الحدث التاريخي سنلاحظ فعلا ان هناك قراءة دقيقة جدا لمجمل ما سيحص في قابل السنون والايام، فقولها: .. ابشروا بسيف صارم..)، كناية عن الحروب التي ستقع ويذهب ضحيتها أرواح بريئة وان مغتصبي الخلافة وطلاب السلطة سيفرضون سلطتهم بقوة السيف، وان مسالة مبايعة الخليفة لا تتم الا بالقوة، وهناك الكثير من الشواهد التاريخية تؤيد هذا الطرح ، على سبيل المثال لا الحصر مقتل مالك بن نويرة (٥٣) ، والحروب التي قام بها بنو امية في معركة الطف والحرّة الفوضى التي حدثت في المدينة وضرب الكعبة، ومن جانب اخر ذكرت السيدة الزهراء (..) واستبداد من الظالمين يدع فَيْئَكُمْ زَهِيداً وَ زَرَعَكُمْ حَصِيداً ..)، والاستبداد، هو الانفراد بالأمر قولاً وفعلاً (٥٤) ، واستبَدَّ فلان بكذا أي انفرد به (٥٥) وفي حديث لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه

(السلام): (كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً فاستبددتم علينا).<sup>(٥٦)</sup>، وقد حدد احد الباحثين<sup>(٥٧)</sup> طبيعة الحكم الاستبدادي بعدة نقاط هي:

١ - عدم اعتراف الحاكم بأصالة الأمة ووجودها، واعتبارها سلعة بيده يتصرف في أرواحها حيثما يشاء .

٢ - تسخير الرعية لأغراضه الخاصة التي لا تمت بصلة لصالحها، ولا تحقق أهدافها.

٣ - التنكيل بالأحرار الذين يأبون الخضوع للظلم والجور وذلك بزجهم إلى السجون وسوقهم إلى ساحات الإعدام ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم

٤ - التصرف بأموال الأمة وإمكانياتها الاقتصادية كما يتصرف الملاك في أملاكهم.

فالمراقب للأحداث التاريخية سيلاحظ ان ما جرى فعلاً مع الحكام الذين حكموا المسلمين في فترات متلاحقة من التاريخ هو ما توقعته السيدة الزهراء ( عليها السلام)، وخير مثال ما فعله سعيد بن العاص<sup>(٥٨)</sup> والي العراق ايام عثمان بن عفان حينما قال: (.. السواد بستان قريش فما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركنا..)<sup>(٥٩)</sup>، وكذلك قول معاوية بن ابي سفيان (..الأرض لله ، وانا خليفة الله ، فما آخذ من مال الله فهو لي ، وما تركت منه كان جائزاً لي..)<sup>(٦٠)</sup> ، ومن صور الظلم والاستبداد ما تعامل به معاوية مع اهل المدينة حينما شدد عليهم الحصار جراء امتناعهم عن مبايعة ولده يزيد بولاية العهد حتى وصلت بهم الحالة المعاشية الى اقصى حالاتها<sup>(٦١)</sup>، وهناك العديد من الشواهد التاريخية التي تستعرض صور الظلم والاستبداد الذي لحق بالأمة نتيجة لممارسات الحكام الجائرين.

### المبحث الثالث: التأسيس لمبدأ الوقوف بوجه الحاكم الجائر

تعد السيدة الزهراء ( عليها السلام) من اولى الطلائع التي وقفت بوجه الحاكم بعد وفاة رسول الله (صل الله عليه واله وسلم)، حينما خاطبت ابو بكر في خطبتها المشهورة ( خطبة فدك)، متحدىً سياسته الرامية الى تحجيم مواقف آل البيت (عليهم السلام)، فهي لم تترك شيء يمس الواقع الأنبي والمستقبلي الا سلطت الضوء عليه من أجل اللقاء الحجة على المسلمين بصورة عامة وعلى الحاكم بصورة خاصة، وذكرتهم بكل العهود والمواثيق التي بيّنها رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) في مناسبات عدة، من بينها أحقية آل البيت (عليهم السلام) في

الحكم والخلافة، وكذلك بيّن منزلتهم ومكانتهم منه كونهم أولي قربي من رسول الله (صل الله عليه واله وسلم)، فطاعتهم ومودتهم من الثوابت الشرعية الملزمة كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا اسألكم عليه من أجر إلا المودة في القربى﴾<sup>(٦٢)</sup>، فعلى الرغم من ان السيدة الزهراء (عليها السلام) قد اوجزت معظم المضامين السياسية المتعلقة بتولي الخلافة وأحققتها بشخص أمير المؤمنين (عليه السلام) وحققها في ميراث أبيها رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) فإنها لم تغفل عن شيء مهم ومتمم لأغلب المضامين السياسية التي طرحتها، ألا وهو الثورة ضد الحاكم المغتصب لحقوق المسلمين، وقد اعتبرت السيدة الزهراء (عليها السلام) ان من واجبات المسلمين الوقوف بحزم مع أصحاب الحقوق المسلوقة وإجبار الحاكم الجائر على العدول عن قراراته وممارساته الخاطئة.

لقد وجهت السيدة الزهراء (عليها السلام) خطابها التحشيدي تحديداً لفئتين مهمتين ممن حضر مجلس ابي بكر هم طبقة الشباب ( الفتية) وجماعة الانصار باعتبارهم أهل الدار ولهم ثقلهم في المجتمع المدني، فقولها (عليها السلام): (..يا معاشر الفتية، واعضاد الملة..)<sup>(٦٣)</sup>، خاطبت به شباب المسلمين باعتبارهم الطبقة التي يمكن الاعتماد عليها في القيام بالثورة بشكلها المسلح لأنها وصفتهم في الوقت نفسه ب(أعضاء الملة)، والعضد، الناصر والمعين<sup>(٦٤)</sup>، اي ان السيدة الزهراء (عليها السلام) قد خصت هذه الطبقة بمهمة تقديم النصرة والمعونة على اعتبارهم ممن ناصر الاسلام وقدم العون لرسول الله (صل الله عليه واله وسلم) في نشر الدعوة الاسلامية، ولان الشباب هم من تقع عليهم مسؤولية بناء الدولة وديمومة مستقبلها، لأنهم يمتلكون كل مقومات القيام بالثورة كما جاء بقولها (..ولكم طاقة بما احاول وقوة على ما اطلب وازول..)<sup>(٦٥)</sup>، وهذا يعني ان الزهراء (عليها السلام) عارفة متيقنة من انقلاب المعادلة السياسية لصالح اصحاب الحق الشرعي المتمثل بال البيت (عليهم السلام)، هذا من جانب، ومن جانب اخر ان السيدة الزهراء (عليها السلام) وجهت نداء او دعوة اخرى الى مجموع الانصار بقولها (..أيها بني قيلة..)، وقيل ان معنى قيلة هي ام القبيلتين الاوس والخزرج<sup>(٦٦)</sup>، اي ان مساحة الدعوة في هذا الخطاب قد اتسعت لتشمل جميع الاوس والخزرج (الانصار) الذين كانت لهم مواقف بطولية خالدة في ذاكرة جميع المسلمين في نصرة رسول الله (صل الله عليه واله وسلم)، وذكرتهم بانهم يشكلون رقماً صعباً في ميزان القوة بين سائر المسلمين عموماً وداخل

المدينة تحديداً لأنهم يمتلكون المال والعدد والسلاح (.. وانتم ذوو العدد والعدة والاداة وعندكم السلاح ..) (٦٧) ، وهذه الاشياء تعد من مقومات انجاح الثورة، فخطاب الزهراء (عليها السلام)، هو اشبه ما يكون بالخطاب التحفيزي والمشجع لتقديم النصر ونبذ الظلم وممارسة فعلية لمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، غير ان هذا لا يعني ان الزهراء (عليها السلام) كانت ترمي من وراء ذلك قيام الحرب بين المسلمين واخذ الحق بمنطق القوة والسيف، ولكن من اجل ترهيب الحاكم وإظهار القوة كمرحلة تالية لمرحلة الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتالي هي احسن، وهذا ماجاء في قوله تعالى ( واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخليل ترهبون به عدو الله وعدوكم) (٦٨) ، فعلى الرغم من معرفة الزهراء (عليها السلام) موقف الانصار، وبصورة خاصة والمسلمين بصورة عامة، المتخاذل في نصرة الحق إلا أنها ارادت غرس بذرة الدعوة للوقوف بوجهة الحاكم الجائر الغاصب للحقوق الشرعية والذي يحكم الامة من غير ان يكون مؤهل لذلك وهذا ما استشهدت به السيدة الزهراء من قوله تعالى: ( أفمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أمن لا يهدي إلا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون) (٦٩) .

اذن من هذا الخطاب الموجه يمكن ان نربط بين البذرة الاولى التي بذرتها السيدة الزهراء (عليها السلام) وبين عشاق الحرية واصحاب الاصوات الصادحة بطلب الحق والوقوف بوجه السلطان الجائر، لذا اعتقد ان نتاج هذه البذرة تمخض عن قيام ثورة الامام الحسين (عليه السلام) وكل المواقف البطولية لجميع الشخصيات التي وقفت بوجه السلطة سواء كانت بالكلمة الخالدة ام بحد السيف، لذا فأنا امام موقف حازم وضعت اسسه السيدة الزهراء (عليها السلام) وهو بناء فكري لا بد من القيام والايمان به في سبيل ايقاف الظلم وعدم السماح للمتسلطين في التوغل والخوض بمصير المسلمين من دون رادع. اذن يمكن القول ان الزهراء (عليها السلام) لم تك دعوتها تلك تخص فترة زمنية محدد او بشخص بعينه، وانما ارادت من وراء هذا القصد ان تأسس لفكرة ان الحقوق اذا لم تعطى تأخذ بوسائل عدة بينها الزهراء (عليها السلام)، وعلى الرغم من ان دعوات السيدة الزهراء (عليها السلام) لاستنهاض المسلمين الذين وجهت اليهم الدعوة والنداء لم تأتي بنتائج مرجوة وساهمت في الوقت نفسه في تزمّت الحاكم والتمسك بموقفه، الا انها تركت اثرا في ذاكرة الاجيال عن كيفية التآسي واخذ العبر والسير على طريق المعصوم في استحصال الحقوق ومواجهة الحاكم الجائر المغتصب لحقوق المسلمين.

## الخاتمة

ان السيدة الزهراء (عليها السلام) لم تترك جانب من جوانب تبيان الحقائق التاريخية والفقهية التي أراد القوم اخفائها عن الأمة، الا وبينته من أجل أن يطلع المسلمين على خطط مخالفي أهل البيت (عليهم السلام) ونواياهم في قابل الايام في وأد مشروع الإمامة.

أن المضامين المهمة التي تناولتها السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) كان لها دور مهم في تغيير مفاهيم شريحة واسعة من المسلمين في قضية السقيفة وما نتج عنها، يضاف إلى ذلك أن دور السيدة الزهراء (عليها السلام) كان مساند لموقف أمير المؤمنين (عليه السلام) في مسألة البيعة وتبيان من هو أحق بتولي خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلال التعريف بمواقف الإمام علي (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بصورة خاصة والاسلام بصورة عامة وبطولاته في الدفاع عن مبادئ الإسلام ، ومن جانب آخر ان السيدة الزهراء (عليها السلام) قد فتحت باب مواجهة السلطة الجائرة بصورة علنية واسست لبقية المسلمين كيفية مواجهة معتصب السلطة والدفاع عن حقوق أهل البيت (عليهم السلام) كونهم خير من يمثل المشروع الإلهي في خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وامتداد ذلك في امامة اهل البيت (عليهم السلام).

أن السيدة الزهراء (عليها السلام) ومن خلال خطبتها، قد استخدمت اكثر من وسيلة في المطالبة بحقوقها وفضح مخططات الاعداء. من خلال إدخال نساء المسلمين كي يكونوا شاهد على مواقف أزواجهم المتخاذل تجاه قضية الخلافة وحقوق الزهراء (عليها السلام) المغتصبة.

## الهوامش:

(١) سورة ال عمران، الآية(١٦٦)

(٢) سورة هود، الآية (١١٢)

(٣) القاضي النعمان، شرح الاخبار، ج٣، ص٣٥

(٤) الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص١٣٣

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٣٦-١٣٧؛ احمد شلبي، مقارنة الاديان - الاسلام - ص٤٧

- (٦) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ص ١٥٠؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ١٥٨-١٦٢، ج ٤، ص ١٥٨-١٦٢
- (٧) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٦، ٥١٣-٥١٧، ٥٨٤-٥٨٩
- (٨) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٣٩-٤١
- (٩) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ١٣
- (١٠) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٤٩
- (١١) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ١، ص ١٥٠
- (١٢) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ١٣
- (١٣) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ٣٥
- (١٤) سورة النحل، الآية (١٢٥)
- (١٥) البلاذري، انساب الاشراف، ج ١، ص ٣٤٣-٣٤٤؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٥٠
- (١٦) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٣١٩
- (١٧) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٩٥
- (١٨) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ٦٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥، ص ٢٥
- (١٩) البلاذري، انساب الاشراف، ج ١، ص ٣٤٥
- (٢٠) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٥٣
- (٢١) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٢٢٣-٢٢٦
- (٢٢) ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ص ١٦٤
- (٢٣) القاضي النعمان، شرح الاخبار، ج ٣، ص ٣٥
- (٢٤) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ١٣٦
- (٢٥) المادة الخامسة، اولاً من قانون العقوبات العسكرية العراقية رقم ١٩ لسنة ٢٠٠٧، جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٠٤٠، لسنة ٢٠٠٧
- (٢٦) محمد باقر الصدر، فدك في التاريخ، ص ١٢٤؛ جهاد سالم الشرفات، الهروب من ساحة المعركة واثاره في الفقه الاسلامي، ص ١٣٦-١٣٩
- (٢٧) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٢٥
- (٢٨) سورة المائدة، الآية (٥٥)
- (٢٩) سورة المائدة، الآية (٧٦)
- (٣٠) ابن طاووس، الاقبال بالأعمال الحسنة، ج ٢، ص ٢٤٤
- (٣١) سورة آل عمران، الآية (٦١)؛ سورة التوبة، الآية (١٩)



- (٣٢) الكليني، الكافي، ج ٨، ص ٣٤٢-٣٤٣؛ ابن حمدون، التتكرة الحمدونية، ج ٨، ص ٢٩
- (٣٣) بن حنبل، مسند احمد، ج ١، ص ١١٩؛ الصدوق، الهداية، ص ١٥٢
- (٣٤) الصدوق، الهداية، ج ٢، ص ١٥٢
- (٣٥) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ١٦
- (٣٦) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٠٠
- (٣٧) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ١٨
- (٣٨) الصدوق، معاني الاخبار، ص ٣٥٥
- (٣٩) المجلسي، الزهراء وخطبة فدك، ص ٢٠٢
- (٤٠) سورة البقرة، الآية (٦١)
- (٤١) سورة البقرة، الآية (٥٧)
- (٤٢) سورة البقرة، الآية (٦٠)
- (٤٣) الطبري (الشيوعي)، دلائل الامامة، ص ١٢٧
- (٤٤) الطوسي، الرسائل العشر، ص ١٣٣
- (٤٥) الطبراني، المجمع الاوسط، ج ٣، ص ٣٧٤؛ ابن سعيد الحلبي، الجامع للشرايع، ص ٣
- (٤٦) يزيد بن صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس الاموي، ويكنى ابا خالد، وشهد وقعة اليرموك، ولاه ابو بكر ربيع جند الشام، توفي في طاعون عمواس زمن عمر بن الخطاب، سنة (١٨هـ)، ينظر، ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٥، ص ٢٣٩-٢٤٠
- (٤٧) الصدوق، معاني الاخبار، ص ٣٥٥
- (٤٨) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ٢٠
- (٤٩) المجلسي، الزهراء وخطبة فدك، ص ٢٠٤
- (٥٠) ابن شبه النميري، تاريخ المدينة، ج ١، ص ١٤
- (٥١) الطوسي، الأمالي، ص ٣٧٦
- (٥٢) البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ص ١٠٦
- (٥٣) مالك بن نويرة بن حمزة بن شداد من بني يربوع من تميم، يعد من زعماء قومه، وهو من المسلمين الاوائل استعمله النبي (صل الله عليه واله) على صدقات بني تميم، قتله خالد بن الوليد عنوة وخلف على زوجته في اليوم نفسه، للمزيد ينظر: ابن الاثير، اسد الغابة، ج ٤، ص ٢٩٥
- (٥٤) الفراهيدي، العين، ج ٨، ص ١٤
- (٥٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٨١
- (٥٦) الاربلي، كشف الغمة في معرفة الائمة، ج ٢، ص ١٠٣

(<sup>٥٧</sup>) باقر شريف القرشي، النظام السياسي في الاسلام، ص ٨٦

(<sup>٥٨</sup>) سعيد بن العاص ابن ابي احيحة بن امية بن عبد شمس الاموي، قلد ولاية الكوفة لعثمان بن عفان، وقلد ولاية المدينة لمعاوية بن ابي سفيان، توفي سنة (٥٨ هـ) ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٤٥، ٤٤٨

(<sup>٥٩</sup>) بن عمر الضبي، الفتنة ووقعة الجمل، ص ٤٥؛ الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٣٧١؛ ابو الفرج الاصفهاني، الاغانى، ج ١٢، ص ٣٦٧

(<sup>٦٠</sup>) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٣

(<sup>٦١</sup>) البلاذري، انساب الاشراف، ج ٥، ص ١١٥ - ١١٦

(<sup>٦٢</sup>) سورة الشورى، الآية (٢٣)

(<sup>٦٣</sup>) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ١٧

(<sup>٦٤</sup>) الجوهرى، الصحاح، ج ٢، ص ٥٠٩

(<sup>٦٥</sup>) القاضي نعمان، شرح الاخبار، ج ٣، ص ٣٦

(<sup>٦٦</sup>) ابن الاثير، اسد الغابة، ج ١، ص ١٤٩

(<sup>٦٧</sup>) المجلسي، الزهراء وخطبة فدك، ص ١١٥

(<sup>٦٨</sup>) سورة الانفال، الآية (٦٠)

(<sup>٦٩</sup>) سورة يونس، الآية (٣٥)

### قائمة المصادر

- القرآن الكريم

- المصادر القديمة:

- ابن الاثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ)
- ١. أسد الغابة في معرفة الصحابة ( دار الكتاب العربي - بيروت / د . ت )
- الأربلي/ أبي الحسن علي بن عيسى (ت ٦٩٣ هـ)
- ٢. كشف الغمة في معرفة الأئمة (دار الأضواء - بيروت/ د.ت)
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)
- ٣. أنساب الأشراف ( تحقيق ، محمد باقر محمودي ، مؤسسة الأعلمي - بيروت / ١٩٧٤م)
- ٤. فتوح البلدان ( تحقيق، صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة - القاهرة/ د.ت)
- الجوهرى ، إسماعيل بن حماد ( ت ٣٩٣ هـ)

٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (تحقيق، أحمد عبد الغفور، ط٤، دار العلم للملايين - بيروت / ١٩٨٧م)
- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد (ت : ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م)
٦. التذكرة الحمدونية (تحقيق، إحسان عباس، بكر عباس، دار صادر - بيروت / ١٩٩٦م)
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد (ت ٢٤١ هـ)
٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل (دار صادر - بيروت / د. ت.)
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)
٨. سير اعلام النبلاء (تحقيق، شعيب الأرنؤوط، ط٩، مؤسسة الرسالة - بيروت / ١٩٩٣م)
- ابن سعيد الحلي، يحيى بن محمد (ت ٦٩٠ هـ)
٩. الجامع للشرايع (مؤسسة سيد الشهداء - قم المقدسة / ١٤٠٥ هـ)
- ابن شبه النميري، أبو زيد عمر بن شبه (ت ٢٦٢ هـ)
١٠. تاريخ المدينة المنورة (تحقيق، فهيم محمد شلتوت، دار الفكر - قم المشرفة / ١٤١٠ هـ)
- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت ٣٨١ هـ)
١١. معاني الاخبار (تحقيق، علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي / قم / ١٣٧٩)
١٢. الهداية في الاصول والفروع (مؤسسة الإمام الهادي - قم / ١٤١٨ هـ)
- ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر (ت ٦٦٤ هـ)
١٣. الاقبال بالأعمال الحسنة (تحقيق، جواد قدومي، مكتبة الاعلام الاسلامي - قم المقدسة / ١٤١٥ هـ)
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت : ٣٦٠ هـ)
١٤. المعجم الأوسط (تحقيق ونشر، قسم التحقيق بدار الحرمين - القاهرة / ١٤١٦ هـ)
- الطبرسي، احمد بن علي بن ابي طالب (ت ٥٤٨ هـ)
١٥. الاحتجاج (تحقيق: السيد محمد باقر الخراسان، دار النعمان - النجف الأشرف / ١٩٦٦)
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت : ٣١٠ هـ)
١٦. تاريخ الرسل والملوك (مؤسسة الأعلمي - بيروت / ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م)
- الطبري الشيعي، محمد بن جرير بن رستم (من اعلام القرن الخامس الهجري)
١٧. دلائل الإمامة (تحقيق، قسم الدراسات الاسلامية - قم المقدسة / ١٤١٣ هـ)
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت : ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م)

١٨. الأمالي (تحقيق، قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، دار الثقافة - قم / ١٤١٤ هـ)
١٩. الرسائل العشر ( مؤسسة النشر الاسلامي - قم المقدسة/ د.ت)
- ابن طيفور، أبي الفضل بن أبي طاهر (ت ٣٨٠ هـ)
٢٠. كتاب بلاغات النساء (منشورات مكتبة بصيرتي - قم المقدسة/ د.ت)
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن أبن هبة الله (ت : ٥٧١ هـ)
٢١. تاريخ مدينة دمشق (تحقيق، علي شيري، دار الفكر - بيروت / ١٤١٥ هـ)
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي العكري الدمشقي (ت : ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م)
٢٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب (دار إحياء التراث - بيروت / د. ت)
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت : ١٧٥ هـ)
٢٣. كتاب العين (تحقيق، مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دارالهجرة - إيران / ١٤٠ هـ)
- أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ)
٢٤. الأغاني (دار إحياء التراث - بيروت / د. ت)
- القاضي نعمان، محمد بن منصور المغربي (ت : ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م)
٢٥. شرح الاخبار (تحقيق: محمد الحسيني الجلاي - مؤسسة النشر الإسلامي/ د.ت)
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت : ٢٧٦ هـ)
٢٦. المعارف (تحقيق، ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف - مصر / ١٩٦٩م)
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)
٢٧. البداية والنهاية (تحقيق وتعليق، علي شيري، دار إحياء التراث - بيروت/ ١٤٠٩ هـ)
- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٨ هـ)
٢٨. الكافي (تصحيح وتعليق، علي أكبر غفاري، ط٣، دار الكتب الإسلامية - طهران / د. ت)
- المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١ هـ)
٢٩. الزهراء وخطبة فدك (علق عليه، محمد علي شريعتمداري، دار كلستان كوثر/ د.ت)
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت : ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)
٣٠. مروج الذهب ومعادن الجوهر (ط٢، دار الهجرة - إيران، قم / ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤م)

- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ( ت ٧١١ هـ )  
٣١. لسان العرب ( دار الحوزة - قم المقدسة / ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣ م ) .  
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ)  
٣٢. السيرة النبوية ( تحقيق، محمد محي الدين، مكتبة محمد علي - القاهرة/ ١٩٦٣م)  
- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ( ت ٢٩٢ هـ )  
٣٣. تاريخ اليعقوبي ( دار صادر - بيروت / د . ت ) .

#### المراجع الحديث:

- الصدر، محمد باقر  
٣٤. فدك في التاريخ (تحقيق: عبد الجبار شرارة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية - د.ن/  
١٩٩٤م)  
- شلبي، احمد  
٣٥. مقارنة الاديان - الاسلام - ( ط٤، مكتبة النهضة - القاهرة/ ١٩٧٣م)  
- علي، جواد  
٣٦. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ( جامعة بغداد - ط٢ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)  
- القرشي، باقر شريف  
٣٧. النظام السياسي في الإسلام ( ط٢، : دار التعارف - بيروت/ ١٣٩٨ - ١٩٧٨ م .

#### الجرائد والمجلات

٣٨. جريدة الوقائع العراقية (العدد ٤٠٤٠ لسنة ٢٠٠٧)  
- الشرفات، جهاد سالم  
٣٩. الهروب من ساحة المعركة واثاره في الفقه الاسلامي ( مجلة الجامعة الاسلامية ، مج  
١٧، العدد الاول/ ٢٠٠٩م).

# **إسلام قبيلة عبد القيس من بدايات الدعوة إلى فتح مكة**

**م.د. قحطان جواد مطرود - المديرية العامة للتربية في محافظة  
المثنى**

**The Islam of the Abd al-Qais Tribe from the  
Beginnings of the call to the Conquest of  
Mecca**

**Dr.Qahtan Jiyad Matroud / General Directorate of Education in  
Al-Muthanna**

إسلام قبيلة عبد القيس من بدايات الدعوة إلى فتح مكة

م.د. قحطان جياو مطرود

المديرية العامة للتربية في محافظة المنى

الملخص :

تعد قبيلة عبد القيس واحدة من أهم القبائل العربية الأصيلة قبل الإسلام ، والتي عرفت بدورها السياسي في تلك الفترة بشبه الجزيرة العربية ، أما في الإسلام فقد أشارت المصادر إلى أثرها فيه، والذي يعيننا منه أثرها في عهد الرسول الكريم محمد (ﷺ) في بداية الدعوة الإسلامية واستمر هذا الأثر لبعض أهم الشخصيات من القبيلة في حروب وغزوات الرسول (ﷺ) ، بدأً من غزوة بدر الكبرى، والأحداث التي وقعت فيما بعد غزوة أحد وأثرهم فيها، وكذلك غزوة المريسع. وبالإضافة إلى الجانب المتقدم الذكر انفاً فقد ناقش البحث موضع الدراسة وفادات هذه القبيلة وأفرادها على رسول (ﷺ)، وكذلك أثر بعض أفرادها في نشر الإسلام في قبيلتهم من خلال وفاداتهم على الرسول (ﷺ) سواء كانوا أفراداً أو جماعات ممثلة بسادة القبيلة وزعمائها وقد خص رسول الله بعضهم بالحفاوة والتكريم.

---

---

**The Islam of the Abd al-Qais Tribe from the Beginnings of the call  
to the Conquest of Mecca**

**Dr. Qahtan Jiyad Matroud**

**General Directorate of Education in Al-Muthanna**

**Abstract**

The Abd al-Qais tribe is one of the most important authentic Arab tribes before Islam, which was known for its political role in that period in the Arabian Peninsula. This effect continued for some of the most important personalities of the tribe in the wars and conquests of the Messenger , starting with the Great Battle of Badr, and the events that took place after the Battle of Uhud and their impact on it, as well as the Battle of Al-Muraisa'.

In addition to the aforementioned aspect, the research under study discussed the sacrifices of this tribe and its members on the Messenger (r), as well as the impact of some of its members in spreading Islam in their tribe through their deaths on the Messenger (r), whether they were individuals or groups represented by the tribe's masters and leaders. May God bless them with warmth and honor.



## المقدمة

تعد قبيلة عبد القيس واحدة من أهم القبائل العربية الأصيلة قبل الإسلام ، والتي عرفت بدورها السياسي في تلك الفترة بشبه الجزيرة العربية ، أما في الإسلام فقد أشارت المصادر إلى أثرها فيه ، والذي يعيننا منه أثرها في عهد الرسول الكريم محمد (ﷺ) في بداية الدعوة الإسلامية واستمر هذا الأثر لبعض أهم الشخصيات من القبيلة في حروب وغزوات الرسول (ﷺ) ، بدأ من غزوة بدر الكبرى ، والاحداث التي وقعت فيما بعد غزوة أحد وأثرهم فيها ، وكذلك غزوة المريسع .

وبالإضافة إلى الجانب المتقدم الذكر انفاً فقد ناقش البحث موضع الدراسة وفادات هذه القبيلة وافرادها على رسول (ﷺ) ، وكذلك أثر بعض افرادها في نشر الإسلام في قبيلتهم من خلال وفاداتهم على الرسول (ﷺ) سواء كانوا افراد أو جماعات ممثلة بسادة القبيلة وزعمائها وقد خص رسول الله بعضهم بالحفاوة والتكريم .

لذا ومن خلال هذه الدراسة قسم البحث إلى عناوين رئيسية اشتملت على عدة محاور بينا فيها اسلامهم من بداية الدعوة إلى فتح مكة ، ثم الخاتمة التي بينا فيها نتائج البحث التي ارتبطت بأهم المحاور وهي :

- ١- نسب قبيلة عبد القيس .
- ٢- أبرز علاقاتهم السياسية قبل الإسلام .
- ٣- قبيلة عبد القيس ومعرفتها بالديانات السماوية .
- ٤- دخولهم الإسلام ومشاركتهم في حروب الرسول (ﷺ) .
- ٥- وفادات قبيلة عبد القيس على رسول الله (ﷺ) .

### أولاً/ نسب قبيلة عبد القيس :

قبيلة عبد القيس من القبائل العربية الضاربة الجذور بنسبها إلى (...،ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان) <sup>(١)</sup> ، وعند الحديث عن انساب العرب بصورة عامة فلا بد من الأخذ برأي المبرد في معرض ما أورده عن نسب رسول الله (ﷺ) ، بقوله: ( ذكروا أن النبي (ﷺ) انتسب إلى أدد ثم قال : كذب النسابين , قال الله تبارك : (وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا) <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> .

وهذا يعني أنه لا يمكن الإلمام بالأنساب من آدم أبو البشر إلى يوم المؤلف، لا سباب لا يجهلها المؤرخون والكتاب اليوم ، اهمها ظهور الحضارات وانتفاضها هذا من جهة ، ومن الجهة الأخرى ، هل كان هنالك دور توثيق للولادات والوفيات مثل يومنا هذا ؟ .

بالرغم من هذا كله نجد العرب ابرز الأمم في حفظ أنسابها، لما بين أيدينا من مصادر الأنساب المتوفرة القديمة منها والحديثة ، و في خضم الحديث عن قبيلة عبد القيس ، لابد من التعرض لها ابتداء بديارها قبل الإسلام ، وعودا إلى وصولها لعهد الرسول الكريم (ﷺ)، وكانت ديارهم بتهامة<sup>(٤)</sup>، ثم خرجوا إلى البحرين ، وكان بها خلق كثير من بكر بن وائل وتميم، فلما نزل بها عبد القيس زاحموهم بتلك الديار وقاسموهم في الوطن، واسسوا فيها مجموعة من القرى ،ومنها جار ، قمادى، جبلة ، وهجر ، وبيضاء<sup>(٥)</sup>.

#### ثانياً/ أبرز علاقاتهم السياسية قبل الاسلام :

اتصلت بنو عبد القيس بأمانة اللخمين<sup>(٦)</sup>، في العراق قبل الإسلام ، وشاركوهم بيوم حجر<sup>(٧)</sup>، وهو من أيام العرب المشهورة قبل الإسلام<sup>(٨)</sup> ، وكذلك من أيامهم يوم عينين<sup>(٩)</sup>، كان بين عبد القيس وبني منقر<sup>(١٠)</sup> ، وكان ملكهم عبد الله بن الحارث بن عمرو وكانت أكثر علاقاتهم بأمانة اللخمين سلميه أكثر منها حربيه<sup>(١١)</sup>.

#### ثالثاً/ قبيلة عبد القيس ومعرفتها بالديانات السماوية :

والنظر لهذه القبيلة بعد تبين مسكنهم قبل الإسلام وعلاقاتهم السياسية في جزء يسير منها ، إلا انها من قبائل العرب التي كانت لها معرفة بالديانات السماوية قبل الإسلام ، إذ ذكر أن لها نبي قبل الإسلام، ومن الممكن أيراد ما جاء بحقه في المصادر المتخصصة من الأنساب وورد: ( رثاب بن زيد بن عمرو بن معاوية بن جابر بن صهيب ، من بني ثعلبة بن الجعد، تزعم عبد القيس انه كان نبيا وكان يقول: الحمد لله الذي رفع السماء بغير منار، وشق الأرض بغير محفار)<sup>(١٢)</sup> .

#### رابعاً/ دخولهم الاسلام ومشاركتهم في حروب الرسول (ﷺ):

ولا نر ما يثير العجب في مسارتهم إلى الإسلام، منذ بدايات الدعوة الإسلامية، ولابد من تقديم البرهان موضحا مصداق هذا القول ، إذ ورد: (...، أن الأشجع ألعبيدي ، هو المنذر بن عائذ، وكان عمر بن قيس ، أبني أخته، وهو أول من أسلم من ربيعة ، وذلك أن الأشجع ، بعثه

إلى الرسول (ﷺ) ليعلم علمه، فلما لقي النبي (ﷺ) آمن به، واتي الأشجع فاخبره بأخباره، فأسلم الأشجع، واتي رسول الله (ﷺ)، وقال فيه: أن فيك خلقين يحبهما الله، الحلم والحياء<sup>(١٣)</sup>.

ومن المرجح أن الأشجع بعث عمرو بن قيس عند بداية الدعوة الإسلامية بالانتشار في مكة وبين قبائل العرب، أو عند بدايات تشكيل حكومة المدينة على عهد الرسول (ﷺ)، واعتمادا على ما اورد، نستطيع القول أن هذا أول ظهور لبعد القيس في الإسلام.

أما الظهور الثاني إلى جنب رسول الله (ﷺ) كان في معركة بدر الكبرى ونعزز هذا الرأي، بالمصادر المتيسرة إذ ذكر: (عن رجل من عبد القيس كان حاجاً في الجاهلية، يقال له معبد بن وهب انه تزوج امرأة من قريش يقال لها هريرة بنت زمعة، أخت سوده أم المؤمنين وانه شهد بدرا فقاتل بسيفين، فقال النبي (ﷺ) من هذا الرجل الأضبط، قالوا معبد بن وهب العبدي، فقال النبي (ﷺ): يا لهف نفسي على فتیان عبد القيس أما أنهم أسد في الأرض)<sup>(١٤)</sup>.

وهذه الرواية انفرد بإيرادها على هذا النحو ابن قانع، كما ان مشاركة معبد بن وهب بهذه المعركة، جزءاً من مقدمات إسلام قبيلة عبد القيس، ولبرهان الترجيح، فقد أفاض علينا التاريخ ومصادره، بعدة مواقف على صعيد تقدمهم إلى الإسلام، ومنها ما تلا معركة أحد، ونورد ما جاء فيه: (... رد الله تعالى أبا سفيان وأصحابه، قبل أن يطلع معبد وهو يقول: يا قوم، لا تفعلوا فان القوم قد حزنوا وأخشى أن يجمعوا عليكم من تخلف من الخزرج، فارجعوا والدولة لكم، فاني لا آمن أن رجعتم أن تكون الدولة عليكم وقال رسول الله (ﷺ) والذي نفسي بيده، لقد سومت لهم الحجارة، ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب، فانصرف القوم سراعاً خائفين من الطلب لهم).

ومر بأبي سفيان نفر من عبد القيس يريدون المدينة، فقال: هل انتم مبلغون محمد وأصحابه ما أرسلكم به، على أن أوفر لكم أبا عركم زبيباً غداً بعكاظ أن انتم جئتموني؟ قالوا: نعم، قال: حيثما لقيتم محمداً وأصحابه فاخبروهم أننا قد اجمعنا الرجعة أليهم، وأنا أثاركم. فانطلق أبو سفيان، وقدم الركب على النبي (ﷺ) وأصحابه فاخبروهم الذي أمرهم به أبو سفيان، فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، وفي ذلك انزل الله عز وجل: (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ)<sup>(١٥)</sup>، وقول: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ)<sup>(١٦)</sup>، وكان معبد قد أرسل رجلاً من خزاعة إلى الرسول الله (ﷺ) يعلمه انصراف أبي سفيان وأصحابه خائفين وجلين، ثم انصرف الرسول (ﷺ) إلى المدينة<sup>(١٧)</sup>.

في هذه الحادثة تكرر لاسم معبد بن وهب وذكر دوره في معركة أحد، وذكر إلى جنبه نفر من عبد القيس وهم الذين نقلوا خبر قريش وما أعدت من أمرها بعد المعركة، وكذلك فعل معبد بن وهب عندما أرسل رجل من خزاعة إلى رسول الله (ﷺ) .

وينفرد الواقدي بذكر أفراد هذه القبيلة ومشاركتهم بحروب وغزوات الرسول (ﷺ) وهذه المرة غزوة المريسيع<sup>(١٨)</sup> (...، فأتى يومئذ رجل من عبد القيس فسلم على الرسول (ﷺ) فقال له الرسول (ﷺ) : أين اهلك؟ فقال: بألروحاء<sup>(١٩)</sup>، قال: أين تريد؟ قال إياك جئت لأمن بك واشهد أن ما جئت به الحق، وأقاتل معك عدوك، قال له رسول الله (ﷺ) : الحمد لله الذي هداك للإسلام، قال: يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: الصلاة، في أول وقتها، قال: فكان الرجل بعد ذلك يصلي حين تزيغ الشمس، العصر وحين تغرب الشمس لا يؤخر الصلاة إلى وقت آخر، وأصاب عينا للمشركين، فقالوا له: ما وراءك؟ أين الناس؟ قال لا علم لي<sup>(٢٠)</sup> .

وهذا موقف آخر يطلع به علينا رجل من قبيلة عبد القيس، يوضح كيف سارت قبيلة عبد القيس إلى الإسلام وأي طريق اختارت، وأورد الواقدي حادثة أخرى تتعلق بأحد رجال عبد القيس مفادها (...، ثم قال أحد أصحاب رسول الله (ﷺ) قد رأيتني أمس ولقيت رجلا من عبد قيس فدعوته للإسلام فرغب به فأسلم. فقال رسول الله (ﷺ) : إسلامه على يدك خيرا لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت<sup>(٢١)</sup>، وهذه الحادثة على النحو الذي ذكر انفرد بها الواقدي ومن دلالاتها أنها توضح أقدام قبيلة عبد القيس، سواء كانوا أفرادا أو جماعات على الإسلام عن رغبته ودراية.

#### خامساً/ وفادات قبيلة عبد القيس على رسول الله (ﷺ) :

ولابد من التعرف على الطريقة التي أسلمت بها قبيلة عبد القيس ووفودهم إلى رسول الله (ﷺ)، إذ إن المصادر تشير إلى قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): (...، أن أهل اليمن أول من أسلم بعد الأنصار ثم عبد القيس أهل البحرين)<sup>(٢٢)</sup>.

والقول بتزجيح أن عبد القيس سارعت إلى الإسلام بعد الأنصار، قد ورد وعلى لسان الرسول الكريم (ﷺ) قال بقدم الوفد قبل أن يقدم عليه (ﷺ)، وكما ورد: (لما بدلنا في وفادتنا إلى النبي (ﷺ) سرنا حتى إذا شارفنا القوم تلقانا رجل بوضع على قعود له فسلم فرددنا عليه ثم وقف فقال

ممن القوم قلنا وفد عبد القيس قال مرحبا بالقوم بكم وأهلا، أيكم طلبت جئت لا بشركم قال النبي (ﷺ) بألا مس قلنا انه ينظر إلى المشرق فقال ليأتين غدا من هذه الوجهة، يعني المشرق خير وفد العرب فبت أروغ حتى أصبحت فشددت على راحتي فأمتعت في المسير، وكان هذا الرجل عمر بن الخطاب(٢٣).

وفي رواية ثانية ( ... أن عمر عندما سمع قول رسول الله (ﷺ) خرج واستقبل المشرق وعندما تلقى القوم، فلقى ثلاثة عشر راكبا فرحب بهم وقرب منهم ، قال من القوم قالوا نفر من عبد القيس، فقال ما أقدمكم لهذه البلاد التجارة أتبعون سيوفكم هذه ، قالوا لا، فقال أنما قدمتم في طلب هذا الرجل فمشى حتى أتوا النبي (ﷺ) (٢٤).

ويتبين من خلال الرواية أن الوفد الأول والذي قدم على رسول الله (ﷺ) كان ، عددهم ثلاثة عشر نفراً (٢٥)، وان أكتفت بعض المصادر بذكر الأشجع العبدي قائدا للوفد (٢٦) ، ولو تأملنا المحادثة الجارية بين الوفد ورسول الله (ﷺ) ، كان قولهم للرسول (ﷺ) ، ( قالوا : يا رسول الله أنا حي من ربيعة وأنا أتيناك من شقه بعيده وانه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وأنا لا نصل إليك ألا في الأشهر الحرام) (٢٧)، وهذا القول يرجح أنها الوفاة الأولى واعتمادا على الواقدي: ( ...أن أبا سفيان لقي هذا نفر من عبد قيس وطلب إليهم أخبار الرسول أن قریش جمعت له، وتوعدهم أن هم اخبروا الرسول بذلك يوقر لهم أباعرهم زيبب في عكاظ ) (٢٨) ، وعكاظ من أسواق العرب المشهورة ولا يقام الا في الأشهر الحرام التي يتوقف بها القتال بين قبائل العرب (٢٩)، الوفاة الأولى، (...، إذاً عندما قدموا إلى الرسول الكريم قدموا إليه هديه ، ونورد ما جاء في النص، فوضعوا بين يديه هدية جلة تمر فقال الرسول (ﷺ) : أصدقه أم هديه؟ قالوا : بل هدية يا رسول الله) (٣٠) ، ويمكن الترجيح أن الوفد عندما قدم أول الأمر إلى مكة لمتاجرة قرروا بعدها التعرّيج إلى المدينة وبذلك احتفظوا بهدية من تجارتهم يقدمونها إلى الرسول (ﷺ).

ومما يمكننا بالقول أن هذه الوفاة الأولى وكانت مكونه من هؤلاء نفر التي انفرد بذكرها النويري ومفادها : (...، أن رجلا كان متوجها إلى المدينة في تجاره بملاحف وتمر من هجر بعد هجره النبي (ﷺ) فبينما هو قاعد إذ مر به النبي (ﷺ)، فنهض منقذ بن حيان إليه فقال النبي (ﷺ)، أمنقذ بن حيان ، كيف جميع هيئتك وقومك ، ثم سأل عن أشرف عبد القيس رجلاً رجل يسميهم

بأسمائهم فاسلم منقذ بن حيان وتعلم سورة الفاتحة وأقرأ باسم ربك ، ثم رحل إلى هجر وقبل أن يرحل سلمه النبي كتاب كتبه إلى جماعه عبد القيس فذهب به وكتبه أياما ، ثم اطلعت عليه امرأته وهي بنت المنذر بن عائذ وهو الأشجع ، فذكرت ذلك إلى أبيها فقالت: أنكرة بعلي منذ أن عاد من يثرب ، فهو يغسل أطرافه ويستقبل الجهة وتعني القبلة فيحني ظهره مره ويضع جنبه مره ذلك دينه منذ قدم ، فتلاقيا فتجاريا ذلك ، ثم ثار الأشجع وعصروه بكتاب رسول الله (ﷺ) ، فقراه عليهم وقع الإسلام في قلوبهم جميعاً ، وعزموا المسير إلى رسول الله (ﷺ) (٣١) وعند تأمل المتقدم أن منقذ كان سببا في قدوم الوفد إلى الرسول (ﷺ) وهم هؤلاء نفر الذين ذكروا (٣٢) ، أما ثوره الأشجع العبدى كان لها أسبابها انه يعد من سادة القوم فكيف يعلم من جهة ابنته ولا يعلم من زوجها على اعتبار لما له من سيادة عليية واعتمادا على ابن قتيبة أن الأشجع أول من اسلم من عبد القيس وربما كتم إسلامه (٣٣).

وهذا المرجح في الوفادة الأولى لقبيلة عبد القيس على الرسول (ﷺ) ، ولكن هنالك اختلاف في عدد ما ذكر من الوفد بين النووي (٣٤) ، والسيوطي (٣٥) ، إذ ذكر الأول أربعه عشر اسما والثاني ذكر ثلاثة عشر اسما ، مع ملاحظه تطابق الأسماء المذكورة عند كلا الطرفين ولكن الزيادة تأتي عند النووي بما ذكر من قصه إسلام منقذ بن حيان العبدى .

أما الوفادة الثانية، يمكن القول أنها كانت سنة الحديبية أو بعدها، ويمكن الإشارة إلى ما نعزز به هذا الرأي معتمدين فيه على ابن سعد (... أن رسول الله (ﷺ) لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام وكتب إليهم كتابا، فقيل له يا رسول الله أن الملوك لا يقرؤون كتابا إلا مختوما، فتأخذ رسول الله (ﷺ) يومها ختما من فضة نقشه ثلاثة أسطر (محمد رسول الله)، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع، إلى ملوك الأرض وبعث العلاء بن الحضرمي (٣٦) إلى المنذر بن ساوى العبدى (٣٧) ، وهو بالبحرين ، وقد رد المنذر بن ساوى على كتاب رسول الله مصدقا به ومؤمنا بما انزل عليه، واني قد قرأت كتابك على أهل هجر، ومنهم من أعجبه الإسلام ودخل فيه، ومنهم من كرهه) (٣٨).

وعند تأمل المتقدم نلاحظ أن رسول الله بعث العلاء بن الحضرمي إلى عبد القيس بكتاب مبين مالهم في الإسلام وما عليهم فيه ، ربما قبيلة عبد القيس، بعد أن وصلهم كتاب الرسول (ﷺ) قاموا بإرسال وفد إلى رسول يدللون به على تصديقهم له وبرهان على أيمانهم ، وندعم ما

ذهبنا إليه بما ورد في المصادر إذ يعزز أن هنالك وفاده أولى بعد صلح الحديبية وهنالك ثانية المرجح عام الوفود إذ أورد اليعقوبي قائلاً: (وعبد القيس ورئيسهم الأشجع العصري ، ثم وفد الجارود بن المعلى<sup>(٣٩)</sup> فولاه رسول الله قومه)<sup>(٤٠)</sup>.

وهذا النص يبين أن قبيلة عبد القيس أوفدت إلى رسول الله بعد وصولهم كتابه<sup>(٤١)</sup>، أما الوفادة الثانية وهي بعام الفتح أو بعده وهي التي قدم بها الجارود<sup>(٤٢)</sup>، التي يمكن ترجيح قدوم الجارود رأس عبد القيس فيها، وما قيل فيه من الوفادة الأولى بعد معركة احد والترجيح بها لم يتحدث عنها المؤرخون وكتاب التاريخ، وربما لكونها بمبادرة شخصية من الذين سرهم الإسلام ومبادئه، ولم ينظر إليها على أنها وفاده، لكون الظرف السياسي وطريقة الوفادة ربما كانت تحت غطاء التجارة أو أن القوم كتموها، وإذا تتبعنا المحاورات التي جرت بين القوم والرسول الكريم (ﷺ) نجد هنالك نقل لها ولكن بصورة مرتبكة أي لم يتم الفصل بين ما قيل في كل هذه الوفادات، يضاف إلى هذا، أن هناك اختلاف في عدد الوفود وعدد الأشخاص الذين تكونت منهم هذا الوفود.

وفي خضم هذه الاختلاف لا بد من توضيحها من خلال ما تيسر من المصادر المتوفرة، إذ ورد في بعض المصادر اختلاف في عدد الأشخاص المكونين للوفد، بأنهم كانوا ثلاثة عشر<sup>(٤٣)</sup>، وبعض المصادر ذكرت أربعة عشر<sup>(٤٤)</sup>، بعض المراجع الحديثة انفردت برأي خاص بها ويمكن أن نورد ما جاء (...، من كون الوفد و فادتين، كان عدد الوفد الأولى، ثلاثة عشر راكبا أو أربعة عشر راكبا، وكان عدد الوفد الثاني أربعين رجلا)<sup>(٤٥)</sup>.

وعند التأمل في المتقدم، نستطيع القول أن الوفادة الأولى على رسول الله (ﷺ) بعد معركة أحد وعددها ثلاثة عشر راكبا أو أربعة عشر راكبا، بدعوى السيوطي، الذي اسقط منقذ بن حيان وقال في الوفادة أنها عام الفتح<sup>(٤٦)</sup>، ولا يمكن الاتفاق مع السيوطي في أن الوفادة الأولى كانت عام الفتح، على الرغم من أن هناك وفد قدم عام الفتح أو بعده وهنالك اختلاف في سنة قدومه، إذ بعض المصادر ذكرت انه عام الفتح<sup>(٤٧)</sup>، وبعضها الآخر ذكرت عام تسع هجرية<sup>(٤٨)</sup>، وهنالك المتأخرة والتي ذكرت عام عشر هجرية<sup>(٤٩)</sup>، أما الوفادة الثانية وعلى ضوء المصادر المتقدمة فأنها "...، سنة ست أو سبع هجرية، وهي مرجحة لكون رسول الله بعث العلاء بن الحضرمي وهو يحمل كتاب رسول الله مبين فيه أسس الإسلام لقبيلة عبد القيس

وكان عدد من فيها عشرون رجلاً<sup>(٥٠)</sup>، ونحن بذلك متفقون مع ابن سعد، في أن الوفادة ومكونه من هذا العدد ولكن ليس عام الفتح، بل سنة ستة أو سبعة هجرية لكون الرسول قد طلب إليهم القدوم، فقدموا عليه بعشرين راكبا وهما السنتان المذكورتان، وهذا المرجح. أما ما قيل في وفادة الأربعين<sup>(٥١)</sup>، وهي الوفادة الثالثة والأخيرة في عام الفتح أو بعد وكان الحاضر فيها وهو رأس عبد القيس<sup>(٥٢)</sup>، وأن القول بترجيحها يرجع إلى سبب مباشر إذ أن الرسول الكريم (ﷺ) والذي يمكن القول بحق ذاته الكريمة بأنه (ﷺ) أصبح سيد على العرب، كيف يكون الحال؟، إذا نظرت إليه العرب انه (ﷺ) سيدهم ونبیهم أي تعظيم يلقى عندهم؟ ولو نظرت إلى تاريخ العرب قبل الإسلام وكيف كانت تعظم ملوكها الأقوياء وعلى سبيل المثال عندما انهالت وفود العرب على سيف بن ذي يزن<sup>(٥٣)</sup>.

ومن خلال عرض المتقدم، نلاحظ عدم الدقة في ذكر عدد وفود عبد القيس يضاف إلى هذا أيضا أن رواية الحديث، عند ذكر المحادثة التي جرت بين الرسول الكريم (ﷺ) ووفود عبد القيس تتقصم الدقة على اعتبار أنهم سردوا المحادثة دفعه وحدة أو كلاً قد ذكر منها جانب، دون القول بالذي جرى، هل هو في الوفادة الأولى أو الثانية أو الثالثة، أنما تأتي دفعه واحدة، ويمكن القول أن الوفادة الأولى لم يتقل عليهم الرسول (ﷺ) وأن ما طلب إليهم، الشهادة فقط. بدليل قولهم، (...، أن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر)<sup>(٥٤)</sup>، وقولهم يكشف الوضع أن السياسي للإسلام لم يكن مستقراً في بدايته أي بعد معركة أحد وهذا هو المرجح.

أما القول في الوفادة الثانية، بعد سنة ست هجرية، واعتماداً على ابن سعد (...، أن الرسول (ﷺ) بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى في البحرين يدعوه إلى الإسلام ورد المنذر بتصديقه، وكتب إليهم الرسول (ﷺ) كتاب بين لهم فيه الإسلام وفرض الجزية على الذين لم يدخلوا في الإسلام، وعند النظر إلى الذي قامت به قبيلة عبد القيس أنها أرسلت وفد كبير إلى رسول الله (ﷺ) وعدد أفراده عشرون راكب)<sup>(٥٥)</sup>، ومن المرجح أنهم سادة القوم الذين قدموا إلى المدينة، ويمكن التمعن في ما جرى بينهم وبين الرسول الكريم (ﷺ)، وسؤالهم رسول الله (ﷺ) عن الإسلام وأحكامه بقولهم: (...، فأمرنا بأمر نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة فأمرهم بأربع أولها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وثانيها أقامه الصلاة وثالثها إتيان الزكاة وصوم رمضان)<sup>(٥٦)</sup>.



ونستطيع ترجيح أنها الوفادة الثانية لهم من خلال الطريقة التي أستقبل بها الرسول الكريم (ﷺ) ضيوفه وأين أضافهم، إذ ذكرت بعض المصادر كانت ضيافتهم عند إخوانهم الأنصار ويقول رسول الله (ﷺ) لهم: (كيف رأيتم كرامة إخوانكم لكم وضيافتهم) (٥٧).  
والترجيح على أن هناك وفادة ثالثة لعبد القيس على الرسول الكريم (ﷺ) بعد عام الفتح أو في نفس العام، لأبد من تقديم البرهان على ذلك، وذكر في بعض المصادر "...، أن رسول الله (ﷺ) استقبل وفد عبد القيس بطريقة مختلفة .

وأنزلهم دار رملة بنت الحارث (٥٨)، وأجرى عليهم ضيافة ،خلال مدة أقامتهم في المدينة التي استمرت عشرة أيام كان الأشجع العبيدي يسأل رسول الله (ﷺ) عن الفقه والقرآن، وأمر لهم بجوائز وفضل عليهم الأشجع فأعطاه اثنتي عشر أوقية ذهب ونشا ومسح رسول الله (ﷺ) وجه منقذ بن حيان (٥٩).

ويتبين أن الوفادة الثالثة والأخيرة عرفت فيها قبيلة عبد القيس الإسلام بكل تعاليمه ،وأن هذه الوفادة أوضحت اختلاف الوضع السياسي داخل المدينة المنورة و التخطيط الحضري و العمراني (٦٠) ، وكان هذا أكبر وفود عبد القيس إلى الرسول الكريم (ﷺ) وهو مكون من أربعين راكباً في إشارات بعض المصادر (٦١).

وربما يكون هؤلاء الأربعين هم السادة من قبيلة عبد القيس ،أما البقية فهم الأتباع لمجموع السادة الأربعين، وإذا أمعنا النظر إلى الوفود والمحادثات التي جرت بينهم وبين الرسول الكريم (ﷺ)، تأتي دفعة واحدة في المصادر دون تفصيل لها فيما إذا كانت في الوفادة الأولى أو الثانية أو الثالثة (٦٢).

#### الخاتمة :

من خلال البحث والدراسة في جذور اسلام قبيلة عبد القيس وتقدمهم اليه، توصلت الدراسة الى عدة نتائج وعلى النحو التالي:

قبيلة عبد القيس من القبائل العربية الضاربة بنسبها الى قبيلة ربيعة ، وهي من القبائل العربية الاصلية التي سكنت البحرين ونازعت القبائل التي سبقتهم في السكن كل من بكر بن وائل وتميم وتغلبت عليهم وانشأت مجموعة من القرى عرفت بسكنهم لها مثل هجر والبيضاء .

اتصلت قبيلة عبد القيس من خلال علاقتها السياسية بملوك العراق اللخمين واتصفت بالسلمية وتحالفوا معهم في حروبهم وبرزها يوم حجر .  
وكذلك عرف عن قبيلة عبد القيس معرفتها بالديانات السماوية وكانت تزعم ان لها نبيا وهو رئاب بن ثعلبة وكان يقول: الحمد لله الذي رفع السماء بغير منار، وشق الأرض بغير محفار .  
أما في الاسلام فقد ذكر أن الأشجع العبدى ، وعمر بن قيس، أبن أخته، وهما أول من أسلم من عبد القيس و قبيلة ربيعة ، وهنالك بعض الشخصيات اشارت اليها الدراسة قد ساهمت في بعض غزوات الرسول ومن أهمها ، معركة بدر الكبرى، والمريسيح .  
وقد توصل البحث الى ان قبيلة عبد القيس اوفدت ثلاث وفود قدمت على رسول الله ، الاول كان بعد معركة أحد وكانوا فيه قد التقوا بأبي سفيان وطلب منهم ايصال رسالة لرسول الله وكما هو مبين في البحث، وكان عدد اعضاء هذا الوفد ثلاث عشر راكبا ، أما الوفد الثاني كان بعد عام الحديبية وكان عدد اعضاءه عشرون راكبا ، وبعد هذه الوفادة ارسل معهم العلاء بن الحضرمي ليعلمهم الاسلام وتعاليمه، والوفادة الثالثة وعدد اعضاء الوفد اربعين راكبا وهم اشرف القوم ، وفيه اثني رسول الله على الأشجع العبدى وميزه في العطاء ومسح وجه منقذ بن حيان .

#### الهوامش:

- (١) للاستزادة، حول نسب قبيلة عبد القيس وتفرعات هذه النسب ، ينظر، ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، ص ٥٨٢- ٥٩٦ ؛ المبرد، نسب قحطان وعدنان ، ص١٨؛ الحموي ، المقتضب من كتاب جمهره النسب ، ص٢١٠- ٢١٧ ؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج١٨، ص٦٥؛ القلقشندي ، نهاية الإرب في معرفه انساب العرب ، ص٣٣٨ .
- (٢) الفرقان / ٣٨ .
- (٣) المبرد، نسب قحطان وعدنان، ص ٢ .
- (٤) تهامة: بكسر التاء وادي باليمامة تساير البحر منها مكة قال والحجاز ما حجز بين تهامة والعروض، وللاستزادة ، ينظر ، ألمحوي ، معجم البلدان ، ج ٢، ص٧٤-٧٥ .
- (٥) القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفه انساب العرب ، ص٣٣٨ .
- (٦) كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ج ٢، ص٧٢٧ .
- (٧) اللخمين : بنون لخم من كهلان لخم هذا اخو جذام عم كنده وقد كان للخمينيون ملك الحيرة من العراق، للاستزادة ،ينظر ،القلقشندي ، نهاية الإرب في معرفة انساب العرب ، ص ٤١١ .

- (٨) يوم حجر : وكان حجر ( الحارث بن عمرو ) ملكا على الحيرة وكانت له إتاوة في كل سنة على بني أسد , عندما أرسل الجباه بطلب الإتاوة فامتنع بنو أسد من الإتاوة حجر يومئذ في تهامة , وضربوا رسله ضربا شديدا , فبلغ ذلك حجرا , فسار أليهم بمن عنده من ربيعه وجند أخيه عبد القيس وكتأبه فأتاهم سراهم وجعل يقتلهم بالعصا , وهو احد ملوك المناذرة , جاد المولى , أيام العرب في الجاهلية , ص ١١٢ .
- (٩) جاد المولى , المرجع نفسه , ص ١١٢ .
- (١٠) يوم عيين: عينان بهجر وكان بها بين بني منقر وعبد القيس وقعة , الميداني, مجمع الأمثال, ج ٤, ص ١٧ .
- (١١) كحاله , معجم قبائل العرب القديمة والحديثة : ٢ / ٧٢٦ - ٧٢٧ .
- (١٢) ابن الكلبي , جمهره النسب , ٢ / ٥٩٣ - ٥٩٤ .
- (١٣) أبين قتيبة , المعارف , ص ٣٣٨ .
- (١٤) أبين القانع, معجم الصحابة , ج ١, ص ٩٧ .
- (١٥) آل عمران / ١٧٢ .
- (١٦) آل عمران / ١٧٣ .
- (١٧) الواقدي , المغازي , ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ; الطبري , تاريخ الرسل والملوك , ٢ / ٥٣٦ .
- (١٨) المريسي : بالضم ثم الفتح وياء ساكنة ثم سين مهملة مكسورة وياء أخرى وآخرة عين مهملة في الأشهر ورواة بعضهم بالغين معجمة , كأنه تصغير المرسوع , وهو الذي انسلقت عينة من السهر : وهو اسم ماء في ناحية قد يد إلى الساحل , سار النبي (ص) في سنة خمس وقيل سنة ست إلى بني المطلق من خزاعة وقاتلهم على ماء يقل له المر يسيح , وللاستزادة , ينظر , الحموي , معجم البلدان , ج ٥ , ص ١٣٩ .
- (١٩) الروحاء : سميت الروحاء روحاء , لانفتاحها وهي من عمل الفرع المدينة أحدى قرى المدينة , بين الفرع والمريسيح ساعة من نهار , الحموي , معجم البلدان , ج ٥ , ص ١٩٦ .
- (٢٠) الواقدي , المغازي , ج ١ , ص ٤٠٥ - ٤٠٦ .
- (٢١) المصدر نفسه , ج ١ , ص ٤٠٩ .
- (٢٢) الشيباني , الأحاد والمثاني , ج ١ , ص ٨٨ .
- (٢٣) البخاري , الأدب المفرد , ص ٢٥٥ .
- (٢٤) ابن قانع , المصدر السابق , ج ٣ , ص ٣١٤ .
- (٢٥) البخاري , الأدب المفرد , ص ٢٥٥ .
- (٢٦) ابن قانع , المصدر السابق , ج ٣ , ص ٣١٤ .
- (٢٧) ألبرقي , المحاسن , ج ١ , ص ١٣ ; الصدوق , الخصال , ص ٤١٦ .
- (٢٨) ابن سلمه , شرح معاني الآثار , ص ٣٠٢ ; الهيثمي , موارد أظمان إلى زوائد بن حيان , ص ٣٣٧ .
- (٢٩) الواقدي , المصدر السابق , ج ١ , ص ٣٣٨ - ٣٩ .

- (٣٠) للاستزادة ، حول أسواق العرب قبل الإسلام ، ينظر ، القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب ، ص ٤٦٤ .
- (٣١) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج ١ / ١٨١ .
- (٣٢) الواقدي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٣٨ . ٣٣٩ .
- (٣٣) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٣٣٨ .
- (٣٤) النووي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨١ .
- (٣٥) السيوطي ، الديباج على صحيح مسلم ، ج ١ ، ص ١٩ .
- (٣٦) العلاء بن الحضرمي : العلاء بن عبد الله بن عبادة بن سلمى بن أكبر بن حضر موت اليمن ، الدومي ، العلاء بن الحضرمي ، ص ١٥ .
- (٣٧) المنذر بن ساوى : وهو المنذر بن ساوى بن عبد الله زيد بن عبد الله بن دارم ، صاحب هجر ، بن الكلبي ، جمهرة النسب ، ج ٢ ، ص ٢١٠ .
- (٣٨) ابن سعد ، المصدر نفسة ، ص ١٢٧ ؛ للاستزادة ، ينظر ، الدومي ، المرجع السابق ، ص ١٧ .
- (٣٩) الجارود بن المعلى : وهو بن بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى ويكنى أبا غياث ، واسلم زمن النبي (ﷺ) ، وسمي الجارود لأنه فر نأبله إلى أخواله بني شيبان ، وبأبله داء ففشا ذلك الداء في إبل أخواله فأهلكها ، لذلك سمي الجارود لأنه جرد أخواله من أبلها ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٣٣٨ .
- (٤٠) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٥٢ ؛ للاستزادة ، ينظر ، مرهون ، الخطيب الشحشح صعصعة بن صوحان ، ص ٢٨ .
- (٤١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ١٧٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ، ص ٩٨ .
- (٤٢) السيوطي ، الديباج على صحيح مسلم ، ج ٢ ، ص ١٩ .
- (٤٣) النووي ، المجموع في الشرح المذهب ، ج ١ ، ص ١٨١ .
- (٤٤) الصالحي ، سبل الهدى والرشاد ، ج ١ ، ص ٣٧١ .
- (٤٥) إلميانجي ، مكاتيب الرسول ، ج ٣ ، ص ١٩٧ .
- (٤٦) السيوطي ، الديباج على صحيح مسلم ، ج ١ / ١٩ .
- (٤٧) ابن سعد ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٢ .
- (٤٨) ابن هشام ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٧٤ .
- (٤٩) الديار بكري ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .
- (٥٠) للاستزادة ، ينظر ، ابن سعد ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٧ ، ص ١٤١-١٧٣ .
- (٥١) الصالحي ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٧١ .
- (٥٢) ابن هشام ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٧٤ .
- (٥٣) الأصمعي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص ٦٧-٧٢ .

- (٥٤) الواقدي، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٣٩ ؛ ابن سلمه ، شرح معاني الآثار ، ج ٣ ، ص ٣٠٢ .
- (٥٥) ابن سعد ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٢ .
- (٥٦) النسائي ، السنن الكبرى ، ج ٣ ، ص ٤٣٢ .
- (٥٧) أنميري، تاريخ المدينة ، ج ٢ ، ص ٥٨٧ .
- (٥٨) رملة بنت الحارث: وتكنى أم ثابت، من نساء بني النجار، ابن سعد، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٥٦ .
- (٥٩) ابن سعد ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٢ ؛ النويري ، المصدر السابق ، ج ١٨ ، ص ٦٧ .
- (٦٠) السامرائي ، المظاهر الحضرية للمدينة المنورة في عصر النبوة ، ص ٧٣ .
- (٦١) النويري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨١-١٨٢ .
- (٦٢) للاستزادة، حول طبيعة المحادثات الجارية بين الرسول الكريم (ﷺ) ووفد عبد القيس، ينظر، النسائي، المصدر السابق، ص ٢٢٢-٢٢٤ - ٢٣٥؛ البخاري، الأدب المفرد، ص ٢٥٥-٢٥٦؛ أنميري، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٨٦-٥٨٧؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٤، ص ٢٠٣-٢٠٤؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٤٢ .

#### المصادر

- أبن الأثير، علي بن أبى الكرم (ت ٦٣٠هـ)
١. الكامل في التاريخ ، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢١١٠م.
  ٢. تاريخ العرب قبل الإسلام، تح: محمد آل ياسين، ط ١، دار سلوني، بيروت، ١٤٢٥هـ.
  ٣. المحاسن ، تح: جلال الدين الحسيني ، ط ١، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٢٣٠هـ.
  ٤. الأدب المفرد ، تح: محمود فؤاد ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٩٨٦م.
- الجاد المولى ، محمد أحمد وآخرون
٥. أيام العرب في الجاهلية ، ط ١، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٨م.
  ٦. المستدرک، تح: يوسف المرعشي، ط ١، دار المعرفة ، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)

٧. المقتضب من كتاب جمهره النسب ، تح: ناجي حسن ، ط١ ، دار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٧م .
٨. معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٠م. الدومي، احمد عبد الجواد
٩. العلاء بن الحضرمي، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٧٢ م . الديار بكري ، حسين بن محمد(ت٩٩٠هـ)
١٠. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، دار صادر ، بيروت ، بلا . السامرائي ، خليل إبراهيم
١١. المظاهر الحضرية للمدينة المنورة في عصر النبوة ،الموصل ،١٩٨٤م. ابن سعد، محمد بن سعد(ت٢٣٠هـ)
١٢. الطبقات الكبرى، اعد فهارسه رياض عبدالله ، ط٣، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م. ابن سلمه ، احمد بن محمد(ت٣٢١هـ)
١٢. شرح معاني الآثار ، تح: محمد زهري ، ط٣، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦م. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن(ت٩١١هـ)
١٣. الديباج على صحيح مسلم ، تح: أبو إسحاق الحويني ، ط١، دار عفان ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـ . الشيباني، عمرو بن أبي عاصم(ت٢٨٧هـ)
١٤. الأحاد و المثاني ، تح: باسم فيصل ، دار الحرية ، الرياض ، ١٩٩١م. الصالحي الشامي ، محمد بن يوسف،(ت٩٤٢هـ)
١٥. سبل الهدى والرشاد ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ . الصدوق ، محمد بن علي(ت٣٨١هـ)
١٦. الخصال ، صححه وعلق عليه علي اكبر غفاري ، منشورات جماعة المدرسين ، قم ، ١٤٠٨هـ الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)
١٧. تاريخ الرسل والملوك ، تح: أبو الفضل إبراهيم، ط ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

- ابن قانع ، عبد الباقي (ت ٢٦٥هـ)
١٨. معجم أصحابه، تح: صلاح بن سالم، ط ١، دار النشر مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة ، ١٤١٨ هـ .
- أبن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)
١٩. المعارف، تح: ثروة عكاشية، ط ١، منشورات الشريف الرضي، ايران، ١٤١٥ هـ.
- القلقشندي، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ)
٢٠. نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، تح: إبراهيم الأيباري، ط ٣، دارالتاب اللبناني، بيروت ، ١٩٩١ م.
- ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر، (ت ٧٧٤هـ)
٢١. السيرة النبوية ، تح: مصطفى عبد الواحد ، ط ١، دار المعرفة ، بيروت، ١٣٩٦ هـ.
- كحالة، عمر رضا
٢٢. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠ م.
- ابن الكلبي، محمد بن هاشم (ت ٢٠٤هـ)
٢٣. جمهرة النسب، تح: ناجي حسن، ط ٢، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٤ م.
- المبرد ، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)
٢٤. نسب قحطان وعدنان ، تح: عبد العزيز الميمني، الإسكندرية ، ١٩٣٦ م.
- مرهون، محمد جواد
٢٥. الخطيب الشحشح صعصعة بن صوحان ، ط ١، دار الفردوس، بيروت، ١٤١٠ هـ .
- الميانجي ، علي الأحمد
٢٦. مكاتيب الرسول ، ط ١ ، دار الحديث ، طهران ، ١٤١٩ م.
- الميداني، أحمد بن محمد (ت ٥٨٩هـ)
٢٧. مجمع الأمثال تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧ م.
- النسائي ، احمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)
٢٨. السنن الكبرى، تح: عبد الغفار البنداري ، ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩١ م.
- النميري، عمر بن شبة (ت ٢٦٢هـ)

٢٩. تاريخ المدينة، تح: محمد فهميم، دار الفكر، قم، ١٤١٠هـ.
- النووي، محي الدين بن عبد الوهاب (ت ٦٧٦هـ)
٣٠. شرح صحيح مسلم، تح: نخبة من العلماء، ط ٢، دار الكتاب، بيروت، ١٩٨٧م.
- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ)
٣١. نهاية الأرب في فنون الأدب، المشرف العام على الطباعة عبد الحميد نديم، ط ١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ابن هشام، عبد الملك (ت ٢١٨هـ)
٣٢. السيرة النبوية، تح: سعيد محمد اللحام، ط ١، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م.
- الهيثمي، نورالدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ)
٣٣. موارد أظمان إلى زوائد بن حيان، تح: محمد عبد الرزاق، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٥١هـ.
- الواقدي، محمد بن عمر (ت ٢٠٦هـ)
٣٤. المغازي، تح: مارسدن جونس، ط ١، نشر مكتب الأعلام، طهران، ١٤١٤هـ.
- اليعقوبي، احمد بن إسحاق (ت ٢٩٢هـ)
٣٥. تاريخ اليعقوبي، علق عليه ووضع حواشيه خليل المنصور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.



**تخطيط مقام النبي أيوب (عليه السلام)**

**وعمارته**

**م.د. امتثال كاظم النقيب مركز إحياء التراث العلمي**

**العربي / جامعة بغداد**

**Planning and building the shrine of Prophet  
Ayoub (peace be upon him)**

**Dr.amtithal Kazem Al-Nakeeb / Center for the Revival of the  
Arab Scientific Heritage - University of Baghdad**

## تخطيط مقام النبي أيوب (عليه السلام) وعمارته

م.د. امتثال كاظم النقيب

مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

الملخص

جاء الأنبياء على مراحل زمنية مختلفة ومتطورة غيروا فيها بتعاليم السماء الحياة الاجتماعية والفكرية التي كانت قائمة ان ذاك . وارض العراق مليئة بمزارات ومقامات الأنبياء فهناك النبي هود وصالح في النجف والنبي ذي الكفل والعزير ومقام الخضر والنبي يوشع والنبي أيوب ، يقع مرقد النبي أيوب في محافظة بابل بقرية الرارنجية، وفي الطريق الأيمن الذاهب من الكوفة الى الحلة مركز محافظة بابل، وعلى اليسار عند العودة من النجف الى الحلة وبمسافة (١٠٠) متر، وفي الجانب الشرقي لنهر الفرات ويعني هذا انه يقع شرقي الحلة وغرب منطقة الكفل، والمرجع شرقي الحلة .

الكلمات المفتاحية: مقام ، النبي ، أيوب

## Planning and building the shrine of Prophet Ayoub

(peace be upon him)

**Dr.amtithal Kazem Al-Nakeeb**

**Center for the Revival of the Arab Scientific Heritage – University  
of Baghdad**

### **ABSTRACT**

The prophets came at different and advanced stages of time, in which, according to the teachings of heaven, they changed the social and intellectual life that was in place at that time. And the land of Iraq is full of shrines and shrines for the prophets, there is the Prophet Hood and Saleh in Najaf, the Prophet Dhu al-Kifl and al-Uzir, the shrine of al-Khader, the Prophet Yusha 'and the Prophet Ayyub, the shrine of the Prophet Ayoub is located in the province of Babel in the village of Rarnjiya, and on the right road going from Kufa to Hilla, the center of Babel governorate, and on the left when returning From Najaf to Hilla, at a distance of (100) meters, and on the eastern side of the Euphrates River, meaning that it is located east of Hilla and west of the Kifl region, and the reference is east of Hilla.

**Key words: Maqam, Prophet, Job.**

## المقدمة :

العراق مزار كبير انتشر في بقاعة المزارات والمقامات، والمراقد، والمشاهد، وقبور الأنبياء، والأئمة، والصالحين، والأبرار، والمعارف، والعلماء، وذراي البيت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبي الله هذه البقعة المباركة كرامات هؤلاء جميعهم دون غيرها من أراضي البلدان فالعراق وطن الأنبياء<sup>(١)</sup>.

ولكل طائفة في العراق مزاراتها وطقوسها وهي مصانة وشاخصة في جميع المحافظات العراقية ولها مناسباتها وشعائرها، ولكل عقيدة ما يبررها من قبل معتقياها<sup>(٢)</sup>، وقديما قالوا من أمن بحجر كفاه وليس هذا معناه الأيمان المطلق الذي يلغي الارتباط بالسماء ولاهي دعوة الى الأوثان والوثنية والأصنام وعصرها الغارق في بحر من ظلام الجاهلية قرب رجل صالح تنزهت سيرته من كل شائبة ونذر حياته لعمل الخير على طريقته الخاصة وكرس سنوات عمره في الدعوة الى التآخي ونبذ الخصومات ثم رحل بقلب سليم فاستحق من مريده تخليداً وتقديراً كشاهد على سيرته الناصعة فالأمر في منتهى الأحقية<sup>(٣)</sup>، ومهما كانت المبادئ التي سار عليها ان كانت لا تتعارض مع النهج الإنساني في أي خط من خطوطها العريضة بصرف النظر عن نوعية الانتماء فالأديان لله والوطن للجميع<sup>(٤)</sup>.

وهنا يذكر التاريخ وجود أول مرشد للخلق وهو جدنا ادم الذي انزله الله سبحانه وتعالى من جنته، ثم جاء الأنبياء على مراحل زمنية مختلفة ومتطورة غيروا فيها بتعاليم السماء الحياة الاجتماعية والفكرية التي كانت قائمة ان ذاك<sup>(٥)</sup>. وارض العراق مليئة بمزارات ومقامات الأنبياء فهناك النبي هود وصالح في النجف والنبي ذي الكفل والعزير ومقام الخضر والنبي يوشع والنبي أيوب ، وسنسلط الضوء في هذا البحث على النبي أيوب ، وعن حياته ، ومكانته ومزاره على مدى عدة صفحات من هذا البحث لعلنا نفي بسيرته حقه<sup>(٦)</sup>.

### ١. سيرة نبي الله أيوب (عليه السلام)

إن من بين الأنبياء الذين تشرفت برفاتهم ارض العراق، هو نبي الله أيوب عليه السلام<sup>(٧)</sup> والذي اختلف المؤرخون بحقيقة نسبة فكانت كلمة (قبل) مصدر الاجتهادات ، فهو أيوب بن

أموص بن رازخ رزم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وكانت أمة بنت النبي لوط عليه السلام أما زوجته فهي (رحمة بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب ، وهو الأقرب<sup>(٨)</sup>) ، وقيل هو أيوب بن يعقوب ، وقيل هو بنيامين أخو يوسف من أمة وأبيرة ، وقيل هو والد بشير المعروف بذي الكفل ووالد حوصل<sup>(٩)</sup>.

### حياته (عليه السلام)

عرف النبي أيوب بالصبر الجميل<sup>(١٠)</sup> فلم يكن مصابا بمرض خبيث شوه من جسده الى الحد الذي توهمه البعض من الرواة والمؤرخين<sup>(١١)</sup> أو كما ورد في الإصحاح اليهودية التي بالغت بوصفها لمرضه المرعب بالشكل الذي عند أهل الكتاب وفي السفر المسمى ( سفر أيوب ) الذي اظهر النبي أيوب بانه ذلك الإنسان المتذمر ، والحقيقة ان مرضه كان امتحان من الله عز وجل قبل ان يهبه النبوة وبما ان النبي خسر الكثير من صحته وفقد الأهل والمال فكان صبره لامثيل له<sup>(١٢)</sup> ، فوهبه الله تعالى الصحة والعافية وأعطاه مما فقد من البدن والمال إضعافاً لأنه خلال مرحلة مرضه لم ينسى ذكر الله تعالى ولم يفقده إيمانه بعدالة السماء فأثنى الله عليه وعلى صبره الطويل في قرانه الكريم وجعله نبيا بعد الشفاء<sup>(١٣)</sup> ، وقد لخص الله قصته في سورة الأنبياء من القرآن الكريم ضمن الآتية: ﴿وأيوب إذ نادى ربه إنني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له ما به من ضر واتيناه و أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾<sup>(١٤)</sup> فرحمه ربه ورفع عنه البلاء<sup>(١٥)</sup> ، ورد عليه أهله وماله ومثلهم معهم قال تعالى أيوب ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾<sup>(١٦)</sup> فاغتسل فعاد كهيئته قبل البلاء في الحسن والجمال<sup>(١٧)</sup> .

### مقامه (عليه السلام)

يقع مرقد النبي أيوب في محافظة بابل بقرية الرارنجية، وفي الطريق الأيمن الذاهب من الكوفة الى الحلة مركز محافظة بابل<sup>(١٨)</sup> ، وعلى اليسار عند العودة من النجف الى الحلة<sup>(١٩)</sup> ، وبمسافة (١٠٠) متر، وفي الجانب الشرقي لنهر الفرات ويعني هذا انه يقع شرقي الحلة وغرب منطقة الكفل ، والمرجح شرقي الحلة<sup>(٢٠)</sup>.

ويتضح لنا ان هذا مقامه الذي استجاب الله فيه لدعوته<sup>(٢١)</sup> ، وهو موقع المغتسل<sup>(٢٢)</sup> ، كما قال الله تعالى ( اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب )<sup>(٢٣)</sup> . ومن هنا يجب ان نذكر أن مما لاشك فيه أن الكل نبي وأمام ( مقام )<sup>(٢٤)</sup> ، والمقام لا يعني المرقد وإنما هو مكان للخلوة أو

السكن أو العبادة<sup>(٢٥)</sup>، إما المرقد فهو القبر الذي يرقد به العبد الصالح والكلمة هنا مشتقة من كلمة الرقاد إي النوم<sup>(٢٦)</sup>.

## ٢- عمارة المرقد قديماً :

ان عمارة مرقد نبي الله أيوب قديماً لا يفرق كثيراً عن جميع المرابد والمزارات المنتشرة في العراق<sup>(٢٧)</sup> فقد تأثرت بالعمارة الموجودة في العراق منها العمارة العباسية وكذلك العمارة الصفوية والعمارة الفاجارية وكذلك العمارة العثمانية<sup>(٢٨)</sup>، وإذا عدنا الى مقام النبي أيوب لوجدن أنها عبارة عن غرفة كبيرة تعلوها قبة خضراء<sup>(٢٩)</sup>، وتوجد بداخلها القبر ويعلوه شباك<sup>(٣٠)</sup>، أما في الخارج فيوجد البئر والمغتسل وهو يقع في أرياف مدينة الحلة وعمارته بسيطة جداً<sup>(٣١)</sup>، وكما هو معلوم فقد بقي المرقد محافظ على خصوصيته وزائريه وطالبي الحوائج من المرضى على مر السنين وبكافة ملحقاته<sup>(٣٢)</sup>، وقد تعرض البناء الى عوامل التعرية والعدم وقد عانى من الإهمال لفترات طويلة ، وذلك للظروف التي مر بها البلد<sup>(٣٣)</sup>

وبعد عام (٢٠٠٣)<sup>(٣٤)</sup>، وبعد ازدياد عدد الزوار وكذلك الزيارات المليونية لكربلاء والنجف ووقوع المرقد على طريق الزائرين وصدور قانون ٥٥ للوقف الشيعي فكان لابد من صيانة المرابد والعتبات وإعادة بناء كافة المرافق السياحية والخدمية، اخذين بنظر الاعتبار التطورات الحديثة للمدن وإدخال التكنولوجيا للخدمات السياحية والمرافق كافة وبما يخدم الزائر وتلبية لمتطلبات الحاضر والمستقبل، وبما ينسجم مع متطلبات العصر تم ترميم المقام من جديد، واستناداً إلى ما جاء في الفقرة عاشر من قانون الآثار والتراث رقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٢ النافذ والتي تنص على ما يلي:

((تخضع الجوامع والمساجد والعتبات المقدسة ودور العبادة والمشاهد والمقابر والتكايا والصوامع والبيع والكنائس والأديرة والخانات المملوكة أو الموقوفة لتصرف الأشخاص الطبيعية أو المعنوية التي تملكها أو تتولى إدارتها على إن تستخدم للأغراض التي أنشأت من أجلها مع عدم الأضرار بها أو تشويهها مع النظر في توسيعها وتطويرها وفق متطلبات العصر وخاصة العتبات المقدسة)).

وأيضاً كما جاءت الفقرة (١) المادة (٣) الباب الأول من قانون العتبات والمزارات الشيعية الشريفة رقم (١٩) لسنة ٢٠٠٥ بإجراء التطوير والتوسيع بتشديد عمارات ملحقة بالمراقد والتي تنص على ما يلي:

**تسعى دائرة الوقف الشيعي إلى تحقيق الأهداف التالية :-**

((إدارة العتبات والمزارات والعناية بها ورعايتها وصيانتها وتوسيعها وعمارته بما يتناسب وقدسيتها وتطويرها وتوسيعها بتشديد عمارات ملحقة بها بشكل يميز مكانتها وأثرها الديني والتاريخي في الحفاظ على الطابع الإسلامي للعمارة )) .

((كما أن توصيات ميثاق بورا ايكوموس استراليا ١٩٨١ جاء للحفاظ على الأماكن ذات الأهمية والقيمة الثقافية بالتعامل مع التغيير باحتراس والاكتفاء بالقدر الضروري من التغيير الذي يتطلبه رعاية المكان كي يكون صالحاً للاستعمال، وإجراء أقل قدر من التغيير للإبقاء على أهميته وقيمه الثقافية)).

وكما نصت الفقرة (٢.١) من الميثاق المذكور ما يلي :-

((أي مكان يمثل قيمة اجتماعية وروحية في عرف الأجيال السابقة والحالية والقادمة ويقع داخل مدينة أثرية حضرية ذات أهمية ثقافية تاريخية علمية اجتماعية وروحية وأيضاً ذات قيمة جمالية للأجيال لأن الأهمية الثقافية تعدّ جزءاً لا يتجزأ من تركيبة المدينة الحضرية الأثرية وموضعها ونسيجها ووظائفها ودلالاتها وسجلاتها وبقية الأماكن والعناصر ذات الصلة بها . والتي يمكن إن تكون لهذه الأماكن قيماً مختلفة بالنسبة للأفراد أو المجموعات المختلفة.... أما الأهمية الثقافية فيمكن لها أن تتغير كلما توفرت لدينا معلومات جديدة )) .

التأكيد على ضرورة الحفاظ على طراز المباني الدينية القديمة<sup>(٣٥)</sup>، وإدخال العناصر المعمارية والزخارف الإسلامية، والأشكال الهندسية والألوان بكل أنواعها عند الترميم والصيانة أو إعادة البناء وبكافة المباني الملحقة بالمرقد لتشكل وحده معماريه متجانسة، المحافظة على جميع الزخارف الهندسية الإسلامية بإشكالها وألوانها وعناصرها المعمارية الإسلامية المختلفة إدخال العناصر المعمارية الإسلامية في تصميم المرقد عند إعادة بناء<sup>(٣٦)</sup>.

### ٣ - طراز المرقد :

يعود طراز المرقد الى الطراز العثماني العراقي القديم والبسيط<sup>(٣٧)</sup> وهو استمرار للطراز السلجوقي مع اقتباسات كثيرة من الطراز الإيراني<sup>(٣٨)</sup>، وهو طراز معروف بخصائصه المعمارية وشخصيته وسأتكلم هنا عن تخطيطه وعمارته قبل إعادة البناء كما يصفه الكاتب ثامر عبد الحسين<sup>(٣٩)</sup>، وقد وصلنا الى المرقد بخطى أسوارها وبقل باطن يسترجع جميع صور البلاء وهي سمة وسمت أصحاب الدعوة السماوية التي جاءت الى الباب الأول التي تؤدي الى صحن المرقد مردد في سري اللهم امتحنا ببعض صبر أيوب تبعد الباب الأول حوالي ثلاثون متراً فندخل الى غرفة صغيرة تعلوها قبة وقد تهالكت أركانها وقد ضاق المرقد بزحام الزائرين الموجودين فيه، وقد تزينت جدران الروضة التي تضم الشباك بآيات قرآنية وساعات جدارية تبرع بها زائروه ، وعند مدخل الغرفة عند الباب توجد لوحة الزيارة<sup>(٤٠)</sup>، وكتب عليها ( السلام عليه ) ادم صفوة الله ، السلام على نوح نبي الله ، السلام على ابراهيم خليل الله ، السلام على إسحاق نبي الله ، السلام على يعقوب صابر على ولده ، السلام على يوسف الذي امتحنه الله ، السلام على موسى كليم الله ، السلام على عيسى روح الله ، السلام على محمد حبيب الله ، والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ، السلام على الملائكة المقربين في هذا المقام الشريف ، السلام على أمير المؤمنين والأئمة المعصومين من آل طه وياسين ، السلام على الشهداء والصالحين<sup>(٤١)</sup>.

### ٤ - تخطيطه وعمارته :

بعد صدور قانون الوقف الشيعي للإدارة العتبات والمزارات ارتاعت الأمانة العامة للمزارات الشيعية بإعادة تخطيط وعمارة مرقد نبي الله أيوب وكما ذكرنا للأسباب الأنفة الذكر، وقد تم إعداد المخططات الأولية من قبل الدائرة الهندسية وكان قد تم الاتفاق على تنفيذ المشروع على مرحلتين وذلك في عام ٢٠١١ وحسب الميزانية المرصودة للمشروع المرحلة الأولى<sup>(٤٢)</sup> تشمل الحرم والآواوين والمرحلة الثانية تشمل الصحن وباقي الملحقات ثم مشروع محافظة بابل هو استكمال غرف الخدمات والحراسة والكراجات للمرقد<sup>(٤٣)</sup>، إما تخطيطه فكان عبارة عن حرم مربع الشكل<sup>(٤٤)</sup>، تحيط به ثلاثة طارمات حول الروضة ترفعها من الأمام أربعة أعمدة اسطوانية الشكل تتوسطها البوابة الرئيسة لمدخل الحرم وهي دائرية الشكل أيضاً يتوسطها شباك الضريح ، ويعلوها فوق غرفة الضريح قبة كبيرة مسندة بدعامات داخلية، أما في الخارج فعلى



يمين ويسار المرقد هناك ستة أو اوين الى اليمين وستة أو اوين الى اليسار ويعلوا كل إيوان قبة صغيرة ويحيط بالأواوين صحن خارجي كبير ويسور بواسطة سور خارج وفي الصحن مقابل واجهة الحرم هناك مئذنتان كبيرتان تبعد عن الحرم حوالي مئة متر. فضلاً عن الملحقات الخارجية من خدمات ومغاسل وحراسات هذه المرحلة الأولى وننتظر إكمال المرحلة الثانية<sup>(٤٥)</sup>.

#### ٥- المباني الأثرية الملحقة بالمرقد :

يوجد إلى يمين المرقد وعند مدخل المرقد بحوالي (٢٥) متراً بئر واسع مغطاة بالحجارة وبعمق خمسة أمتار تقريباً، يقصدها المرضى للاغتسال بمائها وطلب الشفاء<sup>(٤٦)</sup>، وقيل يتعافى ويشفى من مرضه بإذن الله تعالى وببركة نسب أيوب عليه السلام ولازال هذا البئر قائم لحد الآن<sup>(٤٧)</sup>، وهناك مغتسل قديم بالقرب من هذا البئر ومجاور الى المرقد<sup>(٤٨)</sup> وإلى الجنوب من مدينة الحلة يوجد مرقد آخر يعتقد أنه لزوجة النبي أيوب (عليه السلام) وتسمى رحمة تعلوها قبة صغيرة بيضاء ويحيط بها النخيل<sup>(٤٩)</sup>، وهناك رأي آخر ورد في كتاب (مراصد الاطلاع ، مفاده يوجد بوادي حوران من بلاد الشام ( دير أيوب الذي كان يسكنه وبهذا الدير ابتلاه الله عز وجل ، وبها العين الذي ركضها برجلة ، والصخرة التي كان عليها ، وبه قبره ، وهذا الرأي أو المعلومة ضمن قائمة المقامات المنتشرة هنا وهناك ، وهناك مقام للنبي الله ذنون في لبنان وعلى قمة جبل نيجا والتي تعلو عن سطح البحر ٤٠٠ متر في جبل لبنان<sup>(٥٠)</sup>، والرواية التاريخية تقول كان أتباعه وأصحابه يتعبدون ويدعون الله في صوامع مرتفعة وهناك مقام للنبي في فلسطين أيضاً<sup>(٥١)</sup>

#### الخاتمة :

هكذا كانت سيرة العبد الصالح نبي الله أيوب الذي علم الإنسانية الصبر على الأذى، والصبر على البلاء، والتمسك بالقيم الإنسانية النبيلة والتمسك بالعقيدة، فقد رأينا على مدى القلة من أوراق هذا البحث كيف ان للنبي أيوب أكثر من مقام، فهناك في بلاد الشام وهناك في لبنان وهنا في العراق ، أيضاً له أكثر من مقام وقد جمع هذا العبد الصالح الأيمان لجميع المسلمين والمسحيين فقد كان نبيا موحدا<sup>(٥٢)</sup>، وكان مرقدة مع ملحقاته الأثرية من البئر والمغتسل أما تخطيطه المرقد المعماري فكان على الطراز الإسلامي، أتمنى ان تكمل الأمانة العامة للمزارات

الشيعية المرحلة الثانية والثالثة من مشروع إعادة بناء المرقد فله تاريخ مهم وموقع مهم وهناك من الزوار الذي يجب توفير الخدمات الكاملة لهم وإكمالاً لبنى التحتية للمزار بأكمل وجه .

#### الهوامش :

- ١- طه باقر وفؤاد سفر: المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، بغداد ١٩٧٦، ص٢٢.
- ٢- مصطفى جواد واحمد سوسة : مدينة المنصور وجامعها ، مجلة سومر عدد ٢٠ سنة ١٩٦٦ ص ٤ .
- ٣- طه وسفر : المرشد الى مواطن الآثار والحضارة، ص٢٢ .
- ٤- طه وسفر : المرشد الى مواطن الآثار والحضارة ، ص٢٥ .
- ٥- بيتر دي قوصيل : الحياة في العراق منذ قرن ، ص٤٨.
- ٦- ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ١٢ جزء طبع في القاهرة ١٢٩٠ هـ ، ج٥، ص ٢٨٧ .
- ٧- العامري، ثامر : المراقد والمزارات في العراق ، ص٢٣ .
- ٨- العامري ، ثامر: المراقد والمزارات في العراق ، ص٢٣.
- ٩- القادري ، عيسى صفاء الدين: جامع الأنوار في مناقب الاخبار ، ص٣٦ .
- ١٠- العامري: المراقد والمزارات في العراق ، ص٢٤ .
- ١١- العامري : المراقد والمزارات في العراق ، ص٢٣ .
- ١٢- القادري ،عيسى صفاء الدين : جامع الأنوار في مناقب الأخبار ، ص٣٨ .
- ١٣- حرز الدين ، محمد: مراقد المعارف ، ص٤٤ .
- ١٤- القرآن الكريم ، السورة (ص) أية ٤٢ .
- ١٥- حرز الدين : مراقد المعارف ، ص٤٤ .
- ١٦- حرز الدين : مراقد المعارف ، ، ص٤٧ .
- ١٧- حرز الدين : مراقد المعارف ، ص٤٨ .

- ١٨- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ( ت ٣١٠ هـ - ٩٢٢ م ). تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ج ١٠ ، ص ٢٣١ .
- ١٩- الطبري تاريخ الرسل والملوك ، ص ٢٣١
- ٢٠- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ١٠ ، ص ٢٣٢ .
- ٢١- الطوسي : أبي محمد ابن الحسن ( ٤٦٠ هـ ) ، تهذيب الأحكام ، تحقيق حسن الخرسان ، ص ٣١٥ .
- ٢٢- الطوسي : تهذيب الأحكام ، ص ٣١٦ .
- ٢٣- حرز الدين : مراقد المعارف ، ص ٥٩ .
- ٢٤- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ١٠ ، ص ٣٢٩ .
- ٢٥- شريف الرضي : علي بن الحسين الموسوي العلوي ، الأمالي ، تحقيق ، محمد أبو الفضل ص ٢٨١ .
- ٢٦- الشريف الرضي : الأمالي ، ص ٢٨١ .
- ٢٧- الشريف الرضي : الأمالي ، ص ٢٨٢ .
- ٢٨- الشريف الرضي : الأمالي ، ص ٢٨٣ ، نعمة الله الجزائري : قصص الأنبياء ط ٥ ، ص ٢٧٣ .
- ٢٩- القرآن الكريم : سورة ( القصص ) أية ٤٢ .
- ٣٠- العامري ، :المراقد والمزارات في العراق ، ص ٢٨٤ .
- ٣١- القرآن الكريم : السورة (ص) الآية ٤٢
- ٣٢- الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ١٠ ، ص ٣٢٥ .
- ٣٣- الخليلي : جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة ، قسم النجف ، المراقد ، ص ٣٨٥ .
- ٣٤- جرا بار ، اوليج ، تراث الإسلام ، ترجمة د. حسين مؤنس وإحسان ، ١٩٨٥ ، ص ١٨١ .
- ٣٥- اطلس المزارات والمقامات ، ص ١٩ ، مراقد ومقامات الحلة ، نبي الله ايوب ،
- ٣٦- اطلس المزارات والمقامات ، ص ١٩ .
- ٣٧- اطلس المزارات والمقامات ، ص ٢٠ .

- ٣٨- تقرير عن المراقد والمقامات : ص ٩ ، ٢٠١٣ الدائرة الهندسية .
- ٣٩- تقرير عن المراقد والمقامات ، ص ٩ .
- ٤٠- تقرير عن المراقد والمقامات ، ص ١٠ .
- ٤١- ميثاق بورا : اتفاقية الايكومس ، الفقرة الأولى .
- ٤٢- ميثاق بورا : اتفاقية الايكومس ، المصدر السابق . الفقرة الثانية .
- ٤٣- مرزوق ، محمد عبد العزيز ، الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه ، ص ٤٩ .
- ٤٤- حميد عبد العزيز ، حضارة العراق ج ٩ ، ص ٤٧١ .
- ٤٥- العامري ، المزارات والمقامات في العراق ، مصدر سابق ، ص ٢٦ .
- ٤٦- العامري : المزارات والمقامات في العراق ، مصدر سابق ، ص ٢٦ .
- ٤٧- العامري : المزارات والمقامات في العراق ، ص ٢٦ .
- ٤٨- تقرير الدائرة الهندسية : الوقف الشيعي ، ص ١٨ .
- ٤٩- تقرير الدائرة الهندسية : الوقف الشيعي ، ص ١٩ .
- ٥٠- تقرير الأمانة العامة للمزارات الشيعية ، ص ١١ .
- ٥١- تقرير الأمانة العامة للمزارات الشيعية ، ص ١١ .
- ٥٢- تقرير الأمانة العامة للمزارات الشيعية ، ص ١١ .

## المراجع :

### القران الكريم

- ١- ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني . الكامل في التاريخ ، طبع في القاهرة ١٢٩٠ هـ ، الجزء الخامس .
- ٢- أطلس الأمانة العامة للمزارات الشيعية ، قسم مزارات بابل ، ديوان الوقف الشيعي ، ٢٠١٣ .
- ٣- الامالي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، نشر عيسى البابي الحلبي ، سنة ١٩٥٤ م .
- ٤- ثامر العامري : معجم المراقد والمزارات في العراق ، النجف ، الجزء الأول ، ٢٠٠٥ .
- ٥- جرابار ، اوليج . تراث الإسلام ، ترجمة د. حسين مؤنس وإحسان صدقي ، ١٩٨٢ .

- ٦- حميد عبد العزيز . حضارة العراق ج٩ ، بغداد ، ١٩٨٢
- ٧- الخليلي، جعفر . موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف الأولى، مطبعة التعارف، بغداد، ١٩٦٥.
- ٨- الشرف الرضي : علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦ هـ) .
- ٩- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك (٣١٠ هـ - ٩٢٢ م )، تحقيق أبو الفتوح الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .
- ١٠- طه باقر وفؤاد سفر ، المرشد الى مواطن الآثار والحضارة ،بغداد ، د.ت.
- ١١- قانون الوقف الشيعي
- ١٢- محمد حرز الدين : مرائد المعارف في تعيين مرائد العلويين والصحابة والتابعين والرواة والعلماء والأدباء والشعراء ، الجزء الثاني ، النجف ، ١٩٧١ .
- ١٣- المرائد والمقامات، تقرير هندسي، الأمانة العامة للمزارات الشيعية، بغداد، ٢٠١٣ .
- ١٤- مرزوق ،محمد عبد العزيز ، الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه ، بغداد ١٩٦٥ .
- ١٥- المشهدي : محمد ، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني(ت ٦١٠ هـ ) ، المزار، الطبعة الأولى مؤسسة النشر الإسلامي - قم ، ١٤٩١ .
- ١٦- مصطفى جواد واحمد سوسة ( مدينة المنصور وجامعها ) مجلة سومر عدد ٢٠ سنة ١٩٦٦ .
- ١٧- ميثاق اتفاقية الايكومس ، باريس ، النسخة العربية ، منظمة اليونسكو .

**النقابة وأهميتها في التاريخ الإسلامي**

**الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ/١٠١٥م)**

**إنموذجاً**

**م.د حسين صالح حسن الربيعي / كلية الامام الكاظم (عليه**

**السلام الجامعة) للعلوم الإسلامية**

**Kamal Aldeen Ibn Aladeem's Life (588-660  
A.H./1192-1261 A.D.)**

**Lect.Dr. Najlaa S. Ahmed/ College of Education for Humanities-**

**University of Mousal**

النقابة وأهميتها في التاريخ الإسلامي الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ / ١٠١٥م) إنموذجاً

م. د. حسين صالح حسن الربيعي

كلية الامام الكاظم (عليه السلام الجامعة) للعلوم الإسلامية

الملخص

يتلخص بحثنا الموسوم (النقابة وأهميتها في التاريخ الإسلامي الشريف الرضي) (ت ٤٠٦هـ / ١٠١٥م) (إنموذجاً) في تسليط الضوء على دور الشريف الرضي ، كونه يعد شخصية مهمة في التاريخ الإسلامي ، حيث أقرنت به النقابة ، لأنها ميزة رفيعة أمتاز بها فضلاً عن إن والده أبو أحمد كان عظيم المنزلة في الدولتين العباسية والבוئية ولقبه أبو نصر بهاء الدين بالطاهر الأوحده ، وولي نقابة الطالبين خمس مرات ، ومات وهو النقيب وذهب بصره ، ولولا استعظام عضد الدولة أمره ما حمله على القبض عليه وحمله إلى قلعة بفارس ، فلم يزل بها حتى مات عضد الدولة فأطلقه شرف الدولة ابن العضد واستصحبه حين قدم بغداد ، وكان له دور كبير في نشر التراث الإسلامي وقدم خدمة كبيرة الى الدين الإسلامي وزخرت المكتبات التاريخية بكتبه ومؤلفاته لاسيما كتاب نهج البلاغة الذي يحوي على كلام سيد البلغاء الإمام علي (عليه السلام).

---

---

**The Syndicate and its importance in Islamic history, Al-Sharif Al-Radi (d. 406AH/1015AD) as a model**

**Dr.Hussein Saleh H. Al-Rubaie**

**Imam Al-Kadhim (peace be upon him) College of Islamic Sciences**

**Abstract**

Our research, marked (The Syndicate and its Importance in Islamic History, Al-Sharif Al-Radhi (406AH/1015AD) as a model) is summarized in shedding light on the role of Sharif Al-Radhi, as he is considered an important figure in Islamic history, as the Syndicate was associated with him, because it is a lofty feature that distinguished him, in addition to his father being Abu Ahmad was of great stature in the Abbasid and Buwayh states, and his title was Abu Nasr Bahaa al-Din al-Tahir al-Awhad. So Sharaf al-Dawla Ibn al-Add released him and accompanied him when he came to Baghdad, and he played a major role in spreading the Islamic heritage and rendered a great service to the Islamic religion. Historical libraries were awash with his books and writings, especially the book Nahj al-Balagha, which contains the words of the master of rhetoric Imam Ali (peace be upon him).



## المقدمة

بسم الله وعليه توكلتي واعتمادي وبه أستعين والحمد لله على وافر الخباء وباهر العطاء، ومتواصل الألاء، ومتتابع السراء و صلى الله على خير البشر، وأفضل الناس ، سيدنا محمد نبيه وصفيه وعلى اله الطيبين الطاهرين واصحابه الغر المنتجبين ...  
قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

تناول البحث الموسوم: (النقابة وأهميتها في التاريخ الإسلامي، الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ/١٠١٥م) إنموذجاً)، النقابة وأهميتها ومفهومها في التاريخ الإسلامي ومصادرها الاصلية التي ذكرتها وعلى رأسها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فضلاً عن مواردها التاريخية وكتب الطبقات التي بينت أهمية الشخصيات التي منحت لقب النقيب . فضلاً عن الاشارات التي أشار اليها القرآن الكريم وبين أهميتها ، وهناك أشارت في السيرة النبوية واضحة وموضحة لمعنى النقابة جاءت بلفظ: (أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا منهم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا منهم النقباء) ، فقاموا بانتخاب اشخاص ينطبق عليهم منصب النقيب بغض النظر عن العرق واللون، وان دل ذلك على شيء ، انما يدل على ان الاختيار لم يكن على اساس النظام القبلي المتعصب ، وهؤلاء النقباء الذين اختارهم الأنصار، ورضيهم النبي (صلى الله عليه واله وسلم) كان منهم عدد ممن شهد بيعة العقبة الأولى، وساهم مساهمة كبرى في دعوة أهل يثرب، فأسلم على يديهم عدد كبير من الأنصار، وهو من عظيم فضل الله عليهم أن هدى الله بهم الناس .

ومن خلال دور العلماء العرب المسلمين والاولياء الصالحين ومنهم الامام علي (عليه السلام) الذي خط نهج الاسلام الحقيقي وفق الاسس الاسلامية التي نهل من شخصية الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فكرياً ومنهجياً وسياسياً وأقتصادياً ، واجتماعياً ، وعلى هذه الجهود التي وضع خطاها ؛ سار عليها الصحابة والمؤمنين الذين تلقوا منه العلوم والمعارف والفقه والقضاء، ووصلوا الى الابداع بجميع معانيه وانواعه الحضارية ، فكرياً ومادياً ومعنوياً في بناء الحضارة الاسلامية التي ساعدت على الحفاظ على الموروث الثقافي والفكري لدى

المسلمين والثبات على نهج الاسلام الذي اسسه رسولنا الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) من خلال سيرته العطرة الذي قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق).

#### ١. مشكلة البحث :

أ. ان مشكلة البحث تكمن في أهمية النقابة ومفهومها وأهميتها عند الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) كونها تعد، مصدراً مهماً من مصادر الفكر الاسلامي من الناحية الاجتماعية والثقافية والعقدية للمسلمين ، واسست لديهم كل معاني القوة والشجاعة في الحفاظ على شوكة المسلمين لأنها تبين النخبة الخالصة من المؤمنين ، والتقت اليها الصحابة بعد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، ولم ينصفهم التاريخ في منهجه الفكري في بيان دورها الاجتماعي للمسلمين كأهل الحل والعقد .

ب. الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها المسلمون مع الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بجميع مراحلها مكنته من الالتفات الى التمييز بين من يراهم يستحقون النقابة ، ولم يهتم بمفهومها غيره سوى أهل البيت (عليهم السلام) .

#### ٢. أهمية البحث :

أ. أن أهمية البحث تبرز في إظهار الدور الريادي والمشرق ، للشخصية الإسلامية الصادقة من خلال مفهوم النقابة وإبراز هدفها في بناء ركائز الأمة الإسلامية منذ الحقب الزمنية الاولى للرسالة السماوية وأهميتها في التطور الفكري والانساني لبناء حضارة الإسلامية ، تمكن الحكام والقادة من إتباع المنهج والعرف والاحكام الشرعية للدين الاسلامي ، ليصلوا الى مراتب الكمال والنجاح في إصلاح مجتمعاتهم وفق المنهج الاسلامي الصحيح .

ب. تعد النقابة اسلوب حكم اسلامي من خلال تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحفاظ على السلوك الانساني الاخلاقي في المجتمع ، من خلال التركيز على شخصية النقباء وما يمتازون به من قوة فكرية وعلمية أعتمد عليها المجتمع الاسلامي في تعزيز أوامر التلاحم العقدي والثقافي للامة الاسلامية.

ت. لعبت النقابة دوراً هاماً في تثبيت ركائز الدعوة الاسلامية منذ نشر الدين الاسلامي الى يومنا هذا ، نجدها تأخذ صداها عند ذكرنا للسادة الاشراف .

### ٣. حدود البحث :

تمثلت حدود البحث في النطاق الزمني والمكاني، منذ بعثة الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في يوم الإثنين ٢١ / رمضان / ١٣ قبل الهجرة ، الموافق ١٧ / ٨ / ٦١٠م، الى وفاة السيد الشريف الرضي عام (٤٠٦هـ/١٠١٥م).

### ٤. هيكلية البحث :

قسمت البحث الى أربع مباحث، جاء المبحث الاول بعنوان (معنى النقابة لغة واصطلاحاً) وأعتمد على كتب اللغة والمعاجم اللغوية والمبحث الثاني جاء تحت عنوان (النقابة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) ، وتناولت فيه الابداع الفكري من خلال مفهوم النقابة، وأعتمدت على آيات القرآن الحكيم وكتب الحديث الشريف للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) والائمة المعصومين (عليهم السلام) ، والمبحث الثالث (أثر النقابة عند الشريف الرضي وحياته العلمية والفكرية) وأعتمدت على جملة من المصادر التاريخية والفقهية.

### المبحث الاول: ( تعريف النقابة ومدلولاتها )

النقابة لغة: الجمع: نقباء، المؤنث : نقيبة ، والجمع للمؤنث : نقيبات ونقائب صفة مشبهة تدلّ على الثبوت من نُقِبَ على النقيب: كبير القوم الذي يهتم بشؤونهم ولقب نقيب الأشراف: مُقَدِّمُهُمْ، سَيِّدُهُمْ نَاقِبٌ: (فعل) نَاقَبَ نِقَابًا، وَمُنَاقِبَةٌ نَاقِبٌ رِفَاقَةٌ : فَأَخْرَهُمْ بِالْمَنَاقِبِ، أَي بِالْأَخْلَاقِ وَالْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ نَاقِبٌ فَلَانًا: لِقِيهِ مَوَاجَهَةً أَوْ فِجَاءً مِنْ غَيْرِ مِيعَادٍ. جاء تعريف النقابة في مصادر اللغة العربية بصورٍ شتى، وأخذ الباحث بيان المعنى الذي يخص هذه اللفظة وفصلها كالاتي: النقب: أَنْ يَجْمَعَ الْفَرَسَ قَوَائِمَهُ فِي حَضْرِهِ وَلَا يَبْسُطُ يَدَيْهِ، وَيَكُونُ حَضْرِهِ وَثْبًا. وَالتَّقْيِيبَةُ النَّفْسُ؛ وَقِيلَ: الطَّبِيعَةُ؛ وَقِيلَ: الخَاقِيَةُ وَالتَّقْيِيبَةُ: يُمْنُ الْفِعْلِ.<sup>(١)</sup>

وأشارت المصادر الى (ابن برزج<sup>(\*)</sup>: ما لهم نقيبة أي نفاذ رأي). وَرَجُلٌ مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ: مبارك النَّفْسِ، مظفر بِمَا يَحَاوِلُ.<sup>(٢)</sup>

وأشار ابن السكيت<sup>(٣)</sup> إذا كان ميمون الأمر، يَنْجَحُ فِيْمَا حَاوِلُ وَيظْفَرُ؛ وأشارت المصادر الفقهية: المطلب: جَدَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ مِنْ بَيْتِ الْوِزَارَةِ وَالشَّرْفِ.<sup>(٤)</sup>

وأشار الى هذا الحديث جملة من الرواة الذين نقلوه عن البنداري<sup>(\*\*)</sup> فِي الدَّيْلِ . وَأَبَاءِ طَالِبٍ، عبد الله بن أحمد بن علي بن أبي الغنائم المعمر العلوي الحسني، والد أبي الفضل محمد وأبي الحسين علي، وهم من بيت النقباء والحديث .<sup>(٥)</sup>

وأشار صاحب كتاب لسان العرب: (قولهم: فِي فلان منأقب جميلة: أي أخلاق وهو حسن النقبية: أي جميل الخليفة).<sup>(٦)</sup> وأشار أيضاً صاحب كتاب تهذيب اللغة فِي ترجمة عرك، يقال: فلان ميمون العريكة والنقبية والنقمة، والطبيعة، بِمَعْنَى وَاحِدٍ).<sup>(٧)</sup>

وعرف ابن منظور النقباء من خلال لفظة (النقيب): والنقيب هو شاهد القوم وضمينهم؛ وَنَقَبَ عَلَيْهِمْ يَنْقُبُ نِقَابَةً: عَرَفَ .<sup>(٨)</sup>

نَقَبَ: عن ينقب، نَقْبًا، فهو ناقب، والمفعول منقوب، ونقيب الإشراف: عميد المنتسبين لأولاد فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)<sup>(٩)</sup>، والنقابة: قيام النقيب مقام من يمثلهم فِي رعاية شؤونهم، والنقابة جماعة يختارون لرعاية شؤون طائفة من الطوائف، وفي التنزيل العزيز: وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا. قال أبو إسحق: النقيب فِي اللغة كالأمين والكفيل.<sup>(١٠)</sup>

والنقاب: هو العالم بالأمور، وأشارت المصادر الى كلام الحجاج فِي مناطقه للشعبي: إن كان ابن عباس لنقاباً، فما قال فيها وفي رواية: إن كان ابن عباس لمنقبا. النقاب، والمنقب، بالكسر والتخفيف: الرجل العالم بالأشياء، الكثير البحث عنها، والتنقيب عليها أي ما كان إلا نقاباً).<sup>(١١)</sup>

#### • النقباء فِي زمن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)

يعود تشريع النقابة فِي الإسلام إلى عهد رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) حين أخذ بيعة العقبة الثانية من أهل المدينة، فطلب منهم أن يخرجوا اثني عشر نقيباً؛ ليكونوا كفلاء عليهم كما

كان الحواريون كفلاء على عيسى بن مريم عليه السلام. فأخرجوا له تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. (١٢)

قَدِمَ إلى النبي من يثرب في بيعة العقبة الثانية ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، وكان النبي حريصاً على بيان جميع البنود لهم، على أنه لم يعدهم بشيء من أمور الدنيا كالحكم والسلطان والنفوذ؛ فالأمر أمرٌ عقيدة ودين ولذلك كان لا بد من انتخاب نقباء من الأنصار ينوبون عنهم في المشورة والرأي ويقومون على أمرهم، فيقدمهم الناس عند كل موقف في الدعوة للدين ونقاش أمور المسلمين والعظيم أن النبي طلب من الأنصار انتخابهم ولم يفعل ذلك هو ترسيخاً لفكرة المشورة وحق إبداء الرأي في الدين الإسلامي، فقد ورد أنه: (أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا منهم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم النقباء) (١٣)، وبالفعل انتخب الأنصار رجالاً يستحقون مكانة النقيب دون النظر إلى أي انتماء سوى انتماء الدين ودليل ذلك أنهم لم يكونوا موزعين بالمناصفة بين الأوس والخزرج بل خرج من الخزرج تسعة رجال ومن الأوس ثلاثة كدليل على تلاشي فكرة العصبية القبلية لصالح فكرة الاستحقاق بالنظر إلى مقدرة الشخص وخصاله، وقد ظهرت أحقيتهم فعلاً في مواقفهم أثناء البيعة وبعدها. (١٤) وهؤلاء النقباء الذين اختارهم الأنصار، ورضيهم النبي -عليه الصلاة والسلام- كان منهم عددٌ ممن شهد بيعة العقبة الأولى، وساهم مساهمة كبرى في دعوة أهل يثرب، فأسلم على أيديهم عدد كبير من الأنصار، وهو من عظيم فضل الله عليهم أن هدى الله بهم الناس، فأما عن أسماء النقباء الاثني عشر فهم: (١٥) نقيب الأوس: أسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة، ورفاعة بن عبد المنذر. نقيب الخزرج: أبو أمامه أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة، ورافع بن مالك، والبراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وعبادة بن الصامت، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو. (١٦)

والنقيب، جمعه (نقباء)، وهو الباحث عن القوم وأحوالهم، وهو الأمين والكفيل عليهم، والنقابة اصطلاحاً موضوعة على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب ولا يساويهم في الشرف (١٧)، كما أنها على ضربين: خاصة وعامة، فأما الخاصة فهي أن يقتصر بنظره على مجرد النقابة من غير تجاوز لها إلى الحكم وإقامة الحد، فلا يكون العلم في شروطها ويلزمه في النقابة على أهله من حقوق النظر (١٨)، وأما النقابة العامة: فعمومها أن

يراد اليه في النقابة عليهم مع ما ذكرته في البحث من حقوق النظر، فلأول ( ١٢ ) حقاً ولثاني (٥) حقوق. (١٩)

ولفظ النقيب أطلق في العصور الأولى للإسلام على الوسائط والروابط بين الحكومة والأمة أي بين العشيرة أو القبيلة وبين الأمير أو الإمام، وكانت مهمته التعرف على حاجات الطرفين وتوقعاتهما بوسائط منصوبة أو منتخبة، يراقبون الأمة ويترددون بينها وبين الحكومة أو بينهم وبين الإمام. (٢٠)

### • نقابة الطالبين

كان يدعى من يتولّى منصب النقابة في العصر العباسي نقيب الطالبين أو نقيب العلويين ثم دعي في العصور اللاحقة نقيب الأشراف. والأشراف المقصودين بهذا الاسم هم من كانوا من أهل البيت سواء كان حسنياً أو حسينا أو علويًا من ذرية محمد بن الحنفية أو من غيره من أولاد علي بن أبي طالب (عليه السلام) أو جعفرياً أو عقيلياً أو عباسياً. (٢١)

ونقابة الطالبين هي من التشكيلات الرسمية والإدارية للحكومات، بدأت في القرن الثالث الهجري، ففي كل بلد يُعيّن أحد الطالبين للنقابة، مهمته رعاية شؤون الطالبين والإحتفاظ على مشجرات أنسابهم. (٢٢) وكان يتم تعيينه من قبل (نقيب النقباء) الذي يعينه السلطان، وكان هذا المنصب بمستوى (الوزارة) في أجهزة بعض الحكومات. (٢٣) ان يدعى من يتولّى هذا المنصب في العصر العباسي (نقيب الطالبين) أو (نقيب العلويين)، ثم دُعي في العصور المتأخرة (نقيب الأشراف). (٢٤) فأول من أسس النقابة للطالبين هو الحسين ابن أبي الغنائم، فجعله المستعين الذي توفي (٢٥٢ هـ / ٨٥٦ م) نقيباً وأمره بنصب نقيب البلاد، وهو ابن عمّ أمير الحاج بن يحيى المحدث بن الحسين ذي الدمعة بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٢٥).  
عندما وليّ الخلافة الفاطميون بمصر حصرُوا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط وبقيت لهذا المنصب أهميته على مرّ القرون، فلا يكون النقيب إلا (من شيوخ هذه الطائفة وأجلهم قدراً) كما بقيت للنقيب حتى القرن التاسع الهجري تلك الواجبات والحقوق التي كانت له في العصر العباسي ممّا دونه الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية). (٢٦)

## السيرة الذاتية للشريف الرضي

### • اسمه

الشريف الرضي: هو السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وأمّه السيّدة فاطمة بنت الحسين بن أبي محمد الحسن الأطروش بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٢٧)

### • ولادته ونشأته:

وُلد السيد الشريف الرضي في عام ( ٣٥٩ هـ / ٩٦٠م) بمدينة بغداد ، ونشأ في أحضان أبوين جليلين بتربية ايمانية صحيحة ممزوجة بمحبة أهل البيت (عليهم السلام)، وتعلّم في صغره العلوم العربية والبلاغة والأدب ، والفقه والكلام ، والتفسير والحديث ، على يد مشاهير علماء بغداد . (٢٨)

### • شعره

نظم السيد الشريف الرضي الشعر وعمره عشر سنوات ، وأجاد في ذلك ، كما انه نظم في جميع فنون الشعر فهو أشعر الهاشميين الذين هم افصح العرب العرباء ، فرع الشجرة النبوية ، التي اصلها ثابت وفرعها في السماء ، اعظم شاعر تنسم هواء العراق ، واشعر القرشيين . (٢٩)

يمتاز شعر الشريف الرضي بأنه مطبوع بطابع البلاغة والبداءة والبراعة وعذوبة الألفاظ التي تأخذ بمجامع القلوب ، بالإضافة إلى المميّزات الأخرى التي لا نكاد نجد لها في شعر غيره . (٣٠)

ومما امتاز به شعر السيد الشريف الرضي أنه كان نقيّاً من كل ما يتعاطاه الشعراء من الغزل المشين ، والهجاء المقذع ، والتلون بالمدح تارة والذم تارة أخرى . (٣١)

والشريف الرضي هو شاعر متمرد على عصره ودهره ، على مكانه وزمانه ، على اصدقائه واعدائه ، على مجتمعه وناسه ، فهو ثائر في فخره ومدحه ، في رثائه وغزله ، وذلك واضح في كل قصيدة من قصائد ديوانه، ولا ريب ان التحولات والمنعطفات الخطيرة التي شهدتها القرن الرابع الهجري عصر الشريف الرضي مدعاة الى التمرد والثورة لدى كل مؤمن حريص على امته ودينه كالشريف الرضي سليل الدوحة النبوية الشرفية وكان الشريف الرضي ثائر من طراز خاص،

وكانت ثورته هي ثورة الشعر بل ثورة الفكر والكلمة الهادفة المقاتلة التي ربما بلغ مداها ابعده من مدى السيف.

ولم يكن الرفض والثورة جديدا على بالعهد الاموي الشريف الرضي بل ثمرة شجرة تمتد جذورها الى زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي أوصى بولاية الامام علي (عليه السلام) على المسلمين إلا ان المنحرفين عن دين الله إستاثروا بها ظلما وعدوانا , ومن ثم استمرار ذلك السلب لحق اهل البيت (سلام الله عليهم) حتى عصر الشريف الرضي مرورا بالإضافة الى المعاناة التي عاشها البيت العلوي حيث القتل والتشريد والمطاردة المستمرة لكل محبي اهل البيت (سلام الله عليهم) فالشريف الرضي لا ينسى واقعة الطف وما لاقاه جده الامام الحسين (سلام الله عليه) فهو يتذكر دائما تلك الواقعة الاليمة مشفوعا بالشكوى الى جده الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) حيث يقول: (٣٢)

يا رسول الله لو عاينتهم \*\*\* وهم ما بين قتلى وسبا  
لرأت عيناك منهم منظرا \*\*\* للحشى شجوا وللعين قذى  
ليس هذا لرسول الله يا \*\*\* أمة الطغيان والبغي جزا  
جزروا جور الأضاحي نسله \*\*\* ثم ساقوا اهله سوق الإما

كان دائما يتمنى القصاص من الأعداء والثورة عليهم بقوله وقد تخيل نفسه فارسا يمتطي جواده: (٣٣)

ولي من ظهور الشذقيات مقعد \*\*\* وفوق متون اللاحقيات مركب  
لثامي غبار الخيل في كل غارة \*\*\* وثوبي العوالي والحديد المذرب  
انا السيف إلا انني في معاشر \*\*\* ارى كل سيف فيهم لا يجرب  
يطول عناء العيس ما دمت فوقها \*\*\* وما دام لي عزم ورأي ومذهب

انه البطل الثائر الذي لا يهدأ ولا يفتر فمقعه ظهور الشذقيات ومركبه متون اللاحقيات، إلا ان العذر عنده غدر القوم الذين سيخذلونه كما خذلوا من قبل جده ، بل غدر الاقارب والاصحاب حيث يقول :

تجاذبني يد الايام نفسي \*\* يوشك ان يكون لها الغلاب  
وتغدر بي الاقارب والاداني \*\* فلا عجب اذا عز الصحاب



نهضت وقد قعدن بي الليلي \* \* فلا خيل أعن ولا ركاب . (٣٤)

أن الشاعر العربي " الشريف الرضي " عندما ألقى قصيدته العصماء أمام قبر الحسين (عليه

السلام) والتي جاء في مطلعها: (٣٥)

( كربلا ) لا زلتِ كرباً وبلا \* ما لقي عندك آل المصطفى

كم على تريكٍ لَمَّا صُرِّعوا \* من دمٍ سألَ ومن دمٍ جرى

كم حصانَ الذيلِ يروي دمُعها \* خدَّها عند قتيلٍ بالظما

ووصل إلى هذا البيت:

كم على تريكٍ لما صرعوا من دمٍ سألَ ومن دمٍ جرى . بكى وبكى حتى أغمى عليه. (٣٦)

ويعود تشريع النقابة في الإسلام إلى عهد رسول الله محمد صلى الله عليه وآله حين أخذ بيعة

العقبة الثانية من أهل المدينة، فطلب منهم أن يُخرجوا اثني عشر نقيباً؛ ليكونوا كفلاء عليهم كما

كان الحواريون كفلاء على عيسى بن مريم عليه السلام. فأخرجوا له تسعة من الخزرج وثلاثة من

الأوس. (٣٧)

وكان يدعى من يتولّى منصب النقابة في العصر العباسي نقيب الطالبين أو نقيب العلويين

ثم دعي في العصور اللاحقة نقيب الأشراف. والأشراف المقصودون بهذا الإسم هم كل من كان

من أهل البيت سواء كان حسنياً أو حسينياً أو علويّاً من ذرية محمد بن الحنفية أو من غيره من

أولاد علي بن أبي طالب أو جعفرياً أو عقيلياً أو عباسياً. (٣٨)

ولما تم اختيار هؤلاء النقباء، أخذ عليهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ميثاقاً آخر

بصفتهم رؤساء مسؤولين، قال لهم: ( أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى

ابن مريم، وأنا كفيل على قومي) يعني المسلمين ، قالوا: نعم . (٣٩)

وفي حديث أبي جعفر (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من

أهل بيتي اثنا عشر نقيباً محدثون مَفْهُمُونَ منهم القائم بالحق يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ،

وقال الله (عز وجل) في محكم كتابه العزيز: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) (٤٠)، وقد أشارت المصادر بأنهم كانوا اثني

عشر كقوله (عز وجل) (وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً) (٤١) فيجب أن يكون عدد خلفائنا كذلك

لأنه تعالى شبههم بهم بكاف التشبيه ولا شبهة ان النقباء هم الخلفاء . (٤٢)

وذكر لنا الحديث الشريف ، عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : الخلفاء بعدي اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل وفيهم اثنا عشر حواريا قوله ( وإذ قال الحواريون يا عيسى )<sup>(٤٣)</sup> ، ذكر هشام بن زيد عن أنس قال: (سألت النبي من حواريك يا رسول الله؟ فقال الأئمة من بعدي اثنا عشر من صلب علي وفاطمة وهم حواريا وأنصار ديني عليهم من الله التحية والسلام، وفيهم الأسباط أولاد يعقوب وهم اثنا عشر قوله<sup>(٤٤)</sup>). ونقل لنا أبو صالح السمان<sup>(٤٥)</sup> في حديث قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وقطعناهم اثني عشرة أسباطا أما عليه وآله فقال: معاشر الناس من أراد أن يحيى حياتي ويموت ميتتي فليتل علي بن أبي طالب وليقتد بالأئمة من بعده، فقيل: فكم الأئمة بعدك؟ فقال: عدد الأسباط وانفجرت لموسى اثنا عشر عينا قوله (فانبجست منه اثنا عشر عينا)<sup>(٤٥)</sup> وقوله (اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)<sup>(٤٦)</sup> ووقع التعبير على أن يقع له أحد عشر أخا للثاني عشر الذي هو يوسف، وشعوب بني إسرائيل اثنا عشر شعبا، وقوله (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وآتينا داود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً)<sup>(٤٧)</sup> ذكر فيها اثني عشر نبيا.

وسأل منصور بن حازم<sup>(٤٨)</sup> قال للصادق صلى الله عليه وآله: أكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعرف الأئمة؟ فقال: نعم ونوح، ثم تلا (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) الآية، وقد جاء عددهم في القرآن رمزا كأنه أقسم بأسمائهم كما أقسم بالنبي في قوله (لعمرك) فقال تعالى: والصفات والذاريات والمرسلات والنازعات والنجم والطور والسماء ذات البروج والسماء والطارق والفجر والشمس والليل والضحى والتين، قال الباقر (عليه السلام) : والتين الحسن والزيتون الحسين وطور سينين أمير المؤمنين وهذا البلد الأمين ذاك رسول الله لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم، قال حين أخذ الله ميثاقه لمحمد وأوصيائه بالولاية.

في أبيات من شعره :

وفي أحرف التوحيد آيات حكمة \* بهن عن التوحيد تنتفيان

فمن هن سبع واثنتان وأربع \* مثنائي أصول أيدت بمثنائي

وجملتها اثنا عشر وهي كواحد \* أهاتيك في الاعداد يحتسبان<sup>(٤٨)</sup>

وأشار الى النبي محمد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) اثنا عشر حرفاً) ، قال الله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) يعني إذا ذكرت، ذكرت معي فالمنكر لآخرهم كالمنكر لأولهم، وكلمتا الشهادتين لا نقطة على حرف منهما يدل على أنه لا مثل لهم ولا يشبههم أحد. (٤٩)

ذكر أئمتنا على عددهم: الأئمة من قريش، النبي والامام، علي وأولاده حق، فاطمة الزهراء، الحسن والحسين، الحسن المسموم، الحسين الشهيد، الحسين بن علي علي ذو الثقات، الإمام الباقر، الإمام الصادق، الإمام الكاظم، الرضا وصي موسى (٥٠) أبو جعفر التقي، البر الوصي النقي، الحسن العسكري، الحجة المنتظر، اثنا عشر خليفة اثنا عشر إماماً، اثنا عشر نقيباً، اثنا عشر أسباطاً، الحجج اثنا عشر، الأئمة اثنا عشر أصحاب الأعراف، ذرية نبي الهدى، أهل بيت الرسول، العترة الزكية، كتاب الله العترة، المنصوص عليهم، صلى الله عليهم، وليهم في الجنة، عدوهم في النار. (٥١)

#### ❖ المبحث الثالث : الشريف الرضي أسمه ودوره ونسبه في النقابة

هو أبو الحسن، محمد بن موسى، ولقب بالشريف الرضي، ولد في عام ( ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م ) ، وهو الرضي الحسيني الموسوي، وهو أحد الفقهاء والشعراء في العصر العباسي، وقد كانت ولادته في بغداد ومات فيها، عمل كنقيب للطالبيين حتى توفي، (٥٢) ( كما أن الشريف الرضي إمام من أئمة الحديث والعلم والأدب، وأحد أبطال المذهب والدين، وقد ورث عن أسلافه الصالحين ونسبه الطاهر الذي يعود للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) العلم المتدفق والنفس الزكية والنظر الثاقب، كما ورث عنهم الإباء والشمم والبراعة في الأدب، والحسب النبوي الشريف والنسب النقي، ولعل أهم أعمال الشريف الرضي هو كتاب نهج البلاغة الذي جمع فيه حكم وخطب وكتب الإمام علي بن أبي طالب، كما أن له ديوان شعر في غاية العذوبة والجمال والجزالة، فالشريف الرضي يعدّ فحلاً من فحول الشعر العربي، وقد تتلمذ مع أخوه الشريف المرتضى عند الشيخ المفيد أحد الفقهاء المعروفين قديماً. (٥٣)

#### ❖ حياة الشريف الرضي

بالحديث عن حياة الشريف الرضي فقد ولد في بغداد، من عائلة ذات حسب ونسب؛ فهو يعود بنسبه للحسين بن علي بن أبي طالب، وقد كان لوالد الشريف الرضي أبو أحمد مكانة عظيمة في الدولتين العباسية والبويهية، ولقب الشريف الرضي بالطاهر الأوحى، وقد منحه أبو نصر بهاء

الدين<sup>(٥٤)</sup> هذا اللقب، تولى الشريف الرضي نقابة الطالبين حوالي خمس مرات، وتوفي وهو النقيب بعد أن ذهب بصره، وقد استعظم عضد الدولة أمر الشريف الرضي فأمر بالقبض عليه وسجنه في قلعة في بلاد فارس، وظل بها حتى توفي عضد الدولة، فأطلق شرف الدولة بن العضد سراحه، واصطحبه حتى عاد به إلى بغداد وقد أمضى الشريف الرضي حياته في خدمة العلم والدين، وقد كان أحد مفاخر العترة الطاهرة، فهو إمام من أئمة الأدب والحديث والعلم، وقد تفتحت عبقريته وهو ابن العشرة أعوام، حيث نظم أولى قصائده في الأدب،<sup>(٥٥)</sup> وأشار إليه ابن خلكان بالتعريف بشخصيته قائلاً: (محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي العلوي الحسيني الموسوي: أشعر الطالبين، على كثرة المجيدين فيهم. مولده ووفاته في بغداد، انتهت إليه نقابة الاشراف في حياة والده وخلع عليه بالسواد، وجدد له التقليد (عام ٤٠٣ هـ) .<sup>(٥٦)</sup>

له ديوان شعر، طبع في مجلدين، وكتب، منها (الحسن من شعر الحسين) السادس والثامن منه، وهو مختارات من شعر ابن الحجاج، مرتبة على الحروف في ثمانية أجزاء، و (المجازات النبوية) و (مجاز القرآن) باسم (تلخيص البيان عن مجاز القرآن) و (مختار شعر الصابي) و (مجموعة ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي من الرسائل) طبعت باسم (رسائل الصابي والشريف الرضي) و (حقائق التأويل في متشابه التنزيل) و (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) و (رسائل) نشر بعضها، وشعره من الطبقة الأولى رصفاً وبيانا وإبداعاً. وذكره الشاعر المصري زكي مبارك في كتابه (عبقرية الشريف الرضي) ولمحمد رضا آل كاشف الغطاء كتاب (الشريف الرضي)<sup>(٥٧)</sup>

#### • آراء العلماء في الشريف الرضي:

تعد الآراء الشخصية للعلماء والفقهاء التي أشاروا بها إلى المكانة التي حظي بها الشريف الرضي من الناحية العلمية والأدبية والاجتماعية التي يجدر الحديث عنها كونه من الشعراء والادباء فضلاً عن مدحه حيث ذكر فيه الكثير من الأقوال التي دلت على مكانته وجوهر شخصيته ما ذكره العالم الأمين العاملي قائلاً: (كان الرضي بارعاً أديباً عظيماً، كان متبحراً وفقياً، مفسراً، حاذقاً ومتكلماً).<sup>(٥٨)</sup> وذكره صاحب كتاب يتيمة الدهر قائلاً: (ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل، وهو اليوم أبدع أنشأ الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلى مع محتدة الشريف ومفخره المنيف، بأدب ظاهر وفضل باهر وحظ من جميع المحاسن وافر، ثم هو أشعر الطالبين

من مضى منهم ومن غير، على كثرة شعرائهم الملقين، ولو قلت إنه أشعر قریش لم أبعد عن الصدق، وسيشهد بما أخبر به شاهد عدل من شعره العالي القدح الممتنع عن القدح، الذي يجمع إلى السلاسة متانة وإلى السهولة رصانة ويشتمل على معان يقرب جناها ويبعد مداها) (٥٩)

أما ابن أبي الحديد فقد مزج بين الجانب الفقهي الديني والجانب الأدبي الذي يعد يلحظ منه الأهمية الكبيرة في حياته والتي أثار بها المكتبات الإسلامية والتي تحلى بها الشريف الرضي كما جاء في قوله: ( وحفظ الرضي القرآن ذلك بعد أن تجاوز الثلاثين عاما من عمره وذلك في مدة قصيرة ويسيرة، كما عرف من الفقه والفرائض طرفا قويا، كما كان عالما أديبا وشاعرا). (٦٠)

الا ان الباحث يرى ان المدة ليست بالقصيرة التي ذكرها ابن ابي الحديد، ولعل المراد في قوله إشارة الى المدة القصيرة التي بدأ تلقي العلوم والمعارف بها فضلاً عن حفظه للشعر وحفظ القرآن الكريم بعد ذلك.

ان اللغة والنحو والفصاحة التي ميزت شخصية الرضي وهذا ما يبين أنه كان عالماً موسوعياً لانه ألم بجميع العلوم والمعارف كما وصفه ابن التتغري بردي (ت ٨٧٤هـ) قائلاً: (الشريف أبو الحسن الرضي الموسوي كان عالماً عارفاً باللغة والفرائض والفقه والنحو، وكان شاعراً فصيحاً عالماً عالي الهمة). (٦١)

#### • مؤلفات الشريف الرضي :

ألّف الشّريف الرضي العديد من المؤلفات بجانب شعره الجزل، وقد كان لها أهميّة كبيرة في عصره وصولاً إلى العصر الحالي، ولعلّ أبرز هذه المؤلفات كتاب نهج البلاغة، وقد جمع فيه حكم وخطب الإمام عليّ بن أبي طالب إضافةً إلى كتبه لعماله في الأمصار، وفيما يأتي نشير الى جملة من مؤلفات الشريف الرضي منها :- (٦٢)

١. كتاب مجازات القرآن.
٢. كتاب المجازات النبوية.
٣. كتاب خصائص أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) .
٤. كتاب مختار من شعر الصابئ. كتاب انتخاب شعر ابن الحجاج. كتاب الزيادات في شعر أبي تمام.
٥. كتاب المتشابه في القرآن.

٦. كتاب حقائق التنزيل.

٧. كتاب تعليق خلاف الفقهاء.

٨. كتاب تفسير القرآن.

• قصائد الشريف الرضي :-

إمتاز شعرُ الشريفِ الرضي بجزالةِ ألفاظه وجودتها، فاجتمعت في شعره الجودة والملاحة وكان من المكثرين في الشعر، وقلما يجتمع ذلك لمكثر، وكان شعره صافٍ وجميل، فلم يكن يستخدمُ فيه الكلماتِ المقدعة أو النابية، القصيدة وعمود الشعر، ونذكر اقتباسات من قصائد للشريف الرضي منها :-

١. قصيدة أبكيك لو نفع الغليل بكائي (٦٣)

أبكيك لو نفع الغليل بكائي \* وأقول لو ذهب المقال بداء  
وأعود بالصبر الجميل تعزياً \* لو كان بالصبر الجميل عزائي  
طوراً تكاثرني الدموع وتارة \* آوي إلى أكرومتي وحيائي  
كم عبرة موهتها باناملي \* وسررتها متجماً بردائي  
أبدي التجلُّد للعدو ولو درى \* بتلملي لقد اشتقى أعدائي  
ما كنت أذخر في فداك رغبةً \* لو كان يرجع ميّت بفداء

٢. قصيدة يا ظبية البان ترعى في خمائله: (٦٤)

يا ظبية البان ترعى في خمائله \* ليهنك اليوم أن القلب مرعاك  
الماء عندك مبدول لشاربه \* وليس يرويك إلا مدعي الباكي  
هبت لنا من رياح العور رائحة \* بعد الرقاد عرفناها برّياك ثم انتنينا  
إذا ما هزنا طرب على الرجال تغلنا \* بذكراك سهم أصاب وراميه بذي سلم من بالعراق  
لقد أبعدت مرمك وعد لعينيك عندي \* ما وقيت به يا قرب ما كذبت عيني  
عينك حكّت لحاظك ما في الريم من ملح \* يوم اللقاء فكان الفضل للحاكي  
كأن طرفك يوم الجزع يخبرنا \* بما طوى عنك من أسماء قتلاك

• مكانته العلمية

كان السيد الشريف الرضي فقيهاً متبحراً ، ومتكلماً حاذقاً ، ومفسراً لكتاب الله ، وحديث رسوله ( صلى الله عليه وآله ) ، وأديباً بارعاً متميزاً .<sup>(٦٥)</sup>

وأخفت المكانة العلمية لأخيه السيد المرتضى شيئاً من مكانته العلمية ، كما أخفت مكانته الشعرية شيئاً من مكانة أخيه الشعرية ؛ ولهذا قال بعض العلماء : ( لولا الرضي لكان المرتضى أشعر الناس ، ولولا المرتضى لكان الرضي أعلم الناس ) .<sup>(٦٦)</sup>

وحدث فخار بن معد العلوي الموسوي : أنّ الشيخ المفيد ( قدس سره ) رأى في منامه كأن فاطمة الزهراء ( عليها السلام ) دخلت إليه وهو في مسجده بالكرخ ، ومعها ولداها الحسن والحسين ( عليهما السلام ) صغيرين ، فسلمتها إليه ، وقالت له : علمهما الفقه ، فانته متعجباً من ذلك ، فلما تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا ، دخلت إليه المسجد ( فاطمة بنت الناصر )<sup>(٦٧)</sup> وحولها جواريتها ومن بين يديها ابناها محمد الرضي وعلي المرتضى صغيرين ، فقام إليها وسلم فقالت : أيها الشيخ ، هذان ولداي قد أحضرتهم إليك لتعلمهما الفقه ، فبكى الشيخ المفيد ، وقص عليها المنام ، وتولّى تعليمهما ، وأنعم الله تعالى عليهما ، وفتح لهما من أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنهما في آفاق الدنيا ، وهو باق ما بقى الدهر .

وذكر ابن كثير بقوله : ( كان نقيب الطالبين ببغداد بعد أبيه ، وكان فاضلاً ديناً ، قرأ القرآن بعد ثلاثين سنة من عمره ، وحفظ طرفاً جيداً من الفقه وفنون العلم ، وكان شاعراً مُطَبِّقاً ، سخياً جواداً ورعاً ) .<sup>(٦٧)</sup>

#### • أساتذته

أحصينا جملة من أساتذته كما ذكره ابن شهر آشوب ( ت ٥٨٨ هـ ) ما يلي :-<sup>(٦٨)</sup>

١. أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان النحوي ، المعروف بالسيرافي .
٢. أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي .
٣. أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني .
٤. أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري .
٥. أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي .
٦. أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد ، المعروف بابن نباتة .
٧. أبو عبد الله محمد بن النعمان البغدادي ، المعروف بالشيخ المفيد .

٨. أبو الحسن علي بن عيسى الربعي النحوي البغدادي.
٩. أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الشافعي المعتزلي.
١٠. أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي .
١١. أبو حفص عمر بن إبراهيم بن أحمد الكناني.
١٢. أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح.
١٣. أبو محمد عبد الله بن محمد الأسدي الأصفهاني.
١٤. أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري.

• تلامذته

نذكر من تلامذته ما يلي : (٦٩)

١. الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
٢. الشيخ جعفر بن محمد الدورستاني.
٣. الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الحلواني .
٤. القاضي أبو المعالي أحمد بن علي بن قدامة.
٥. السيد أبو زيد عبد الله بن علي كيايكي .
٦. أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابوري الخزاعي .
٧. أبو منصور محمد بن أبي نصر محمد العكبري .
٨. القاضي السيد أبو الحسن علي بن بندار بن محمد الهاشمي.
٩. الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن يحيى النيسابوري.
١٠. أبو الحسن مهبّار بن مرزويه الديلمي .

• مؤلفاته (٧٠)

نذكر من مؤلفاته ما يلي:

١. نهج البلاغة.
٢. مجازات الآثار النبوية.
٣. تلخيص البيان عن مجازات القرآن.
٤. خصائص الأئمة.



٥. حقائق التأويل في متشابه التنزيل.

٦. معاني القرآن

٧. الحسن من شعر الحسين.

٨. الزيادات في شعر ابن الحجاج .

٩. الزيادات في شعر أبي تمام.

١٠. أخبار قضاة بغداد.

١١. انشراح الصدر في مختارات من الشعر.

١٢. ديوان شعر.

### ❖ وفاة الشريف الرضي (٧١)

توفي الشريف الرضي في بغداد في عام (٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م). توفي السيد الشريف الرضي (قدس سره) في السادس من المحرم ٤٠٦ هـ، ودفن في داره الكائنة في محلة الكرخ ببغداد ، وذكر كثير من المؤلفين نقل جثمانه إلى كربلاء المقدسة بعد دفنه في داره بالكرك، فدفن عند أبيه أبي أحمد الحسين بن موسى، ويظهر من التاريخ أنّ قبره كان في القرون الوسطى مشهوراً معروفاً في الحائر المقدس. وراثه جمع من الشعراء ، ولعلّ أولهم أخوه الأكبر الشريف المرتضى حيث قال :

يا للرجال لفجعة جذمت يدي	ووددت لو ذهب عليّ برأسي
ما زلت أحذر وقعها حتى أتت	فحسوتها في بعض ما أنا حاسي
ومطلتها زماً فلما صممت	لم يجدني مطلي وطول مكاسي
لا تتكروا من فيض دمعي عبرة	فالدمع غير مساعد ومواسي
لله عمرك من قصير طاهر	ولربّ عمر طال بالأدناس

وذكر ابن شهر اشوب وفاته قائلاً ؛ أنه توفي يوم الأحد السادس من المحرم سنة ست وأربعمائة ، ودفن في داره ، ثم نقل إلى مشهد الحسين (عليه السلام ) بكربلاء ، فدفن عند أبيه ، وقبره ظاهر معروف ، ولما توفي جزع أخوه المرتضى جزعا شديدا ، بلغ منه الا أنه لم يتمكّن من الصلاة عليه ، وراثه هو وغيره من شعراء زمانه ( ٧٢). وأشار صاحب كتاب زهر الرياض (٧٣) : (نقل جسده إلى مشهد جدّه الحسين ونبش قبره في (عام ٩٤٢ هـ ) بإغراء بعض القضاة ،

فوجد كما هو لم تغير الأرض منه شيئاً ، والظاهر أن قبر السيد وقبر أخيه وأبيه في المحلّ المعروف بإبراهيم المجاب ، وكان إبراهيم هذا هو جدّ المرتضى وابن الإمام موسى عليه السلام<sup>(٧٤)</sup> ، وقبر إبراهيم المجاب الحائري معروف مشهور<sup>(٧٥)</sup> .

#### ❖ المبحث الرابع : أهمية النقابة ومكانتها عند الشريف الرضي

أن أهمية النقابة تكمن في مسيرة الشريف الرضي الأدبية كمثل أعلى مكنت الشريف الرضي كواحد من فحول الشعر العربي وأبرز الشخصيات المهمة في ميادين التأليف والتدوين من خلال شهرته في الشعر وتأليف كتاب نهج البلاغة الذي بين دور الامام علي (عليه السلام) في سماء الفكر العربي ، وقد بدأت عبقريته الشعرية بالظهور وهو ابن العاشرة من عمره، وفي ذلك الوقت نظم قصيدته الأولى مما جعل الأديباء والبلغاء في حيرة من أمرهم،<sup>(٧٦)</sup>

وجاء أهتمام الشريف الرضي في جميع أغراض الشعر العربي ، وهذا دليل على رجاحة علمه وتمتعه بلغة فصحة وأصيلة ، فضلاً عن كون شعره يتميز بجودة عالية من الناحية الادبية ، وكان ينظم قصائده بنفسه دون الاعتماد على الغير أو الاستعانة بالآخرين .<sup>(٧٧)</sup>

وكان لشعره جودته وملاحظته قلما عرف بها غيره من الشعراء المكثرين، وقد وضعه الأديباء العرب المعاصرون بجانب من كان في عصره من الشعراء كالمتنبي والبحتري، وقد قسموا شعره إلى أقسام كالشيعيات والرتائيات والفخريات والحجازيات، فكانت قصائد الحجازيات عبارة عن قصائد غزلية، أما القصائد الشيعيات فقد نظمها ليبين فيها حياة الطالبين والعلويين الذين حرموا من حقهم في السلطة، ونظم الرتائيات فيرثاه من مات من الأكابر في زمانه أو من مات من أقربائه وخلانه، كما رثى سيد الشهداء الحسين بن علي (عليه السلام) ، وتميزت قصائده التي سماها بالفخريات التي دلت على كونه من اهل النقابة الاشراف وان والده السيد الرضي كان عالم جليل تربع على كرسي نقابة الطالبين، وهو المشرف عليهم جميعاً والذي ينظر في المظالم وتوليه لإمارة الحج<sup>(٧٨)</sup>،

وقد كانت لمنصب نقابة الطالبين أهمية معنوية واجتماعية كبيرة، وقد حضى أبو أحمد بمقام ومنزلة سامية، إلى درجة أنه لم يكن يرى نفسه موظفاً كسائر العلماء الذين يرتادون بلاط الخليفة أو بلاط أمراء آل بويه.

وعندما توفيت أمه فاطمة بنت الحسن أو الحسين بن أحمد بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، رثاها بقصيدة من ٦٨ بيتاً. (٧٩)

كما شاع عند القدماء أن الرضي كان من المغرمين فضربوا بقصائد الحجازيات الأمثال، وقد عُرف عن الرضي صدق الصبابة واللوعة وكان شعره في الحب كاساً يعاقرها كل متيم، وقد وفرت بيئة العراق للرضي جواً يستطيع من خلاله أن يجمع بين الأدب والدين، ولو كان في غير بيئة العراق لربما لم يجتمع له ذلك، وقد فُطر الرضي على الإحساس الرقيق فكان يستطيع أن يملأ الدنيا بكلام التنسك والزهد والنقش وأن يكون إماماً لا نظير له في علوم الدين واللغة، إضافةً لتسامحه مع فطرته التي جعلته يلعن عمًا في صدره من الغرام ومن جملة من أشتهر بالنقابة من الطالبين وأمتاز بالرفعة والاخلاق والفضائل وأشارت المصادر اليه ، محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى الأبرش، فهو الشريف الاجل الملقب بالرضي ذو الحسين ، يكنى أبا الحسن نقيب النقباء وهو ذو الفضائل الشائعة والمكارم الذائعة، كانت له هيبة وجملة وفيه ورع وعفة وتقشف ومراعاة للأهل والعشيرة، ولى نقابة الطالبين مراراً، وكانت إليه إمارة الحاج والمظالم كان يتولى ذلك نيابة عن أبيه ذي المناقب، ثم تولى ذلك بعد وفاته مستقلاً وحج بالناس مرات، وهو أول طالبي جعل عليه السواد وكان أحد علماء عصره قرأ على أجلاء الأفاضل، وله من التصانيف كتاب (المتشابه في القرآن وكتاب (مجازات الآثار النبوية) وكتاب (نهج البلاغة) وكتاب (تلخيص البيان عن مجازات القرآن) وكتاب (الخصائص) (٨٠)

#### • شروط النقابة وأهميتها

ان من أهمية النقابة ودورها الوظيفي الذي من خلاله يبرز دور النقيب وبما تتجلى به المعاني اذ يقتصر نظر النقيب على النقابة من غير تجاوز لها الى حكم أو اقامة حد ، فلذا يشترط توفر العلم لتعيين النقيب ويتوجب عليه مراعاة حقوق أهله عليه وقسمه أهل العلم الى اثني عشر قسماً (٨١) نذكر قسماً منها:

أولها ، حفظ الانساب ومن داخل فيها وهو ليس منها ، أو خارج عنها وهم منها ، فيلزمه حفظ الخارج منها كما يلزمه حفظ الداخل فيها ليكون النسب محفوظاً على صحته ومنضماً الى جهته ، وتمييز بطونهم ومعرفة أنسابهم حتى لا يخفى عليه بنو أب ولا يتداخل نسب في نسب ويثبتهم

في ديوانه على تمييز أنسابهم ، فضلاً عن معرفة من ولد منهم من ذكر وأنثى فيثبته ، ومعرفة من مات منهم فيذكره ، حتى لا يضيع نسب المولود ان لم يثبته ، ولا يدعي نسب الميت غيره ان لم يذكره . (٨٢)

وان البطن الهاشمي خير بطون الناس عامة، وخير بطون العرب خاصة بالنص الشرعي. وبيت عبد المطلب هو أيضا خير بيوت الناس عامة، وخير بيوت العرب خاصة، وبالنص الشرعي أيضا (٨٣) وهو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب (٨٤).

وان من أهمية النقابة جاءت لتحقيق الغاية الشرعية من خصوصية القرابة وانه تشريف، ولكنها بجوهرها تكليف لها معنى ولها وظائف فمعناها: أنها نقطة ارتكاز للمسلمين، فبهم تكتمل الدائرة ويتحدد مركزها، فيستقربون الأمة كلما تفرقت، فتقدم لهم الحل بالتأشير على نقطة الارتكاز الإلهية، فلا يذهب المسلمون لا للشرق ولا للغرب، ولا للشمال ولا للجنوب، إنما يذهبون للقرابة الطاهرة، ويتجمعون حولها فتجمعهم، وهي بنفس الوقت مرجعية للدين، ومرجعية للمسلمين، فتبين الدين للمسلمين ولغير المسلمين، وتسمع من المسلمين ثم تقدم الفهم الأمثل لهذا الدين والموافق تماما للمقصود الإلهي. (٨٥)

وان للنقابة دور في التركيز على الآداب ما يضاهي شرف الانساب وكرم معتقدتهم لتكون حشمتهم في نفوس موفورة وحرمة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) محفوظة ، وأن ينزههم عن المكاسب الدنيئة ويمنعهم من المطالب الخبيثة حتى لا يستغل منهم متبذل ولا يستضام منهم متذلل . (٨٦)

وهذه اندرجت تحت مفهوم النقابة الخاصة ، ومنها ما تضع من ينوب عنهم من النقباء في المطالبة بحقوقهم العامة في سهم دي القربى في الفياء والغنيمه الذي لا يخص به أحدهم حتى يقسم بينهم بحسب ما أوجبه الله لهم ، وان يراعي حقوقهم بحفظ أصولها وتنمية فروعها واذا لم يرد اليه جبايتها راعى الجباة لها فيما أخذوه وراعى قسمتها فيما قسموه وميز المستحقين لها اذا خصت وراعى أوصافهم فيها اذا شرطت حتى لا يخرج منهم مستحق ولا يدخل فيها غير محق (٨٧)

هذا فيما اذا كانت النقابة ضمن المفهوم الخاص لها ، واذا ما أردنا أن ننظر الى النقابة بصورة عامة فيجب علينا أن نراعي بعض الامور المهمة ، كالحكم فيما يتنازعون في الامور

الاجتماعية والسياسية ، فضلا عن الولاية على أيتامهم فيما ملكوه ، وتزويج الايامى اللاتي لا يتعين أولياؤهن ، أو قد تعينوا فعصلوهن ، و

اقامة الحدود عليهم فيما ارتكبهه وابقاع الحجر على من عته منهم أو سفه وفكه اذا أفاق أو رشد، وهنا يتبين ان النقيب يتشابه دوره مع دور القاضي في علمه ومكانته . (٨٨)

و كانت نقابة الطالبين في العراق يتولاها رجل من البيت العلوي يوكل اليه أمر النقابة لكي يعنى بأمر العلويين ، وكانت توليته تتم مثل بقية متولي الدواوين الاخرى أو الولايات ، حيث لاتصح ولاية النقابة إلا من جهة الخليفة المستولي على الامور ، أو ممن فرض اليه تدبير الامور كوزير التفويض أو أمير الاقليم ، وأما من نقيب عام الولاية أي ما يسمى نقيب النقباء . (٨٩)

#### ❖ الخاتمة :

في الختام تبين لنا من خلال البحث المتواضع ان الدور المهم للنقابة يقوم به أشرف وأسياد الناس ولا تصح النقابة الا من جهات معينة كالخليفة المستولي على امور المسلمين او ممن فوض اليه تدبير الامور كالوزير والذي يتم اختيار النقيب المناسب .

كما وان نقابة السادة الاشراف القي على عاتقها الاولوية في تقرير وتحديد الامور الخاصة بالمسلمين وتحديد مصيرهم في مسألة الحقوق الشرعية وهذا ما يعطي للعرف مصدر قوة لكي تعمم الاخلاق والقيم التي جاء بها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) واتخاذها كقدوة بين المجتمعات .

ان دور الشريف الرضي كان نموذجاً يحتذى به من خلال شخصيته التاريخية والادبية في مراعاة النسب الشريف ولمكانته بين عشيرته وقومه مما رسخ المبادئ العامة والعلوم والمعارف لاسيما في جانب الشعر والمؤلفات التي امتازت بأهميتها في تقييم الجوانب الفكرية المنبثقة من أهل بيت النبوة (عليهم السلام) ويضع بين أيدينا كتاب نهج البلاغة الذي بين فيه الصفات والخصائص الكبرى للامام علي (عليه السلام) الذي هو نفس رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ومحبته جعلت فرض في رقبة المسلمين ،لاتباع القدوة الحسنة والتأسي برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، فضلاً عن القوائد الشعرية التي ترجمت المعاني والاخلاق تارة وتارة أخرى تحاكي الانسان المسلم في كيفية الحفاظ على المرتكزات الاساسية للمجتمع والواجبات التي وجبت على المسلمين لاتباعها ، وبينت النقابة أهمية الانساب ودراستها ومعرفة الدور الكبير للتميز بين

السادة الاشراف والعوام من الناس وفضل النسب ومكانة الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) .

### الهوامش

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، (ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ) ٧٦٨/١.

(\*) هو عبد الرحمن بن بزرج، روى عن الحسن والحسين وأبي هريرة روى عنه سعيد بن أبي أيوب وابن لهيعة . ينظر: الرازي، ابن ابي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت ٣٢٧هـ) الجرح والتعديل دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٣٢هـ) ٣٢/٢؛ وانظر: القفطي، جمال الدين ابو المحاسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/١٢٦١م)، أنباه الرواة على ابناه النحاة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (دار الكتب المصرية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) ٣٢٧/٤.

(٢) ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣٢٦ م)، لسان العرب، (دار صادر، للطباعة والنشر، بيروت ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م) ٧٦٨/١٠.

(٣) الجوهرى، اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٨م)، الصحاح في اللغة، تحقيق، احمد عبد الغفور، (دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ٢٢٧/٠،١.

(٤) المصدر نفسه ٧٦٨/١.

(\*\*) الفتح بن عليّ البُنْداري (٥٨٦ - ٦٤٣ هـ / ١١٩٠ - ١٢٤٥ م) مترجم الشاهنامه، أديب بالعربية والفارسية. هو أبو إبراهيم الفتح بن علي بن محمد البُنْداري الأصفهاني، والبُنْداري لفظة أعجمية أصلها (بن دار) بمعنى صاحب الثروة، وهو التاجر الذي يخزن البضائع للغلاء ثم يبيعهها. ولد ونشأ بأصفهان، وانتقل إلى دمشق (عام ٦١٤ هـ) فاستمر فيها إلى أن توفي؛ ينظر: الزركلي، خير الدين (ت ١٠٣٦هـ/١٦٥١م)، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ١٣٤/٥.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ٧٦٨/١.

(٦) ينظر: الزبيدي، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ / ١٨٢٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، (مكتبة الحياة، بيروت، بلا. ت)، ٧٦٨/٢.

(٧) الأزهرى، أبي منصور محمد بن احمد (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٥ م)، تهذيب اللغة، اشراف محمد عوض مرعب، علق عليها عمر سلامي، عبد الكريم حامد، تقديم فاطمة محمد اصلان (دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا.ت) ج ٨٦/٢.

(٨) الجوهرى، الصحاح في اللغة، ٢٢٧/١.

(٩) ينظر: الكليني، هو محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م) الكافي دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٢٢هـ، ٥٣٤/١.

(١٠) المصدر نفسه، ٥٣٥/١.

- (١١) هو عبد الله بن عامر الشعبي الكوفي، الهمداني، والمشهور ب الإمام الشعبي ولد (عام ٢١ هـ/ وتوفي عام ١٠٤ هـ)، تابعي وفقه ومحدث من السلف، ولد في خلافة عمر بن الخطاب. قال الذهبي: كان إماما حافظا فقيها متقنا ثبنا متقنا. ينظر: الذهبي، شمس الدين، ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان: (١٣٦٣هـ/١٣٦٣م) سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الارناؤوط وحسين الأسد، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ م) ج٤/ص٢٩٥.
- (١٢) (الماوردي، علي بن محمد(ت٩٧٢هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق عباس أحمد الباز، (ط٢)، دار التعاون للنشر والتوزيع، مكة، ١٣٨٦ هـ/١٥٦٦ م). ص ١٢٦
- (١٣) المصدر نفسه، ص ١٢٦.
- (١٤) المصدر نفسه، ص ١٢٧.
- (١٥) المصدر نفسه، ص ١٢٧.
- (١٦) (المباركفوري، صفي الدين(ت١٤٢٧هـ) الرحيق المختوم، (ط١، طبعة دار الهلال، بيروت، ١٣٢٢هـ)، ص ١٣٧،
- (١٧) (الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٢٦.
- (١٨) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م)، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ٩٧٧ م)، ج٢ / ص ٤١٨-٤١٩
- (١٩) (البلاذري احمد بن يحيى بن جابر( ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م)، انساب الأشراف وأخبارهم، تحقيق: محمد باقر، (ط١، مؤسسة الاعلمي، بيروت ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٣ م) ج١/ص ٢٥١-٢٥٢.
- (٢٠) (الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٢٦.
- (٢١) (الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٢٦.
- (٢٢) (الأميني عبد الحسين احمد النجفي(ت١٣٩٢هـ ١٩٧١ م)، الغدير (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٧هـ ١٩٧٦م)، ج ١١، ص ٤٣٦
- (٢٣) المصدر نفسه ج١١/ص٤٣٧.
- (٢٤) (الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، (ط٣، دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٩٨٣م) ج ١٦، ص ٥٨.
- (٢٥) (الأمين، مصدر سابق، ج ١١، ص ٤٣٦.
- (٢٦) (الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٢٦.
- (٢٧) (الكليني، الكافي، ٢٩٧/٤.
- (٢٨) المصدر نفسه، ٢٩٧/٤.
- (٢٩) المصدر نفسه، ٢٩٨/٤.
- (٣٠) (الكليني، الكافي، ٢٩٧/٤.
- (٣١) المصدر نفسه، ٢٩٧/٤.
- (٣٢) (الماوردي، مصدر سابق، ص ١٥٣.

- (٣٣) الماوردي ، مصدر سابق ، ص ١٥٣ .
- (٣٤) الماوردي ، المصدر نفسه ، ص ١٥٣ .
- (٣٥) الماوردي ، مصدر سابق ، ص ١٥٣ .
- (٣٦) ابن شهر آشوب ، أبي جعفر محمد بن علي بن (ت ٥٨٨هـ) ، المناقب ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م ) ج ٤ / ١٢٣ ، ينظر : سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر يونس ( ت ٦٥٤ هـ / ١٢٦٩ م ) ، تذكرة الخواص ، (المطبعة العلمية ، النجف ١٣٦٩ هـ / ١٩٨٤ م ) : ٢٤٣
- (٣٧) الأمين ، حسن ، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ، (ط ٦ ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م ) ج ١١ / ص ٤٣٦ .
- (٣٨) آغا بزرك الطهراني ، الذريعة ، ج ١٦ / ص ٥٨ .
- (٣٩) ابن شهر آشوب ، المصدر السابق ، ج ١ / ص ٢٥٨ .
- (٤٠) سورة النور ، الآية ٥٥ .
- (٤١) سورة المائدة ، الآية ١٢ .
- (٤٢) ابن شهر آشوب ، ج ١ / ص ٢٥٨ .
- (٤٣) المائدة ، الآية ١٢ .
- (٤٤) المجلسي ، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ، ج ٣٦ / ص ٣٠٩ .
- (\*\*\*\*) أبو صالح السمان : هو تابعي وأحد رواة الحديث النبوي ، اسمه ذكوان بن عبد الله مولى أم المؤمنين جويرية بنت الحارث ( ت ١٣١ هـ ) ، كان من كبار العلماء بالمدينة المنورة ، ولد في خلافة عمر بن الخطاب ، وشهد يوم الدار ومقتل عثمان بن عفان ، وكان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة ؛ ينظر ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١ / ٥٤ ؛ ١٩٤ . المزي ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م ) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق ، بشار عواد معروف ، (ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ) . ٤٧٦ / ١٤ .
- (٤٥) الكليني ، مصدر سابق ، ١ / ٥٣٥ .
- (٤٦) الكليني ، مصدر سابق ، ١ / ٥٣٥ .
- (٤٧) الكليني ، مصدر سابق ، ١ / ٥٣٥ .
- (\*\*\*\*\*) هو : منصور بن حازم . أبو أيوب البجلي : كوفي ، ثقة ، عين ، صدوق ؛ ينظر : الخوئي ، أبو القاسم ، معجم رجال الحديث ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٢٨ هـ ) ٣٧٣ / ١٩ .
- (٤٨) ابن شهر آشوب ، مصدر سابق ، ١ / ٢٥٨ .
- (٤٩) المصدر نفسه ، ج ١ / ٢٥٩ .
- (٥٠) المصدر نفسه ، ج ١ / ص ٢٥٩ .
- (٥١) المصدر نفسه ، ج ١ / ص ٢٦٠ .



- (<sup>٥٢</sup>) البغدادي ، ابي بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٧٨م)، تاريخ بغداد ، ومدينة السلام ، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا ، ( ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ٨٠٢ هـ / ١٤١٧هـ ) ج ٢/ص ٢٤٦؛ الزركلي ، خير الدين (ت ١٣٩٦هـ) ، الاعلام قاموس تراجم الرجال ، ط ١، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٢٢هـ) ج ٦ / ص ٩٩
- (<sup>٥٣</sup>) ابن شهر آشوب مصدر سابق ، ج ١ / ٢٥٨
- (<sup>٥٤</sup>) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر بن النحاس الحلي المصري (٦٢٧هـ - ٦٩٨هـ)، غلبت شهرة لقبه بهاء الدين على اسمه الأصلي. وهو نحوي من العصر المملوكي، يعود أصله إلى مدينة حلب، ولكنه استقر في مصر، يعدّه المؤرخون من رجال مدرسة النحوية في مصر وبلاد الشام. ينظر: الكتبي، ابن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر (ت ٧٦٤هـ / ١٢٧٧م) ( فوات الوفيات ، تحقيق: احسان عباس) دار صادر، بيروت ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٣م) ، ٣/٢٩٤.
- (<sup>٥٥</sup>) المصدر نفسه ج ١ / ٢٥٨
- (<sup>٥٦</sup>) ابن خلکان ، شمس الدين أبو العباس (ت ٦٨١هـ/١٣٣٦م)، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق، محي الدين عبد الحميد، (بيروت ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٨م). ٤١٤/٤.
- (<sup>٥٧</sup>) ابن شهر آشوب، المصدر السابق ، ج ١ / ٢٥٨
- (<sup>٥٨</sup>) الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ / ١٠٤٤م) ، يتيمة الدهر في محاسن شعراء العصر، (دمشق ١٣٠٣هـ / ١٩١٨م) ، ٣ / ١٣٦.
- (<sup>٥٩</sup>) المصدر نفسه ، ٣ / ١٣٧.
- (<sup>٦٠</sup>) ابن شهر آشوب مصدر سابق ج ١ / ٢٥٨
- (٦١) ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر: وزارة الثقافة، ١٩٦٣م. ٢٦/١. ينظر : الهنداوي ، هنادي زعل ، الشريف الرضي وطموحه نحو الخلافة زمن الخليفة القادر بالله (٤٠٦هـ/١٠١٥م ) الجامعة الاردنية ، (٢ العدد، ٤٦ د ) عمان ، ٢٠١٩م.
- (<sup>٦٢</sup>) ابن شهر آشوب مصدر سابق ج ١ / ٢٥٨
- (<sup>٦٣</sup>) المصدر نفسه ج ١ / ٢٥٨
- (<sup>٦٤</sup>) المصدر نفسه ج ١ / ٢٥٨
- (<sup>٦٥</sup>) المصدر نفسه ج ١ / ٢٥٨
- (<sup>٦٦</sup>) المصدر نفسه ج ١ / ٢٥٨
- (\*) فاطمة بنت الناصر : وهي فاطمة بنت الناصر الصغير أبي محمد الحسن ابن أبي الحسين بن أحمد صاحب جيش أبيه الناصر الكبير أبي محمد الحسين بن علي بن الحسين ابن علي بن عمر بن علي السجاد زين العابدين ابن الحسين السبط الشهيد ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليهم السلام والدة الشريف الرضي والمرضى ، توفيت في ذي الحجة عام (٣٨٥هـ). كانت من جليلات النساء وفضلياتهن رأى المفيد في منامه أن فاطمة الزهراء عليها السلام دخلت عليه مسجده ومعها ولداها الحسن والحسين عليهم السلام، فقالت له يا شيخ خذ ولدي هذين وعلمهما الفقه، فلما أفاق تعجب من ذلك، وذهب في صبيحة ذلك اليوم إلى مسجده الذي يدرس فيه فدخلت عليه فاطمة بنت الناصر ومعها ولداها المرضى والرضي وقالت له يا شيخ خذ ولدي هذين وعلمهما الفقه، ففتح الله عليهما من أبواب العلوم ، ينظر: ٢٣. محمد مهدي بن محمد الموسوي

- (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق: أسد الله اسماعيلان، (قم ١٣٩٢هـ/١٩٧١م)، ٤/٢٩٤؛ الاميني، محسن، اعيان الشيعة (ط١، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٣م)، ج: ٨/ص: ٣٩٠؛ وينظر الحسون، محمد، أعلام النساء المؤمنات، ص ٦٨٦. ص ٦٩٩.
- (٦٧) ابن كثير، عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٨٥م)، البداية والنهاية، تحقيق، علي شيري، (ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م) ج ١٥/ص ٥٦٦.
- (٦٨) ابن شهر آشوب مصدر سابق ج ١ / ٢٥٨
- (٦٩) المصدر نفسه ج ١ / ٢٥٨
- (٧٠) المصدر نفسه ج ١ / ٢٥٨
- (٧١) الصفدي، صلاح الدين بن أيبك، (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م)، ٢/٢٧٦.
- (٧٢) ابن عنبه، عمدة الطالب في أنساب ابي طالب، (دار الفكر، بيروت، ١٣٢٢هـ) ص ٢١١؛ وانظر: الحسون، محمد، اعلام النساء المؤمنات، (ط٢، دار الاسرة للطباعة والنشر، طهران، ١٣٣٨هـ) ص ٣٤.
- (٧٣) الخضيرى، قطب الدين، محمد بن محمد، زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض، (مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٦٥هـ) ص ٦٥
- (٧٤) ابن شهر آشوب مصدر سابق ج ١ / ٢٥٨
- (٧٥) الخضيرى، المصدر السابق، ص ٦٥
- (٧٦) المصدر نفسه ج ١ / ٢٥٨
- (٧٧) المصدر نفسه ج ١ / ٢٥٨
- (٧٨) الشريف الرضي، أبو الحسن، السيد محمد بن الحسين بن موسى (٤٠٦ هـ / ١٠٢١ م)، ديوان الشريف الرضي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، (ط١، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م) ص ٣٦.
- (٧٩) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٣/ص ١٥٥
- (٨٠) ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٢٠٧.
- (٨١) ينظر: الماوردي، مصدر سابق، ص ١٥٣.
- (٨٢) النههاني، يوسف بن اسماعيل (ت ١٣٥٠هـ) الشرف المؤيد لال محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٢٨هـ) ص ٤٧.
- (٨٣) ينظر: ابن سعد، أبو عبد الله بن سعد بن منيع البصري، (ت ٢٣٠/٨٤٥م) الطبقات الكبرى، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٩٥م) ج ١ / ص ٧٥
- (٨٤) المصدر نفسه، ج ١/ص ٧٦
- (٨٥) ينظر: المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٨م) كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) ج ١/ص ٤٤.
- (٨٦) ينظر: الاميني، الغدير، ج ٤/ص ٢٠٥.
- (٨٧) المصدر نفسه، ج ٤/ص ٢٠٦.
- (٨٨) المصدر نفسه، ج ٤/ص ٢٠٧.

(<sup>٨٩</sup>) ينظر: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري ، (ت ٣٦٠هـ/١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٥ م ) ج ٩/ص ٢٥.

## المصادر والمراجع

### أولاً المصادر الاولية :

#### ❖ القرآن الكريم

❖ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري ، (ت ٣٦٠هـ/١٢٣٣م)،

١. الكامل في التاريخ،( دار صادر، بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٥ م )

❖ الأزهرى ، أبي منصور محمد بن احمد (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٥ م) ،

٢. تهذيب اللغة ، اشراف محمد عوض مرعب ، علق عليها عمر سلامي ، عبد الكريم حامد ،

تقديم فاطمة

❖ الأميني عبد الحسين احمد النجفي (ت ١٣٩٢هـ ١٩٧١ م ) ،

٣. الغدير ( دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٧هـ ١٩٧٦م) ،

❖ البغدادى ، ابي بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٧٨م)،

٤. تاريخ بغداد ، ومدينة السلام ، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا ( ط ١، دار الكتب العلمية ،

بيروت ٨٠٢ هـ )

❖ الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٨م) ،

٥. الصحاح في اللغة ، تحقيق، احمد عبد الغفور ،( دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٧هـ/

١٩٨٧م)

❖ الذهبي ، شمس الدين ، ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان : (٧٤٨هـ/١٣٦٣م)

٦. سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الارناؤوط وحسين الأسد ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ،

١٤٢٢هـ)

❖ ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م )

٧. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر: وزارة الثقافة، ١٩٦٣م.

❖ الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٤٤م) ،

٨. يتيمة الدهر في محاسن شعراء العصر،(دمشق ١٣٠٣هـ / ١٩١٨م) ،

- ❖ الخوانساري ، محمد مهدي بن محمد الموسوي (١٣٩١هـ/١٩٧١م)،  
٩. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق : أسد الله اسماعيلان ، (قم ١٣٩٢هـ / ١٩٧١م)
- ❖ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م)  
١٠. تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/ ٩٧٧ م )
- ❖ ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس (ت ٦٨١هـ/١٣٣٦م)،  
١١. وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق، محي الدين عبد الحميد، (بيروت ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٨م).
- ❖ الرازي، ابن ابي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت ٣٢٧هـ)  
١٢. الجرح والتعديل دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٣٢هـ)
- ❖ الزبيدي ، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ / ١٨٢٠م)،  
١٣. تاج العروس من جواهر القاموس ، (مكتبة الحياة ، بيروت ، بلا . ت)
- ❖ الزركلي، خير الدين (ت ١٠٣٦هـ/١٦٥١م) ،  
١٤. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط١، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)
- ❖ سبط ابن الجوزي ،شمس الدين أبو المظفر يونس (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٦٩ م ) ،  
١٥. تذكرة الخواص، (المطبعة العلمية ، النجف ١٣٦٩هـ / ١٩٨٤ م )
- ❖ ابن سعد ، أبو عبد الله بن سعد بن منيع البصري،(ت ٢٣٠/٨٤٥م)،  
١٦. الطبقات الكبرى، تحقيق: احسان عباس ، (بيروت ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٩٥م)
- ❖ الشريف الرضي ، أبو الحسن، السيد محمد بن الحسين بن موسى ( ٤٠٦هـ / ١٠٢١م )،  
١٧. ديوان الشريف الرضي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ،(ط١، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م)
- ❖ ابن شهر اشوب ، أبي جعفر محمد بن علي بن (ت ٥٨٨هـ) ،  
١٨. المناقب ، المطبعة الحيدرية ، النجف، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦ )

- ❖ القفطي، جمال الدين ابو المحاسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٦١م) ،  
١٩. أنباه الرواة على ابنه النحاة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (دار الكتب المصرية ،  
١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م)
- ❖ الصفدي ، صلاح الدين بن أبيك ، (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)،  
٢٠. الوافي بالوفيات ، تحقيق، أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى (ط١، دار إحياء التراث العربي  
، بيروت ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م )
- ❖ الكتبي ،ابن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر (ت ٧٦٤هـ / ١٢٧٧م )  
٢١. فوات الوفيات ، تحقيق: احسان عباس (دار صادر، بيروت ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٣م)
- ❖ ابن كثير، عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٨٥م )  
٢٢. البداية والنهاية ، تحقيق ،علي شيري ،( ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ /  
١٩٨٨م )
- ❖ الكليني ، هو محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩هـ / ٩٤١م )  
٢٣. الكافي ( دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٢٢هـ)
- ❖ المجلسي، الشيخ محمد باقر المجلسي(ت ١١١١هـ)  
٢٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ( مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،  
بيروت، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م )
- ❖ المتقي الهندي ، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٨م)  
٢٥. كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م)
- ❖ الماوردي، علي بن محمد(ت ٩٧٢هـ)،  
٢٦. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق عباس أحمد الباز (ط٢، دار التعاون للنشر  
والتوزيع ، مكة ، ١٣٨٦هـ/ ١٥٦٦م).
- ❖ المباركفوري ، صفي الدين(ت ١٤٢٧هـ)  
٢٧. الرحيق المختوم، ( ط١ ، طبعة دار الهلال، بيروت ، ١٣٢٢هـ) ، ص ١٣٧،
- ❖ ابن منظور ، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣٢٦م )،  
٢٨. لسان العرب ، ( دار صادر ، للطباعة والنشر، بيروت ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م ) .

ثانياً: المراجع :

- ❖ الخوئي ، أبو القاسم  
٢٩. معجم رجال الحديث، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٢٨هـ)
- ❖ الطهراني ، آقا بزرك ،  
٣٠. الذريعة، ( ط٣، دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٩٨٣م)  
❖ الأمين، حسن ،  
٣١. دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، (ط٦.، دار التعارف للمطبوعات، بيروت  
١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)  
❖ ابن عنبه ،  
٣٢. عمدة الطالب في أنساب ابي طالب ،(دار الفكر ، بيروت، ١٣٢٢هـ)  
❖ الحسون ، محمد ،  
٣٣. اعلام النساء المؤمنات ،(ط٢، دار الاسرة للطباعة والنشر ، طهران ، ١٣٣٨هـ)  
❖ الخضيرى ، قطب الدين ، محمد بن محمد ،  
٣٤. زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٦٥هـ)  
❖ الهنداوي ، هنادي زعل ،  
٣٥. الشريف الرضي وطموحه نحو الخلافة زمن الخليفة القادر بالله (٤٠٦ هـ/١٠١٥ م )  
الجامعة الاردنية ( العدد، ٤٦ د ) عمان ، ٢٠١٩م.  
❖ النبھاني ، يوسف بن اسماعيل ( ت ١٣٥٠هـ)  
٣٦. الشرف المؤبد لال محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٢٨هـ)  
❖ الاميني عبد الحسين احمد النجفي (ت ١٣٩٢هـ ١٩٧١م ) ،  
٣٧. الغدير ( دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٧هـ ١٩٧٦م)

# **السياسة البريطانية تجاه لبنان ١٩٣٩ - ١٩٤٦**

**م.م. حسن غانم عبد رن الحساوي / المديرية العامة للتربية**

**في ذي قار**

## **British policy towards Lebanon 1939 - 1946**

**Assist lect. Hassan Ghanem A. Al-Hasnawi General Directorate of**

**Education in Dhi Qar**

السياسة البريطانية تجاه لبنان ١٩٣٩ - ١٩٤٦

م.م. حسن غانم عبير ردن الحسناوي

المديرية العامة للتربية في ذي قار

الملخص

إن طبيعة السياسة البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها كانت تعمل بالحفاظ على مستقبل مصالحها في المنطقة العربية بصورة عامة وعدم فسح المجال اما قوى خارجية كبيرة ذات تأثير على هذه المنطقة ، على الرغم من مرحلة الضعف التي يمر بها شركائها ومنهم فرنسا ، إلا ان بريطانيا ارتكزت في سياستها بالتعامل على اساس نيل لبنان الحرية والاستقلال وجعلها في مصافي الدول المستقلة والعمل على دعمها من اجل حماية المصالح البريطانية في تلك المنطقة .



---

---

## British policy towards Lebanon 1939 – 1946

Assist lect. Hassan Ghanem A. Al-Hasnawi

General Directorate of Education in Dhi Qar

### Abstract

The nature of British policy during the Second World War and its aftermath was working to preserve the future of the Arab region in general and not to open the way for large foreign powers with influence on this region, despite the stage of weakness that its partners, including France, are going through, but Britain has based its policy By dealing on the basis of Lebanon gaining freedom and independence, placing them in the refineries of independent states, and working to support them in order to protect British interests in that region.

## المقدمة

لقد ساعد الموقع المتميز الى لبنان ان تكون محط اطماع كثير من الدول الكبرى ومنها بريطانيا التي كانت تسعى للحفاظ على طرق مواصلاتها مع مستعمراتها في الهند درة التاج البريطاني ، وفي ظل مرحلة الضعف التي تمر بها فرنسا اخذت بريطانيا تتبع طرق متعددة في سياستها تجاه لبنان في سبيل عدم فسخ المجال امام قوى اخرى تحاول فرض سيطرتها على لبنان .

إن التطرق لدراسة السياسة البريطانية تجاه لبنان ١٩٣٩-١٩٤٦ له اهمية كبيرة لمعرفة مفاصل الاحداث المهمة لتاريخ لبنان وكيفية حصوله على الاستقلال ، ومن هنا تأتي اهمية هذا البحث الذي سلط الضوء على الاحداث التاريخية على اساس موضوعي ، اذ تطرق في المبحث الاول الى موقف بريطانيا من دول المحور تجاه لبنان ١٩٣٩-١٩٤٢ ، ورغبة المانيا في التنافس مع بريطانيا من اجل السيطرة على لبنان خصوصا بعد احتلال المانيا لفرنسا بوصفها الدولة المنتدبة على لبنان ، في حين تناول المبحث الثاني الدور البريطاني في انتخابات لبنان ١٩٤٣ وكيفية سير العملية البرلمانية في لبنان والوقوف معها ، إلا ان المبحث الثالث جاء ليكشف عن اثر السياسة البريطانية في لبنان ١٩٤٤-١٩٤٦ ومعرفة الوجه المغاير الذي ظهرت عليه بريطانيا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وتم التوصل في خاتمة البحث الى نتائج مهمة خلال المدة قيد دراسة البحث .

### المبحث الاول : موقف بريطانيا من دول المحور تجاه لبنان ١٩٣٩ - ١٩٤٢

اخذت بريطانيا تبحث لها منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي والنصف الاول من القرن العشرين على قاعدة تمكنها من تأمين مواصلاتها في البحر المتوسط والخليج العربي وخصوصاً مع مستعمراتها في الهند ، فقد ساعد الموقع الاستراتيجي الذي تملكه لبنان ومرافئها كل من بيروت وطرابلس في توجيه انظار الدول العظمى ومنها بريطانيا باتجاه المشرق العربي<sup>(١)</sup>.

لقد دفع نشوب الحرب العالمية الثانية في الاول من ايلول ١٩٣٩ الى اعتبار الاراضي الواقعة تحت الانتداب مناطق حربية ومنها لبنان التي طبق فيها النظام العسكري المباشر من قبل فرنسا حتى ٨ اذار ١٩٤٣ وعلى اثر هزيمة فرنسا امام الالمان ادى الى انقسام الفرنسيين

الى حكومة فيشي ويرأسها المارشال بيتان<sup>(٢)</sup> (PETAIN) ، وحكومة فرنسا الحرة في الخارج ويرأسها الجنرال ديغول<sup>(٣)</sup> (DEGUALLE) ، الا ان حكومة فيشي الفرنسية كانت اكثر تجاذباً وانسجاماً مع دول المحور وخصوصاً المانيا مما اثار مخاوف بريطانيا من قيام دول المحور بغزو المشرق العربي لذلك قام وزير الدولة البريطاني اوليفر ليبنتون المقيم في القاهرة الى التصريح بان الحكومة البريطانية لن تسمح باستخدام لبنان كقاعدة حربية للهجوم على اقطار المشرق العربي والتي تعهدت بريطانيا بحمايتها او ان تكون مسرحاً للقوافل التي تعرض بقية اقطار المشرق العربي الى الخطر وأضاف بان سياسة بريطانيا تجاه لبنان هي ترك الحرية التامة لها في ان تتخذ الموقف الذي يلائم مصالحها في تحقيق الاستقلال<sup>(٤)</sup>، مما ادى الى تازم الموقف بين الحكومة الفيشية وبريطانيا التي قامت بغلق السفارة الفرنسية في لندن في ٢٠ تموز ١٩٤٠<sup>(٥)</sup> في حين دفع توتر العلاقات هذا الى قيام بريطانيا بإيقاف التبادلات التجارية بين سوريا ولبنان من جهة ومع البلدان العربية المجاورة للبنان من جهة اخرى مما دفع بفرنسا الى القيام بفرض قيود على الرعايا البريطانيين الموجودين في لبنان<sup>(٦)</sup>، في حين ان السياسة البريطانية كانوا يتخوفون من امتداد نفوذ الالمان الى المشرق العربي عن طريق ضغط الالمان على هنري دانتز (HENRI DENTZ)<sup>(٧)</sup> الذي خلف بيو على رأس الحكومة الفيشية ، في ظل تردي الاوضاع الاقتصادية للشعب اللبناني وكذلك هياج الحركات الوطنية المنددة بالانتداب الفرنسي على لبنان دفع بدانتز في ٩/٤/١٩٤١ الى تشكيل حكومة لبنانية<sup>(٨)</sup> تكون اكثر تماشياً مع رغبات حكومة الانتداب الفرنسي الموالية لدول المحور والتي فسحت المجال امام الطائرات الالمانية المقاتلة لاستخدام كافة المطارات التي تقع ضمن الاراضي اللبنانية<sup>(٩)</sup>، وكان سيطرة المانيا على مطارات لبنان يعني السيطرة على قناة السويس وكذلك مصافي تكرير النفط في المنطقة وكذلك زيادة اعداد البعثات الالمانية والايطالية المرسلة الى لبنان ، مما اثار قلق ومخاوف الكثير من السياسة البريطانيين ليس من قيام المانيا باحتلال سوريا ولبنان فحسب بل من تقديم يد المساعدة لثورة رشيد عالي الكيلاني<sup>(١٠)</sup> الذي قام بانقلاب في العراق وأعلن الحرب ضد بريطانيا<sup>(١١)</sup>، فضلاً عن توجه هتلري لمساعدة حركات التحرر العربية في المنطقة ، إلا ان بريطانيا لم تقف مكتوفة الايدي امام تدخلات دول المحور في لبنان فقد امر ونستون تشرشل<sup>(١٢)</sup> رئيس الوزراء البريطاني بشن حملة عسكرية اطلق عليها اكسبورتتر<sup>(١٣)</sup> (EXPORTER)

OPERATIO وعهد بقيادتها الى ويلسون (WILLSON) الذي تمكن من دخول الحدود اللبنانية في صباح ٨ حزيران ١٩٤١ وذلك لعدم فسح المجال امام دول المحور من استخدام لبنان قاعدة للهجوم على الدول التي تقع تحت انتداب فرنسا وبريطانيا<sup>(١٤)</sup>، وبعد ذلك اصدر السفير البريطاني في القاهرة مايلز لامبسون (MILES LAMPSON) بيان باسم الحكومة البريطانية اكد من خلاله بانه في حالة انضمام لبنان الى جانب دول الحلفاء فان حكومة انكلترا تمنحهم كافة المميزات التي تتمتع بها البلدان المجاورة للبنان والداخلة في نطاق الجنيه الاسترليني (STERLING BLOC) وكان الوعد الذي قطعه بريطانيا في سبيل نيل لبنان استقلالها يعكس مدى تزايد الدور الذي تلعبه بريطانيا في منطقة المشرق العربي والذي يفوق موقف فرنسا المتمثل بالانتداب على كل من سوريا ولبنان<sup>(١٥)</sup> من جهة وكذلك استقطاب كافة القيادات المحلية التي تطالب بإنهاء الانتداب والحصول على الاستقلال والسيادة الوطنية مطالبان بتحققان بالتحالف مع السياسة الانكليزية في المنطقة<sup>(١٦)</sup> مما دفع بوزير الدولة البريطاني اوليفر لينلتون ( OLIVER LETTELTON ) فور وصوله الى القاهرة في ٦ تموز ١٩٤١ الى ان يوصي باستمرار السيطرة العسكرية البريطانية ومنع فرنسا الحرة من تنفيذ اي اجراء محتمل متذرعة بالدفاع عن النظام المدني في منطقة المشرق العربي ومنع اي هجوم لدول المحور على هذه المنطقة في المستقبل<sup>(١٧)</sup> الا ان هذا لا يعني عدم اعتراف بريطانيا بمكانة فرنسا الحرة بالمنطقة في ظل وجود الاتفاقيات التي وقعت بين بريطانيا وفرنسا الحرة ومنها اتفاق ديغول - لينلتون<sup>(١٨)</sup> والتي اصرت من خلاله بريطانيا على منح لبنان استقلالها ، وكذلك عرض تشرشل في ٩ ايلول ١٩٤١ على مجلس العموم البريطاني للسياسة البريطانية بشأن المستقبل السياسي للبنان قائلاً " نحن لا نسعى لاستبدال المصالح الفرنسية بالمصالح البريطانية في اي جزء من اجزاء لبنان وان بريطانيا ستقوم بإعادة لبنان الى اصحابها الذين يتمتعون بحقوقهم في السيادة والاستقلال في اقرب فرصة ممكنة"<sup>(١٩)</sup>.

إن طبيعة السياسة البريطانية هو المحافظة على دول منطقة المشرق العربي ومنها لبنان وعدم فسح المجال امام دول المحور وحلفائهم في المنطقة من فرض هيمنتهم على اي دولة تقع تحت الانتداب البريطاني او الفرنسي مما دفع الكثير من رجال السياسة البريطانيين في التعبير عن رغبتهم لمنح لبنان الحرية والاستقلال وعدم فرض القيود امام تحقيق ذلك<sup>(٢٠)</sup> وعلى الرغم من

الاقتراحات والتحفظات البريطانية ازاء اعلان استقلال لبنان والتي لم يتم تحاشيها من قبل فرنسا الحرة إلا ان بريطانيا اعترفت رسمياً باستقلال لبنان في ٢٦ كانون الاول ١٩٤١ عندما بعث الملك جورج السادس تهنئة للرئيس اللبناني وتم تبادل الرسائل بعد ذلك بين الطرفين<sup>(٢١)</sup>، وفي شباط ١٩٤٢ عينت بريطانيا ادوارد سبيرس<sup>(٢٢)</sup> اول وزير مفوض لها في لبنان<sup>(٢٣)</sup>، إلا ان هذا الاعتراف لم يرضي كثير من الاطراف الدولية ومنها تركيا والولايات المتحدة الامريكية فالأولى لم تعترف (بديغول) ، والثانية كانت على علاقات دبلوماسية مع حكومة فيشي وعلى الرغم من ذلك فأنها اعترفت ضمناً بعد تعيين ودسورث (WADSWORTH) قنصلاً عاماً في بيروت ، في حين ان العراق قرر تأجيل الاعتراف بالاستقلال لحين ظهور حكومة دستورية في لبنان ، وقد ورد ذلك على لسان المستر (هاملتون) القائم بالأعمال البريطانية في بيروت عندما ابلغ الجنرال كاترو<sup>(٢٤)</sup> واشترطت الحكومة العراقية الاعتراف باستقلال لبنان اذا اعطي الحكم للوطنيين الذين يمثلون البلد تمثيلاً حقيقياً<sup>(٢٥)</sup>، وان التأثير البريطاني الواضح في مجريات الحياة السياسية اللبنانية وخصوصاً في قضية نيل لبنان استقلالها دفع فرنسا الحرة الى الاعلان باعترافها نيل لبنان استقلالها في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤١ الامر الذي بموجبه حصل كذلك على اعتراف بريطانيا بما يخدم مصالحها الاستراتيجية المتعلقة بوجودها العسكري في لبنان بشكل خاص ومنطقة المشرق العربي بشكل عام وهذا ما كانت دول المحور وفي مقدمتها المانيا تسعى للحيلولة دون تحقيق ذلك<sup>(٢٦)</sup>، يبدو ان اندلاع الحرب العالمية الثانية كان له اثره الواضح في سياسة بريطانيا تجاه مصالحها من خلال تأمين طرق مواصلاتها مع مستعمراتها في الهند خصوصاً بعد ادراكها لأهمية منطقة المشرق العربي وموقعها الحيوي كإدراكها بالتحرك الالمانى تجاه هذه المنطقة بعد دخولها باريس واحتلالها فرنسا التي تُعد الدولة المنتدبه على لبنان مما اثاره عامل التخوف لدى بريطانيا وما يشكله هذا الانهيار الباريسي من خطر على مصالح بريطانيا التي اخذت تعد العدة للوقوف بوجه محاولات دول المحور بزعمامة المانيا الرامية للحصول على موطن قدم لها في المناطق القريبة من المصالح البريطانية واستخدامها كوسيلة للضغط على بريطانيا .

المبحث الثاني : دور بريطانيا في انتخابات لبنان ١٩٤٣

لقد كان لاندلاع الحرب العالمية الثانية اثر كبير في ايقاف الكثير من المؤسسات الحكومية في لبنان ومنها المؤسسات الدستورية ، إلا ان هذا الايقاف كان خاضع لمؤثرات سياسية في ضل عدم رغبة فرنسا بنقل الصلاحيات الادارية والدستورية كافة الى اللبنانيين مع استمرار الضغوط البريطانية المطالبة بنقل صلاحيات واسعة للبنانيين في سبيل تحقيق الاستقلال<sup>(٢٧)</sup>، إلا ان الدعم البريطاني هذا بدء بقوة بعد ان فرضت بريطانيا سيطرتها على التخوم الغربية لمصر وبذلك تكون قد بسطت نفوذها على بلاد الشام ، إلا ان الضعف الشامل الذي كانت تعاني منه فرنسا على كافة المستويات دفعها للقبول بفكرة الانتخابات في نهاية عام ١٩٤٢ وبداية عام ١٩٤٣ في ضل التخوف من انتهاز الوطنيين اللبنانيين فرصة الوجود العسكري البريطاني الذي سيخولهم اجراء انتخابات لغرض الحصول على الاستقلال دون معاهدة وكذلك استغلال الانكليز هذه الفرصة لتصفية الوجود الفرنسي في المشرق العربي<sup>(٢٨)</sup>، ومن جهة اخرى اعتبرت بريطانيا نفسها ملتزمة امام الشعبين السوري واللبناني بأنها الانتداب خصوصاً وان بريطانيا وجدت نفسها بعد اعترافها باستقلال لبنان عرضة لضغوط محلية تطالبها بإجراء انتخابات حرة في لبنان<sup>(٢٩)</sup>، وان اجرائها بات امرأ ضروري لتنظيم الوضع العام في لبنان من وجهة النظر البريطانية ، مما دفع بـ(سبيرز) بعد تعيينه أول وزير بريطاني مفوض في لبنان ان يبعث برسالة الى القنصل الامريكي يوضح فيها بان تأخر الانتخابات سيؤثر على امن بريطانيا العسكري في منطقة المشرق العربي وسيؤدي ذلك الى اخطار بعيدة الاثر<sup>(٣٠)</sup>، في حين ان الامن العسكري كان احدى مرتكزات السياسة البريطانية للضغط على خصومها من اجل تقديم التنازلات السياسية لها مع ما يتفق مع مصالحها السياسية<sup>(٣١)</sup>، مما دفع بالسكرتير العام للمفوضية الفرنسية العامة في بيروت (هيللو) ان يصدر بياناً في ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٣ يبين فيه عزم فرنسا في نيل لبنان استقلالها السياسي والدستوري من خلال اختيار شخصيات سياسية محلية تمثل لبنان تمثيلاً عادلاً<sup>(٣٢)</sup>.

بعد ان اخذت الضغوط السياسية مأخذها في سبيل فسح المجال امام الشعب اللبناني لممارسة حقه الانتخابي ، إلا ان هذا المسار الانتخابي في لبنان اخذ يأخذ منحى اخر من خلال تكريس عامل التجزئة بين صفوف الشعب وتشجيع الطائفية<sup>(٣٣)</sup>، من خلال قيام الفرنسيين بتقريب الموارد لهم وإعطائهم امتيازات تفضلهم على سواهم من الطوائف على حد قول الوزير البريطاني

المفوض (سبيرز)<sup>(٣٤)</sup>، في ضل وجود بعض المساعي من اجل التوصل الى التوافق حول التمثيل الانتخابي لطوائف الشعب اللبناني في العملية الانتخابية التي انطلقت في التاسع والعشرين من شهر آب ولغاية الخامس من ايلول لسنة ١٩٤٣ في ضل الاحتجاجات البريطانية ، وذلك لغرض تسوية يتضمن من خلالها المجلس على خمسة وخمسين نائباً ، فيشمل ثلاثون للمسيحيين وخمسة وعشرون للأعضاء المرشحين من المسلمين<sup>(٣٥)</sup>.

بدء التنافس الانتخابي في لبنان بين تيارين لكل منهما فلسفته الخاصة به اثناء العملية الانتخابية اذ ان التيار الاول يُعد ذي نزعه قومية فقد نادى بالتعاون مع الدول العربية وعدم فصل لبنان عن محيطه العربي وكان زعيمه بشارة الخوري<sup>(٣٦)</sup> ومن رموزه رياض الصلح وعبد الحميد كرامي ، فيما تزعم اميل اده المعروف بولائه التام للمستعمر الفرنسي التيار الثاني والذي اراد من لبنان ان تكون دولة مغلقة عن البلدان العربية لكي تلتصم الحماية من فرنسا ، فقد حصل التيار الاول الذي تزعمه بشارة الخوري على دعم كبير من قبل بريطانيا والحكومات العربية<sup>(٣٧)</sup>، إلا ان الدعم البريطاني هذا لم يكن سوى تنفيذ لتوصيات مجلس حرب الشرق الاوسط الذي انعقد في القاهرة بين ١٠ الى ١٣ من أيار ١٩٤٣ برئاسة وزير الدولة البريطاني ريتشارد كاسي (R. CASEY) ووكيله موين (MOYN) وعضوية سفراء بريطانيا في كل من مصر والعراق واليونان والمندوب السامي البريطاني في فلسطين وشرق الاردن والوزير المفوض في سوريا ولبنان (سبيرز) فقد اصدر المجلس عدة قرارات منها :

- ١- توسيع صلاحيات بريطانيا على المستوى العسكري في منطقة المشرق العربي .
- ٢- الابقاء على دول المشرق العربي ضمن دائرة اقتصادية في منطقة الاسترليني .
- ٣- دمج سوريا ولبنان في منظمة الشرق الاوسط ودعم سعيهما نحو الاستقلال<sup>(٣٨)</sup>.

ان هذه القرارات كانت تهدف الى اقضاء فرنسا من منطقة المشرق العربي وفسح المجال امام البريطانيين من اجل فرض سيطرتهم المباشرة على هذه المناطق بعد ان تمكن بشارة الخوري من الفوز بأغلب مقاعد مجلس النواب الذي عقده جلسته الاولى في ٢١ ايلول ١٩٤٣ ولم يحضر من النواب الخمس والخمسون سوى سبع وأربعون نائباً في جلسة الاقتراع على رئيس الجمهورية<sup>(٣٩)</sup>، اذ انتخب اربع وأربعون منهم بشارة الخوري رئيساً للجمهورية فيما اوكل الاخير رئاسة الحكومة الى رياض الصلح والذي يُعد محسوباً على بريطانيا حسب وجهة نظر الفرنسيين

بعد ان القى بيانه الوزاري والذي اكد من خلاله على اهمية الميثاق الوطني<sup>(٤٠)</sup>، والذي كان يهدف الى الصداقة مع كل الدول الاجنبية التي تعترف باستقلال لبنان وتحترم اراضيها ، مما دفع ببريطانيا لتعزيز موقفها تجاه لبنان ان طالبت الحكومة المصرية ان تقوم بعقد اجتماع في ٢ حزيران ١٩٤٣ في القاهرة يكون تحت رعايتها بريطانيا يتم من خلاله دعوة بشارة الخوري وجميل مردم ووزير الخارجية السوري ورئيس الوزراء الحكومة المصرية مصطفى النحاس<sup>(٤١)</sup>، ومحمد شرارة وكيل وزير الخارجية المصرية<sup>(٤٢)</sup>، لغرض التوصل الى صيغة تتنازل بموجبها سوريا عن اي مطالب لها في لبنان مقابل التزام بشارة الخوري بالتعاون مع الدول العربية<sup>(٤٣)</sup>، ليس هذا فحسب بل عمدت بريطانيا الى رفع مذكرة احتجاج ارسلها الوزير البريطاني المفوض في سوريا ولبنان الى هيللو على اثر اعتقال رؤساء الحكومة اللبنانية<sup>(٤٤)</sup>، وشددت من خلالها بريطانيا بالتدخل العسكري في حال عدم الافراج عن رئيس الجمهورية بشارة الخوري وأعضاء حكومته ، إلا ان تصلب الموقف الفرنسي تجاه مطالب الحركة الوطنية المطالبة بإطلاق سراح المعتقلين دفع بريطانيا الى القيام بإرسال وزيرها المفوض في القاهرة كاسي ( CASY ) الى بيروت حاملاً معه انذاراً صريحاً الى كاترو في التاسع عشر من تشرين الثاني ١٩٤٣ مشدداً على الموقف البريطاني المتمثل بالتدخل العسكري في حال عدم الافراج عن المعتقلين وإخراجهم بالقوة<sup>(٤٥)</sup>، ولم يكن امام فرنسا خياراً آخر سوى اطلاق سراحهم في الثاني والعشرين من تشرين الثاني لعام ١٩٤٣<sup>(٤٦)</sup> ، وليس هناك ما هو اكثر دلالة على ان فرنسا كانت بحكم الدولة المنتهية القوة في نظر المسؤولين البريطانيين بعد استبعادها تماماً من ترتيبات ما بعد الحرب العالمية الثانية<sup>(٤٧)</sup>، يبدو ان ظهور النظام السياسي اللبناني كان نتيجة طبيعية لمؤثرات فكرية وسياسة غربية بعد ان مر بمراحل متعددة من الشد والجذب في كيفية سير الحياة النيابية في لبنان مع ما يتوافق مع مصالح الدول المنتدبة وخصوصاً فرنسا الساعية لعدم منح لبنان استقلاله التام وإبقائه تحت طائلة الانتداب لفترة طويلة وفي ضل وجود المعارضة الشديدة من قبل قادة الحركة الوطنية اللبنانية ورغبة بريطانيا في تنفيذ وعودها التي قطعتها لمنح لبنان استقلاله السياسي والنيابي في سبيل الحفاظ وحدة وامن واستقرار هذه المنطقة من المشرق العربي .

المبحث الثالث : أثر السياسة البريطانية في لبنان ١٩٤٤-١٩٤٦



تُعد بريطانيا احدى اكبر اقطاب دول التحالف التي سارت الحرب العالمية الثانية الى جانبها بعد ان اوشكت في عام ١٩٤٤ على نهايتها ، لذلك كانت بريطانيا تدعم مطالب الدول المطالبة بالحصول على الاستقلال ومنها لبنان ، وقد اوضح انتوني أيدن وزير الخارجية البريطاني في ٩ كانون الثاني ١٩٤٥ الى كميل شمعون الوزير اللبناني المفوض في لندن بأن بريطانيا لا تتراجع عن الاعتراف باستقلال لبنان وانه يجب التوصل الى صيغة للاتفاق حول ذلك الامر<sup>(٤٨)</sup>، ومما يؤكد موقف السياسة البريطانية تجاه لبنان هو توتر العلاقة بين بريطانيا وفرنسا حول قيام فرنسا بإرسال قواتها العسكرية الى لبنان<sup>(٤٩)</sup>، وقيام بريطانيا برفع مذكرة احتجاج على ذلك في ١٧ ايار ١٩٤٥، وبعد انتصار الحلفاء على دول المحور في اوربا واستسلام المانيا تزايد النفوذ الشيوعي وكذلك الاستفزازات الفرنسية في المشرق العربي مما دفع بكميل شمعون ان يقدم مذكرة احتجاج الى الوزير البريطاني المفوض ترانس شون ( T.SHONE ) في بيروت<sup>(٥٠)</sup>.  
لقد اعرب الجنرال باجيت ( PAGET ) القائد الاعلى للقوات البريطانية في المشرق العربي عن موقف بريطانيا المتشدد تجاه فرنسا وذلك بعد مطالبة المفوض الفرنسي العام بينيه (BEYNE) بعودة القوات الفرنسية الى ثكناتها تحت الاوامر العسكرية البريطانية وان اي وحدة فرنسية ستقوم بإطلاق النار سيتم الرد عليها من قبل الوحدات العسكرية البريطانية ، وقال بأنه لا يجوز لأي جندي فرنسي الخروج الى الشارع بدون حصوله على الموافقة<sup>(٥١)</sup>.

لقد اعلنت الجامعة العربية من جانبها في جلستها الثالثة والرابعة في ٦ حزيران ١٩٤٥ عن قرارها بتسليم القوات الخاصة الفرنسية الى الحكومة اللبنانية والحكومة السورية<sup>(٥٢)</sup>، إلا ان الحكومة البريطانية قررت ربط مصير القوات الفرنسية بمصير الجيش البريطاني التاسع لحين ايجاد الحلول الدولية<sup>(٥٣)</sup>، في ظل المتغيرات التي شهدتها الساحة السياسية البريطانية وخصوصاً بعد مجي حزب العمال الى السلطة في ٢٦ تموز ١٩٤٥ وفوزهم في الانتخابات ومتقدمين على حزب المحافظين وسياستهم ذات الوجهين والذين يؤيدون استقلال لبنان من جهة ويعترفون بالمركز المتميز لفرنسا في لبنان من جهة اخرى<sup>(٥٤)</sup>، فقد فسح المجال امام الوطنيين اللبنانيين للضغط على الحكومة البريطانية لتحقيق مطالبهم في جلاء القوات الفرنسية من اراضيهم ، وبالفعل بادر وزير الخارجية البريطاني بيفن ( BEVIN ) الى عقد مؤتمر برئاسته في ١٤ ايلول ١٩٤٥ بحضور ممثلي بريطانيا الدبلوماسيين في عواصم الدول العربية لتحديد سياسة بريطانيا

الجديدة في الشرق الاوسط بصورة عامة في حين ان الحكومة اللبنانية قد رفضت ان تكون لبنان مسرحاً لتتصارع عليه الدول الكبرى<sup>(٥٥)</sup>، على الرغم من ان السياسة البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية اخذت تأخذ منحى اخر تجاه شركائها في الحرب وذلك من خلال عدم الاستخفاف بمصالحهم واستحقاقاتهم الاستعمارية اذ عقدت بريطانيا مؤتمراً لوزراء خارجية الدول الخمس الكبرى في لندن في ١١ ايلول ١٩٤٥ للبحث في جميع المشكلات والتسويات الناجمة عن الحرب ورسم سياسة الاستقرار في العالم<sup>(٥٦)</sup>، اذ ان هذا المؤتمر جعل هناك تقارباً بريطانياً فرنسياً لاح في الاق من خلال تصريح شارل ديغول الذي بين فيه بأنه ليس من مصلحة بريطانيا وفرنسا زوال مصالحهم المشتركة في المشرق العربي<sup>(٥٧)</sup>، ليس هذا فحسب بل عقد هناك اتفاق فرنسي بريطاني في ١٣ كانون الاول ١٩٤٥ اكد على ابقاء الفرنسيين وتنشيط اقتصادياتهم في لبنان<sup>(٥٨)</sup>، في حين اثار هذا القرار حفيظة الدول الكبرى الاخرى المشاركة في مؤتمر لندن ومنها روسيا والولايات المتحدة الامريكية اذ ابدت الاخير اعتراضها لهذا الاتفاق وعدته منافي للقواعد الموضوعة في ميثاق الامم المتحدة، كما اعلن الاتحاد السوفيتي عن اعتراضه لهذا القرار وأكد بأنه يحافظ على اعترافه بسيادة لبنان واستقلاله وانه في حال ارادة الحكومة اللبنانية مقاومة هذا الاتفاق فان الحكومة الروسية سوف تقف الى جانبها<sup>(٥٩)</sup>، وبرر الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية الكسندر كادوغان (A.CADOGAN) بان اتفاقية ١٣ كانون الاول ١٩٤٥ جاءت تداركاً لنشؤ اي فراغ وتأميناً لسلامة منطقة المشرق العربي الاستراتيجية في العالم، إلا ان الحكومة اللبنانية اعلنت عن رفضها لنبود الاتفاق الفرنسي - البريطاني وعدته نقض لوعود بريطانيا الداعمة لقضية استقلال لبنان واستنكرت خطة التسوية في جلاء القوات الاجنبية عن اراضيها<sup>(٦٠)</sup>، وطالبت في ٩ كانون الثاني ١٩٤٦ بالالتزام بإحكام ميثاق الامم المتحدة واحترام سيادة لبنان واستقلاله على الصعيد الوطني<sup>(٦١)</sup>، إلا ان السياسة البريطانية اخذت تتبنى مشاريع متنوعة في المنطقة العربية تثبت من خلالها نفوذها الاقتصادي والاستراتيجي لذلك لجأت الى تحقيق فكرة الجامعة العربية لكي تساعد في خدمة مصالحها وإفشال المشاريع الفرنسية في المنطقة وإحباط الاماني الوطنية العربية في تحقيق الاستقلال وكذلك الوقوف بوجه اي خطة وحدوية للعرب في المستقبل تساعد في تهديد المصالح البريطانية في المنطقة العربية<sup>(٦٢)</sup> وبموجب هذه المخططات قررت لبنان رفع قضيتها الى منظمة الامم المتحدة، اذ عين بشارة

الخوري وزير خارجيته حميد فرنجيه ليكون رئيساً للوفد اللبناني الذي تفاوض في لندن من اجل جلاء القوات الاجنبية والذي وصل في ٦ كانون الثاني ١٩٤٦ حيث القى رئيس الوفد خطاباً امام الجامعة العامة للأمم المتحدة في ١٩ كانون الثاني ١٩٤٦ مطالباً احترام سيادة واستقلال لبنان<sup>(٦٣)</sup> وفي ظل عدم الاستجابة لمطالب الوفد اللبناني فقد قرر الوفد رفع شكوى الى مجلس الامن في ١٤ شباط ١٩٤٦ يطالب فيها بإصدار قرار يوصي بجلاء جميع الجيوش الاجنبية الموجودة على الاراضي اللبنانية جلاءً تاماً<sup>(٦٤)</sup>، مما دفع بالكسندر كادوغان ان يعقد اجتماعاً في ١٣ شباط ١٩٤٦ مع رئيس الوفد اللبناني ليبيدي اعتراضه على مضمون الشكوى اللبنانية المقدمة الى مجلس الامن والتي ستحرم لبنان من تصويت بريطانيا لصالحها داخل مجلس الامن<sup>(٦٥)</sup>، إلا ان بريطانيا اردت الحصول على امتيازات سياسية واقتصادية وثقافية في المشرق العربي وكذلك الابقاء على نوع من الوجود البريطاني الى جانب الوجود الفرنسي في المشرق العربي وان وجود الجيوش البريطانية - الفرنسية في لبنان لم يكن تنفيذاً لإحكام معاهدة ما بل هي موجودة بحكم ضرورات الحرب<sup>(٦٦)</sup>، على الرغم من ذلك فان مجلس الامن اثبت شرعية المطالب اللبنانية وعد الوجود الفرنسي - البريطاني امراً يتعارض مع ميثاق الامم المتحدة<sup>(٦٧)</sup>، إلا ان الضغوط الدولية في مجلس الامن دفعت بريطانيا الى عقد اجتماعاً في ١٩ شباط ١٩٤٦ في مبنى الوزارة الخارجية البريطانية برئاسة بيفن الذي اكد عزم بريطانيا بسحب قواتها عن لبنان تنفيذاً لقرارات اغلبية اعضاء مجلس الامن<sup>(٦٨)</sup>، وكذلك اعلنت وزارة الخارجية البريطانية في ٦ اذار ١٩٤٦ بان المفاوضات البريطانية - الفرنسية والتي جرت بشأن سحب قواتهما من لبنان تقرر من خلالها سحب القوات البريطانية في ٣٠ حزيران ١٩٤٦ وكذلك سحب القوات الفرنسية ابتداءً من ٣١ آب ولغاية ٣١ كانون الاول ١٩٤٦ وبذلك تحولت لبنان الى دولة مستقلة استقلالاً تاماً<sup>(٦٩)</sup>، يبدوا ان بريطانيا اردت تأمين مصالحها في المشرق العربي حتى ولو تطلب الامر التراجع عن وعودها بشأن دعم استقلال لبنان بعد ان شارفت الحرب العالمية الثانية على نهايتها والتخوف من انفراد فرنسا بالسيطرة الكاملة على لبنان في ظل وجود الرغبة الكبيرة لدى الشعب اللبناني في نيل الحرية والاستقلال .

الخاتمة :

- ١- ان بريطانيا كانت تعمل خلال الحرب العالمية الثانية على تقويض دعائم النفوذ الفرنسي في لبنان رغم التأكيدات البريطانية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للمنطقة الواقعة تحت الانتداب الفرنسي .
- ٢- على الرغم من اهمية منطقة المشرق العربي للمصالح البريطانية فان طبيعة السياسة البريطانية كانت تعتمد في الضغط على خصومها من اجل تقديم التنازلات السياسية لها مع ما يتفق مع مصالحها الاستراتيجية في المنطقة بصورة عامة
- ٣- كرست بريطانيا جهودها في سبيل حصول لبنان على الحرية الاستقلال السياسي والدستوري لذلك عمدت على دعم برلمانها مع ما يتفق وتطلعات دول المنطقة العربية .
- ٢- ان تماسك الوحدة الوطنية ومهارة القيادات السياسية في لبنان اجبر القوات الاجنبية على مغادرتهم الاراضي اللبنانية .

#### الهوامش :

(١) عصام خليفه ، الحرب العالمية الاولى والاتفاقيات السرية حول المشرق العربي ١٩١٤-١٩١٨ ، مجلة اوراق جامعية ، العدد (٢) ، ١٩٩٣ ، بيروت ، الجامعة اللبنانية ، ص ١٧٧ .

(٢) هنري بيتان : (١٨٥٦-١٩٥١) ولد في فرنسا والتحق بالجيش الفرنسي عام ١٨٧٦ عمل ضابطاً في المشاة لفترة طويلة ، وتدرج بعدها في المناصب نائباً لرئيس الوزراء ورئيساً للوزراء ورئيساً للجمهورية في حكومة فيشي ، وحكم عليه بعدها بالإعدام ليخفف بعدها بالسجن المؤبد بتدخل من قبل ديغول .  
ينظر :

EncycIopedia Britannic,Chicgio,1973,VoI,17,P.726.

(٣) شارل ديغول : (١٨٩٠-١٩٧٠) ولد في مدينة ليل الفرنسية وبدء نشاطه السياسي على اثر سقوط فرنسا امام الالمان عام ١٩٤٠ فقد انشأ حكومة فرنسا الحرة في لندن وبعد اندحار المانيا واستعادة فرنسا تولى بشكل مؤقت رئاسة الحكومة عام ١٩٤٥ . للمزيد من التفاصيل عن شارل ديغول ينظر :  
عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، ج ٢ ، الموسوعة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ص ٧٤٣-٧٤٢ .

(٤) نجيب الارمنازي ، محاضرات عن سوريا من الاحتلال حتى الجلاء ، بيروت ، دار الكتب الجيد ، ١٩٧٣ ، ص ١٢٣ .

(٥) صلاح العقاد، الحرب العالمية الثانية، معهد الدراسات العربية، بيروت، ١٩٦٦، ص ٩٤.

(6) ALBERT HOURANI, SYRIA AND LEBANON A POLITICAL  
ESSAY, LONDON, OXFORD UNIVERSITY PRESS, 1962, P, 232-233.

(٧) هنري دانتز : وهو جنرال فرنسي شارك في الحرب العالمية الأولى وهو في العشرين من عمره ، وتدرج في المناصب العسكرية بعد ان عين امر كتيبة وبعدها رئيس اركان الفرقة الحادية والخمسين للمشاة في عام ١٩٢٣ ليتولى بعد ذلك منصب مدير مخابرات الجيش الفرنسي الخاص في الشرق ويشغل منصب المندوب الفرنسي السامي على سوريا ولبنان . للمزيد من التفاصيل حول هنري دانتز ينظر : ميشيل دافيه ، المسألة السورية المزوجة (سوريا في ظل الحرب العالمية الثانية) ، ترجمة: اللواء جبرائيل بيطار ، ط ١ ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ١٩٨٤ ، ص ٦٩-٧٦ .

(٨) تجدر الإشارة هنا : الا ان الحكومة التي تشكلت في لبنان كانت باختيار وتوجيه من قبل حكومة الانتداب الفرنسية حيث ترأسها الفرد نقاش بالتعيين ، واحمد الداعوق للإشغال العامة والبريد ، وجوزيف نجار للمالية والتموين ، وفليب بولس للمعارف ، وفؤاد عسيران للصحة والاقتصاد. للمزيد من التفاصيل ينظر : يوسف حكيم ، سوريا والانتداب الفرنسي ، بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٨٥ ، ص ٣١٧ .

(9) HOURANI . OP . CIT . P. 233-234.

(١٠) رشيد عالي الكيلاني : ولد رشيد عبد الوهاب مراد الكيلاني في محافظة ديالى ١٨٩٢ وحصل على شهادة الحقوق عام ١٩١٥ وترأس بعدها حكومات عديدة اولها في العشرين من اذار ١٩٣٣ ليتدرج بعدها في مناصب عديدة وأصبح رئيساً لمجلس النواب العراقي في دورته الأولى والثانية وقاد بعدها حركة مسلحة ضد حكومة طه الهاشمي مما ادى الى تدخل عسكر بريطاني واحتلال بغداد ليهرب الكيلاني وإتباعه الى طهران . للمزيد من التفاصيل عن رشيد عالي الكيلاني ينظر : قيس جواد علي الغريزي ، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٢-١٩٦٥ ، بغداد ، دار الحوراء ، ٢٠٠٦ .

(١١) لوكاز هيرزويز ، المانيا هتلرية والشرق العربي ، ترجمة : احمد عبد الرحيم مصطفى ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ ، ص ٢٣٣ .

(١٢) ونستون تشرشل : (١٨٧٤-١٩٦٥) ولد ونشأ في بريطانيا وهو من اسرة مورلبور البريطانية ، ويعد من ابرز الساسة البريطانيين الذين لعبوا دوراً كبيراً في استعمار الكثير من الدول اذ تولى منصب وكيل وزارة المستعمرات البريطانية عام ١٩٠٦ . للمزيد من التفاصيل حول ونستون تشرشل ينظر : عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ج ١ ، ص ٧٤١ .

(١٣) اكسبورت : وهو الاسم السري للخطة التي ستتبعها بريطانيا في ابعاد نفوذ دول المحور عن لبنان وطردهم عن دول المشرق العربي ، للمزيد من التفاصيل ينظر :

MARGARET CARLYLE , DOCUMENTS INTERATIONAL AFFAIRS 1919-1946 , LONDON , OXFORD University PRESS ,1954,VOL,II,P,179.

(14) Winston's. CHUREHILL The SEOOND WORLD WAR,LONDON,1948-1945,OP.CIT,P,294.

(١٥) ان تصدر بريطانيا الموقف من اجل نيل لبنان استقلالها وذلك لإدراكها بان الاعلان الفرنسي لا قيمة له لان حركة فرنسا الحرة لا تشكل حكومة رسمية وليست لها قوة ونفوذ عسكري قياساً لما تملكه بريطانيا من قوة عسكرية تستطيع ان تقف بوجه اي اعتداء الماني محتمل لكل من سوريا ولبنان ، للمزيد من التفاصيل ينظر :

CHURCHILL. The SECOND. WORLD WAR. OP. CIT .VOL . P . 296

(16) STATEMENT OF POLICY BY HIS MAJESTY,S GOVERMENT IN The UNTED KINDOM IN RESPECT OF SYRIA AND The LEBANON 8 the JUNE.9 SEPT.1941.LONDON.1945.p 2.

(17) MARTINT. MARTIN L ANOTHODA, The ANGLO FRENCH OVER The LEVANT ,MAY-SEPTEMBER 1941 REVUE FRANCAISED, HISTOIR, OUTRE MERLX,III,1976, P.82-81

(١٨) وقع هذا الاتفاق رسمياً في ٧ اب ١٩٤١ وتضمن قبول الفرنسيين للوجود البريطاني في سوريا ولبنان مقابل اعتراف بريطانيا بالوضع المتميز لفرنسا في لبنان مع تعهد الدولتين باستقلال سوريا ولبنان ، للمزيد من التفاصيل ينظر :

Hurwitz : DIPLOMACY in the NEAR and MIDD LEEAST 1535-1956, NEW YORK, PRINCETON,LONDON, 1950.P.234-232.

(19) STATEMENT OF POLICY. OP . CIT . NO . 2 , P.3.

(٢٠) محمد رجائي ، ريان قضية استقلال لبنان عام ١٩٤١ وموقف بريطانيا منها ، الاردن ، جامعة ال البيت ، ١٩٩٨ ، ص ١١٨ .

(21) Vanh Enget , Beirut ,January, 1942 Tos of , Washington ,Browne, Op ,Vol .P. 274-276.

(٢٢) ادوارد سبيرس : ولد في بريطانيا عام ١٨٨٦ ونشأ في اسرة فقير والتحق بعدها في صفوف الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الاولى ، وتدرج بعد ذلك في المناصب المدنية اذ انتخب عضواً في مجلس العموم البريطاني عام ١٩٢٢ ، وتولى بعدها رئاسة البعثة البريطانية الى سوريا ولبنان وأصبح اول وزير مفوض بريطاني في التاسع من شباط ١٩٤٢ . للمزيد من التفاصيل ينظر: احمد عطية الله ، القاموس السياسي ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٩١٠ .

(٢٣) سيبورث وليمز ، بريطانيا والدول العربية ١٩٢٠-١٩٤٨ ، ترجمة : احمد عبد الرحيم مصفى ، القاهرة ، المكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٢ ، ص ١١١ .

(٢٤) كاترو : ولد عام ١٨٧٩ في فرنسا ودخل الكلية العسكرية ليتخرج منها ضابط التحق بعدها في الحرب العالمية الاولى فقد اصبح حاكماً على الهند الصينية ، وبسبب رفضه توقيع الهدنة مع المانيا عزله بيتان من منصبه إلا انه تمرد عليه وأعلن استقلال الهند الصينية عن حكومة بيتان وضمها الى حكومة فرنسا الحرة . للمزيد من التفاصيل ينظر : احمد عطية الله ، المصدر السابق ، ص ٩٥٠ .

(٢٥) ممدوح الروسان ، العراق وقضايا المشرق العربي القومية ١٩٤١-١٩٥٨ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٩ ، ص ٥١ .

(٢٦) جورج حنا ، من الاحتلال الى الاستقلال لبنان في ربع قرن ، بيروت ، المكتبة الاهلية ، ١٩٤٥ ، ص ١٥٤ .

(27) Gaunson the Anglo French clash in Lebanon and Syria , London, Cmillan press, 1987.OP.Cit.P. 92.

(٢٨) صلاح العقاد ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

(٢٩) سعد الدين ابراهيم وآخرون ، ديغول والعرب ، عمان ، منتدى الفكر العربي ، ١٩٩٠ ، ص ٦١ .

(30) Dispatch. From Engert To .S. of.S.No.379.23. May 1942.Browne. Vol.II. P.P. 318-319 .

(31) George Catroux , Dan La Bataille De Mediterranean .Egypt-Levant-Fatigue Du Nord 1940-1944,Paris.1949.P.289.

(32) D.S Division of N.E.A.26 November. 1943.Browne.VoL.OP.Cit.P.140.

(٣٣) ففي اطار التهيئة للانتخابات في لبنان قام كاترو بتاريخ ١٦ اذار ١٩٤٣ بإقالة الفرد نقاش وحكومة سامي الصلح وتعيين حكومة مؤقتة برئاسة الدكتور ايوب ثابت غير ان هذا التعيين كان تعبيراً عن حرص الفرنسيين على تكريس الطائفية ، كيف لا والمرسومان اللذان اصدرتهما حكومة ايوب ثابت في ١٧ حزيران ١٩٤٣ كانا ثمرة هذا التعيين فقد نص المرسوم الاول الذي حمل الرقم (٤٩) على تحديد عدد النواب ب(٥٤) نائباً بحيث يخصص للمسيح(٣٢) مقعداً وللمسلمين (٢٢) مقعداً ، بينما حدد المرسوم الثاني ذي الرقم (٥٠) توزيع عدد النواب على المناطق اللبنانية. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Rabbath Edmond, La Formation Historique Du Liban Poiitigu Et Constitional, BEryrouth, 1973.P.452.

(٣٤) حسان حلاق ، تحليل الاتجاهات في لبنان ١٩٢٠ - ١٩٥٢ ، بيروت ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد (٣٨) ، كانون الاول ، ١٩٨١ ، ص ٥٤ .

(35) From Tel wadsworth tos, ofs.no.255.16 August. 1943. Browne. vol.II. PO. CIT. P.P.404-405.

(٣٦) بشارة الخوري : (١٨٩٠-١٩٦٤) ولد في بيروت ونشأ في اسرة متواضعة ودخل كلية الحقوق في بيروت ليتخرج منها محامياً ، فقد عمل في صفوف الحزب الدستوري ليتولى بعدها منصب وزير الداخلية في عام ١٩٢٦ ، وتولى بعد ذلك منصب رئيس جمهورية لبنان لأول مرة بعد الاستقلال في عام ١٩٤٣ ولأسباب سياسة قدم في عام ١٩٥٢ استقالته . للمزيد من التفاصيل حول بشارة الخوري ينظر : عبد الوهاب الكيالي ، ج ١ ، المصدر السابق ، ص ٦٣٥ .

(٣٧) سعد مراد ، الحركة الوحدوية في لبنان ١٩١٤-١٩٤٦ ، بيروت ، معهد الانماء العربي ، ١٩٦٨ ، ص٢٩٨ .

(٣٨) بخصوص قرارات مجلس حرب الشرق الاوسط . للمزيد من التفاصيل ينظر : رؤوف عباس ، سوريا في مخططات السياسة البريطانية ١٩٤٣-١٩٤٤ دراسة تاريخية ، دمشق ، جامعة دمشق ، ١٩٨٢ ، ص١١٩-١٢١ .

(٣٩) بشارة خليل خوري ، المصدر السابق ، ص ١٥-١٧ .

(٤٠) الميثاق الوطني : وهو صيغة وطنية - سياسية تولدت في مخيلة المتقنين الشباب في مطلع الثلاثينيات ثم اخذت تتبلور بعد عام ١٩٣٦ وتبناها بشارة الخوري ورياض الصلح بعد وصولهما الى



دقة الحكم عام ١٩٤٣ وبدعم من المفوض البريطاني سبيرز. للمزيد من التفاصيل ينظر: باسم الجسر، نحو لبنان جديد، بيروت، المكتب التجاري للطباعة، ١٩٥٩، ص ٥٢.

(٤١) مصطفى النحاس: (١٨٧٩-١٩٦٥) ولد ونشأ في القاهرة فقد انضم الى حزب الوفد المصري برئاسة سعد زغلول اذ ترأس الحزب بعد وفاة سعد زغلول في الثالث والعشرين من اب ١٩٢٧ ليتراأس الحكومة المصرية بعد ذلك خلال الاعوام (١٩٢٨، ١٩٣٠، ١٩٣٦) فقد وقع معاهدة مع بريطانيا عام ١٩٣٦، ليدخل بعد ذلك في الجانب المعارض للحكومة المصرية ويعتزل السياسة في عام ١٩٥٢. للمزيد من التفاصيل عن مصطفى النحاس ينظر: عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري، الموسوعة السياسية، مطبعة المتوسط، بيروت، ١٩٧٤، ص ٥٠٣-٥٠٤.

(٤٢) علي محمد الاغاء، الاتجاهات السياسية في لبنان ١٩٢٠-١٩٨٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩١، ص ٧٥.

(٤٣) علي محمد الاغاء، المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٤٤) قامت السلطات الفرنسية في الحادي عشر من تشرين الثاني ١٩٤٣ بإلقاء القبض على الرئيس اللبناني بشارة الخوري ورئيس وزرائه رياض الصلح وكذلك عادل عسيران وسليم تقلا وكميل شمعون وعبد الحميد كرامي على اثر مطالب الحكومة اللبنانية بتعديل الدستور اللبناني وقامت بإبعادهم الى قلعة راشيا في ضواحي لبنان وصارت امراً بتتصيب أميل أده رئيساً للجمهورية اللبنانية. للمزيد من التفاصيل حول اعتقال الحكومة اللبنانية ينظر: عبد الرحمن البيطار، تطور الوحدة السورية - اللبنانية ١٩٣٩-١٩٥٠، دمشق، ١٩٨٨، ص ٩٤؛ حسن العطار، الوطن العربي، ط ١، بغداد، ١٩٦٦، ص ٨٢؛ جهاد مجيد محي الدين، العراق والسياسة العربية ١٩٤١-١٩٥٨، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٨٠، ص ٣٩٧.

(٤٥) مسعود ضاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق، الصيغة، بيروت، دار المطبوعات الشرقية، ١٩٧٧، ص ١٨٣-١٨٤.

(٤٦) وصل الى بيروت وزير الدولة البريطاني ريتشارد كايزي (Richard Casey) في التاسع عشر من تشرين الثاني ١٩٤٣ وقام بتقديم مذكرة حدد من خلالها بان يكون صباح يوم الاثنين الموافق الثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٣ كحد اقصى للإفراج عن المعتقلين وان بريطانيا في خلاف ذلك تهدد بإعلان حالة الطوارئ في لبنان وإنها ستقوم بوضع البلاد تحت سلطة القائد العام للقوات البريطانية، وبالفعل تم الافراج عنهم بعد ان امضوا اثنا عشر يوماً في الاعتقال وتم اعادتهم الى مناصبهم السابقة وعد هذا يوماً وطنياً لبنانياً. للمزيد من التفاصيل ينظر: جاسم محمد خضير الجبوري

، مجلس النواب اللبناني ١٩٤٣-١٩٧٥ دراسة تاريخية وثائقية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٦ ، ص١٥٤ .

(47) Lord Casey, Personal Experiences 1939-1946, London, Constable and Company, L.T.D. 1962 .P.P.154-155.

(٤٨) كميل شمعون ، مراحل الاستقلال ، لبنان ودول العرب في المؤتمرات الدولية ، بيروت ، مكتبة سبادر ، ١٩٤٩ ، ص١١٢-١١٣ .

(٤٩) لقد بلغ عدد الجنود الفرنسيين الذين وصلوا في ٦ أيار ١٩٤٥ الى مرفأ بيروت في لبنان (١٢٠٠) جندي فرنسي لغرض تعزيز الموقف العسكري الفرنسي في لبنان . للمزيد من التفاصيل ينظر :

U.S. Minister To Syria And Lebanon, To Dept, Of StAte, MAY 1945.Fr.VoL.P.80.

(٥٠) منير تقي الدين ، المصدر السابق ، ص١١٧ .

(51) Sachar, H: Europe Leaves The Middle East 1936-1954, New York, 1972, OP.CIT.P.322.

(٥٢) محاضر جلسات جامعة الدول العربية ، الجلسة رقم (٤) ، ٦ حزيران ١٩٤٤ ، ص٤ .

(٥٣) جريدة صوت الشعب ، العدد (١٠١٨) ، ١١ تموز ١٩٤٥ ، ص٢ .

(54) Weekly Political Summary, Syria and Lebanon Secret August , 1945, P. 341.

(٥٥) جريدة النهار ، العدد (٣١٩٨) ، ١٨ ايلول ١٩٤٥ ، ص٢ .

(٥٦) جريدة النهار ، العدد (٣١٩٥) ، ١٣ ايلول ١٩٤٥ ، ص١ .

(٥٧) جريدة البشير ، العدد (٧٤٠٤) ، ١٢ ايلول ١٩٤٥ ، ص١ .

(٥٨) جريدة صوت الشعب ، العدد (١١٣١) ، ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٦ ، ص١ .

(٥٩) سامي الصلح ، مذكرات سامي الصلح ١٨٩٠-١٩٦٠ ، مج٢ ، بيروت ، مكتبة الفكر العربي ، ١٩٦٠ ، ص١٣٨ .

(60) Journal, L, Orjent, No5640, Le 6 Janvier. 1946, P.1.

(٦١) جريدة صوت الشعب ، العدد (١١٠٨) ، ٢٠ كانون الاول ١٩٤٥ ، ص١ .

(٦٢) حسان الحلاق ، المصدر السابق ، ص ١٤٨-١٤٩.

(٦٣) يوسف سالم ، خمسون عاماً مع الناس ، بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٧٥ ، ص ٢٥٥.

(٦٤) سامي الصلح ، المصدر السابق ، ص ١٣٩.

(٦٥) نجيب الارمنازي ، المصدر السابق ، ص ١٧٨.

(٦٦) جريدة صوت الشعب ، العدد (١١٤٧) ، ٢١ شباط ١٩٤٦ ، ص ١.

(٦٧) يوسف سالم ، المصدر السابق ، ص ٢٥٣.

(٦٨) منير تقي الدين ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠.

(69) Sachar ,OP,CIT,P.331.

**الاديب الكبير رابدرانات طاغور ١٨٦١ -**

**١٩٤١ دراسة تاريخية**

**م.م. إنعام عبد العظيم الشاهين / كلية التربية للبنات -**

**جامعة البصرة**

**The great writer Rabindranath Tagore 1861-  
1941 a historical study**

**Assist lect. Inaam Abdel Azim Al Shaheen / College of Education  
for Women - University of Basrah**

الأديب الكبير رابدراوات طاغور ١٨٦١-١٩٤١ دراسة تاريخية

م.م. إنعام عبد العظيم الشاهين

كلية التربية للبنات - جامعة البصرة

الملخص

رابدراوات طاغور احد اشهر شعراء الهند الحديثة شخصية غنية متعددة المواهب فهو الى جانب الشعر الذي شرع ينظمه في سن العاشرة الف العديد من الروايات ودبج طائفة وافرة من الابحاث والمقالات ونعم باشعاع عالمي رحب، وكذلك كلف بالمسرح فألف عشرات المسرحيات التي كان يخرجها بنفسه ويجسد في بعض الاحيان احد ادوارها بالاضافة الى الموسيقى اذ وضع الفين ومئتي نشيد غير ان شانتيينيكيتان ظلت هي المصدر المهم الذي يرجع اليه دائماً ويستمد منه القوة والثقة والرجاء ويسعد وسط جلبيه التلاميذ الصغار حتى عندما تداعت صحته وشح بصره ووهن سمعه كان يبقي باب غرفته مفتوحاً دائماً كي يدخل اليها اولئك الصغار، وقد ادى في حياته المناضلة خدمات جلى للفكر الديني وللتربية والتعليم وللإصلاح الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وللنهضة الاخلاقية وانطفاً رابدراوات طاغور في كلكتا يوم السابع من اب ١٩٤١ في البيت الذي كان قد رأى فيه النور وقد استمر التقدير لشهرته فيما بعد في الدول الغربية نتيجة الترجمات الجديدة والدقيقة لعمله.

**The great writer Rabindranath Tagore 1861–1941 a historical study**

**Assist lect. Inaam Abdel Azim Al Shaheen**

**College of Education for Women – University of Basrah**

**Abstract**

Rabindranath Tagore, one of the most famous poets of modern India, is a rich and multi-talented person. In addition to the poetry that he began organizing at the age of ten, he wrote many novels and compiled a wide range of research and articles, and yes, with a wide global radiance, as well as he was commissioned to theater and wrote dozens of plays that he directed himself and embody at times. One of her roles is in addition to music, as two thousand and two hundred anthems were played, but Shantiniketan remained the warm nest to which he always returns and derives strength, confidence, and hope, and is happy in the midst of his young students, even when his health deteriorated, his eyesight and hearing weakened, he kept the door of his room always open for those little ones to enter. In his militant life, he performed outstanding services for religious thought, education, social, political and economic reform, and moral revival. Rabindranath Tagore was extinguished in Calcutta on August 7, 1941 in the house where he had seen the light. His fame continued to be appreciated later in Western countries as a result of new and accurate translations of his work.

## المبحث الاول // نشأته

الاديب الكبير رابدراوات طاغور<sup>(١)</sup> هو الابن الرابع عشر والاصغر لـ " ديفيندراوات طاغور " ولد في القسم البنغالي جوراشانكو بكلكتا عاصمة الهند في العهد البريطاني في ٦ من ايار ١٨٦١ واطلق عليه اسم ينبئ بمستقبله فلفظة "رابي" الهندية تعني الشمس وقد رمزت الى استتارة حياته بالروح الشمولي الذي قرن قرناً مثالياً بين ثقافتي الشرق والغرب<sup>(٢)</sup> وكانت اسرته من بين اسرة برهمية<sup>(٣)</sup> معروفة بالعراقة والوجاهة والمكانة العلمية عرفت بالجمع بين النزعة الغربية العملية ومثالية الهند وزهدها، ابوه مهارشي ديفندراوات ذو المكانة الدينية والاجتماعية البارزة في اقليم البنغال، وجده الامير دواركانات طاغور<sup>(٤)</sup>، في سن الرابعة عشرة ترك المدارس النظامية وتابع دراسته في البيت وحدة بمساعدة اساتذة في مختلف الموضوعات ومنها الموسيقى والرسم فلقد كان مدرسه هم اشقاؤه الذين عرفوا بتفوقهم العلمي والادبي وبإسهامهم في رفاة وإغناء الثقافة والادب والموسيقى البنغالية اضافة الى مدرس من خارج الاسرة هو ديفيندراوات الذي كان عالماً وكاتباً مسرحياً وشاعراً اثر في طاغور، وكان يتردد عليه ايضاً معلم الجودو كل هذه السنوات من الدراسات اثرت في منحه شخصيته بشكل عميق.<sup>(٥)</sup>

وفي تلك الحقبة اطلعة والده على مبادئ الدين الهندوسي ورسخ في صدره طقوس طبقة البرهمان التي كان ينتمي اليها ذويه مثل الابتهاال الى الشمس عند شروقها وغروبها وقد التزم بهذه الطقوس على طوال حياته، ولا بد من التنويه بأن التقليد البنغالي يولي اهمية كبرى للحضور الالهي في حياة كل فرد ومنذ ذلك الصغر يلقت الصبيان هذا الانشاد: "قمر واحد، وجزءان، وثلاثة عيون..". اشارة الى العين الثالثة، العين الداخلية التي تمكن من رؤية قلب الاشياء وقراءة افكار وتوهل لتأمل جمال الخليقة، وقد حدث منعطف في مسيرته على اثر اصابته بحمى شديدة فصحبه والده الى مكان هادئ جبال الهميالايا المقدسة لدى الهندوسيين اذ لم يكن يعرف طاغور حينئذ سوى مدينة كلكتا حيث في هذه الجبال مناظر غابات الصنوبر وحرية التنقل على هواه اذ كانت على سفوح الجبال الازهار التي لم يشهد لها نظيراً ومن طيور نادرة متعددة الالوان وغابات كثيفة ساحرة ولطالما قد سمع ان تلك الجبال هي مساكن للالهة.<sup>(٦)</sup>

وقد عاد طاغور من رحلته الى الهيمالايا وقد تحولت شخصيته واغتنت نضوجاً وابداعاً ولم يقوى على حبس الانطباعات الطاغية التي خزنها في انطلاقتها الاولى الى العالم الفسيح واصبح محط اعتزاز والدته الا ان هذه الالفة مع والدته كانت قصيرة الامد اثر وفاتها، وبعد ذلك قام اخيه الاكبر وزوجته اللذين اوليا عناية جدية باكمال ثقافته الادبية ودرباه على ادارة شؤون ممتلكات الاسرة وعلى الصيد وركوب الخيل وبذلك بذلت زوجة اخية التي لم تكن تكبره الا بسنوات معدودات جهداً دؤوباً في سبيل تثقيفه الادبي ولقنته قصائد الشعراء الهنود المعاصرين وشجعتة على نظم القصائد وعلى نشرها وسرعان ما برهن طاغور عن ولع وبراعة في نظم القصائد والانايد مدخلا على الادب الهندي ومغنياً اللغة البنغالية بصيغ مبتكرة.<sup>(٧)</sup>

وجرياً على تقاليد الاسر الهندية الميسورة الحال اوفده والده عام ١٨٧٨ في سن السابعة عشرة ليدرس الحقوق في لندن بغية اعداده للعمل في الشأن العام الهندي انهى دراسته الثانوية ثم التحق بجامعة لندن لكنه احب الادب الانكليزي والحياة الاجتماعية والموسيقى الغربية عاد فجأة الى الوطن كلكتا بعد عام ونصف دون اتمام دراسة لكنه اكتسب شعوراً وقناعة بأن الطبيعة البشرية هي نفسها في كل انحاء العالم.<sup>(٨)</sup>

وفي عام ١٨٨٣ تزوج وهو في الثانية والعشرين من عمره من مرياليني ديفي التي لا تتجاوز سنها الثانية عشرة استجابة لرغبة اسرته فقد كانت التقاليد في الهند تقسر الفتاة والفتى على الانصياع لارادة الاسرة في اختيار رفيق الحياة والتي فيما بعد انتقد طاغور هذه العادة البالية انتقاداً عنيفاً في مقالاته وقصصه وفي رواية حطام السفينة بوجه خاص<sup>(٩)</sup> وبعد فترة وجيزة من زواجه عهد الى طاغور مهمة كبيرة وهي الاشراف على جزء كبير من العقارات الاسرية التي احرزها ابوه وبهذا بدأت فترة جديدة في حياته ماانزلته من عالم الخيال الى عالم الواقع واتاحت له فرصة الاتصال بالجماهير كما يسرت له التمتع بجمال الطبيعة في ارياف البنغال والاعمال الادبية التي اصدُر طاغور في هذه الفترة تعرب عن آلام وبؤس الاشقياء كما تصور جمال الطبيعة للبنغال الشرقية والشمالية، اذ كان لتكليفه بادارة اراضي الاسرة ومزارعها اثر بالغ على نفسه وفكرة حيث ان اتصاله المباشر بالفلاحين والكادحين وعامة الشعب البسطاء والعلاقات الوثيقة التي عقدها معهم قد فتحت في ذهنه وقلبه على ما تتطوي عليه بساطتهم من سمو وقرب من الله ومن جهة اخرى على معاناتهم وبؤس عيشهم الناجم قيود الجهل والحرمان من الحقوق



الاساسية ومن مقومات الكرامة الاساسية فوطن العزم على مكافحة هذه الافات الاجتماعية بغية انتشار اولئك المساكين المغبونين من المذلة والفاقة وعن هذا المفترق في مسيرته كتب: (١٠)

" أنا مخلوق مدني، مولود في مدينة ويعد اجدادي من اوائل سكان كلكتا ومن ثم لم تخضع سنوات صباي لاي تأثير ريفي ولما كلفت بالعباية بأملانا توجست خشية من مشقة الواجبات التي ستفرضها علي هذه المهمة فأنا لم آلف مثل هذه الاعمال: المحاسبة، وجمع الغلال وتخزينها، وتبيان ما لنا وما علينا وبدت لي تبعة جهلي لهذه الامور باهظة ولم استطع تخيل قدرتي على البقاء إنسانياً، وأنا ذاتي تحت عبء الارقام والحسابات.

بيد انني كلما كنت اتوغل في هذه المهمة كانت تستحوذ علي..

وفي عام ١٩٠١ ترك طاغور مسؤولية الاشراف على العقارات الاسرية وكان طاغور يسئم من التربية الراجحة في البنغال فحاول ان يطبق افكاره التربوية في مناهج مدرسته التجريبية التي اسسها في شانكتيتان اي "دار السلام" (١١) التي تقع على بعد ١٦٠ كم الى الشمال الغربي من كلكتا ليطبق فكرته في التعليم التي تقوم بمزج مزايا التعليم الحديث بالاصالة القومية العريقة والاتصال الدائم بالله وبالطبيعة واطلاق سراح الغرائز قليلاً وقد ذاعت صيت مدرسته اذ تطورت فيما بعد الى جامعة "فيسفا بهراتي" التي كانت تهدف الى الجمع بين الثقافتين الاسيوية والغربية واهم ما كان يعلم فيها الفنون والصناعات الريفية لايمانه بان الاصلاح الاجتماعي يجب ان يسبق الاصلاح السياسي وان انعاش الريف اهم اسس الاصلاح الاجتماعي فيه (١٢) وما لبث ان حلت عليه فترة حزن حيث ماتت زوجته عام ١٩٠٢ وقبل ان تمضي اشهر على هذه الكارثة توفيت بنته رينوكا وتوفي ابوهه دبدرانات طاغور عام ١٩٠٥ ولم تنته الكارثة بهذه الحادثة فمات ابنه الاصغر عام ١٩٠٧ وعلى اثر ذلك اصبح طاغور حزيناً مولماً ، وعلى حافة سرير ابنه المريض نظم طاغور ديوانه الهلال مفتلاً من قلبه الحزين المعنى قصائده يقول: (١٣)

" ان عاصفة الموت التي اجتاحت داري فسلبتني زوجي واختطففت زهرة اولادي. اضحت لي نعمة ورحمة ، فقد اشعرتني بنقصي وحفرتني على نشدان الكمال والهممتي ان العالم لا يفقد ما يضيع منه".

وفي عام ١٩١٣ حصل رابرانات طاغور على جائزة نوبل في الادب مع ان بين المرشحين لتلك الجائزة في تلك السنة تراحم اعلام هم قمم ادبية شامخة امثال: تولستوي، وابسن، وبيتس،

وجورج برنار شو فهو بذلك الشخصية الاولى من القارة الاسيوية الذي نال هذا المجد العظيم (١٤).

ويفضل الشهره العالمية التي منحتها جائزة نوبل كما ذكرناه سلفاً كان طاغور يستقبل كثيراً من دعوات السفر من جميع انحاء العالم فأكثر من الاسفار والقى الخطب القيمة فقد سافر مراراً الى انكلترا وفي اثناء زيارته ألقى عدة محاضرات في جامعة اكسفورد في علم الفلسفة المقارن وكان موضوع محاضراته "ديانات الإنسان" وكذلك زار امريكا واليابان كما سافر الى العراق وبلاد فارس ومصر والصين وعندما زار روسيا الف كتابه "رسائل من روسيا" وكذلك زار البلدان الاوربية الأخرى (١٥)

وقد خصته "كوبي" اليابانية باستقبال منقطع النظير، في حرارته واندفاعه ومع ان طاغور فتن اليابانيين بشعره الا انه لم يتورع عن شجب اعمال القمع التي كانت اليابان تمارسها في الصين اذ اثار موقفه هذا حنق السلطات اليابانية التي امرت بإلغاء كل برامج المحاضرات التي كان مخططاً له إلقاءها في المدن اليابانية بيد ان هذا الموقف نفسه قد اثار اعجاب الكاتب الفرنسي "رومان رولان" وكان منطلق صداقة متينة بين الرجلين، وعندما سافر الى امريكا كما ذكرنا سلفاً باشر بسلسلة محاضرات منهكة في الولايات المتحدة غير ان نقمة المخابرات البريطانية ومؤمراتها الماكرة لاحقته الى هناك وافلحت في اكرام اللجنة النيويوركية المنظمة لبرنامج محاضراته في اميركا الى التمتع عن دفع مستحقاته المادية بحجة الافلاس، ومن البلدان التي زارها ايضاً ايطاليا اذ لاقى استقبلاً حاراً في ميلانو الا ان التعب والوهن حالاً دون زيارته الى سائر المدن الايطالية الا انه عاد فزارها في السنة التالية تلبية لدعوات ملحمة موهت فحاً حكومياً نصب له بغرض استغلال زيارته من قبل السلطات في سبيل الدعاية الفاشية وعندما اتضحت المؤامرة فضحها بعنف ومرارة وعلى اثارها ردت الصحافة الفاشية بوابل من الشتائم (١٦)

وفي عام ١٩٣٢ زار طاغور بغداد بدعوة من الملك فيصل الاول، واحتقلت به عاصمة الرشيد بشاعر الهند ايما احتفاء وأقامت له المآدب والحفلات وكان شاعر العراق جميل الزهاوي على رأس اللجنة التي تولت اكرام وفادته، فكان اجتماع الشعارين مثيراً لأرق المشاعر في نفسيهما على الرغم من افتقارهما الى اداة التفاهم اللسانية. (١٧)

وعاش طاغور بعد هذا الفوز ثلاثين سنة تقريباً كلها حافلة بالنتاجات الادبية الممتعة بشتى انواعها من الشعر، الرواية، القصة القصيرة، المسرحية النثرية والشعرية<sup>(١٨)</sup>، المسرحية الرقصية، والمقالات وهو من اكثر ادباء العالم انتاجاً فله خمسون مسرحية ومائة كتاب شعري ومجموعة الحان لهذا الشعر وله اربعون مجلداً في القصص ومجموعة كتب في المقالات السياسية والفلسفية فضلاً عن انه اهتم بالرسم اتجه في اثاره الى مخاطبة طبقات الهند فكانت تأملاته الفلسفية نثراً وشعراً تعجب المثقفين واغانيه والحانه تجذب اليه الفلاحين والعمال وكان عامة الناس ينظرون اليه على انه معلم من معلمي الهند القدامى كان يستوحى ادب الهند القديم الشعبي والكلاسيكي ولاسيما مؤلفات كاليداسا ثم ترجم معظم اعماله الى الانكليزية ومن اهم مؤلفاته البستاني والهلال ودورة الربيع ومن مسرحياته مكتب البريد وشيترا ومن اشهر مؤلفاته الفلسفية الساهدانا والقومية ودين الانسان قد ترجم كثيراً منها الى العربية<sup>(١٩)</sup>

وعندما بلغ الثامنة والخمسين وجد في مجال الفنون ناحية جديدة لنشاطه، فشغف بالرسم والتلوين واقبل على تلوينها،<sup>(٢٠)</sup> اذ انتج الاف اللوحات واقام العديد من المعارض الناجحة احدهما في باريس اذ كان يقول في موضوع الرسم: "عندما بدأت ارسم لاحظت تغيراً كبيراً في نفسي، حيث بدأت اكتشف الاشجار في حضوري البصري، وارى الاغصان والاوراق من جديد والازهار تتبثق في كل فرع من فروعها وصرت اتخيل خلق وابداع الانواع المختلفة منها، وكأنني لم أرى هذه الاشجار مطلقاً فمن كنت ارى الربيع فقط بدأت اكتشف هذه الثروات البصرية الهائلة الكامنة في الاشجار والازهار التي تحيط بالانسان"<sup>(٢١)</sup> وفي يوم السابع من ٨ اب ١٩٤١ توفي طاغور وله من العمر ثمانيون سنة في البيت الذي رأى فيه النور بعد ان قضى حياة حافلة بالنتاجات الادبية القيمة والشهرة الخالدة وبالتالي تم الكشف عن روعة الهند وعمقها الروحي بالنسبة للغرب.<sup>(٢٢)</sup>

" انا اعلم انه سيأتي يوم، اضيع فيه هذه الارض عن ناظري.

ان الحياة تغادرني، في صمت، بعد ان تسدل على عيني الستار الاخير، ومع هذا فإن النجوم ستتلامح ساهرة في الليل.

وسيسفر الفجر، كما اسفر امس.

وستمتلئ الساعات، كما تمتلئ امواج البحر، حاملة اللذات والالام".

مات رابدرانات طاغور وافترقت الهند بغيابه الابدي اكبر شاعر عرفته عصورها كلها. (٢٣)

" اي هدية تقدمها الى الموت، يوم يقدم ليقرع بابك؟

آه، ساضع امام زائري كأس حياتي المترعة ولن ادعه يعود فارغ اليدين.

كل قطوف كرومي العذبة. من ايام خريفي وليالي صيفي.

كل حصاد حياتي الدؤوب وجناها، ساضعه امامه.

حين ينتهي اجل ايامي، يوم يقدم الموت ليقرع بابي."

ومن اجل دعوته الى تقديس الانسان ورعاية حقه يحتفل الشرق والغرب بذكرى طاغور... اذ

كان طاغور نسيج وحده اذ جمع بين حكمة الشرق وثقافة الغرب والى عراقه الاصل وشر المحتد

الايمان العميق بالشعب وبالجماعة الانسانية والى زكارة القلب ورجاحة العقل وذلاقة اللسان

وطيب المعشر، والى علو المكانة شرف الجهاد من اجل حرية بلاده واستقلالها.. وهو بهذا كله

حتى استحق بحق ان ينعت بانه اعظم فنان في العصر الحديث. (٢٤)

### المبحث الثاني // دوره طاغور في السياسة الهندية

مع ان السياسة لم تجتذبه يوماً غير ان آلام مواطنة كانت له دافعاً الى المشاركة في النشاط

السياسي الوطني والنضال في سبيل الاستقلال لكنه كان اشد رغبة في تحرير ابناء جلدته من

ربقة التقاليد البالية التي كانت تبقيهم راسفين في اغلال التخلف، وقد وافقت السنوات الاولى من

زواج طاغور يقظة الشعور القومي في بلاده اذ عندما انعقد المؤتمر الوطني الهندي اجتماعه

لاول مره عام ١٨٨٥ فقد حمل لواء الحركة الوطنية اذ شاركت اسرته في هذه الحركة مشاركة

كبيرة وخصوصاً اخوه جويتيرندراتان فقد تبني حركة الاستقلال الاقتصادي وعمل على تأسيس

صناعة هندية وطنية واشترى سفينة تجارية كانت تنقل المسافرين بين ثغرى باريس وكهولنا

وكان معظم ركابها بنغاليين وطنيين لا يدفعون اجراً اذ كانت الحركة الوطنية في بادئ امرها

تغلب عليها العاطفية وتفتقر الى الشمول النظرة وصلابة التفكير وبينما كان جويتيرندراتان

مشتغلاً بهذه المشروعات العملية كانت مقالات رابدرانات في الصحف تؤكد ضرورة ايقاظ الثقة

في نفوس الشعب وتشجيع الصناعات الريفية الوطنية والعناية بتعليم اللغة القومية اذ كان الشباب

البنغالي يستمع لصوته ولعل اهم ركن في دعوته كان اصلاح المجتمع البنغالي نفسه فقد اكد

لمواطنیه ان حبهم للحرية يجب ان يكون بناء وان هذا الحب لا يتفق مع نظام الطوائف الهندي الذي يجعل بعض اخوتهم واخواتهم منبوذين. (٢٥)

وفي بداية تسعينيات القرن التاسع عشر كان هناك عدم استقرار سياسي فيما يتعلق بمسألة النواب في المجلس التشريعي الإقليمي. كان طاغور قد جادل سابقاً بالحكم الذاتي ومشاركة عامة الناس في العملية التشريعية. كان الكونجرس الوطني الهندي ، منذ بدايته، يطالب بتوسيع الهيئات التشريعية المختلفة الموجودة في الهند البريطانية. نظراً لقلقها من هذه المطالب، قررت الحكومة البريطانية النظر في الأمر وعينت ريتشارد أشتون كروس، وزير الداخلية السابق للحكومة البريطانية ، والذي كان حينها مسؤولاً كبيراً في مكتب الهند (١٨٨٦-١٨٩٢) لكن أ.أ. كروس رفض بشكل مباشر فكرة تعيين أعضاء غير رسميين في المجلس التشريعي الإقليمي من خلال الانتخاب. في وقت سابق تم ترشيح أعضاء الهيئات التشريعية من قبل غرفة التجارة البنغالية والمجلس التشريعي الإقليمي. كتب رابيندرانات احتجاجاً على ذلك مانترى ابهيشيك (تتويج الوزير) وألقى المحاضرة العامة في مسرح الزمرد يوم ٢٦ أبريل ١٨٩٠ نشر لاحقاً في شكل كتاب. وقد احبه وطنه وعمل بلا كلل من اجل تقدمه ولكنه لم يكن وطنياً ضيق الافق اذ فهم الوطنية بوصفها احد الاسباب الرئيسية للحرب وقد كره الحكم الاستعماري البريطاني في الهند ولكنه كان يؤمن بأن الهند يجب ان تستفيد من افضل ما في الحضارة الغربية (٢٦)

وبين عامي ١٩٠٥ و ١٩٠٨ اشتغل طاغور بالسياسة العملية على اثر مشروع اللورد كروزن لتقسيم البنغال الى مقاطعتين منفصلتين فقد اثار هذا المشروع عاصفة من السخط في ارجاء البلاد تبعها حركة تدعو الى مقاطعة السلع البريطانية، وهب طاغور لمقاومة المشروع اذ دعا الى تأليف لجان وطنية في كل قرية يرأسها شخصين احدهما هندوسي والآخر مسلم متضامنين واهدى الجميع شارات وطنية وكان الشعب ينشدون قصائده الثورية الوطنية في الطرقات<sup>٢٧</sup> ونقل الحركة الوطنية الى مرحلة جديدة من النشاط الثوري والقى طاغور بنفسه في اتون المعركة اذ عقد الاجتماعات والخطب ونظم الاناشيد الوطنية التي عمت أرجاء البنغال وكانت خطته هي تحرير الشعب وتنظيمه ليكون قادراً على خوض المعركة ففي احدى خطبه يقول موجهاً الكلام الى شباب الحركة الوطنية من الطلاب: "إن المهانين المحنقرين الذين تبدل احساسهم عن ان يشعروا بالاهانة ونسوا حتى حقوق انسانياتهم يجب ان يعرفوا معنى كلمة (اخي) . علموهم ان

يكونوا اقوياء وان يحملوا انفسهم فهذا هو الطريق الوحيد ليكن كل واحد منكم مسؤولاً عن قرية من القرى ولينظمها علموا القرويين واروهم كيف يظهرين قوة اتحادهم ولا تنظروا حتى الشكر من اولئك الذين تودون ان تمنحهم حياتكم. بل استعدوا لانهم سيقاومونكم".

ومع تأجج الثورة على المستعمرين تفاقمت اعمال القمع وامعن البريطانيون المستعمرون في تنفيذ احكام الاعدام بحق الثائرين الوطنيين وقد برهنوا الوطنيين عن جرأة نادرة فلم يتخرجوا من انشاد اناشيد طاغور الوطنية في المحاكم وبها واجهوا احكام الاعدام، وكانت علاقة احترام متبادلة قد توثقت بين طاغور وغاندي وقد بلغ اعجاب الشاعر بمحرر الهند ان اطلق عليه لقب "مهاتما" اي "النفس الكبيرة" واتفقا كلاهما على الاهداف النهائية وان ظهرت احياناً بينهما خلافات حول الاساليب والاولويات اذ كان غاندي اكثر واقعية في وطنيته فيما كان طاغور يتطلع الى عالم بلا حدود ومؤمناً بأن الهزيمة الحقيقية هي التكر للحب والجمال، غير ان اندفاع طاغور الوطني لم يحل دون شجبه تقاليد راسخة عدها هي علة تخلف الهند ولاسيما الحواجز القائمة بين طبقات المجتمع التي تؤدي الى تجزئته واضعافه فضلاً عن الشقاكات الناتجة عن تعدد الديانات والمذاهب فأكد بلا وجل ان افتخار الهندوسية بتقاليدها هو افتخار باطل وان تشبثها بما هو سبب انحطاطها ومعلناً ان "الاستقلال الحق هو استقلال الفكر والنفس...". وعملاً بهذه القناعة دعا الى تأسيس اعياد يحتفل بها بمواسم الحياة اليومية مثل عيد للربيع، واعياد للزرع والغرس والحصاد، يستعاض بها عن طقوس دينية فقدت معناها ومبرراتها ووضع لهذه الاعياد المستحدثة اناشيد خاصة بها ومسرحيات مستوحاة من رموزها.<sup>(٢٨)</sup>

ولكن التيار الذي اصبحت له الغلبة في تلك المرحلة من الحركة الوطنية الهندية لم يكن تيار الوطنية التقدمية التي تقرن التحرير السياسي بمقاومة العصبية الطائفية وتحرير الشعب من قيود الجهل والخرافة والرجعية وهو التيار الذي كان يمثله طاغور بل تيار الوطنية المحافظة التي ارادت ان تبني الحركة القومية الهندية وهي اكثر الحركات تقدماً على اشد التقاليد الاجتماعية رجعية واوغل المعتقدات الدينية في الخرافات<sup>(٢٩)</sup>

وعندما تسببت الحركة الانفة الذكر في هجمات بالقنابل ضد البريطانيين والى حدوث شغب بين الهندوس والمسلمين انسحب طاغور من ميدان النشاط السياسي في هدوء وعاد الى نشاطه الادبي فكانت السنوات التالية من احفل سنوات حياته بالانتاج الادبي.<sup>(٣٠)</sup>

وتم اصدار منشورين رئيسيين لريندرانات طاغور هما هند سواراج (١٩٠٩) وجوراو (١٩١٠) وعضو الكنيست غاندي على التوالي. فكانت جوراو رواية نظر فيها طاغور بشكل نقدي الى فكرة الامة، اما رواية هند سواراج فهي الحكم الذاتي، لكن الحكومة البريطانية حظرت نشر نسختها الغوجاراتية في الهند. فقام غاندي بترجمتها الى اللغة الإنجليزية لمعالجة المشكلة امام مجتمع قراءة أوسع. وكان هناك انعكاس للرغبة القوية في الحكم الذاتي للهند ووصول فرد جديد ناشئ لديه وعي للمجتمع الأوسع. كان طاغور طوال حياته من دعاة الانسجام والأخوة بين الناس. لقد حدد بحق التعارض الأساسي بين الكفاح الإنساني والطموح القومي. وكان مدركاً لسلطة الدولة الاستبدادية والقمعية. ولكن لم يكن هناك نموذج بديل للدولة خلال تلك الفترة ، لذلك ، كان يفكر في سيادة سياسية تتمتع بالحكم الذاتي جنباً إلى جنب مع مجتمع مدني مستتير ومجال عام. سيعمل هذا الفضاء المدني والمجال العام في نهاية المطاف كحامي للحرية الفردية داخل الفضاء المستقل للخارج من عالم السيادة السياسية المحكومة ذاتياً في مجتمع غير رسمي قائم على القرية مثل الهند. لأن طاغور أدرك أن الروح الحقيقية للمجتمع الهندي لا يمكن تمثيلها بشكل صحيح من قبل أي دولة نموذجية عالمية كانت القوى الإمبريالية تحاول تأسيسها. بدلاً من ذلك ، كانت روح تعددية اللغة والدين والعرق وثقافة التنوع هي حجر الزاوية في المجتمع الهندي عبر العصور. كتب قصيدة بها روتيرثا (الحج إلى الهند) حيث تحدث عن الوحدة في التنوع في الثقافة الهندية. وفي عامي ١٩١٢ و ١٩١٣ عندما القى عدداً من المحاضرات كما ذكرناها سلفاً اوضح فيها لمستعميه الغربيين جوهر النظرة الهندية الى الحياة كما يراه ان هذه النظرة تقوم على الوفاق والتناغم بين الانسان وعالمه لا على الحرب بينه وبين هذا العالم والمثل الاعلى للانسان الهندي هو ادراك الكون او تحقيق نفسه في الكون وتحقيق الكون فيه لا الاستحواذ والسيطرة لقد كان طاغور يبشر بهذه الرسالة في الوقت الذي كانت الاسلحة تكس فيه استعداداً لحرب عالمية رهيبة ولم يفتته مظهر الحضارة الغربية بل على العكس لقد ضاق بما فيها من صراع مستمر ، وقد وفق طاغور الجانب الاكبر من نشاطه منذ ذلك الحين على مكافحة الحروب والسعي الى التفاهم بين الشعوب وما كان اشقها من رسالة على رجل لا تزال بلاده نفسها تجاهد جهادها العنيف المشروع للتخلص من قبضة الاستعمار<sup>(٣١)</sup>

ولم يتوان طاغور وهو يرى الى الاستعمار البغيض يعيث في وطنه فساداً وعسفاً فقاومه بشعره ومقالاته وخطبه فلم يقتصر شعره على تلك الخيوط اللطيفة الناعمة التي الف ان يغزلها في معاني المحبة بل كان يتعالى حراً ليدك صروح الطغيان كالفراشة التي نسجت خيوطها الحريية وانطلقت حرة في منفسح الفضاء ويدعم صيحة زعيم الهند غاندي وتوقظ ابنء وطنه من سبات الاستسلام مهيبه بهم ان ينزعوا الخوف من نفوسهم حاملة لهم مشعل الحرية الموعودة فيقول: (٣٢)

" ايه يا وطني . اطلب اليك الخلاص من الخوف .

هذا الشبح الشيطاني الذي يرتدي احلامك الممسوخة.

الخلاص من وقر العصور . العصور التي تحني رأسك وتقصم ظهرك .

وتصم اذنيك عن نداء المستقبل".

وفي عام ١٩١٥ تم منحه رتبه فارس من قبل الملك جورج الخامس اذ لقب "سير" ولكنه لم يستمر بهذا اللقب طويلاً، لان في عام ١٩١٩ اراد الاستعمار البريطاني في الهند ان يحول التشريعات الاستثنائية التي اصدرها في اثناء الحرب الى قوانين دائمة بدأ غاندي (٣٣) حركة المقاومة السلبية وشملت البلاد كلها موجه وطنية عارمة افزعت قوات الاحتلال فاقدّم الجنرال "داير" على جريمة بشعة الا وهي " مذبحه امريستار" اذ امر باطلاق النار على مظاهرة من الهنود العزل من مكان مغلق فقتل حسب التقارير الرسمية ٣٧٩ شخصاً وجرح ١٢٠٠ تركوا في مكان المذبحه دون عناية طبية وكان هدف ذلك القائد كما قرر فيما بعد ا يوجد "حالة نفسية من وجهة النظر العسكرية، لا بالنسبة الى الحاضرين فحسب بل بالنسبة الى البنجاب كله" اي ان يهرب الشعب وعلى اثر ذلك كتب طاغور راداً على هذه الجريمة البشعة رسالة الى الحاكم العام البريطاني تعد وثيقة من وثائق الحرية. أعاد طاغور الوسام البريطاني الى نائب الملك غير آبه بتأثير موقفه هذا على اصدقائه الابداء البريطانيين مصحوباً بخطاب يوجه فيه استنكاراً مرأ لما حدث وقد كانت له شجاعة مكنته من مهاجمة الآراء الاجتماعية الاساسية في الهند واعنى بها نظام الطبقات والعقيدة في تناسخ الارواح التي هي اعز عقائد الهنود على قلوبهم، وهو وطني يتحرق شوقاً الى حرية الهند لكنه وجد في نفسه الجرأة فاحتج على الاسراف في النعرة القومية والسعي وراء المصالح الخاصة الذي يلعب دوره في الحركة القومية، وقد كان في شانتيني كيتان يعلم بعض ابناء الجيل الجديد مذهبه في تحرير الفرد لنفسه تحريراً خلياً (٣٤)



وكان طاغور كلما تقدم به العمر ازداد ايماناً بالانسان وبينما نجد شعره الغنائي المتأخر في ديواني "الهارب" و"قطف الثمار" يسيطر عليه هدوء فلسفي عميق نجد في شعره السياسي والاجتماعي عاطفة مضطربة كما في هذه القصيدة من ديوان "قطف الثمار":

" الذين يمشون في طريق الكبرياء، يدوسون الحياة الواطئة تحت خطاهم ويغطون خضرة الارض الرقيقة بأثار اقدمهم المخضبة بالدم.

لهم ان يفرحوا ويشكروك يارب؛ لان اليوم يومهم.

ولكنني اشكرك؛ لان حظى مع المتواضعين الذين يقاسون ويتحملون عبء السلطان ويخفون وجوههم ويختفون سرخاتهم في الظلام.

وفي روايته غوال يقر طاغور بان الانسان مفطور على حب وطنه كما يقر بان العمل الاسمي الوحيد هو العمل لمصلحة البلاد ويدعو للمواطنة في وحدة المجتمع الهندي، كما ويبحث طاغور عن هوية الامة الهندية وعن هوية كل شخصية و العاطفة بين الاباء والبنات وفي الوطنية والزواج وفي العلاقة بين الفرد والمجتمع وبين الحاكم والمحكوم، اذ تدور احداث الرواية في الجزء البنغالي من الهند في مدينة كلكتا تحديداً وفي الاوساط الثقافية منها على وجه الخصوص حيث يتم الجدل حول المجتمع الهندي وموقفه من الاستعمار البريطاني وتعسفه ويتمحور النص بشكل اساسي حول الديانات الهندوسية والمسيحية والاسلامية وحول الحركات الاصلاحية الدينية والروابط الاجتماعية ومعوقات التفاعل بين الطوائف والمذاهب بسبب العادات السلبية والمفاهيم الجامدة المتحجرة بالاضافة الى الموضوعات السياسية.<sup>(٣٥)</sup>

وعلى الرغم من صداقة طاغور لغاندي الا انه كرس نفسه للتعليم وانشاء المدارس وتثوير عقول النشء الجديد، اذ كتب طاغور اكثر من الف قصيدة وثمانية اجزاء من القصص القصيرة واربعاً وعشرين مسرحية وثمانى روايات والكثير من الكتب الاخرى في المواضيع التعليمية والاجتماعية كما انه الف اكثر من الفين اغنية بنغالية اذ اصبحت اثنتان منهما النشيد الوطني لكل من الهند وبنغلادش. وعلى اثر اعماله الوطنية اطلق عليه غاندي اسم حارس الهند العظيم كما اطلق عليه نهرو اسم انسان الهند العظيم تقديراً لاعماله بما فيها جائزة نوبل كما ذكرناه سابقاً، وقال عنه الشاعر البولندي جانكوسكى ان طاغور واحد من القلة التي وهبت اعماق الصلوات بالله والحق والحقيقة المطلقة انه يمضي في الطريق الى الله وانه لا يقرب الناس الى

حقیقته سبحانه اذ كان طاغور يحلم بقيام العالمية الحقيقية لان الحياة في رأيه عيد كبير تسهم فيه كل امة بإضاءة مصباحها في سبيل تطور المعرفة الإنسانية وتقدم الإنسان ولان الفرد هو اساس المجموع فقد نادى طاغور بحرية الفرد منطلقاً للحرية الجماعية ولذلك كان دائماً ضد تقسيم الانسان الى طبقات برغم ثرائه بسبب المال او الحسب او الدين او اللون ففي رأيه انه ليس هناك الا تاريخ واحد هو تاريخ الانسان. (٣٦)

ومن خلال تجاربه السياسية كتب روايته الطويلة "البيت والعالم" ١٩١٦ اذ يقرن المواقف الشخصية بالمواقف السياسية والمناقشات الفكرية ففي روايته البيت والعالم شخصيات ثلاثة : الراجا "نيكهيل" وهو راجا تقدمي شاب يبذل جهده لمساعدة ابناء اقليمه فينشئ المدارس التي يتعلم فيها معظم التلاميذ بالمجان ويقيم الاسواق لتشجيع الصناعات الوطنية ويغرس في كل فرد شعور الكرامة والحريه وينمى بين جميع الطوائف رابطة الاخوة والتسامح وهو ينفق جانباً كبيراً من امواله على الحركة الوطنية التي يتزعمها شاب اخر كان صديقاً له في اثناء الدراسة وهو "سندسب" وسنديب مزيج غريب من البطل والنذل فهو وطني متحمس الا انه لا يميز بين عاطفته الوطنية ورغباته الشخصية فهو يعلم اتباعه ان ابهة مظهره جزء من كرامة الحركة ويكاد يغوى زوجة نيكهيل "بيمالا" التي يتخيل حبه لها مقترناً بمجده السياسي وخروجها على رابطة الزوجية مقترناً بخروج بلاده من قيود الاستعباد.. وهو كذلك مزيج من أسوأ ما في الثقافة الهندية والثقافة الغربية فهو يقول عن نفسه انه من عبده "كالي" الهة القسوة وهو يتخذ الغرب قدوة في عبادة القوة والايمان "بالواقع" والسخرية بالحق. أما موقف طاغور من ثورة اكتوبر ١٩١٧ في روسيا ، ففي معرض تقييمه للميزات التي تمتعت بها ثورة أكتوبر، أعتقد أن مستقبل الهند يكمن في قدرتها على توحيد قوتها مع القوى التي تكافح على الأرض "محو استغلال الرجل للرجل والأمة للأمة" وهو بذلك يشير إلى التعاون مع الاتحاد السوفيتي للقضاء على السيطرة والاستعمار. (٣٧)

وكان رابدرانات طاغور ناقداً شديداً للقومية "ونصه القومية" تم نشره في عام ١٩١٧ ، خلال ذروة الحرب العالمية الأولى. كان عبارة عن مجموعة من المحاضرات التي ألقاها بين عامي ١٩١٦ و ١٧ أثناء زيارته لليابان والولايات المتحدة الأمريكية كما ذكرناه سلفاً. تم تقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسية: أ) القومية في اليابان. ب) القومية في الغرب. ج) القومية في الهند. في

الجزء الأول من كتابته ، كان منزعاً بشدة لأن الذات الجمالية لليابان كانت مهددة من قبل ما سماه طاغور بالقوة الشيطانية لما يسمى بالأرواح القومية المستوردة. كان يخشى أن يكون الغرب قد وضع نموذجاً عالمياً ، والذي كانوا يفرضونه على دول أخرى ، مثل اليابان لتتبعه بشكل أعمى. ميز طاغور بشكل واضح بين فكرة الأمة وفكرة المجتمع. ووفقاً له ، كانت الأمة منظمة آلية ومحفزة للناس للسعي إلى اتحاد سياسي واقتصادي. على عكس الفكرة ، لم يكن للأمة أو المجتمع مثل هذا الغرض المحدد. بدلاً من ذلك كان قائماً على عقلية مشتركة والترابط الاجتماعي للعيش معاً. في بعض الأحيان ، أصبح الترابط الاجتماعي ضرورياً لخدمة الأغراض التجارية التي دمرت في النهاية الانسجام الاجتماعي وجلبت البشرية المهتدة من خلال الحروب، كان طاغور دائماً يعطي الأولوية لجوانب أعلى من الحياة الاجتماعية والترابط الإنساني والمسؤولية الاجتماعية. في كتابات رابيندرانات ، يمكن للمرء بسهولة أن يجد خيالاً واضحاً لمساحة مدنية مستقلة ، والتي لم تكن متميزة فحسب ، بل كانت أيضاً ملموسة من الناحية الأيديولوجية أكثر من السياسية والاقتصادية. نماذج. بالنسبة إلى طومسون ، كان طاغور المتحدث باسم مناهضة السياسة. رأى طومسون أن:

" إن التزام طاغور بمناهضة السياسة واهتمامه بالمجتمع المدني يجعله يبدو أحياناً وكأنه مفكر حديث بشكل ملحوظ وربما مفكر ما بعد الحداثة". وهكذا، قرر طاغور مهمته المزدوجة: (أ) توحيد الهند ككيان نفسي ثقافي. (ب) توعية المثقفين العامين في الهند بدورهم في الحضارة الإنسانية العالمية. لكن لم يستجب البنغال ولا المثقفون الهنود ولا السياسيون ولا عامة الناس لفكرة طاغور. وأعرب في عدد من الخطب عن خيبة أمله. في عام ١٩٢٦ ، قال في خطاب: لقد ربيت أبناء البنغال في أشرم منذ فترة طويلة ، لكنني لم أحصل على أي دعم من البنغال. هذا هو التدبير الإلهي ... تلقيت الدعم من خارج البنغال ، وهذه نعمة. وقد احزنت طاغور الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) وما جرته من دمار وخراب فلم يقتصد في توجيه أقسى عبارات التنديد والاستنكار للغرب الذي عجز عن منع هذه المآسي كانت حينئذ سلواه الوحيد التطلع إلى العلاء والدعاء إلى التجدد الخالد بها التوسل الذي ما زال أهل البنغال يرفعونه كلما احتفلوا بذكرى ميلاده: (٣٨)

"فلتعلن لنا، (يا الله)

مثلما تعتلن الشمس،

مبددة السحب".

وفاء للشاعر والاديب طاغور صدرت الادارة العامة للثقافة بوزارة التربية والتعليم المصرية مختارات من مقطوعاته الشعرية وهي: الهلال وشيترا وجيتنجالي والبستاني وجنى الثمار ومتب البريد والبيت والعالم وهي ترجو ان تكون قد ساهمت في احياء ذكرى هذا العبقري فليس احفظ للذكرى من احياء فكرة العظيم ب مداومة قراءته حتى يستقر في النفس ايماناً ويحفز للعمل من اجل الحرية والسلام ورعاية حقوق الانسان تلك المبادئ التي امن بها طاغور ودعا اليها في: (٣٩)

\* ايتها الامم الفتية هبي واعلني صيحة الجهاد من اجل الحرية.

\* وارفعي راية الايمان الغلاب الذي لا يقهر.

\* واقيمي من حياتك معبراً يرأب صدع الارض التي مزقتها الاحقاد والاحن.

\* ثم سيرى للامام...

### المبحث الثالث // دوره الادبي

لم يترك طاغور مجالاً من مجالات الادب الا ساهم فيها فتجاوز عدد مؤلفاته الثلاثمائة وجمعت "بيشرا بهاراتي غرانتهابيتان" الواقعة بكلكتا اعماله الادبية واصدارتها في سبعة وعشرين مجلداً بعنوان "المؤلفات الكاملة الرايندية" (٤٠) وقد صدر لطاغور ديوانه الشعري الاول عام ١٨٧٧ وهو في الخامسة عشر من العمر وكتب في ذلك الوقت طائفة من المقالات التي اشار فيها الى ضرورة امتزاج الحضارة الاوربية بحضارة الشرق، واول انتاجه المشهور جمع في مجلد باسم جيتانجالي اي قربان الاغاني واتجه الشاعر بعد شعره الغنائي الى المذهب الرمزي في التأليف من عام ١٩٠٥ الى عام ١٩١٩، وقد امتزج طاغور في فلسفته بالكون حتى صار جزءاً منه وفي ذلك يقول: (٤١)

" لقد قلبت هذه الدنيا بعيني واعضائي لقد طويتها في قلبي طيات لا عد لها لقد غمرت نهارها ولياليها بالافكار حتى صارت حياتي والعالم جزءاً واحداً وانا احب حياتي لاني احب ضوء السماء المنسوج في"

ومع ان شعر طاغور ليس من الشعر الصعب الذي يقتضي جهداً كبيراً لتفسيره تفسيراً مفتوحاً على كل وجوه الخطأ والصواب وهو من النوع السهل الممتع الذي لا يصعب على اي

قارئ الاستمتاع به الا انه كلما اعيدت قراءته قراءة متأنية تكشف عن ينابيع متعة جديدة مكونة فشره يتصف ببساطة الواقع وتنوعه وهو على غرار الواقع في حركة لا تفتن ومثل انهار الهند دائم التدفق نائراً الحياة وفيه تمتزج الرؤى الدهرية وموسيقى العوالم ورقصة الكواكب، وبأبيات قصائده يرسم طاغور لوحة للعالم المثالي الذي لا يكف يتطلع اليه عالم حافل بالفرح والجمال والحب، هذا وقد كان طاغور غزير الانتاج وقد صرح انه كان ينظم كل يوم قصيدتين او ثلاث قصائد فضلاً عن كتابات اخرى وعن تأليف اناشيد وتلحينها وعن رسم لوحات.<sup>(٤٢)</sup>

اما تصوف طاغور فلم يكن زهداً او تشاؤماً او انصرافاً عن الحياة وعما فيها من متع وجمال ... انما كان فناء في مجالس الكون وعلى ذلك يقول: "لن اكون ناسكاً يارفيقي ولتذهب بك الظنون ... لن اكون ناسكاً اذا هي لم تشاركني هذا النسك راضية لن اكون ناسكاً اذا لم ارفق الى ركن ورفيق يشاركني نسكي..."

فالتصوف في شعر طاغور عمل روحي وجهد نفسي هو معرفة الله وادراك الحق وشمول الروح واتساعها لمعاني الحياة كلها وتصوفه تدبر ونظر في مذاهب الهند الصوفية المتطرفة وهو في الواقع تصوف في مطالب الروح ورغباتها وانعكاس من النفس لمعالجة مشكلاتها الروحية والاجتماعية من طريق اللين واليسر وادراك الحقيقية، والى جانب جهوده في ميدان التصوف والادب ساهم طاغور بجهود اخرى في ميدان العلم فألف كتاباً عن "العالم الواسع" باللغة البنغالية نقلته الى الانكليزية السيدة "اندودت" وبيهرنا طاغور والكتاب يضم الى جانب الحقائق العلمية الطريفة حقائق اخرى تزيد من اعجابنا بهذا الشاعر المتصوف الذي اخذ من كل شي بطرف ولو ان عالماً متخصصاً قال هذا لما وجدنا فيه شيئاً من العجب ولكن ان يقوله شاعر تبلغ تمثلياته الشعرية في لغته الاصلية نحو ١٥٠ الف بيت وتبلغ مقالاته الفلسفية ورواياته وقصصه القصيرة ومقالاته في النقد والتراجم الذاتية قدراً كبيراً وتبلغ اغانيه التي اعدت للغناء ويستمتع اليها الان اكثر من ١٥٠٠ اغنية فهذا هو العجب العجاب.<sup>(٤٣)</sup>

كذلك كان طاغور مربياً فاضلاً اذ انشأ المدارس النموذجية واطلق فيها حرية التلاميذ والاساتذة وتتلخص فلسفته التربوية في الحرية والتعبير الذاتي الخلاق والاتصال بالطبيعة والارتباط المباشر بالمجتمع كما تتلخص فلسفته الحياتية وهو المصلح الملتزم الذي نادى بالعدالة الاجتماعية في ان الهدف الاوحد للحياة هو ان يسعى الانسان نحو المعرفة وتحقيق الذات

وكذلك تتلخص فلسفته الانسانية في دعوته الى السلام ونشر المحبة بين الناس ولاسيما الفقراء منهم او " اطفال الله الكبار" كما كان يسميهم، وقد ربط طاغور الناحية الاقتصادية بالتربية ويرى: ان المدرسة من واجبها ان تقوم بزراعة الارض وتربية الماشية حتى توفر الغذاء لها ولتلاميذها وعليها ان تعمل على انتاج الضروريات باحسن الوسائل واجود المواد وان تستعين على ذلك بالعلم وعليها ان تقوم بالتصنيع على اساس تعاوني يربط بين المدرسين والتلاميذ برباط حي نشيط من الحاجة وعلى اثره اخذ على عاتقه مهمة تثقيف الاطفال بعد دراسة معمقة لنفسيتهم بحيث لا ينفرون منه فأتاح لهم الحرية والتعبير الخلاق والعلاقة المباشرة بحياة الجماعة، وكانت فلسفته في التربية مشتقة من فلسفته في الحياة وتتطوي على اربعة مبادئ وهي: (٤٤)

**المبدأ الاول:** الحرية ويقصد تحرير الناشئ من طغيان الغريزة والنزعات والميول الحيوانية والسمو بالنفس الى اعلى المثل.

**المبدأ الثاني:** التعبير الذاتي عن طريق الفنون الجميلة بشتى انواعها والصناعة والاعمال اليدوية كما نادى بوجوب تهذيب العاطفة عن طريق الشعر والموسيقى والغناء والرسم.

**المبدأ الثالث:** الاتصال بالطبيعة وهو الذي حدا به الى اتخاذ الغابة والهواء الطلق مقراً لجامعته وللمعاهد والمدارس التابعة لها كما ذكرناه سلفاً ويؤدي هذا الاتصال الى اكمال النواحي العقلية والجسمية والروحية لحياة طلابه وفي هذا الاطار كتب يقول:

" انا اعتبر هذا جزءاً من التعليم لابنائي الطلاب وذلك لكي اجعلهم يدركون حق الادراك بأنهم يعيشون في نظام حياتي تعد فيه الاشجار حقيقة جوهريية ليس فقد لتوليد اليخضور (الكلوروفيل) واخذ غاز الفحم من الهواء ولكنها كائنات حية".

وفي رأيه ينبغي ان نبعد عن الطفل الكتب التي تحوي معلومات جافة وان نحرره من قيد الجلوس في صف لا يسمح له فيه ان يتصل عقله باي شيء اخر؛ ويقول " ليس من الضرورة الملحة ان يفهم الاطفال كل شيء وفي ادق التفاصيل فما هم بحاجة اليه هو تيقظ العقل وبنية ذهنية سليمة"

**المبدأ الرابع:** العلاقة بالمجتمع وعلى الاخص موضوع التعاون فيؤكد في مقالة له ان: "الانسان يفقد قوامه الصحيح حين يفشل في الاتحاد مع زملائه البشر اتحاداً تاماً.

فالإنسان الكامل هو الشخص الذي عنده هذه الصلاحية للاتحاد اما الفرد الوحيد المنعزل فهو ليس الا كائناً مبتوراً<sup>(٤٥)</sup>

وكان طاغور قد تحدث عن والده ديفندرانات بمودة قائلاً: "لقد وهبني والذي هذه البقعة الخصبة التي كان قد شيد فيها معبداً ومنزلاً للضيوف. وقد بدأت تجربتي التعليمية هنا سنة ١٩٠١ بعشرة اولاد فقط. والثمانية الاف جنيه التي جاءتني مع جائزة نوبل انفقتها في صيانة المدرسة".<sup>(٤٦)</sup>

وقد اولى رابرانات اهمية كبيرة لدراسة الادب والشعر والتعبير عن الذات بالموسيقى والغناء اذ كان فتیان الشانتكيتان يمارسون فترات من الصمت لكنهم لم يحصوا على تدريبات خاصة في اليوغا، اذ كانت تمارين اليوغودا تشحن الجسم بالنشاط والحيوية وشار طاغور قائلاً:<sup>(٤٧)</sup>

" لهذا السبب أسست معهد الشانتكيتان تحت ظلال الاشجار وروعة السماء. ان الطفل يشعر بانه في بيته الطبيعية بين الازهار والطيور المغردة حتى يتمكن من الاعراب عن الثروة الباطنية لمواهبه الذاتية. والعلم الحقيقي لا يمكن ضخه او حشوه من مصادر خارجية، بل ينبغي للعلم ان يكون عوناً على الكشف عن كنوز الحكمة الانتهائية الكامنة في اعماق النفس البشرية".

اما فلسفته بشكل عام فقد كانت قائمة كلها على الحب قانون النفس العليا الذي يعانق الوجود كله، وجود العالم في الانسان ووجود الانسان في العالم اذ يصبح الحب البشري معبراً الى الحب الالهي فالحب هو المعنى الاسمي لكل ما يحيط بنا.. فاذا كان نور الشمس يفتح باب الكون فان نور الحب يفتح كنوز العالم ولذلك علينا ان نحب لكي نعمل وعلينا ان نعمل لكي نحب فالايمان بالحب لا يزعزعه ما قد يجلبه الحب من جراح وآلام لان الحب هو بداية المعرفة كما ان النار هي بداية النور وحب طاغور يتجه الى الانسان والحيوان والنبات والطبيعة والحياة والموت حب جوهره البراءة والبساطة اللتان تجعلان الطيور واوراق الشجر تبدوان قريبتين من قلبه قريهما من قلوب الاطفال وهو حب الهي وانساني معاً ذلك ان المستشرف الاعلى وقد تجلى في الانسان فاصبح للإنسان قداسته واصبح طبيعياً ان تحمل كلمة طاغور الاخيرة هذا المعنى الصوفي اذ قال " ابدأ رحلتي خلو اليدين ولكن بقلب مفعم بالرجاء فأنا على يقين اني سأحب الموت كما احببت الحياة".<sup>(٤٨)</sup>

وكانت في اعماله نفحة صوفية تمازحها وطنية متقدمة ونزوع الى التعاطف مع المعذبين في الارض كتب باللغة البنغالية وترجم بنفسه عدداً من اثاره الى اللغة الانكليزية في حين ترجم غيره عدداً اخر الى تلك اللغة وبذلك كان ذا اثر عظیم في تعريف الغرب باللغة الهندية. (٤٩)

ومع ان رابدرانات طاغور كان في المرتبة الاولى شاعراً فهو الذي مهد الطريق الى القصة الحديثة في الهند فعلاً سواء اكانت واقعية ام سيكولوجية ام متعلقة بمشكلات اجتماعية وقد بدأها بقصة "رماء العين" اذ كانت القصة بسيطة في ذاتها بسيطة في سردها وهي تتركز حول مشكلة العلاقة الانسانية وتقص علينا ما يحدث وراء الواجهة الهادئة لبيت بنغالي غني من الطبقة المتوسطة في تلك الحقبة حيث تعيش ام ارملة مع ابنها الوحيد الذي تهيم به حباً وقد يتخيل الانسان انه لا يمكن ان يحدث شي كثير في مثل هذا البيت بل الواقع انه لا يحدث فيه ما لا يحدث في اي بيت هندي اخر ومع ذلك فان الانفعالات المتسمة بالبطولة والقسوة قد تثار في القلوب التي تبدو وضعية وقد تضطرم المعارك حتى ليكاد البيت يحترق رماداً دون لهيب او دخان يبدو للعين الظاهرة (٥٠)

اما الاخلاق عنده فهي لا تتقيد بحواجز الشرائع الصارمة بل هي عمل مبدع يتم على الذات كما وعلى الاشياء فيحرر المعاني الكامنة في الطبيعة ويطلقها الى ما وراء حدود الخوف والقلق ان تجلي الجمال الكامن في الكون والانسان يثبت حقيقة السلام لا الصراع والمحبة لا البغضاء والوحدة لا التفرقة وهكذا، ويعتقد طاغور ان العدو الاكبر للهند موجود في الهند نفسها وذلك في الخرافات العمياء وتآليه التقاليد والعادات وفي الديانة الكاذبة والشقاء الكبير الذي يمك بتلابيب الشعب الهندي وقد قام بهجوم عنيف في مقال له عام ١٩١١ على النظام الطائفي في المجتمع الهندي موضحاً بانه يحطم المواطنة ويوهن الحيوية الروحية ويعطل العقد الاجتماعي وقال في ذلك: "نهضة الشعب الهندي من جديد في رأيي تعتمد مباشرة ولعلها كلياً على ازالة هذه الحالة" وكذلك حاول ان يحل الخلافات الموجودة بين ابناء الهند ومحاربة كل اشكال التعصب الاقليمي وجعلهم ينظرون الى الهند كأم لكل الولايات المتخاصمة... كما احس بالبلبله الفكرية في مفهوم الدين والوطن على حساب مصلحة البلاد فرفع صلاته من اجل امته: (٥١)

في جنة الحرية تلك يا ابتي دع موطني يستيقظ

حيث العقل بلا وجل



والراس ينتصب شامخاً  
حيث لا تفصل الاسوار الضيقة المحلية  
العالم الى قطع صغيرة  
حيث تنبع الكلمات من اعماق الحقيقة  
والجهد الدائب يمد ذراعيه نحو الكمال  
حيث جدول العقل الصافي لا يضل طريقه  
في رمال صحراء العادة المتحجرة  
حيث انت تقود العقل الى الامام  
الى فكر وعمل دائمي الاتساع  
في جنة الحرية تلك  
يا ابتي دع موطني يستيقظ.

اما في مسرحياته فكان طاغور يربط ما بين عناصر الدراما الغربية التي استوعبها وتبحر في معرفتها وما بين الدراما السنسكريتية التي كانت تقدم في القرون الميلادية الاولى بالقصور.. حيث كان يسبق تقديمها تلاوة الصلوات في مكان طوله مائة قدم وعرضه خمسين قدماً - ما بين اربعة اعمدة - ترمز الى الطبقات الاربع (وهم: البراهمة اي الطبقة العليا، والملوك والمحاربون، والفلاحون، والخدم) نصبت في كل ركن وعليها بعقد البناء وعندما يوضع الاساس وقبل بدء الطقوس الدينية يقوم المؤلف بأداء التمثيل، وكان يسود هذا المسرح شعور بالرهبة والمهابة ويواجه هذا المسرح جمهور النظارة وفي كل جانب من جانبه جزء قائم بذاته وفي الخلف ستارة يمكن ازاحتها اذا دعت الضرورة وتحجب وراءها جزءاً اخر من المسرح ينتهي بحائط من المناظر الخلفية ذات الزخارف الفخمة.<sup>(٥٢)</sup>

وكان هذا المسرح يحافظ على التقاليد التي تراعي في كل ما يتصل ( بالتمثيل) فالملابس والمكياج وحركات الممثلين تجري كلها في نظام معلوم.. كذلك تؤدي الرقصات الموسيقية دوراً هاماً في هذه المسرحيات لذا فلا بد من التنسيق بينها وبين سائر العناصر المسرحية ليكون النظام واحد في الكل وتجري حركات الرأس والعيون والاطراف والاصابع كلها في نطاق مرسوم وكانت مسرحيات السنسكريتي ذات اتجاه عاطفي اشبه بمسرحيات (شكسبير) في مراحلها الاخيرة مثل

مسرحيات سمبلين وقصة شتاء والعاصفة فهذا المسرح لم يعرف ما يسمى بالمأساة (التراجيديا) ذات اللغة الشعرية بل والغنائية ففيها المناظر الجدية التي تبعث على الحزن وفيها الى جانب ذلك المناظر الكوميديا التي تتوازي الواقعية فيها وراء ستار رقيق، اما البناء المسرحي ورسم الشخصيات فكانا يخضعان للعرف الذي كانت تخضع له حركات الممثل، وقد مزج طاغور اغلب اعماله المسرحية بالدراما الفولكلورية البنغالية الشعبية ايضاً اذ كتبت اغلب اعماله بالبنغالية لغته الام، وقد كتب طاغور ما بين ١٩٠٢-١٩١٦ سلسلة مسرحيات عرفت باسم (مجموعة شانتيكتان)<sup>(٥٣)</sup>

وبما ان اللغة البنغالية كانت غير معروفة عند العرب فانهم عندما نقلوا اعمال طاغور اعتمدوا على الترجمات الانكليزية لاعمال طاغور الادبية وهذه الاعمال هي:<sup>(٥٤)</sup>  
الانتاج الشعري:

١. قربان الغناء: انه الانتاج الشعري الاول لطاغور الذي جذب انتباه القراء العرب المحبي الاطلاع هو "غيتانجلي" ولا عجب فهو الديوان الذي ترجمه الشاعر بنفسه الى الانكليزية ونال شهره عالمية حتى نال على جائزة نوبل في الاداب كأول اديب اسوي كما ذكرناه سلفاً.
٢. الزنابق الحمر: هذا هو الديوان الوحيد لطاغور الذي ترجمه الى العربية اديب له معرفة بلغة الشاعر وهي البنغالية المترجم احمد عبد الغفور عطار احد اعلام العرب في العلوم الفلسفية والادبية والسياسية وهو مواطن سعودي الا ان اسرته كانت تنتمي الى اسرة بنغالية فكان على مهارة جيدة في اللغة البنغالية.
٣. جني الثمار: وهذا الديوان ترجم مراراً وطبع على حدة كما نشر منضماً الى دواوين اخرى تحت مختارات او ملتقطات شعرية.
٤. سلة الفاكهة: يحتوي هذا الديوان على نفس الاشعار التي احتواها الديوان المذكور انفاً "جني الثمار" وهو يشبه المثل الانكليزي "الخمير القديمة في الزجاج الجديدة".
٥. البستاني: وهذا الكتاب يحتوي على طائفة من شعر طاغور الغزلي او الحب الخيالي وقد ترجمه الى العربية رجل يقلب بنفس هذا الكتاب وهو الاديب اللبناني وديع البستاني الذي

مكث عامين في الهند كما اقام بضيافة طاغو وقد اعتمد على النسخة الانكليزية التي وضعها الشاعر بنفسه بعنوان The gardener.

٦. هكذا غنى طاغور: ويشتمل هذا الكتاب الذي قام بترجمته خليفة محمد التيليسي على عدد من شعر طاغور منتخب من عدة دواوين فالكتاب يحتوي على مجموعة "جني الثمار" كما يشتمل على اشعار مقتطفة مختلفة مثلاً "كريشناكالي" البرعم الاسود من ديوان "كهونيك" لحظة "وابن الانسان" مانب بوترا يعني عيسى ابن مريم من ديوان "بونوشسو" مرة اخرى وغيرها.

الانتاج النثري//<sup>(٥٥)</sup>

الى جانب الدواوين الشعرية هناك الاعمال النثرية لطاغور من الرواية والقصة القصيرة والسيرة والمقالات وغيرها.

١. الرواية:

بنوديني: ان بنوديني هو الرواية الاجتماعية الاولى التي الفها طاغور وظهر الكتاب باللغة البنغالية لأول مرة بداية عام ١٩٠٣ وتناول الكتاب تحليلاً نفسياً دقيقاً لشخصياته الذين غرقوا في العلاقة الغرامية غير الشرعية والعنوان الاصلي للكتاب "سوكهير بالي" يعني رماء العين.

قلوب ضالة: وهذه الرواية الاجتماعية الثانية لطاغور ظهرت باللغة البنغالية لأول مرة عام ١٩٠٦ .

البيت والعالم: وهذه الرواية السياسية والاجتماعية التي ناقدها الكاتب الكبير الارهاب والقومية الضيقة وتعني بالانسانية العالمية ظهرت لأول مرة في اللغة البنغالية عام ١٩١٦ .

القصيدة الاخيرة: ان هذه الرواية من احدى الروايات التي كتبها طاغور في اخريات حياته ١٩٢٩ وقد اكتمل فنه النثري فجاءت باكمل صورة ممكنة وكان الهدف الرئيسي لها هو عرض نظرية الحب عند المؤلف الا ان ادراج الاشعار في كثير من الاحيان صبغتها بلون الرواية الشعرية التي عدت فناً مبتكراً في ذلك العهد.

٢. السيرة الذاتية:

ذكرياتي: (٥٦) أن طاغور الف ثلاثة كتب قص فيها حكاية حياته ومن تلك السير الذاتية" جيون سمريتي" الذي ترجمه الاديب العراقي صلاح صلاح الى العربية بعنوان "ذكرياتي" وفي هذا الكتاب استغرق طاغور في ذكريات صباه ووصل فيه الى الذروة في التعبير والتصوير.

### ٣. الانتاج المسرحي:

الضحية: ظهر هذا الانتاج باللغة البنغالية لأول مرة عام ١٨٩٠ تحت عنوان "بيشارجان" ومعناه ايضاً الضحية وهي مسرحية تقليدية صالحة للتمثيل في المسرح عالج فيها المؤلف النزاع بين القوة الحاكمة وسلطة الكهنوت وتغنى في الاخير لغلبة الحب الانساني على الجبروت الملكي. الملك والملكة: ظهرت هذه المسرحية باللغة البنغالية قبل تمثيلية الضحية بسنة واحدة اي عام ١٨٨٩ حاملة عنوان "راجا وراني" الملك والملكة وهي مسرحية تقليدية تعرض فيها المؤلف للنزاع بين الحب والمسئولية.

ماليني: ومن المسرحيات التي ضمت داخل غلاف الضحية مسرحية ماليني والعنوان العربي يتحد بالعنوان البنغالي وفي هذا اللون الجديد من الفن مزج المؤلف الكبير بين الانفعال الشعري القوي والصراع الدرامي.

شيترا: وهذه المسرحية الشعرية ظهرت مستقلة كما صدرت تحت مجموعة شعرية ونثرية وهذه المسرحية طهرت عام ١٨٩٩ ولطاغور طبعة اخرى لهذه المسرحية صالحة للعرض الرقصي.

### ٤. مختارات شعرية ونثرية:

روائع في المسرح والشعر: تشمل هذه المجموعة على عدة دواوين طاغور كما تحتوي على بعض المسرحيات.

باقات من حدائق رابدرانات طاغور: وتنقسم هذه المجموعة الى جزئين: فالجزء الاول مخصص للاشعار بينما الجزء الثاني للافكار والخواطر. (٥٧)

وقد لجأ الى مختلف الاشكال الادبية والبحثية والفنية ليعبر من خلالها عن نظرتة الغاضبة بخصوص وضعية المرأة في العادات الهندية الظالمة فقد طرح مأساة الارامل المقتنعات بفضيلة حرق انفسهن بعد وفاة ازواجهن في الطقوس الهندوسية القديمة؛ والارملة وان لم تحرق نفسها ينبغي عليها ان تصبح بحكم المؤودة في قسم الحريم ممنوعة من الزواج محاصرة من جميع

الجهات تعاني على جميع الأصعدة النفسية والاقتصادية لان المجتمع والقانون لا يدعمانها ويظهر التعبير الأقوى في روايته البيت والعالم عن هذه المعاناة في حديث عفوي للارملة تقول فيه: "كلا لا اريد ان اعود كامرأة الى الحياة ثانية فما كان علي ان اقا سي منه هو كاف لحياة واحدة فلنته هذا العذاب من ذا الذي يستطيع ذلك مرة اخرى".<sup>(٥٨)</sup>

وكذلك في رواية غورا يوصي طاغور بأنه "ينبغي الاعتراف بالمكانة التي تستحقها المرأة والا تبقى الفكرة نظرية ومبهمه دون تحقق فعلي، "إذ كلما ابعدنا المرأة وحرمانها دورها في حياتنا ضعفت قدراتنا كإنسان" كما يرفض الذهنية التقليدية التي تستثني الذكور من النواهي والمحظورات لان الجنس القوي له ميزة مخالفة النظام والنواهي حتى عندما تفرضها الصراطية الهندوسي.<sup>(٥٩)</sup>

### الخاتمة

وفي نهاية بحثنا هذا والذي القينا فيه الضوء على نبذه من حياة الأديب البنغالي الكبير رابدرانات طاغور مع معرفة دوره السياسي في الهند ثم تناولنا نشاطه الأدبي، اذ قدم طاغور للتراث الانساني اكثر من قصيدة شعرية ومسرحية والعديد من الروايات والقصص وعشرات الكتب والمقالات والمحاضرات في الفلسفة والدين والتربية والقضايا الاجتماعية وبحوث وكتب في علم اللغة لا سيما في الجانب السياسي اذ كان له دور مميز واثر كبير في السياسة الهندية من خلال ماكتبه من مقالات وكتب ومسرحيات إضافة الى دوره وتشجيعه للشعب للوقوف ضد الهيمنة البريطانية.

ولقد خلد طاغور اسمه بين عباقرة الفلاسفة والادباء والشعراء على مر العصور كذلك اصبح اسمه خالداً بين علماء التربية بما نشر من مبادئ سامية وتعاليم قوية عمل على تطبيقها في مدرسته التي انشأها منذ اكثر من مائة عام ونمت وازدهرت حتى اصبحت جامعة عالية يذهب اليها الدارسون والعلماء من جميع انحاء العالم.

والى جانب هذا كله كان مصلحاً ثقافياً اجري تحديتاً على الفن البنغالي برفضة كل القيود التي كانت تربطه بالاشكال الهندية الكلاسيكية وجدد في الموسيقى له اكثر من الفي اغنية والى جانب عبقريته في الادب اتجه الى الرسم الذي احترفه في سن متأخر نسبياً اذ انتج الاف اللوحات واقام العديد من المعارض الناجحة احدها في باريس وقد بقي غزير الانتاج حتى

الساعات الاخيرة من عمره واخيراً توفي بسبب فشل عمل جراحي في السابع من اب عام ١٩٤١ وهو في سن الثمانين.

ملحق رقم ( ١ ):



الشاعر الكبير رابدرانات طاغور ١٨٦١-١٩٤١

ملحق رقم ( ٢ ): المصدر: زبير محمد احسان الحق الاستاذ المشارك قسم العربية ممارسة رابدرانات طاغور في اللغة العربية، البحوث العربية عن الاديب الكبير، جامعة داکا، ص٢١٠٩-٢١١٠.

الدواوين					
العنوان البنغالي	ترجمة العنوان	تاريخ النشر الاول	العنوان البنغالي	ترجمة العنوان	تاريخ النشر الاول
كلباتا	الخيال	١٩٠٠	كهيا	زورق المعبر	١٩١٠
غيتانجلي	قربان الغناء	١٩١٠	غيتيماليا	اكليل الغناء	١٩١٤
سونار توري	السفينة الذهبية	١٨٩٤	سينترا	الملونة	١٨٩٦
سايتالي	الربيع	١٨٩٦	اسفوليتفا	شرارة	١٩٤٥
نابيدوا	القربان	١٩٠١	باترابوت	وعاء ورقي	١٩٣٦
بالانكا	الهاربة	١٩١٨	بوناشسا	مرة اخرى	١٩٣٢
بالاكا	طائر الكركي	١٩١٦	ماهويا		١٩٢٩
مانوشي	المحبوبة المخيلة	١٨٩٠	شيشو	الطفل	١٩٠٣

الرواية والقصة القصيرة					
غورا		١٩١٠	غاراي بايري	في البيت وفي الخارج	١٩١٦
سوكهير بالي	رمداء العين	١٩٠٣	ناوكادوبي	غرق السفينة	١٩٠٦
ستورانغا		١٩١٦	براياشسيتو	كفارة	١٩٠٩
راجورشي	الملك القديس	١٨٨٧	شيشير كوبيتا	القصيدة الاخيرة	١٩٢٩
المسرحيات					
العنوان البنغالي	ترجمة العنوان	تاريخ النشر الاول	العنوان البنغالي	ترجمة العنوان	تاريخ النشر الاول
سيترانغا	زوجة ارجونا	١٨٩٢	سيروكومار سويها	مجلس العزب	١٩٢٦
داكفهور	مكتب البريد	١٩١٢	بالغوني	اربيع	١٩١٦
بالس يكي	عبقرية بالسيكي	١٨٨١	بيسورجان	الضحية	١٨٩٠
برويتيهها					
ماليني		١٨٩٦	روكتاكوروببي	الزنايق الحمر	١٩٢٦
راجا وراني	الملك والملكة	١٨٨٩			

المقالات، ادب السيرة والرحلة				
١٩٠٧	الادب القديم	براسین شاهیتنا	١٩٤٣	تعارف شخصي
١٩٥٩	المسیح	كهريشتنا	١٩٠٧	الادب الحديث
١٩٣١	رسالة راحل جاوا	جاوا جانربر باترا	١٩١٩	راحل اليابان
١٩٠٩	مسكن السلام	شانتی نیکتیون	١٩١٢	ذکریات الحياة
١٩٤٣	شذا الادب	ساهتیر شروب	١٩٤١	ازمة الحضارة

### الهوامش:

- ١ - ينظر الملحق رقم (١).
- ٢ - اديب مصلح، باقات من حدائق رابدرانات طاغور، (د.ت)، ص٧؛ Manujit Mandal, Reinterpreting Tagore: Society, Culture, and Decolonization, Doctor degree Philosophy at the Faculty of Arts, University of Jadavpur, 2017,p.53.
- ٣ - برهما اسم الله في اللغة السنسكريتية الهندية وهو عند البراهمة الاله الموجود بذاته لا تدرکه الحواس ويدركه العقل وهو مصدر الكائنات كلها لا حد له وهو الاصل الازلي المستقبل الذي يستمد العالم وجوده منه وكانت كلمة براهما في الازمنة القديمة تعني الصلاة التي تصحب القربان ولا يظهر انها كانت تعني شيئاً آخر. احمد الشنواني، الخالدون من اعلام الفكر، الجزء الشرقي ٢، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة، ٢٠٠٧، ص٧٤؛ ابراهيم عبد الله الخويطر، طاغور شاعر الهند الملهم، مجلة فكر، العدد ٨، مركز العبيكان للابحاث والنشر، اكتوبر، ٢٠١٤، ص٣٠.
- ٤ - ترجمة خليفة محمد التليسي، هكذا غنى طاغور، ليبيا - تونس، د.ت، ص١؛ مظهر اسماعيل، رابدرانات طاغور، حكيم الهند وشاعرها، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، المجلد ٤١ع، ص٧.
- ٥ - رابدرانات طاغور ترجمة ماري شهرستان، البيت والعالم، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١، ص٥؛ وللمزيد عن نشأته ينظر المصدر: مذكرات رابدرانات طاغور عن طفوليته ترجمة الاستاذ ابو رشتا، ص٥٤.
- ٦ - اديب مصلح، المصدر السابق، ص١٤-١٥.
- ٧ - اديب مصلح، المصدر نفسه، ص١٣.
- ٨ - رابدرانات طاغور ترجمة ماري شهرستان، المصدر نفسه، ص٦؛ فؤاد جبور حداد، رابدرانات طاغور، مجلة الاديب، الجزء ٩ سبتمبر ١٩٦٦، ص١٢.
- ٩ - رابدرانات طاغور، ترجمة بديع حقي، روائع في المسرح والشعر، ط١، ١٩٩٨، ص١١.
- ١٠ - اديب مصلح، المصدر نفسه، ص١٥.
- ١١ - والجدير بالذكر ان منهج الدراسة في مدرسته كانت على النحو الاتي: يستيقظ الطلبة عند منبثق الفجر فيرتلون الاناشيد العذبة ثم يمضون الى حجراتهم فينسقون فرشهم وينظفون الارض وينطلقون الى الملاعب حيث يزاولون تمارينهم الرياضية ثم يلذ كل طالب بركن يفكر ويتألم فاذا انتهت فترة التأمل اقبلوا على فطور الصباح ومنه الى الصلاة فالدراسة النظرية، وللطالب: اما شرع الاستاذ في القاء درسته ان يعلو غصن شجرة او يقتعد



عشب الارض مستمتعاً بجمال الطبيعة وطلاوة الدرس معاً، وفي الساعة الثانية عشرة ينتهي برنامج الدراسة النظرية وبعد الغداء يبدأ برنامج الدراسة العملية وينصرف الطلبة الى الحدائق ينسقونها ويزرعونها ويتخذ بعضهم سمته الى القرى المجاورة لتعليم الفلاحين وارشادهم حتى يغلب الليل يعكف الطلبة بعد العشاء على قراءة القصص او تمثيل المسرحيات او ترتيل الاغاني وفي الساعة العاشرة يأوي الجميع الى النوم . وكان قبول الطلبة دون قسر او اكراه اذ تفتح فيها قلوبهم على محبة الطبيعة وتقدير الانسان وتتضح فيها شخصياتهم بالعمل والتعاون والاعتماد على النفس وفي هذه المدرسة القى طاغور محاضرات شتى جمعها في كتابه الشهير سادهاانا. رابندرانات طاغور ، ترجمة بديع حقي، المصدر السابق، ص ١٤ .

١٢ - الموسوعة العربية العالمية، ط٢، المملكة العربية السعودية، المجلد ١٥ ١٩٩٩، ص ٤٨٣ ؛ الموسوعة العربية الميسرة، المجلد ١٥، ط١، بيروت، ٢٠١٠، ص ٢١٣٨

١٣ - . رابندرانات طاغور ، ترجمة بديع حقي، المصدر السابق، ص ١٢ .

١٤ - زبير محمد احسان الحق الاستاذ المشارك قسم العربية ممارسة رابندرانات طاغور في اللغة العربية، البحوث العربية عن الاديب الكبير، جامعة داکا ، ص ٢١٠٨؛ الاستاذ الحبيب محمود محمد، طاغور ، مجلة البيان، دراسات ادبية، العدد ٢٥ و٢٦، السنة الثانية، ص ٤٩٦ .

١٥ - زبير محمد احسان الحق ، المصدر السابق، ص ٤٩٧ .

١٦ - اديب مصلح، المصدر السابق، ص ٢٥ .

١٧ - مير بصري، طاغور شاعر الهند، مجلة المجمع العلمي العربي، الجزء الاول والثاني، المجلد السابع، دمشق، ١٩٤٢، ص ١٤٣ .

١٨ - رابندرانات طاغور، ترجمة بديع حقي، شيترا مسرحية شعرية، (د.ت)، ص ٤ .

١٩ - الموسوعة العربية الميسرة، المصدر السابق، ص ٢١٣٨ .

٢٠ - رابندرانات طاغور، ترجمة حلمي مراد، قلوب ضاللة، روائع الادب العالمي، دمشق، بيروت، ص ٥ .

٢١ - رابندرانات طاغور ترجمة ماري شهرستان، المصدر السابق، ص ١٣ ؛ Atamels VI, Postcolonial reading of Rabindranath Tagore novels, Thesis submitted to Gandhigram Rural University, Jul2,p.26.

٢٢ - رابندرانات طاغور ، ترجمة بديع حقي، المصدر السابق، ص ١٧ .

٢٣ - رابندرانات طاغور ، ترجمة بديع حقي، المصدر نفسه، ص ١٨ .

٢٤ - رابندرانات طاغور ترجمة شكري محمد عياد، البت والعالم، ط٢، القاهرة، ٢٠١٠، ص ١١

٢٥ - International Journal of English Language, Arts and Social SciencesPolami chakrabortyThe Idea of a Nation: Tagore's Idea of Nationalism and SpiritualityIndian society, volume 4, August 2019,p.1003.

٢٦ - الموسوعة العربية العالمية، المصدر السابق، ص ٤٨٤ ؛ Parikshit Thaku, IN SEARCH OF THE ROOTS OF CIVIL SOCIETY IN INDIA: CASE STUDIES OF RAJA RAMMOHUN ROY, KESHUB CHANDRA SEN, AND RABINDRANATH TAGORE , Thesis

Submitted for the Degree of Doctor of Philosophy(Arts) Jadavpur University, 2019,

p.399.

٢٧ - اديب مصلح، المصدر السابق، ص ١٨.

٢٨ - اديب مصلح، المصدر السابق، ص ١٩

٢٩ - رابدرانات طاغور تقديم ووترجمة شكري محمد عياد، في عالم طاغور، المشروع القومي للترجمة، ٢٠٠٠،

Leonard A. Gordon, BENGAL: The Nationalist Movement 1876-1940, ص ٦٨؛

Manohar, 1979,p.15-16.

٣٠ - الموسوعة العربية العالمية، المصدر السابق، ص ٤٨٤.

٣١ - المصدر نفسه، ص ٦٦؛ ٣١ Parikshit Thaku, p.376.

٣٢ - رابندرانات طاغور ، ترجمة بديع حقي ، المصدر السابق، ص ١٥.

٣٣ - غاندي: ولد موهانداس كرمشاند غاندي المعروف شعبياً باسم بابو اي الاب او المهاتما غاندي في العام

١٨٦٩ في بورنندر في جزيرة كاتياوار في ولاية غوجارات كان والده رئيس وزراء راجكوت في العام ١٨٨٨ سافر

الى انكلترا لدراسة القانون وبعد انتهاء دراسته عاد الى الهند وبدأ يمارس مهنته في راجكوت وبعد وقت قليل جداً

تم تعيينه ممثلاً قانونياً لدادا عبد الله وهو تاجر من غوجارات ثم غادر الى جنوب افريقيا في نيسان ١٨٩٣ ومن

هناك بدأ غاندي ينجذب تدريجياً الى النضال ضد العنصرية على الارجح كان حينذاك اول هندي حاصل على

شهادة في العليم العالي يزور جنوب افريقيا وفي خلال فترة اقامته في جنوب افريقيا صدم لرؤية الذل والاهانة

التي يواجهها الهنود وقد كان على خلاف صغير مع السلطات ولكنه لم يفعل شيئاً في هذا الاطار ولكن الوضع

ما لبث ان تردى بشكل هائل عندما تعرض لاهانة اثناء سفره في القطار ففي رحلته بالقطار من ديربان الى

بريتوريا اعرض الركاب البيض على وجود غاندي في عربة الدرجة الاولى اذ تم اخراجه قسراً من القطار والقائه

على منصة في بريتوريا مما عرضه للاهانة ولليلة من البرد القارص وعلى اثره اقتنع غاندي بمحاربة الظلم

فاصبح مصمماً على خوض حملة لمكافحة التمييز العنصري وعلى الرغم من انه كان من المقرر ان يبقى في

جنوب افريقيا لعام واحد الا انه مكث هناك لمدة ٢٠ عاماً اضافياً وحمل راية قضية الهنود في تلك المنطقة.

للمزيد ينظر المصدر: غص الزيتون دليل المعلم، الهند، مجلة المعلم لمنظمة بنور السلام الدولية، عدد خاص"

صنع التاريخ" ٢٠١٥، ص ٢٤.

٣٤ - ول ديورانت، قصة الحضارة الهند وجيرانها الشرق الاقصى - الصين، المجلد ٣-٤، ٢٠٠١، ص ٤١٤-

٤١٥.

٣٥ - رابدرانات طاغور ترجمة د. ماري شهرستان، رواية غورا، دمشق، ٢٠١٥، ص ١١.

٣٦ - رابندرانت طاغور، قرايين الغناء، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٨.

٣٧ - خولة طالب لفته، العلاقات الهندية السوفيتية ١٩٤٧-١٩٦٤، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة

البصرة، ٢٠٠٦، ص ٧٦؛ ٣٧ Parikshit Thaku, p.380.

٣٨ - اديب مصلح، المصدر السابق، ص ٢٧؛ ٣٨ Parikshit Thaku, p.398.

٣٩ - رابندرانات طاغور ترجمة شكري محمد عياد، المصدر السابق، ص ١٤.

٤٠ - ينظر الملحق رقم (٢) المصدر: زبير محمد احسان الحق ، المصدر السابق، ص ٢١٠٩-٢١١٠.

- ٤١ - احمد الشنواني، المصدر السابق، ص٧٦.
- ٤٢ - اديب مصلح، المصدر السابق، ص٢٩.
- ٤٣ - احمد الشنواني، المصدر نفسه، ص٧٧.
- ٤٤ - الدكتور ماري شهرستان، رسالة طاغور في الاصلاح الاجتماعي، (د.ت)، ص٦.
- ٤٥ - الدكتور ماري شهرستان، المصدر السابق، ص٧.
- ٤٦ - برمهنسا يوغانندا ترجمة محمود عباس مسعود، المعلم برمهنسا وطاغور يتبادلان الآراء، مذكرات يوجي - السيرة الذاتية، ص٣.
- ٤٧ - برمهنسا يوغانندا ترجمة محمود عباس مسعود، المصدر السابق، ص٣.
- ٤٨ - فتحي العشري، مفكرون.. لكل العصور، ط١، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٨٩، ص١٣١.
- ٤٩ - منير البعلبكي، معجم اعلام المورد، موسوعة تراجم لاشهر الاعلام العرب والاجانب القديم والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد ط١، بيروت، ١٩٩٢.
- ٥٠ - رابدراوات طاغور، ترجمة سامي علي الجمال مراجعة سامي عاشور، مصر، ص٤.
- ٥١ - الدكتور ماري شهرستان، المصدر السابق، ص٩-١٠.
- ٥٢ - رابدراوات طاغور ترجمة عبد الغني داود و احمد عبد الفتاح، ملك الغرفة المظلمة (مسرحية)، سلسلة افاق عالمية، ص٨.
- ٥٣ - رابدراوات طاغور ترجمة عبد الغني داود و احمد عبد الفتاح، المصدر نفسه، ص٩-١٠.
- ٥٤ - زبير محمد احسان الحق، المصدر السابق، ص٢١١١.
- ٥٥ - زبير محمد احسان الحق، المصدر نفسه، ص٢١١٢.
- ٥٦ - رابدراوات طاغور، ترجمة صلاح صلاح، ذكرياتي، ط١، ١٩٩٥، ص٦.
- ٥٧ - زبير محمد احسان الحق، المصدر السابق، ص٢١١٣.
- ٥٨ - الدكتور ماري شهرستان، المصدر السابق، ص٨.
- ٥٩ - رابدراوات طاغور ترجمة د. ماري شهرستان، رواية غورا، المصدر السابق، ص١١.

## قائمة المصادر:

### المصادر العربية:

١. ابراهيم عبد الله الخويطر، طاغور شاعر الهند الملهم، مجلة فكر، العدد ٨، مركز العبيكان للابحاث والنشر، اكتوبر، ٢٠١٤.
٢. احمد الشنواني، الخالدون من اعلام الفكر، الجزء الشرقي ٢، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة، ٢٠٠٧.
٣. اديب مصلح، باقات من حدائق رابدراوات طاغور، د.ت.

٤. الاستاذ الحبيب محمود محمد، طاغور، دراسات ادبية، مجلة البيان، العدد ٢٥ و٢٦، السنة الثانية.
٥. اسماعيل مظهر، رابدراانات طاغور، حكيم الهند وشاعرها، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، المجلد ٤١ع.
٦. برمهنسا يوغانندا ترجمة محمود عباس مسعود، المعلم برمهنسا وطاغور يتبادلان الآراء، مذكرات يوجي - السيرة الذاتية.
٧. ترجمة خليفة محمد التليسي، هكذا غنى طاغور، ليبيا - تونس، د.ت.
٨. الدكتورة ماري شهرستان، رسالة طاغور في الاصلاح الاجتماعي، د.ت.
٩. خولة طالب لفته، العلاقات الهندية السوفيتية ١٩٤٧-١٩٦٤، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٦.
١٠. رابندرارات طاغور ترجمة شكري محمد عياد، البت والعالم، ط٢، القاهرة، ٢٠١٠.
١١. رابدراانات طاغور ترجمة د. ماري شهرستان، رواية غورا، د.ت.
١٢. رابدراانات طاغور ترجمة د. ماري شهرستان، رواية غورا، دمشق، ٢٠١٥.
١٣. رابدراانات طاغور ترجمة عبد الغني داود و احمد عبد الفتاح، ملك الغرفة المظلمة (مسرحية)، سلسلة افاق عالمية.
١٤. رابدراانات طاغور ترجمة ماري شهرستان، البيت والعالم، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١.
١٥. رابدراانات طاغور تقديم ووترجمة شكري محمد عياد، في عالم طاغور، المشروع القومي للترجمة، ٢٠٠٠.
١٦. رابدراانات طاغور، ترجمة بديع حقي، شيترا مسرحية شعرية.
١٧. رابدراانات طاغور، ترجمة حلمي مراد، قلوب ضالة، روائع الادب العالمي، دمشق، بيروت.
١٨. رابدراانات طاغور، ترجمة سامي علي الجمال مراجعة سامي عاشور، مصر.
١٩. رابدراانات طاغور، ترجمة صلاح صلاح، نكرياتي، ط١، ١٩٩٥.
٢٠. رابندرانت طاغور، قرابين الغناء، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨.
٢١. رابندرانت طاغور، ترجمة بديع حقي، روائع في المسرح والشعر، ط١، ١٩٩٨.

٢٢. زبير محمد احسان الحق الاستاذ المشارك قسم العربية ممارسة رابدرانات طاغور في اللغة العربية، البحوث العربية عن الاديب الكبير، جامعة داكا .
٢٣. غص الزيتون دليل المعلم، الهند، مجلة المعلم لمنظمة بذور السلام الدولية، عدد خاص "صنع التاريخ" ٢٠١٥.
٢٤. فتحي العشري، مفكرون . لكل العصور، ط١، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٨٩.
٢٥. فؤاد جبور حداد، رابندرات طاغور، مجلة الاديب، الجزء ٩ سبتمبر ١٩٦٦.
٢٦. مذكرات رابدرانات طاغور عن طفوليته ترجمة الاستاذ ابو رشتا.
٢٧. منير البعلبكي، معجم اعلام المورد، موسوعة تراجم لاشهر الاعلام العرب والاجانب القدى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد ط١، بيروت، ١٩٩٢.
٢٨. الموسوعة العربية العالمية، ط٢، المملكة العربية السعودية، المجلد ١٥ ١٩٩٩.
٢٩. الموسوعة العربية الميسرة، المجلد ١٥، ط١، بيروت، ٢٠١٠.
٣٠. مير بصري، طاغور شاعر الهند، مجلة المجمع العلمي العربي، الجزء الاول والثاني، المجلد السابع، دمشق، ١٩٤٢.
٣١. ول ديورانت، قصة الحضارة الهند وجيرانها الشرق الاقصى - الصين، المجلد ٣-٤، ٢٠٠١.

#### المصادر الاجنبية:

32. Manujit Mandal, Reinterpreting Tagore: Society, Culture, and Decolonization, Doctor degree Philosophy at the Faculty of Arts, University of Jadavpur, 2017.
33. Atamels VI, Postcolonial reading of Rabindranath Tagore novels, Thesis submitted to Gandhigram Rural University, Jul2.
34. Polami chakraborty The Idea of a Nation: Tagore's Idea of Nationalism and Spirituality Indian society, International Journal of English Language, Arts and Social Sciences, volume 4, August 2019.
35. Parikshit Thaku, IN SEARCH OF THE ROOTS OF CIVIL SOCIETY IN INDIA: CASE STUDIES OF RAJA RAMMOHUN ROY, KESHUB CHANDRA SEN, AND RABINDRANATH TAGORE , Thesis Submitted for the Degree of Doctor of Philosophy(Arts) Jadavpur University, 2019.

36. Leonard A. Gordon, BENGAL: The Nationalist Movement 1876-1940, Manohar, 1979.

# Contents

1	The Nature of the Quraysh's Hostility to the Messenger of God (PBUH) At the Beginning of the Islamic Call ... Prof. Dr. Rahiem Hiloo M. Al-Bahadly - College of Education for Women / University of Basrah	1-16
2	The Algerian scholars' Attention about Matn 'As-Sullam Al-Murawnaq' for Al-Akhdari Teaching and Composing... Dr.Balkhir Omrani / Center for Research in Islamic Sciences and Civilization, Algeria	18-45
3	Libraries in the Far Maghreb during the Almohad era... Dr. Nadia Abdel Rahman Maati College of Arts - University of Sabratha - Libya	47-73
4	The cultural life of the Andalusians after the fall of Granada (897 AH / 1492 AD)... Prof. Dr. Wijdan Fareeq Enad / Revival of Arab Scientific Heritage Center - University of Baghdad	75-91
5	Minister Ahmed Pankti and his political and administrative role in the Maghul Empire during Kublai Khan's reign 658-680 AH / 1260-1282 AD... Asst. Prof. Raghad Abdul Karim Ahmed College of Arts / University of Mosul	93-116
6	Princess Sitt al-Mulk the Fatimid and its Influence Ruling of Egypt (411- 415 A.H. / 1020-1024 A.D.)... Dr. Ali Faisal A. Al-ameri / College of Basic Education - University of Sumer	118-151
7	The Isra Incident and its Intellectual Impact on Islam... Dr. Abdel Moneim Abdel Jabbar A. Jaafar / College of Arts – University of Muthana	153-188
8	The American strategy in the Middle East and the position of the Shiite religious establishment towards it... Dr. Abdul-Zahra Shahid A. Al-Hasnawi / College of Archeology- University of Dhi Qar	190-210
9	The Rise and Fall of Bani Najah State In Yemen (412 - 554 H. / 1021 - 459 A.D.)... Dr. Sana Abdullah Aziz Al-Taei and Dr. Sajid Abdel Mohamed / College of Education for Human Sciences - University of Mosul	212-227
10	Political implications of the sermons of Lady Al-Zahra (peace be upon her)... Dr. Mustafa Salem Hazem and Dr. Muhsin Toma Yousif / College of Arts - University of Basrah	229-251
11	The Islam of the Abd al-Qais Tribe from the Beginnings of the call to the Conquest of Mecca ... Dr.Qahtan Jiyad Matroud / General Directorate of Education in Al-Muthanna	253-270
12	Planning and building the shrine of Prophet Ayoub ( peace be upon him)... Dr.amtithal Kazem Al-Nakeeb / Center for the Revival of the Arab Scientific Heritage - University of Baghdad	272-283

13	The Syndicate and its importance in Islamic history, Al-Sharif Al-Radi (d. 406AH/1015AD) as a model... Dr.Hussein Saleh H. Al-Rubaie / Imam Al-Kadhim (peace be upon him) College of Islamic Sciences	285-314
14	British policy towards Lebanon 1939 – 1946... Assist lect. Hassan Ghanem A. Al-Hasnawi General Directorate of Education in Dhi Qar	316 - 335
15	The great writer Rabindranath Tagore 1861-1941 a historical study... Assist lect. Inaam Abdel Azim Al Shaheen / College of Education for Women – University of Basrah	337 - 370



*Ministry of Higher Education & Scientific  
Research  
University of Basrah  
College of Education for Women*

*ISSN : 1818 - 0345  
Impact Factor: (506-2018)  
Arcif: 0.0118 2021*

# ***HISTORICAL STUDIES JOURNAL***

***Semi-annual refereed scientific journal  
Published by the College of Education for  
Women  
Supplement of thirty tow issue (June 2022)***